سيرة
عنترة بن شداد



الجزء الأول

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص. ب ٥٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الخلق أجمعين ، رب الأنبياء والمرسلين ، ومن عداهم من الطائعين والمذنبين ، الصالحين منهم والطالحين ، وعد الطائعين الصالحين بجنات النعيم ، والنعيم الدائم المقيم ، وأوعد العصاة والمذنبين الطالحين بنار الجحيم ، والعذاب الأليم ، وجعل من أحاديث الأولين المتقدمين ، عبرة وعظة للمتأخرين، وتذكرة للمبصرين، ونبراسا للمقتدين ، وثقافة للمطلعين ، وسلوة حسنى للفاهمين .

والصلاة والسلام على سيد الأنام . المختار من أكرم القبائل وأشرف السادات . سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرات. والآيات البينات. جاء الخليقة بالحق المبين . وارسله الله رحمة للعالمين . وعلى آله المكرمين الطاهرين . وعلى صحابته الأخيار . الكملة الأبرار . وعلى سائر الرسل أجمعين . وأتباعهم الى يوم الدين .

(أما بعد) فان الأمم باخلاقها . وعلو مداركها . بماضيها وحاضرها . وعجيب ما يؤثر عنها من عظمائها وأمجادها ذكورها واناثها . فقدترتفع الأمة بفرد من أفرادها فيبقى ذكرها أبد الآباد كعبس الشهيرة بابنها عنترة بن شداد . مورى النار بلا زناد . وفى ذكر عظماء الرجال بعث للابطال . حيث على منوالهم ينسجون . وفى طريقهم يسيرون . وسرد التاريخ سردا من غير أسلوب مشوق مؤد الى الكلال والملل . والسير به بصورة الهزل مدعاة للزلل والخلل . لهذا تفنن المتفننون فى نشر أخبار السابقين . بأسلوب قصصى حكيم يكون السامع له كطائر يتقلب على أغصان شجر مورق من فنن الى فنن . فمن نثر كعقود الجمان . الى شعر يحكى قلائد العقبان . ليأخذ لنفسه من كل شىء أحسنه . وهذا ما حدا بعلامة عصره وأوانه . وفريد دهره وبهجة زمانه اللغوى البارع الذكى الألمعى . عبد الملك بن قريب الشهير عند العامة

والخاصة بالأصمعى ، فأخرج فى لغة الضاد سيرة من أجل السير، وأضفى عليها من أسلوبه العذب ضياء شبيها بضياء القمر، تقتبس من بين ثناياها ما لذ وطاب ، مما هو أحلى من رشف الشراب وعذب الرضاب ، واللغة العربية على اتساعها وغناها ، وغزارة مناهلها وبعد أغوار مداها ، ليس فيها من أمثال قصة فارس الهيجاء عنترة العبسى التى برز فيها الأصمعى كفرس الرهان ، الا ما تعده على عقد البنان ، كقصة أبى زيد الهلالى سلامة ودياب الزغبى، وقصة الهضام وقصة سيف بن زى يزن الحميرى

على حين تجد لغات الغربيين منشورة بين الخافقين ، مصورة بيراع الكاتبين القصصيين بما لا يحصره العد ، وكذلك بعض لغات الشرقيين كالهند وفارس وفى تغيير الأسلوب للسامعين تجديد للاسماع ، وبعث لحب الاستطلاع ، ولن تتحقق الغاية المنشودة للناشرين ، الا اذا كان الكاتب سليم الخيال ، صحيح المقال يهدف الى غرس خلق الكمال فى قلوب الأشبال ، وهذا بحمد الله ما لمسناه فى قلم الأصمعى رحمه الله ، وأكرم مثواه .

لهذا وجبت العناية بهذا التراث المجيد ، والسفر السعيد المفيد ، للمبتدىء والمعيد ، اسأل الله بقاء آثار لغة القرآن ، ما تعاقب الجديدان وطلع النيران .

قال العلامة الأصمعى : اليك أيها السامع النبهان ، أسوق ما جرى من أحاديث العربان ، وما جرى بين يعرب وقحطان ، وفزارة وذبيان ، وعبس وغطفان وأولاد معد وعدنان ، وما كان لهم فى سالف الأزمان وما تم بين أولاد نزار الأربعة الأبرار .

ثم أنشأ الأصمعى يقول : صلوا على الحبيب المحبوب طه الرسول :

كان لنزار بن معد بن عدنان أربعة أولاد : هم مضر وربيعه واياد وأنمار وكان مضر أكبرهم سنا ، ولكل ولد أولاد وحشم وخدم وأتباع وأموال ومراع ، ومراتع وضياع ، فلما كثروا وضاق بهم وبأتباعهم السهل والجبل وقصرت عنهم وعن كفايتهم أعشاب الحجاز قال لهم كبيرهم مضر : يا اخواتى ويا اشقاء روحى : ان سنة البقاء ، مع ضيق المكان على الأحياء ، تولد الحقد والبغضاء ، وتغرس فى النفوس المتوثبة بذور الشحناء ، فيحتدم القتال ويحلو النزال وتراق دماء الأصفياء

وتهدر كرامة الأقرياء . وأنتم تعلمون أنى أكبركم والموصى لى بالملك بعد والدكم ، فاسمعوا ما أقول لكم ، فقد نظرت الى صالحى وصور الحكم ، نظر الشقيق الشفيق الرحيم ، وفكرت فى مستقبل عشيرتى وعشائركم فكر المدره المجرب الحكيم ، فوجدت مراعى الحجاز



(١) مضر (٢) ربيعة (٣) أياد (٤) أنمار

لا تسعنى وتسعكم ، ومراتعه لا تفى بانعامى وانعامكم، فارحل يا ربيعة بمالك وعيالك الى العراق ، وانتجع يا اياد الى أراضى اليمن ، واتخذها لك ولأتباعك خير وطن ويممّ وجهك يا انمار الى اراضى الشام ، واتخذها لك ولمالك وأتباعك خير مقام وقديما قالوا تباعدوا تحابوا ، وارحلوا تغنموا ، وما دمنا فى أزدياد متقاربين نتباغض يوما ما وحينا بعد حين ،

والقتل فى الأهالى ذلة وخسران ، واهمال نماء المال دمار ونقصان ، فاذا سمعتم نصحى فاقبلوا قولى فقالوا جميعا : لك علينا يا خليفة نزار السمع والطاعة فقد أحلك والدك منزله ، فاذا قلت قولك فلن تخلفه أو نعدله .

وهكذا انقادت له اخوته انقياد الجمل الذلول ، مقدرين نصائحه الغالية وبعد نظره وثاقب فكره ، فتوجه كل واحد من اخوته الثلاثة الى الجهة التى اختارها لسكناه ، وحققوا له كل ما يتمناه ، فانتشرت بارتحالهم قبائل العرب فى الآفاق واستوطنوا الحجاز واليمن والشام والعراق ، وبعد مدة من الزمان سميت عرب مضر الحجازية الحميرية، لاتخاذهم الاسلحة الحادة القوية ، والخيول الجياد الصافنات الكحلاوية الحمراء المطهمة بالسرج الارجوانية ، كمايعرفون ببنى عدنان ،وسميت عرب اياد باليمن بنى قحطان ، وعرب ربيعة بالعراق بنى شيبان وعرب أنمار بالشام بنى غسان ، ولما تطاول بهم الزمان . وتكاثرت الأحفاد والاسباط والغلمان والولدان . وقعت بينهم الحروب والتطاحن على المياه والغدران . والمناهل والاوطان . سنة الله فى خلقه اذا اتصل بهم العمران . وتقارب المكان فتسابقت المؤرخون الثقات لاثبات ماشاهدوه من الحوادث العجيبة والاحوال المثيرة الغريبة . فروى هذه القصة غير الأصمعى أبو عبيدة وجهينة بن المثنى اليمنى والبلخى وحماد الرواية وسيار بن قطحبة الفزارى والكاهن الغسانى الثقفى وابن خداش النبهانى . وكل منهم روى ما شاهد وما سمع ممن يوثق به من تلك الوقائع . وألم بهاتيك الطلائع . وضبط كم فتى من كل فريق حومة الوغى صرع وهلك . ومن منهم قهر وغلب وملك ، ومن الذى دارت عليه رحى الفلك ، وكذا دون ما جرى بين ملوك بنى حمير ، وملوك بنى الاصفر . وما جرى بين كسرى وقيصر . والجندلى بن كركر . فكانت أربع وقائع جسام ، لم يسبق لها مثيل فى غابر الايام . (فأولها) حروب اليمن استمرت مائتى سنة . (والثانية) حرب البسوس بين بنى بكر ووائل امتد سعيرها وتطاير شواظها أربعين سنة . (والثالثة) حرب داحس والغبراء . وكانت بين عبس قبيلة بطل قصتنا وغطفان . وفزارة وذبيان ، وتطاول لهبها الى ما جاورهم من العربان فى هذا الزمان . ودامت ستين سنة . (الرابعة) بين الأوس والخزرج قبل مبعث سيد

الكائنات ، صلوا على صاحب المعجزات :

قال الأصمعى وكانت العرب فى تلك الأيام تعبد الأصنام من دون الله وكان لكل قوم منهم صنم يعبدونه فكان لهم أصنام كثيرة كاللات والعزى والهبل ومناة واساف ونايلة وود وسواع وغير ذلك وكانوا يفتخرون بالأنساب والأحساب والشجاعة والبراعة ويتضون أيامهم فى الحروب والغزوات والوقائع والغارات فلا يعرفون الحرام من الحلال ولا يبالون بسفك الدماء ونهب الأموال فسلط الله عليهم هذا الجبار الغشمشم القهار الذى أخضع الرقاب وارغم الأنوف وقتل منهم الوف والوف . قال الأصمعى : وكان من العرب ثلاث قبائل يقال لها جمرات العرب وهى بنوضبة وبنواد وبنو عبس الذين منهم عنترة ابن شداد فتغلب على الجميع واطفأ كل جمرة من جميع عربان تلك البلاد فاعتزت به بنو عبس فى تلك الأيام وسمتهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام فشاع ذكرهم فى ذلك الزمان وصاروا يحمون الطريد ويؤمنون الخائف والفزعان ولو كان عليه من الأدمية ما يكل عن وصفة اللسان ، ويجيرونه من كل انسان ولو ان طالبه ملك أو سلطان . ومن طلبهم بادروه بالحرب والكفاح ونهبوه بحدود السيوف وأسنة الرماح والفارس منهم لا يولى ولو أثخن بالجراح ويرى الموت أحلى من شراب كأس الراح وقد ذكرت الرواة ان نساءهم كانت أشد من الرجال ، وكانت تقاتل مع رجالها اذا ضاق عليهم المجال وكانت صبيانهم تقاتل الفتيان لأنهم يتربون على سروج الخيل ويباشرون الضرب والطعان ويسطون مع آبائهم على قبائل العربان وكان لهم ملك من أجل ملوك الزمان يقال له زهير بن جزيمة بن رواحة بن بغيض بن غطفان بن قيس ابن عدنان وكان كاملا فى كرمه وشجاعته وفضله وله ابطال وفرسان تركب لركوبه وتنزل لنزوله كما سيأتى حديثهم وأما السبب فى تأليف هذه السيرة العجيبة والقصة الفريدة الغريبة فهو انى رأيت الناس قد أكثروا فى تلفيق الروايات السقيمة واشتغلوا بالغيبة والثلب والنميمة فاحببت أن أجمع هذه الأحاديث الصحيحة وأشغل بها الناس عن سوء العشرة القبيحة صلوا على النبى صاحب الخلق الكريمة

قال الراوى وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة من الأمور الغريبة ان قوما من بنى عبس افتقروا وقل مالهم من كثرة الطارق والوافد والقاصد

والوارد فعزموا على الغزوات والسلب من أموال العربان كما جرت عادتهم فى ذلك الزمان من جملتهم شداد بن فراد فارس جروة وهى فرسه وكانت من أفضل خيول العربان وقد حسدته عليها جميع الفرسان وهو لا يجد عنها سلوة ولا يقبل بها ثمنا ولا رشوة وطلبها منه بعض الرجال . فانشد : وقال صلوا على سيد الرجال :

الا لا تطلبوا فرسى لبيع	فجروة لاتباع ولا تعار
لنا فى ظهرها حصن منيع	وفى وثباتها نور ونار
فنفديها اذا جاءت الينا	مع الرعايا تتبعها المهار
وندخرها لأيام الرزايا	فتنجينا اذا طلع الغبار
فجروة مهرة فى الخيل تسمو	كما يسمو على الليل النهار
تطير مع الرياح بغير ريش	ولم يلحق لها أبدا غبار

قال وكان من جملة الفرسان الذين اغاروا على أموال العربان فوارس شجعان منهم شداد بن قرادو اليعسوب بن ماجد والحارث بن الشمراخ وعامر بن ناقد وتمام العشرة من فرسان بنى عبس الاماجد ، هذا وقد ساروا من أرض بنى عبس التى تسمى الشربة وعليها جبل يسمى العلم السعدى قد ارتفع فوقها كالقبة فأنطلقوا وهم غائصون فى الحديد مسربلون بالزرد النضيد حتى قطعوا ارض بنى عدنان ودخلوا فى ارض بنى قحطان فجعلوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى أشرفوا على الجبلين الذين يسميان أجا وسلمى فى تلك الديار فرأوا هناك قبيلة جليلة عندها أموال جزيلة وهى قوم يقال لهم بنو جديلة فوجدوا لهم مضارب وخياما ورايات وأعلاما ورأوا اكثر المضارب من الديباج والحلة كأنها بحر عجاج من كثر الغلمان والجوارى الحسان والعبيد والولدان والخيول المختلفة الالوان والقوم فى أمان واطمئنان من غير الزمان فلما نظروا الى أولئك القوم وأحوالهم رأوا كثرة خيولهم ورجالهم لم يهجموا عليهم وخافوا على انفسهم من المسير اليهم فتركوهم وارتدوا الى مراعيهم فوجدوا ألف ناقة ترعى وهى فى تلك البطاح تسعى وكان مع تلك الجمال امة سوداء ترعاها فى ذلك البر الفسيح ومعها غلامان صغيران يدوران حول الجمال اذا نغدت تستريح وكانت تلك الجارية عريضة الاكتاف ثقيلة الارداف مليحة الاعتدال كأنها غصن اذا تحرك ومال صلوا على النبى والآل

قال الراوى فلما نظرت بنو عبس الى تلك النياق جدوا اليها كخيل السباق وساقوها بالعجل سوق الأرانب ولدغوها باسنة الرماح من كل جانب فمدت النيـاق خطاها وقد اوسعت مسعاها والأمة والعبـدان من ورائها وبنو عبس فى أثرهامتأهبين للقاء من يلحقها الا انهم ما ابعدوا عن الديار حتى طلع من خلفهم الغبار ومن تحته صياح الابطال وهمهمة الرجال ولم تكن الا ساعة حتى أدركوهم وصاحوا عليهم ويلكم أتظنون انه ينجيكم الهرب ونحن لـكم فى الطلب فلقد سعيتم بأرجلـكم الى آجالكم وقدمتم على هلاككم ووبالكم فلما نظرت بنو عبس الى الأعداء وقد لحقتها ألوت اعنتها وقومت اسنتها واستقبلوا القادمين وانقضوا عليهم مثل الشواهين وعلا بينهم الصياح واشتد القتال والكفاح حتى جرى بينهم الدم وساح هذا وبنو جديلة قد قل عزمهم وتغلب عليهم خصمهم فولوا بين ايديهم وعادوا على اعقابهم منهزمين ولديارهم طالبين بعدما قتلت أبطالهم وأخذت أموالهم فعند ذلك ساقت بنو عبس النياق والجمال ثم طلبوا الديار والاطلال وجدوا فى قطع الفيافى والقفار والوديان الى ان أمسى المساء فنزلوا على بعض المياه والغدران فنظر شداد الى تلك الأمة لتى ساقوها مع النياق ، فحلت فى عينيه لأمر يريد أن يظهره الملك الخلاق ، وهى ذات رونق وجمـال تستميل اليها قلوب الرجال ولقد أحسن من قال : صلوا على صاحب البهاء والجمال

وفى السود معنى لو عرفت بيـانه	لما نظرت عينـاك بيضا ولا حمرا
ليـانة أعطاف وغنـج لو احظ	تعلم هاروت الكهانة والسـحرا
ولولا سواد الخال فى خد ابيض	لما عرف العشاق يوما له قدرا
ولولا سواد المسك ماكان غاليـا	ولولا سواد الليل لم تنظر الفجرا

قال فعند ذلك اختلى بها شداد فى تلك البطاح وراودها عن نفسها فأبت وقالت حاشا مثلك ان يأخذ بالسفاح فضحك من كلامها ووضع يده بيدها على عقد النكاح ولما رآه رفاقه أرادوا ان يفعلوا كفعله وقد حلت فى عيونهم كمثله فاعطاهم الغنيمة كلها حتى رجعوا عنها . صلوا على خلاصة عدنان .

قال الراوى وكان اسم تلك الأمة زبيبة وجرير اسم ولدها الـكبير

وشيبوب اسم اخيه الصغير فتركهما شداد مع امهما وهو يتفقدها فى الصباح والمساء ويد القدرة تقبلها كيفما ربها يشاء . ومازالت على ذلك العمل حتى بان عليها الحبل وتداولت عليها الأيام والشهور كما يشاء الملك الغفور ، فلما كانت احدى الليالى أتاها الطلق ! كما شاء خالق الخلق ، فباتت تصرخ الى وقت السحر وبعد ذلك جاءت بولد ذكر وهو أسود أدغم افطس المناخر واسع المحاجر مهدل الاشداق مكدر الاماق مفلفل الشعر صلب العظام كأنه قطعة من غمام وكان اذا نظر يتطاير من أحداقه الشرر ففرح به شداد لما رآه وأوصى أمه عليه وصار فى أكثر الأوقات يتردداليه وكانت زبيبةاذا منعته من الرضاع همهم ودمدم وجذبها اليه كالأسد الغشمشم ولم يزل ينمو حتى خرج عن حد الرضاع وأنتشر ذكره بين القبيلة وشاع وسمع به الذين كانوا مع شداد فى الشربة حين أتى بالسبية وكانوا عشرة رجال من أشراف بنى عبس الاجواد فطمعوا فى اخذ الغلام من شداد ثم انهم اجتمعوا اليه واتوا ووقفوا حواليه وأخذ كل منهم ينحله الى نفسه حتى هاج بينهم الخصام وكاد أن يقع بينهم ضرب الحسام ونما الى الملك زهير ما كان من أمرهم فأرسل يستحضرهم ليقف على حقيقة خبرهم وكان عنده يومئذ ضيوف من السادات الأقران من آل عبس وعدنان ولم يكن الا القليل حتى أقبل شداد وصحبته العشرة الفرسان فدنوا من الملك زهير وسلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه فسألهم عن ذلك الخصام فأخبروه بما فى انفسهم من نحو الغلام ، فصلوا على المشفع فينا يوم الزحام

قال الراوى فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تعجب من تلك الأحوال وقال لشداد أريد ان تأتينى بهذا العبد الذى تخاصمتم عليه حتى انظر أنا وهؤلاء السادة اليه فمضى شداد وما غاب الا القيل حتى اتى بولد صورته كأنها صورة الفيل فنظر الملك زهير الى ذلك الولد واذا هو كالأسد . قال وكان ذلك الغلام له من العمر أربعة أعوام فتفرس فيه الملك وأشار بصولجانه فحملق فيه عينيه حتى خاف ان يسطو عليه فرمى له الملك قطعة لحم من الطعام الذى بين يديه فسبقه كلب وخطف اللحمة وهرب فلحقه الغلام وقد اشتد به الغضب فأدركه وأمسكه من عرقوبه بيديه وجذبه اليه وأراد ان يخلص اللحمة من فمه فتعاصى عليه

فأمسكه بشدقيه فشقه الى نصف لوحيه واخذ اللحمة منه ووضعها فى فمه أسرع من الطير ورجع يطلب غيرها من عند الملك زهير ، فلما نظر الملك الى ذلك الفعل تعجب وبهت كل من كان حاضرا من سادات العرب ثم قال والله ما هذا الفعل الا فعل عنترة يذكر فينبغى ان يسمى هذا الغلام بعنترة ، صلوا على صاحب المجد والمفخرة

قال الراوى ثم ان الملك التفت الى تلك الجماعة وقال لهم يا بنى عمى لا يليق أن يقع بينكم الشر والخصام لأجل هذا الغلام وتصيروا عارا بين انام فسيروا وتحاكموا الى قاضى العرب بشار بن قحطبة الفزارى وهو يحكم بينكم بما يلهمه البارى ، فلما سمعوا من الملك زهير المقال كفوا عن الخصام والجدال وساروا الى قاضى العرب ليفصل بينهم فى هذا الشغب فلما وصلوا اليه شرحوا قصتهم عليه فتفرس القاضى فى الولد فرآه يشبه شداد فحكم له به وقال يا قوم كفوا عن الشر والعناد وأنزعوا من بينكم الفساد ولا ترموا بينكم ، الفتنة على غير طائل ، فتشمت بكم العشائر والقبائل ، فانقلبوا راجعين ولأوطانهم طالبين وقد ارتضوا حكمه المبين . وقيل ان العشرة كانوا قد اشتركوا فى وطء الامة ولذلك وقعت على الولد هذه المحاكمة فحكم القاضى ان يكشف سترها بين العشرة الأخصام فمن التجأت اليه فهو ابو الغلام ففعلوا كذلك فاستترت بذيل شداد فحكم له بالولد ونال ما اراد فلما وصلوا الى الديار والاوطان فرحت بصلحهم جميع الأهل والاخوان هذا وعنترة ينشأ ويكبر ويترعرع ويتجبر حتى اشتدت أوصاله وحسنت أحواله وكان مع صغر سنه شديد البطش لا يبالى بالاهوال حتى كانت تهابه الأبطال وكانت لا تسلم من شره كل العبيد فاذا أراده غيره لا يفعل الا ما يريد واذا تجاسر عليه أحد منهم أوقع به واذاقه الالم الشديد فكانت تتوارد الوشايات عليه الى شداد والشكايات من جوره الاليم الذى أوقع جميع غلمان الحى فى بلاء عظيم فلما رأى شداد التظلم من عنترة من كل جانب وعلم أمره وخاف عليه منهم أراد ان يبعده عنهم ليكفيه شرهم ويكفيهم شره فاعطاه قطيعا من الغنم وامره ان يرعاهم بين البرارى والآكام فاخذها وأبعد الى الصحارى وجعل يطارد الخيل فى تلك البرارى ويركب الجياد فيتعلم على ظهورها الكر ويقضى بذلك

نهاره فى ذلك البر وكان متعظما فى نفسه لا يعد نفسه من العبيد والغلمان ولا تطلب نفسه الا ان تكون فى أعلى مكان ومازالت تشتد قوته وتتجدد همته حتى بلغ من العمر تسع سنين وكان كأنه من الابطال المعدودين فلما كان بعض الأيام أوسع فى المرعى بالغنم وتوغل بها بين الروابى والأكم فلما حميت الشمس قصد شجرة يستظل بظلها ثم جلس واسند ظهره الى جذعها وبينما هو جالس وعيناه تضربان الى ما حوله من الابل والشاة خرج عليه ذئب من كبد الصحراء واوغل بين الغنم فشردها فى البيداء فلما رآه قدح الشرر من عينيه واقتحمه بعصاه حتى اقبل عليه فالتفت الذئب واذا بالعصا قد شجت رأسه فانطرح يتخبط بدمه وقد تخضب من رأسه الى قدمه فعمد عنترة اليه وقطع رأسه ويديه ورجليه وجعل يزمجر كأنه الأسد الضيغم ويكلم الذئب ويتبسم ويقول ويلك يا ايها الذئب الأغبر اما سطوت الا على غنم عنترة ثم وضع رأسه ويديه ورجليه فى المخلاة وسار وهو يترنم بهذه الابيات ، صلوا على سيد السادات :

يا أيها الذئب الهجوم على الردى	غرتك نفسك بى فبت سليبا
أتريد أموالى تكون مباحة	ها قد تركتك بالدماء خضيبا
شردت أموالى ولم تك عالما	انى هزبر لا أزال مهيبا
لو كنت تعلم ما تلاقى بعدها	منى فتصبح للحمام شروبا
لم تأت نحوى طامعا فى صيده	صادتك فانقلبت عليك خطوبا
هذى فعالى فيك يا كلب الفلا	هلا شهدت وقائعا وحروبا

قال الراوى ثم ان عنترة أقام هناك الى المساء وطلب بيوت بنى عبس بالابل والشاة ولما بلغ الحى رمى باطراف الذئب امام امه زبيبة وحدثها بما جرى له مع الذئب وفتكته العجيبة فلما سمعت منه ذلك الامر استهولته واخذت رأس الذئب الى بين ايادى مولاها شداد وطرحته واخبرته ان ولدها عنترة قد قتله وقرب اجله فلما سمع منها ذلك الامر المريب ونظر الى كبر رأس ذلك الذئب استعظم ذلك الامر غاية الاستعظام ورآه من العجائب مع صغر سن الغلام ، فالتفت الى أمه زبيبة وقال لها ويلك لا تفارقى عنترة بعد اليوم ، وانظرى دائما اليه

فانى أخاف ان يسطو بعض الوحوش عليه فلا تتخلى عنه فى ليل ولا نهار وراعى معه الغنم والنياق والمهار ، ولكن لا توسعوا فى البيداء لئلايلتقى بكم احد من الاعداء . فقالت زبيبة سمعا وطاعة فأنا لا أفارقه ممتثلة من هذه الساعة . ولما كان عند الصباح سرحت زبيبة وأخذت معها أولادها وقد ساقوا الخيل والأغنام والنوق والجمال وطلبوا قدامها المرعى وهى خلفهم تسعى هذا وعنترة يقصد المرعى البعيدة فى الفلاة وأمه عن ذلك تنهاه وتعلمه بما اوصاها مولاه فكان لا يسمع مقالها ولا يفعل الا ما يريد ويوسع فى أقطار الصحارى وتلك البيد ويركب الخيل والمهارة ويتعلم على ظهورها الفروسية والشطارة وهو يسوق عليها فى جنبات الأقطار ويطعن بالقصب فى أصول الأشجار وقال ولما قوى فى الضرب والطعان صار يقول لاخيه شيبوب هات اعطنى عباءتك ياشاطر السودان فيخلعها ويعطيه اياها فيعلقها على بعض أغصان الشجر ثم يركب ويأخذ القصب ويطعن تلك العباءة حتى مزقها شذر مذر وعند المساء يرجعون الى الحى فيصبر شيبوب الى أن يظلم الليل ويطلع نجم سهيل فيطرح عباءته الممزقة بين العبيد ويأخذ غيرها من النسج الجديد ويغدوا مع أخويه قبل الصباح والعبيد نيام ولا يرجعون الا بعد انسدال الظلام وكان كل يوم يفقد واحد من العبيد عباءة فيتهم بها رفقاه وحينئذ يقع بينهم الخصام ويكثر بينهم الظن والحديث ولا يعلمون من هو ذلك السارق الخبيث وبقوا على تلك الحال من سرقة العبى من السودان مدة من الزمان حتى صاحت اهل الحلة من كثرة الفتن التى تقع بين الرعيان وفى بعض الايام خرج شداد يفتقد الجمال فلما رآه شيبوب مقبلا خاف أن يرى عبيهم ممزقة على تلك الحال فركض اليه كانه رئم الغزال وقال له يامولاى أما علمت ما جرى علينا فى هذا النهار انه اقبل علينا جراد جرار فنزل على رؤوس الجمال والفصلان حتى خفنا أن يطفىء منها الابصار فخلعنا عبينا وطرحناها على رؤوس الجمال فتخرقت من أنياب الجراد كانها مرشوقة بالنبال فقال شداد ويلك يا ابن السوداء متى سمعت أو رأيت ان الجراد يفعل هكذا بالثياب فقال نعم يامولاى ما نطقت الا بالصواب لانه جراد كبير الواحدة منه مثل العصفور والبعض أكبر من الزرزور وكان شداد من سذج الرجال

فانطلى عليه ذلك المحال ورجع وهو خائف على الخيل والجمال .

قال الاصمعى وما زال عنترة يخوض القفار يطارد على الخيل طول النهار حتى اشتدت أطرافه وعرضت أكتافه فصار اذا شرد البعير منه يصيح عليه فيرجفه وان لحقه وصرخ به يوقفه وكان عنترة يعاقر الجمال ويسحبها من رأسها بيديه ويقهرها اذا تجافت عليه واشتهر بهذه القوة والشجاعة حتى هابته العبيد وخاف منه القريب والبعيد ، صلوا على صاحب القول السديد

قال الراوى ومما وقع من أحاديث العربان انه كان للملك زهير ملك بنى عبس وعدنان مائتا عبد ترعى خيله وأمواله وأغنامه وجماله وكان لكل ولد من أولاده رعاة وعبيد ترعى جماله فى تلك البيد وكان أكبر اولاد الملك زهير يقال له شاس وكان صاحب شجاعة وبأس وتجبر وقوة ومراس ، وكان هذا الولد هو ولى للعهد بعد أبيه ومن تجبره لا يقدر أحد أن يقاربه ولا يدانيه وكان لشاس عبد اسمه داجى وكان طويل القامة عظيم الهامة حالك السواد كأنه الظلام الساجى وكان لكثرة تجبره كل من عارضه فى أمر يكون غير ناجى

قال وكان شاس يحبه لأجل شدته وفعاله وحفظه لنوقه وجماله وكان لهذا العبد هيبة من هيبة مولاه وكل العبيد كانت تخافه وتخشاه وهو قد طمع فى سائر العبيد وصار يستخدم منهم القريب والبعيد ويهابه الضعيف والشديد الا عنترة فانه كان لا يهابه ولا يخشاه ولا يرعى حرمته ولا حرمة مولاه قال وكان داجى يكره عنترة ويتمنى له الموت الأحمر وكان لبنى عبس غدير يقال له ذات الأصاد وهو أحسن غدير فى تلك البلاد وكانت تشرب منه جميع بنى عبس وعدنان وتسقى منه جميع الرعيان وكان أول من يتقدم قدام ويسقى النوق والجمال والخيال والاغنام داجى عبد الأمير شاس وتسقى بعده بقية الناس ولما كان بعض الأيام وقد تجمعت الصعاليك والأرامل والأيتام وكلهم قد اقبلوا ليسقوا جمالهم والاغنام وقد وقفوا كلهم حول الماء وهم قيام وعبد الأمير شاس واقف يمنع الناس وقد حمى الغدير من جميع نواحيه حتى يورد أمواله وأموال مواليه والصعاليك والأيتام منتظرون حواليه ولا أحد منهم يطيق الوصول اليه ولا القدوم عليه قال فلما غلبهم الحال

لعب بقلوبهم الملال فعند ذلك تقدمت عجوز كبيرة من عجائز بنى عبس وكانت من أرباب النعم وأعطافها عليها شواهد للصيانة والكرم واقبلت على داجى وتقربت اليه وقد أذلت نفسها بين يديه وقالت له وقد رفعت رأسها اليه ياداجى انا امرأة ضعيفة كما ترانى والزمان قد اباد اهلى واخوانى وبقيت لى هذه الغنيمات التى أعيش من درها وما بقى لى الزمان من يقوم بأمرها فارحم ضعفى وتذللى ودعنى أسقيها وأعود الى منزلى وأجب سؤالى واسقها لى ثم سكتت عن الخطاب وهى تنتظر الجواب فما كان من العبد الا أنه لطمها فألقاها على ظهرها وهتك بين الرجال سترها وانكشفت عورتها وبان ما كتم من سوءتها . فتضاحكت العبيد عليها وجعلوا ينظرون اليها وكان عنترة من جملة من حضر لأنه كان من بعض الرعاة فى ذلك البر الأقفر فلعبت باعطافه النخوة العربية والحمية العبسية وزعق فى العبد زعقة الجبار وقال له ويلك أتهتك ستر النساء الأحرار ؟ فلما سمع داجى من عنترة ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام واشعلت فى قلبه نيران الغضب لأن هذا الكلام لا يقدر على أن يقوله له أحد من فرسان العرب ومن فوره هجم على عنترة كالأسد الغضنفر ولطمه لطمة عظيمة على جبينه لو كانت لغيره لمات من حينه ، فطاش عنترة من تلك اللطمة القاسية وقال الحاضرون انها لا بد أن تكون عليه القاضية ، ولما أفاق ورجعت روحه اليه تقدم الى ذلك العبد وأمسكه من احدى رجليه ثم اجتذبه وألقاه على الأرض كالتنين وانقض عليه كالشاهين ورفعه بيديه الى فوق رأسه وضرب به الأرض فأدخل طوله فى العرض فلما رأته العبيد قد مات اجتمعوا على عنترة من جميع الجهات وقالوا له يا ابن الملعونة قتلت عبد الملك شاس من عاد ياعبد السوء يقدر أن يجيرك من الناس ثم هجموا عليه بالعصى والحجارة فالتقاهم بأعظم جسارة ثم تناول العصى وهجم عليهم كالأسد الرئبال ومال فيهم ذات اليمين وذات الشمال وصار يحمل عليهم ويحملون عليه ولا يقدرون أن يصلوا اليه وعنترة يضرب فيهم بالعصى ويميل ، ويعمل فيهم ما لا يقدر عليه غيره بالحسام الصقيل . قال وكان من أولاد الملك زهير واحد اسمه مالك كأنه البدر اذا طلع فى الليل الحالك وهو بارع الجمال جيد الخصال قوى الجنان فصيح اللسان له وجه مثل الصبح

وقامة أعدل من الرمح وكان أبوه الملك زهير يحبه للطفه وحسن خلقته وكان يقدمه على سائر اخوته ، فاتفق أنه خرج من ذلك اليوم لكى يصطاد وسار حتى أشرف على غدير ذات الاصاد فسمع الصياح قد علا ورأى الغبار قد طبق الفلا فحرك الجواد وابتدر حتى يكشف الخبر فرأى أولئك العبيد فى عدد زائد وكلهم قد احاطوا بعبد واحد فنظر الأمير مالك الى العبد وحقق النظر واذا هو عنترة وهو مثل الأسد الرئبال تارة يجمعهم وتارة يفرقهم فى تلك الرمال ودمه يسيل من ضرب العصى والحجارة وهو مع ذلك يظهر الشجاعة والجسارة وقد رضى لنفسه الهلاك والعطب ولم يطلب من قدامهم الهرب قال فلما نظر الأمير مالك الى فعاله قال له لله درك من عبد ما أطول باعك وما أحسن بين هؤلاء العبيد قراعك . ثم انه صاح على العبيد وفرقهم عنه الى اليمين والشمال وقال لهم ويلكم يا أنذال أما تخافون من العار فى اجتماعكم على واحد من الرجال وهو مع ذلك أصغركم عمرا لأنه لم يبلغ سن الكمال ارجعوا يا اولاد اللئام الى وراكم والا اهلكت بهذا السيف أقصاكم وأدناكم ، ثم انه بعد ذلك مال الى ناحية عنترة ليكشف عن حاله فسمعه يزمجر مثل الأسد وهو قد ارتجز وأنشد :

يا نفس لا تبادرى الى الهرب ... فليس ينجيك اذا الموت اقترب
ولا تخافى من موارد العطب ... فالخوف ذل عند سادات العرب
واصطبرى حتى تفوزى بالأرب ... وتنصرى على عدو قد طلب

قال فتعجب مالك من مقاله وتقدم اليه وسأله عن حاله ثم أدناه اليه وسأله عن سبب قتاله فشرح له خبر العبد داجى والعجوز وقصتها وكيف دفعها فى صدرها وكشف عورتها وقال اننى لما رأيته فعل ما فعل نهيته عن ذلك فلطمنى حتى كاد أن ينزل بى الأجل فرفعته بيدى وضربته الى الأرض حتى أدخلت بعضه فى بعض فلما رأى العبيد منى تلك الحال حملوا على وبادرونى بالقتال فدافعت عن نفسى الى أن أدركتنى وبهيبتك خلصتنى ولولا قدومك أيها الملك الهمام لأذاقونى البلاء الشديد والموت الزؤام فلما سمع منه مالك ذلك الكلام وكشف عن صحة خبره أعجبته غيرته ومحاماته عن أعراض الأحرار وعلم أنه صنديد

وجبار فقال له سر فى ركابى وكن من عبيدى واصحابى وأنا أجيرك من كل انسان ولو كان من مردة الجان ولك منى الزمام وحق البيت الحرام فتقدم عنترة قدامه وقد قبل فى الركاب أقدامه وسار من جملة عبيده حتى قربوا من الحى واذا بالملك شاس قد طلع وفى يده سيف يلمع فوق حجره أسرع من البرق اذا سطع وقد أوغر صدره غضبا على عنتر وقد أقبل ليذيقه الموت الأحمر فاعترضه مالك وقال له ياأخى مالى أراك غضبان فقال ان عبد داجى قد قتله هذا القرنان وأنا أريد أن اقتله ولو كان من دونه الانس والجان فقال له مالك والله يا اخى ليس لك اليه سبيل وقد أعطيته ذمامى ولست بتاركه ولو طار رأسى قدامى فلم يعتبر شاس كلامه وأراد أن يقتل عنترة امامه فلما رأى مالك من أخيه هذه الفعال غضب واستل سيفه القتال واذا بأبيهما زهير اقبل عليهما وقد اتصل به خبرهما فلما رأى الأمر كذلك رد شاسا عن أخيه مالك وقال يابنى هب لى ولأخيك هذا العبد وأنا أعطيك عوضه ما تشاء من العبيد والنقد فاستحى شاس من ابيه ورجع عما كان عزم عليه وتقدم الملك زهير وأدنى عنترة اليه وقال له ويلك ياعنتر لماذا قتلت عبد ولدى شاس وانزلت به العبر فأخبره عنترة بالخبر وحدثه بما فعل داجى مع العجوز وكيفية أمرها وكيف لطمها وفضحها بكشف سترها وقال له أيها الملك لما رأيت منه ذلك أخذتنى الغيرة على العرض فنبهته عن ذلك فلطمنى فرفعته بيدى وضربته الى الأرض وأسكنته كهفا لا يخرج منه الا يوم العرض وها أنا واقف بين يدى سيدى فليفعل بى ما يشاء فان عفا فأهله وان أهلك فجزائى منه فتبسم الملك زهير لما سمع منه هذا المقال وقال وحق ذمة العرب ما قصر هذا العبد فى هذه الفعال ثم التفت الى من حوله من الفرسان وقال كانى بهذا العبد من الصناديد الشجعان يكون له شأن وأى شأن ثم التفت الى شداد وكان قد ركب فى جملة الفرسان خوفا على عبده من العدوان وقال له يا أمير شداد هذه نخوتك قد اعطته شدة هذا البأس فوالله ان عاش وهو على هذه الحالة ليكونن أحدوثة بين الناس فخذه اليك فانى قد أودعته عندك واستأمنتك عليه حتى أطلبه فى وقت الحاجة اليه قال ووقع لعنترة فى قلب الملك زهير وولده مالك من ذلك اليوم محبة عظيمة لما رأوا منه من تلك الأخلاق

الكريمة ثم انهم عادوا الى الابيات واجتمعت حول عنترة النساء والبنات والجميع يسألونه عن حاله وهو يحدثهم عن أفعال العبيد وأفعاله لأن خبره قد شاع فى الحلة وأتت اليه نساء عمومته ومن الجملة بنت عمه مالك التى اسمها عبلة ، صلوا على صاحب الرفعة .

قال الراوى وكانت عبلة أحسن من القمر وهى فى العمر اصغر من عنتر وكانت تمازحه وتكثر معه الكلام لأنه كان عبدهم وهى بزعمها تقول انه لها من جملة الخدام فلما حضرت فى ذلك اليوم مع جملة الناس سألته عن قتله لعبد الملك شاس فقال لها ياسيدتى ما قتلته الا بحسب استحقاقه لكثرة جوره وسوء أخلاقه لأنه عمد الى امرأة عربية ودفعها فى صدرها فالقاها على ظهرها وأضحك العبيد عليها عند انكشاف سترها فقالت له عبلة وقد تبسمت فى وجهه والله ما قصرت فى فعلك واحسنت فى شهامتك واننا جميعنا قد فرحنا بسلامتك لانك اليوم عند أمهاتنا مثل الولد فى المحبة والكرامة وعندنا مثل الأخ لأجل مالك عندنا من الخدمة ثم ان النساء والبنات بعد ذلك انصرفن عنه وهن متعجبات مما بان منه وهو فى سن الأولاد ومحبات له ولا سيما سمية امرأة مولاه شداد وما كان فى نساء بنى قراد امرأة الا وعنتر يخدمها ويزيد فى اكرامها وذلك بعد ما يفرغ من خدمته لزوجة مولاه شداد واحترامها وهى سيدته لأنها كانت تأمره وتنهاه كما تريد لأنه معدود عندها من الخدم والعبيد وكانت عادة العرب ان النساء يشربن لبن النياق فى الصباح والمساء وكان العبيد يجلبونه لهن ويبردونه فى هبوب الرياح ويأتون به الى النساء عند المساء وعند الصباح قال وكان عنتر يفعل ذلك بالجملة مع مولاته سمية ونساء عمومته وبنت عمه عبلة ويسقى بعدهم الفضلة لمن يريد من نساء الحلة ولم يزل عنتر على ذلك المرام الى أن كان يوم من بعض الأيام فدخل عنتر بيت عمه مالك فوجد أم عبلة تمشط لها شعرها وقد أسبلته فجلل ظهرها وهو كأنه الليل اذا أغسق وجبينها من تحته كأنه النهار اذا أشرق . فهاج فى قلبه الغرام وأنشد يقول : صلوا على طه الرسول :

بيضاء تسحب شعرها من طوله ... وتغيب فيه وهو ليل أسحم
فكأنها فيه نهار طالع ... وكأنه ليل عليها مظلم

زادت محاسنها على من حولها ... تسعى بخدمتها الجميع ويمموا
وكأنها بدر بدا فى تمه ... لما بدا خفيت لديه الأنجم
لا تعنلونى فى هواها اننى ... فى حبها انا مغرم ومتيم
انى ساكتم حبها فى مهجتى ... فلعل سعدى يا عبيلة يخدم

قال الراوى وأقام عنتر بعد هذا المقال عدة أيام وليالى وقد زاد به البلبال حتى كان يوم عيد من اعياد العرب التى يزورون فيها البيت الحرام ويسجدون لما فيه من الآلهة والأصنام فذهب اكثر الرجال والسادات وبقيت النساء والبنات وأخرج الذين تخلفوا فى الحى ما عندهم من الأوثان واستقبلوها بالسجود وداروا حولها يرقصون وينشدون الألحان فلما رآها عنتر بهت وتحير وأطرق رأسه وأنشد يقول :

رمت الفؤاد مليحة عذراء ... بسهام لحظ مالهن دواء
مرت تريد العيد بين نواهد ... مثل الشموس لحاظهن ظباء
فاعتادنى سقمى الذى فى باطنى ... اخفيته فاذاعه الاخفاء
خطرت فقلت قضيت بأن حركت ... أعطافه بعد الجنوب صباء
ودنت فقلت غزالة مذعورة ... قد راعها وسط الفلاة بلاء
وبدت فقلت البدر ليلة تمه ... قد قلدته نجومها انجوزاء
بسمت فلاح ضياء لؤلؤ ثغرها ... فيه لداء العاشقين شفاء
سجدت تعظم ربها فتمايلت ... لجلالها أربابنا العظماء
يا عبل مثل هواك أو أضعافه ... عندى اذا دفع الاياس رجاء
ان كان تسعدنى الزمان وان أبى ... فلهمتى فى صرفه أدواء

قال فلما سمعت عبلة عنتر وصف جمالها وهى بين أترابها صارت تشاغلهن وتقبل عليه بلحظها وخطابها هذا وعنتر باهت ومما جرى عليه صوته خافت وما انقضت أيام العيد حتى زاد به العشق والهيام وصارت نفسه تحدثه بأمور كثيرة مما وقع عنده من الغرام فلما كان اليوم الثانى أتى باللبن وهو مشغول الفؤاد فسقى عبلة قبل سمية زوجة أبيه شداد لأن الانسان لا ينقل القدمين الا الى من يميل له القلب والعين فاغتاظت

سمية من سوء ادبه وتعديه ونوت انها تشكوه الى ابيه ، صلوا على النبى الوجيه .

قال الراوى هذا ودام عنتر على تلك الحال وزاد به العشق والبلبال وجرت له العادة ان يسقى اللبن أولا لعبلة ويسقى سمية الفضلة فال فلما كان بعد ذلك بأيام اتى الى ابيه شداد عبد يقال له ضاجر وكان من عبيد الربيع ابن زياد وقال له يامولاى ان عبدك عنتر ، كل يوم يخاطر باموالك ويوسع بها فى البر الاقفر ، وهو بين ذلك يتقلب على ظهور الخيل ويسوقها فى القفار ويطعن بالقصب الفارسى ويشغلها عن المرعى والماء طول النهار وهو يتنقل من حصان الى حصان وقد اذاب لحومها بالجريان وانا نهيته عن ذلك فشتمنى ولو اننى الححت عليه لكان قتلنى ، فلما سمع شداد من العبد ذلك المقال صعب عليه وقال للعبد والله لقد صدقت لأننى من يوم سلمته الخيل يرعاها ما اكتسبت شحما ولا رأيت عليها لحما وهذا دليل على انه يركبها ويضرب بها فى الارض ويطير عنها لحومها بشدة الركض فلما سمعت سمية ذلك الخبر وجدت سبيلا الى عذاب عنتر وتكلمت بما فى قلبها من الغضب لما فعل معها من سوء الأدب ، فلما سمع بذلك شداد نما غيظه على عنتر وزاد وصبر عليه حتى اتى من المرعى فقبضه وشده شدا وثيقا وضربه حتى مزق جلده تمزيقا هذا وامه زبيبة واقفة تراها وهى لا تتجاسر ان تكلم مولاه ثم انها خرجت من الخباء وسألت بعض الخادمات وهى من الجوارى المقيمة للخدمة فى الابيات . فاخبرتها بشكوى العبد ضاجر الحاقد عليه وما القى من الفتن . وشكوى سمية لمولاه انه يسقى عبلة قبلها اللبن . فلما سمعت زبيبة ذلك المقال قعدت وصبرت على تلك الحال وباتت حتى أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فعند ذلك دخلت على ولدها عنتر بجميع ذلك الخبر وقالت له ان ضاجرا عبد الربيع ابن زياد هو الذى شكاك الى مولاك شداد وكذلك سمية تكلمت فيك انك سقيتها اللبن بعد عبلة وابقيت لها الفضلة فلا ترجع ياولدى من اليوم تخالفها فيما تريد . والزم معها سنة الموالى والعبيد . ولا تمدن عينيك الى مولاتك عبلة فيكون سبب هلاكك بالجملة فلما سمع عنتر ذلك الكلام عمل معه الغيظ فتمطى فى كتافه فقطعه ووثب قائما على الأقدام وانشد يقول :

صلوا على طه الرسول :

اليوم قتلة ضاجر عبد الربيع الفاجر
فيبيت ملقى فى الفلا رزقا لوحش كاسر
وتقر عينى بعده ويطيب منى خاطرى
ان لم أكن فى قتله فى الحرب أول صادر
لأسر قلبى ساعة وجفا المنام نواظرى

قال وانطلق عنتر سائرا فى الفلاة وهو ينقب على العبد بين الرعاة حتى التقاه فقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا ، سعيت بى الى مولاى حتى ضربنى وأهاننى وعذبنى ثم تقدم اليه وقبض عليه ورفعه من حقويه حتى بان سواد ابطيه وضرب به الأرض ، فادخل طوله فى العرض وقال له والله ياعبد السوء ان عدت من اليوم تشكونى الى مولاى ضربتك أخت هذه الضربة وجعلت مسكنك التربة وكان عنتر يحسب أنه باق فى الحياة فوجده قد أدركته الوفاة فتركه وجد فى السير قاصدا بيت الأمير مالك بن زهير واستأذن فى الدخول عليه فاذن له فدخل والشرر يتطاير من عينيه وأخبره بما جرى له على التمام فنهض الأمير مالك على الأقدام وترك عنتر عنده فى الخيام وسار قاصدا أبيات الربيع بن زياد حتى وصل المضارب وسأل عنه فقيل له أنه غائب وأنه عند أبيه الملك زهير وكان ذلك لعنتر من جملة السعادة وأسباب الخير ثم سار الى بيت أبيه ودخل عليه فرأى عنده وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وعنده جميع الأمراء فقاموا له تعظيما لشأنه وأما هو فبقى واقفا فى مكانه فقال له الربيع اجلس يا مالك بين أعمامك فان الناس كلهم قائمون لقيامك فقال مالك أتحب ياعم ان اجلس ويطيب منى الخاطر ، فقال الربيع أى وحياة كل من فى هذا المكان حاضر ، فقال مالك لا أجلس حتى تهبنى عبدك ضاجر فقال الربيع ما الذى رغبك فيه من دون العبيد فقال لانه عبد نجيب مبادر الى كل ما مولاه يريد فقال الربيع وهبتك اياه وان شئت وهبتك عشر عبيد سواه ، فقال له مالك اشهد عليك هؤلاء السادات حبا فى التأكيد والاثبات فقال الربيع نعم وأشهد رافع السموات فقال له مالك يابن العم قد قتله عنتر واستجار بى

واعطيته زمامى وامانى فاعرف انت قدرى وشأنى فلما سمع الربيع كلام مالك ندم على ما بدا منه ووقعت بغضة عنتر من ذلك اليوم فى قلبه لاجل ذلك واما الملك زهير فانه التفت الى ولده مالك وقال له ما الذى جسر هذا العبد لفحة الزنا على قتل عبيدنا واراه فى هذا اليوم لا يدع عبدا لنا يلوح بين الخيام فاخبره مالك ان العبد سعى به الى مولاه حتى ضربه وادماه فقتله لاجل هذا السبب وسقاه كأس الهلاك والعطب قال فضحك الملك زهير من فعل عنتر بن شداد وطيب خاطر الربيع بن زياد ووهبه عبدين من عبيده الجياد وازال ما كان فى قلبه من الاحقاد ولما سمعت عبيد بنى عبس بذلك خافوا منه وصار المكان الذى يرعى فيه لا يأتيه احد من العبيد والرعيان ولا يقرب اليه ولا يدانيه وكان اذا اتى عنتر الى مناهل الماء حتى يسقى خيله وجماله لا يتقدم اليه احد من العبيد حتى يكتفى من الماء ويذهب الى مكان بعيد وبعد ذلك يتقدمون لما فى قلوبهم من الخوف الشديد . واما عنتر فان مالكا عاد اليه وأخبره بما جرى وتدبره فلما سمع كلامه طابت نفسه ووثب قائما على اقدامه وقبل يديه وقال يمدحه ويثنى عليه .

يا من بجانبه المنيـــع تعلقت	دون البرية كلهـا امـالى
قد طال تثقيلى عليـك لحاجتى	وعلى الكرام تحمـل الأثقـال
أو ليتنى نصرا وكنت ذخـيرتى	ووقيتنى من مهـلك ووبـال
فلأشـكرنك طول عمـرى دائما	حتى تعفر فى الثرى أوصـالى

قال فسر به مالك لما سمع منه ذلك واما شداد فانه لما سمع ذلك نما غيظه وزاد وشكا حاله الى اخويه مالك وزخمة الجواد وقال لهما والله يا اخوتى لقد ضاقت بى الحيل وحرت فى أمر هذا العبد السـوء لاننى ما ادرى كيف العمل واخاف ان يطمع فى بعض الاوقات ، ويقتل من له قدر ونسب من السادات ويلقى الفتنة فى الاحياء ونطالب نحن بالدماء من اجل هذا العبد ابن السوداء فقال زخمة الجواد والله يا شداد لقد نظرت موقع النظر وان لم نهلك هذا العبـد القى بنا فى مهـاوى الخطر لانه مارد شيطان قوى الجنان فصيح اللسان ولو انه عاقل لما كان له مماثل وما فى الامر الا ان نقتله فى بعض الاماكن حتى يصير

قلبنا من جهته آمن ونخفى أمره ونعود وقد بلغنا المقصود ولا يطلع أحد على هذا الحال وتبلغ أنت الآمال . فاستصوب شداد رأيه وعزم عليه وانقلب وهو من غيظه لا يدرى ما بين يديه . ولما كان عند الصباح انفذ مالك بن زهير الى شداد يسأله عن عنترة فقبل فيه السؤال وتركه على ما كان هو عليه من رعى الجمال الى أن مضت مدة من الايام فطلب من اخوته ما دار بينهم من الكلام فركبوا معه وساروا خلف عنترطالبين قتله واخفاء الاثر قال وكان عنتر فى ذلك اليوم قد ساق الاموال عند الصباح وطلب البر واليطاح وأوسع فى البر بالجمال والخيل والأموال وكان قصده بالبعد عن الديار أن يخلو بنفسه ويلتذ بذكر عبلة وينشد فيها الاشعار فسار حتى غابت عنه المضارب ، وتذكر ما جرى عليه من المصائب . ففاض دمعه على خديه فيض القطر الساكب وكان قد رأى عبلة تلك الليلة فى المنام وهى تقبله من فوق اللثام فاهتز لذلك طربا وهام وأنشد يقول . صلوا على والد الزهراء البتول .

أتانى طيف عبلة فى المنام ... وقبلنى ثلاثا فى اللثام
وودعنى فأودعنى لهيبا ... أخبئه ويشعل فى عظامى
ولولا اننى أخلو بنفسى ... وأطفىء بالدموع جوى غرامى
لمت أسى ولم أفش لأنى ... أغار عليك يا بدر التمام
أيا ابنة مالك كيف التسلى ... وبدء هواك من عهد الفطام
وكيف أروم منك القرب يوما ... وحول خباك آساد الأجام
وحق هواك لا داويت قلبى ... الصبر يا بنت الكرام
الى أن أرتقى درج المعالى ... بطعن الرمح أو ضرب الحسام
نسيم الريح ان أدلجت يوما ... قبيل الصبح بلغها سلامى
وخبرها شديد الشوق منى ... اليها فى الصباح وفى الظلام
وصف حالى وما ألقاه منها ... فجسمى ذاب من ألم السقام
أحامى عن عبيلة طول دهرى ... فهل ترضين لى رعى الذمام
وأبذل مهجتى فى كل صعب ... اذا ما النقع خيم بالقتام
فأما ان أنال عن العوالى ... وأما ان أعد من الكرام

تخشانى الملوك وتتقينى ... وتحذر فى لظى الهيجا مقامى
سأنهب منهم الأرواح نهبا ... بسيف باتر عضب حسام
أنا العبد الذى خبرت عنه ... رعيت جمال قومى من فطامى
أروح من الصباح الى مغيب ... وأرقد بين أطناب الخيام
أذل لعبله من فرط وجدى ... وأجعلها من دنيا اهتمامى
وامتثال الأوامر من أبيها ... وقد قاد الهوى منى زمامى
رضيت بحبكم طوعا وكرها ... فجودوا قبل أن أنقى حمامى
اذا ضيعتمونى ما استفدتم ... وذكرى شاع فى كل الأنام
فان عابوا سوادى عند ذكرى ... وجاروا من عنادى فى ملامى
فلى قلب اشد من الرواسى ... ولونى مثل لون المسك نام
وما اسمو بلون الجلد يوما ... ولكن بالشجاعة والكلام
وفخرى ضرب أعناق الأعادى وشق الجيب فى وقت الزحام
رضعت هواك مع لبنى صغيرا ... ويوم منيتى انوى فطامى
أيجمل اننى أشقى وأبلى ... وأضنى فى هواك بلا محام
ومن عجبى لصيد الأسد قهرا ... وافترس الشبولة فى الأجام
وتقتنصنى ظبى السعد وتسطو ... على مهما فتفتك بالسهام

قال الراوى ثم سار حتى وصل الى الوادى وسرح الخيل فى المرعى ودبت هناك الابل تسعى وكان ذلك الوادى كثير العشب وما فى العبيد من يجسر ان يرعى فيه ولا يقربه ولا يدانيه وقد صار العشب هناك مثل قامة الرجل طولا فى عرض وقد تراكم حتى وقع بعضه على بعض وكان عنتر يطلبه لأجل ذلك ويقول لعلى اقع فيه على أسد أقتله وافتخر به على كل مملوك ومالك ، فلما وصل اليه وسرح الأموال بين يديه قعد هو على بعض التلال وصار ينظر الى اليمين والشمال واذا بأسد من بطن الوادى قد ظهر وهو يمشى ويتبختر وهو افطس المنخر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى اذا زأر وهمر وكان لصوته هدير مثل رحى فى بئر وله انياب واظافر احد من الخناجر ، ومخالب امضى من القواضب يسمع الرعد اذا زمجر ويلمع البرق من عينيه اذا نظر قال ولما ظهر

وشمت الخيل رائحته شردت وتفرقت عنه الابل وتبددت ونظر عنتر الى ذلك فنزل الى الوادى ينظر ما الخبر والسيف فى يده مشهر ، واذا بالاسد باسط يديه وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبيه والشرر يطير من عينيه فعندها زعق فيه عنتر زعقة عظيمة كأنها الرعد القاصف او الريح العاصف وقال له مرحبا بك يا أبا الاشبال وصاحب الأهوال وأهلا بكلب الفلا الذى يفتخر بشدة بأسه وقوة مراسه لا شك انك ملك السباع واميرهم المطاع فعد يا ابا الحارث بالخيبة ولا تظهر على نفسك الهيبة فمن انا كمن لاقيت من الرجال انا مهلك الأبطال وميتم الاشبال ويلك يا ابخر الفم ويامن قوته فى الدم تخوفنى بزمجرتك وترعبنى بدمدمتك فانا لا أرضى أن أقاتلك بحسام ولا بسنان ولا بد أن أسقيك كأس الحمام ثم انشد يقول :

انا الأسد الموصوف والبطل الذى	تخاف الورى من شدتى وطعانى
اكر واحمى مال شداد والدى	وارغم اعدائى بحد يمانى
وترهبنى أسد الفلا وليوثها	وما احد الا يخاف مكانى
اذا هز كفى السيف فى حومة الوغى	قهرت بها فى الحرب كل مدان
وها اننى القاك فى ساحة الفضا	وأسقيك كأسا من صروف زمان
ولست أخاف الموت ان جد جده	وأفهم ما القى بكل لسان
وها أنا رامى السيف ويحك من يدى	وأرديك يا كلب الفلا بسنانى

قال وفى تلك الساعة أشرف عليه أبوه شداد واخوه مالك وزخمة الجواد وكما اشرفوا على الوادى نظروه وهو يخاطب الأسد وقد أنشد من الشعر ما أنشد واختفوا قريبا منه فى ذلك المكان حتى ينظروا ما يجرى بينهما وماذا يفعلان ثم ان عنتر هجم على الاسد ووقع عليه وقوع اليرد ونفخ مثل الثعبان وازبد ووثب عليه حتى أدركه وقبض على شدقيه ولوى عنقه الى كتفه وصاح به صوتا أزعج الوادى من جانبيه فالقى الأسد كانه الجزع الممدد وذبحه فى الحال وأجرى دماه على الرمال وأخرج الزناد وقدح النار وأضرمها فى الحطب وسلخه ووضعه عليها ولم يزل يقلبه وقد ارتفع منه البخار حتى نضج واستوى بهبوب الهواء فعزل رأسه الى ناحية عنه ووضع بدنه بين يديه وبرك

على ركبتيه واكل جميع لحمه ولم يترك سوى عظمه ثم تقدم الى عين ماء بالقرب من الوادى فشرب منها حتى روى الاوام واتى الى شجرة ظليلة وترك رأس الأسد له وسادة ونام وهم ينظرون اليه شاخصين ومن أفعاله متعجبين وقد عاينوا جميع ما فعل وما منهم الا من خاف واندهل . فقال زحمة الجواد يا اخوى الحمد لله الذى ما رآنا هذا العبد الجسور لأن الذى كنا نخاف منه على الخيل والجمال قتله وشواه وأكله كما يأكل العصفور وحق ذمة العرب الكرام لا يتقدم اليه أحد الا يقتله ويشويه ويأكله مثل ما اكل الأسد . والرأى عندى اننا نعود ونترك هيبتنا عليه دائمة وكلمتنا مسموعة قائمة وما فينا من ينوى له على مضرة الا أهلكه ببعض كره ، فقال مالك الصواب انكم ترجعون وتحفظون ناموسكم وهيبتكم ولا تخرقون معه حرمتكم فانه ان رأى منكم عين الغدر لا يسلم نفسه اليكم وترون منه الاهوال وبعد هذا لا يعود يطيعكم بل يعصيكم وتخرقون حرمتكم بأيديكم قال فعندما عاد شداد واخوه مالك وزحمة الجواد وما فيهم الا من تحير من تلك النوبة الجسيمة وقد وقعت فى قلوبهم هيبة عظيمة ، ولما كان المساء رجع عنتر بالخيل والأموال فلما رآه ابوه شداد تبسم فى وجهه واكرمه عند الاستقبال واجلسه معه على الطعام فأكل عنتر والعبيد كلها قيام وبينما هم على تلك الحال دخل رسول الملك زهير على شداد وقال له يا أمير تأهب للمسير مع الملك انت واخوتك فى بنى قراد لأنه عند الصباح قد عولوا على الرحيل والهجوم على اعدائه بنى تميم ليمحو آثارهم ويخرب ديارهم ويعجل وبارهم قال فلما سمع شداد ذلك الخطاب أجاب بالسمع والطاعة وانفذ يعلم اخوته فى الوقت والساعة ومن يلوذ به من العشيرة من ارباب الشجاعة وقال لعنتر غدا تسير فرسان الحى وتبقى البيوت خالية فأوصيك بالبيوت والنسوان واذا خرجت فلا عدت تبعد مع الرعيان فقال عنتر يا مولاى ان فقد مما تسلمنى عقال اتركنى باقى عمرى عندك فى الاعتقال فشكره شداد على هذا المقال ووعده متى عاد من سفره يعطيه فرسا يركبها وعدة للحرب والقتال قال ولما اصبح الصباح رحلت الأبطال كأنها قطع الجبال وفى اوائلهم الملك زهير كالاسد الرئبال وهو مدل بملكه وشجاعته غاية

الادلال ولما خلا الحى من الشجعان وبقيت فيه البنات والنسوان والعبيد والغلمان صنعت سمية وليمة حسنة على غدير ذات الأصناد وذبحت لهم الأغنام وهيأت لهم الطعام وروقت المدام وحملت الاماء والعبيد الجفان وكان عنتر فى جملة الغلمان وهو بذلك فرحان لأن عبلة كانت من جملة النسوان وقد خرجت مثل الغزال العطشان وعليها القلائد والثياب المختلفة الألوان وكان ذلك الزمان زمان الربيع والأرض منقوشة بألوان زهرها البديع وقد تحلت لعشاقها فى حلل اشراقها وساحت غدرانها وفاح خزامها وعبيراتها وسوسنها واقحوانها ففتحت الأرض شقائق نعمانها وافتخرت الروابى بحسن ألوانها وتجاوبت الأطيار فى أعالى الأشجار بطيب ألحانها قال واخذت النساء فى اللهو والطرب وطرحت عنها الوقار والأدب ورقصت البنات الأبكار وغنت الجوارى ودبت فيها كؤوس العقار وتناثرت الورود على الخدود وظهر السرور من العدم الى الوجود ورقصت عبلة مع أترابها فافتتن عنتر بميل أعطافها واستطار فؤاده باهتزاز أردافها فلمع البرق من بين ثناياها وامتزجت اقداح خمرها بشهد لماها ، فزاد بعنتر الخيال وغرق فى بحر البلبال وهم أن يهتك ستر العشق فى الحال واذا بغبار قد طلع الى العنان وبان من تحته أكثر من مائة عنان وعليها فرسان تحاكى العقبان بالدروع الداودية والرماح السمهرية والخيل العربية والصوارع المشرفية وهم ينادون نحن آل قحطان وقد امالوا رؤوس الخيل نحو النسوان ودارت تصاريف الزمان فبدلت الأفراح بالأتراح وعلا من النسوان الصياح ورمين من ايديهن الأقداح وفى أقل من ساعة خذوا النسوان سبايا وأردفوهن على الخيل وحل بهن الذل والويل ، ونظر عنتر الى عبلة وقد اخذها فارع جبار ، ودموعها مثل الأمطار وخدودها بدأت بعد الحمرة بالاصفرار ، وكى وجهها بعد الجلنار بلون البهار فاسودت فى عين عنتر الأقطار واظلم عليه النهار وما كان معه سلاح يقاتل به فاندهش وحار واخذه الانبهار ومن عظم ما جرى عليه عدا على قدميه فلحق الذى اخذ عبلة وهو فى آخر الفرسان وقد انقطع عن اصحابه بنى قحطان لأن عبلة عالجته ساعة فعاقته عن اتباع رفقاه فما احس الا وعنتر قد فاجأه ووثب عليه وثبة النمر الجردان وقبض على أذياله وجذبه

جذبة الأسد الغضبان فألقاه على ام رأسه ودق رأسه بحجر فقتله وألحقه بمن عبر واخذ سلاحه وجواده وترك عبلة فى ذلك المكان وقد تبدل خوفها بالأمان ولحق الخيل . ونزل عليها نزول السيل ، ورماها بالحرب والويل ونادى يا اوغاد غير امجاد خلوا عن السبايا والأولاد واتركوا البنات والنسوان وعودا الى بنى قحطان بالحرمان والا وحق من رفع الزرقاء وبسط الغبراء أجعلكم رؤوسا بلا أبدان وجعلت لحومكم طعاما للغربان ثم طعن فى المتأخرين واقتحم المتقدمين الى أن خلص بقية النسوان ، وعلمت به بنى قحطان فعادت اليه الفرسان وكانوا خمسين فارسا مثل العقبان ونظروا اليه وهو يركض فى آثارهم وينشد ويقول صلوا على اكرم رسول :

أنا فى الحرب العوان ... غير مجهول المكان
أينما نادى المنادى ... فى دجى النقع يرانى
خلق الرمح لكفى ... والحسام الهندوانى
وهى فى المهد كانا ... فوق صدرى يؤنسانى
وهما عندى قديما ... وعلى الشاهدان
اننى أطعن خصمى ... وهو يغظان الجنان
يستقى كأس المنايا ... وهى تجرى من بنانى
واذا ما الأرض صارت ... وردة مثل الدهان
ورأيت الدم يجرى ... لونه أحمر قانى
ورأيت الخيل تهوى ... فى الفلا والموت دان
عللانى علللانى ... انما الدنيا أمانى
واسقيانى انما اللذ ... ة فى ما تسقيانى
عتقت حتى ظننا ... انها قبل الزمان
وأنت تسعى الينا ... فى قباء أرجوانى
اسمعانى نغمة الاس ... ياف حتى تطربانى
أطرب الأصوات عندى ... طيب صوت الهندوانى
وصليل الرمح فى يو ... م طعان أو رهان

وأعز انناس عندى ومرادى من زمانى
ان أرى عبلة ملكى فى سرورى وأمان

قال الراوى ثم استقبل عنتر تلك الغائرة والفرسان المتبادرة بقلب اصلب من الحجر وطعن يسبق لمح البصر فنثر الفرسان الصناديد وبددها على ذلك الصعيد وسطا عليهم سطوة شيطان مريد ، ومازال ينثر الفرسان ويبدد الأقران ويجول فيهم عن اليمين والشمال وينثرهم على الرمال وهو مثل الاسد الرئبال حتى التقى بمقدم القوم وحاربه وسد عليه مذهبه وطعنه فى جنبه فجند له وحمل على بقية اصحابه فتركهم على الصعيد كأنهم من الجلاميد فوقع فى قلبهم الخوف والوجل وحل بهم الويل ودنا منهم الأجل وقال بعضهم لبعض ويلكم اذا كان هذا جرى علينا من عهد لا قدر له ولا مقام وقد فعل بالمقدم علينا هذه الأفعال العظام وهو الذى أقدم بنا على هذه الأهوال فكيف اذا تلاحقت به السادات والابطال يا ويلكم اغدوا من هذه الديار الا فلا يسلم منكم ديار فعندها عادوا على الأعقاب وانقلبوا اشر انقلاب ، فجمع عنترة أسلاب القتلى وعاد وهو قد صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم وانقلب له قلب سمية من البغضة والعناد الى المحبة والوداد وصار فى قلبها احلى من الرقاد على أجفان الساهر الدائم السهاد ، وعاد الجميع الى الاحياء وحلفت سمية امرأة شداد سائر النساء والعبيد والاماء ان لا يظهروا هذا الحديث خوفا من رجالهن ان يقولوا لهن لماذا خرجتن الى الصحراء وكتم عنتر ما جرى حتى كأنه ما سمع ولا درى قال وبعد ثلاثة أيام قدم الملك زهير من غزوة بنى تميم ومعه مال عظيم وقدمت أبطاله معه سالمين ورجاله غانمين وفرح المقيمون بالقادمين ولما كان الصباح ركب شداد الى الصحراء يتفقد امواله ونوقه وجماله فرأى بين خيله خيلا لا يعرفها وابصر عنتر راكبا على مهرة دهماء يعجز عن وصفها من يصفها فقال شداد لعنتر ويلك لمن هذه الخيول السواق ومن أين لك هذه المهرة التى هى كالظلام الغاسق قال وكانت هذه المهرة التى تحت عنترة هى مهرة مقدم بنى قحطان الذى قتله يوم وليمة النسوان وباقى الخيل من اصحابه الشجعان واما الاسلاب فكان عنتر قد تركها فى بيت امه زبيبة واوصى اخوته ان يحفظوها من كل ريبة ،

ولما سأله ابوه عن الخيل وعن مهرته التى كانها الليل قال والله يامولاى عبرت على وانا فى المرعى خيل غائرة من ارض اليمن ومعها جمال ونياق قد ملأت الآفاق ولا تكاد من كثرتها تنساق وكانوا خائفين من السبع فساقوا ما انساق من خيلهم وانقطع منها ما انقطع فسرت على آثارهم وتخطفت هذه الخويلات بعد ادبارهم فقال له شداد كذبت يا ولد الزنا وتربية الخنا ما هذه الخيول مما تنقطع عن اصحابها وتعجز تحت ركابها وما تخلو بنفسك الا وكل من عبر عليك قتلته وضممت اسلابه اليك وما تبالى ان كان من اعدائنا أو من بنى عمنا وحلفائنا ولا تزال على هذه الأفعال الشداد حتى ترمى فى ارضنا الشر والفساد ولأجل ذلك قبض عليه وشده بالحبال وقال له اقعد ههنا على هذه الحال فما اريد أن ترعى لنا الخيل والجمال واخذ السوط وضربه حتى رأى دمه سال وقال له والله لا يكون منك خير ياانذل العرب ولابد ان تكون لخرابنا اعظم سبب فلما نظرت سمية ما تم لعنتر فاض دمعها وتحدر وامسكت السوط بيدها فدفعها شداد فى صدرها واراد ان يضربها فالقت نفسها على عنتر فجذبها فوقع الرداء عن رأسها وبقيت مكشوفة الرأس منزعجة الحواس وقالت والله ما امكنك من ضربه حتى تضربنى قبله ، وتصرعنى فى هذه الساعة مثله ، فرمى السوط من يده وقال لها ويلك ياسمية تهتكين نفسك لأجل هذا العبد ولا تدعينى اصل اليه وبالأمس كنت انت تحرضينى عليه فما الذى اوجب هذه المحبة والوداد بعد تلك البغضة والعناد ، فخجلت سمية من هذا المقال وانشدت تقول فى الحال :

صلوا على المبعوث بالكمال

حاشا لربة بيت منك صالحة ... كيف يديك فعادت منك بالخجل

تنزه العبد عن أمر عنيت به ... حاشا لعنتر من شين ومن زلل

هذا الشجاع الذى عاينت مشهده ... يوم النزال كمثلى الضيغم البطل

لولاه ما كان فى الاحياء من رجال ... يخلص المال من أعداك بالعجل

لما أتتنا خيول القوم غائرة ... من آل قحطان مثل العارض الهطل

أجارنا وحمانا بعد ما ملكت ... منا البنا ونجانا من الوجل

فحله فهو ليث فى عزيمته ... يحمى الحريم و لايخشى من الأجل

ليت الحروب ونار الحرب موقدة ... يلقى الرجال بقلب قد من جبل
هذا الهزبر الذى عاينت مشهده ... عند اختلاف القنا والطعن بالأسل
لولاه قد كانت الأعداء مالكة ... رقابنا وتشتتنا من الحلل

قال الراوى : ثم قالت لشداد أطلقه وأجلس حتى أحدثك بقصته وما هو لذى أوقع من قلبى ما رأيت من محبته ثم أخبرته بدعوة النسوان وكيف أغار عليهم بنو قحطان وكيف أباد عنتر الابطال والشجعان وفرق الفرسان وقتل مقدمهم فى مارق الطعان وأتى وحده سبعين فارسا والحق بهم الذل والهوان وخلص البنات والصبيان ثم أنشدت تقول :

صلوا على خير من يصول ويجول

شداد لو ترنى والوجه مكشوف ... وثقل ردفى وراء القوم مردوف
وعبلة أردفوها من ورا بطل ... ودمعها سائل فى الخد منروف
نساء عبس حيارى لا سبيل لها ... قناعهن عن الوجنات مكشوف
حتى العبيد الأولى من حولهم هربو ... وكل عبد تولى وهو ملهوف
فخاضها عنتر والشوس ثائرة ... وأفقها بغبار الحرب ملفوف
وصاننا وحمانا بعد غربتنا ... مع الرجال وعرض الكل مقذوف

قال فلما سمع شداد كلامها وفهم شعرها ونظامها تعجب من تلك الأفعال وأطربه ذلك المقال وقال والله ان كتمان هذا الحديث من أعجب العجب وانقياده معى للكتاف أعجب وأغرب ، هذا وعنتر بنفسه مشغول وقد أستحسن من سمية ما تقول وما كان لها عنده احسن من مدحها لها فى ذلك الكلام بأنه معدود من الأبطال الكرام فعند ذلك انشد يقول صلوا على طه الرسول :

أمن سمية دمع العين منحدر ... أم من لهيب جوى فى القلب مستعر
قامت تظللنى والسوط يأخذنى ... والدمع من جفنها الفتان منهمر
كأنها عندما أرخت ذوائبها ... بدر بدا وظلام الليل معتكر
المال مالكم والعبد عبدكم ... والروح تفديكم والسمع والبصر
ستحمدنى اذا خيل العدا طلعت ... عبس الوجوه عليها النقع معتكر
الا أكفكفها والطعن مختلف ... فلا سقيت ولا أروانى المطر
سمر الذوابل عندى ترتوى بدم ... وعند غيرى تحاكى طعنها الابر

والسيف فى راحتى تدمى مضاربه ... وسيف غيرى مافى ضربه أثر
والناس صنفان هذا قلبه خزف ... عند اللقاء وهذا قلبه حجر

قال فلما فرغ عنتر من مقاله ، قام اليه أبوه شداد وحله من عقاله ، وقد عجب من فعاله وعظم أهواله وعلم ان هذا الكلام لا يخرج الا من صدر فارس همام وبطل ضرغام واسدهجام فخلع عليه وأعتذر اليه فبينما هو معه فى تلك الكرامة دخل عبد من عبيد الملك زهير يدعوه الى وليمة العودة والسلامة فأخذ عنترا معه ومضى فوجد الأحياء متقلبة بالمزاهر ونحر النحائر وقد اجتمع هنالك سادات بنى عبس وفرسانها وأبطالها وشجعانها فجلس شداد بين أولئك الصناديد وبقى عنتر فى الخدمة مع جملة العبيد ودارت أقداح الراح وامتلأت الأرض بالأفراح وعملت فى الرؤوس العقار وأخذا فى مناشدة الأشعار وذكر الوقائع والأخبار وسمع شداد كل ذكر وخبر فما سمع أحد مما جرى لعنتر وحدث الملك زهير بما فعل من العبر وما نثر وسمع الحديث كل من حضر فطربوا من فصاحته وعجبوا من شجاعته وقال الملك زهير أحضروه الينا فوالله من يوم قتله لعبدنا داجى علمت انه حام لنا ولكل راجى ، ومن كان هذا الفعل فعله يجب ان نرفع محله . ثم نادى به فتقدم وقبل الأرض وسلم فناوله الملك زهير القدح وقد غلب عليه السرور والفرح ولما شرب عنتر استنشده الملك زهير بالأبيات التى رواها عنه شداد فانشدها أحسن انشاد وصار الملك زهير يشرب ويسقيه بالكأس ويستنشده الأبيات وهو يرددها عليه بأطيب الأنفاس فقال له صديقه مالك بن زهير يا عنتر قد اشتهيت أن تنشدنا شيئا من أشعارك الجياد كما أنشدت أباك شداد حتى يزيد فرحى بك وطربى ويزداد سرورى وسرور ابى فقال سمعا وطاعة وانشد من تلك الساعة صلوا على صاحب الشفاعة :

العز فى صهوات الخيل معقود ... والنصر فى السيف يوم الروع موجود
ما ثار نقع عجاج يوم معركة ... الا اعانتنى السمر الأماليد
كم قسطل خضته لم أخش غائلة ... ومن فعالى تحسى البيض والسود
هناك اقتحم الحرب العوان ولى ... قلب من الجبل الصادى مقدود
يا أيها الملك الضرغام هل نظرت ... عيناك فعلى وهابتنى الأماجيد

ملكتنى يا مليك الأرض قاطبة ... وذكركم فى أقاصى الأرض ممدود
أنتم ملوك الأراضى من يعاندكم ... يلقى الهوان ويغدو وهو مفقود
فدونكم أسدا ما سل صارمه ... الا تخر له الصيد الصناديد
ولا يهاب لقا الأبطال ان كثروا ... وعنده الكر فى يوم الوغى عيد
أخوض فى النقع والأبطال جائلة ... وأنثنى وفؤادى القوم مفؤود
لا أنثنى عن مرادى حين أطلبه ... الا به وهو مقضى ومقصود

قال فعند ذلك طرب الملك زهير ومن حضر وسروا جميعا بعنتر وأثنوا على شجاعته وعجبوا من فصاحته وفرح مالك بن زهير بفرب عنتر من أبيه لأنه كان من جملة أصحابه ومحبيه وخلع عليه الملك زهير خلعة من أفخر الملابس وقال له أذهب فمثلك تكون الفوارس ولما كان المساء عاد عنتر مع شداد فرحا بما ناله من علو القدر ورفعة الجاه وقد زاد فى عبلة طمعه وتمكن حبها من جميع اعضاءه الا أنه كتم غرامه وجواه ولم يبح الى أحد بشكواه لأنه نظر الى نفسه بعين العبودية والقوم له موالى ولا يملأ عينه من عبلة الا اذا كان المكان خالى قال ولما كان الصباح ركب عنتر جواده وأخوته بين يديه تسوق الأموال الى المرعى وهو من خلفهم يسعى وكان أخوه شيبوب من أفرس العبيد وأخفهم سعيا بين الروابى والبيد حتى كأنه شيطان فى صورة انسان اذا عد الحق الغزال واذا طلبته الخيل صللها بين الروابى والتلال . وكان عنتر فى أكثر الأوقات ينفذه فى المهمات ويدخره للملمات وكان أولاد الملك زهير قد أصطحبوا فى دعوة صنعها لهم أسيد اخو الملك زهير وكانوا قد اشاروا عليه ان يبعدهم عن الحى ويسقيهم على ربوات الرعيان ففعل ذلك المرام وأمر العبيد ان تسبقه الى هناك بالاغنام والمدام وذبحوا الذبائح وانضجوا الطعام وركب أولاد الملك زهير العشرة وهم شاس وعيس وورقة ومالك وخداس والحارث وكثير وجندل وجندب ونهشل وساروا الى رابية خضراء مشرفة على الصحراء مدبجة الجنبات مزهرة بالنبات فاتحة العرصات وحولها عيون جارية وغدران هامية فكانت كما قيل

وروض عبقرى الوشى غض ... يشابه حين زخرف بالشقيق
سماء زبرجد خضراء فيها ... نجوم طالعات من عقيق

قال صاحب الحديث فجلس القوم وقدم لهم الطعام فأكلوا وأحضروا المدام فعند ذلك انجلت بينهم الكؤوس ودارت الخمر فى الرؤوس فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وفى اثناء ذلك مد مالك عينيه فرأى عنترا تحتهم فى سفح الجبل وهو على جواده كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل والخيل حوله ترعى وأخواه شيبوب وجرير يوردانها الى المرعى فقال مالك ابن زهير هذا عنتر بن شداد الذى أفتخر وساد والله ان مثله قليل فى الرجال لا سيما فى فصاحة اللسان وحسن الفعال ثم قال لبعض العبيد وبلك انزل اليه وادعه لكى يتم به سرورنا وتنتظر بمحادثته أمورنا فقال شاس ذل ابن الامة انى أراك تحسبه شيئا كبيرا وتنحل اليه قدرا خطيرا وكذلك أبى بالامس أعلى قدره واستعاد منه تلك الابيات وجعل له قدرا بين السادات ولقد هممت عدة مرار أن أقوم وأضرب عنقه بهذا الحسام وأسقيه كأس الحمام لولا خوفى من ان انغص على ابى وليمته واكدر عليه عزيمته واما الان وقد انفذت اليه فوالله لئن حضر معنا على هذا المدام لأصرمن حياته بهذا الحسام قال فبينما شاس مع اخيه مالك فى الكلام واللجاج والملام واذا بغبار قد علا وثار وحجب السماء عن الأبصار وبعد ساعة انجلى وبان من تحته ثلثمائة فارس كالليوث العرايس تحتهم خيول أعوجية وعلى أكتافهم رماح خطية وسيوف هندية تسابق المنية ولما خرجوا من تحت الغبار وانكشفوا للابصار وقربوا من المراعى ورماحهم تتلوى كالأفاعى اكبوا رؤوسهم فى قرابيص سروجهم ووقفوا واصطفوا وانعطفوا وانفصل منهم عشرة فرسان ابطال شجعان كأنهم العقبان وكان أولئك القوم من بنى قحطان ضاق بهم المعاش فخرجوا من أرضهم حتى أتوا أرض بنى عدنان وصادف مرورهم على مراعى بنى عبس الذئاب الطلس رأوا الجماعة يشربون المدام والكأس تدور بين القعد والقوام فقال بعضهم لبعض أحملوا بنا على هذه العصابة تأخذهم أسارى فان فى فديتهم الغنى وبلوغ المنى ثم أنهم حملوا عليهم وبادروهم بضرب السيف وطعن السنان وصاحوا هيا آل قحطان فلما رأى ذلك بنو عبس تواثبوا الى الخيول واختطفوا الرماح والنصول وجردرا سيوفهم وأنحدروا من ذروة الجبل وما فيهم الا من صاح وحمل وغاصوا

تحت العجاج وانطبقت عليهم فرسان اليمن انطباق البحر العجاج اذا هاج وماج وتلاطم بالامواج فسمع عنتر ابن شداد صياحهم وقد مدوا الى بنى عبس رماحهم فخاف عليهم عنتر بن شداد صياحهم فأراد أن يظهر فيهم شجاعته وفخاره لا سيما لاجل مالك بن زهير الذى احبه واجاره ، فصاح فى أخيه شيبوب وأسرع مثل الريح الهبوب فأدرك عنتر مقدم القوم هنا بن محبون فانقض عليه كالبلاء المصبوب وطعنه بين ثدييه أبرز السنان من بين منكبيه فأنطرح قتيلا بدمائه جديلا وحمل بعده على الرجال ففرقهم ذات اليمين وذات الشمال ونثرهم بالحسام تحت الفلال قال فلما شاهدوا هذا الهول الذى لا يدفع والبلاء الذى لا يرد ولا يرجع لم يبق منهم من يقدر ان يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع ولم يكن منهم الا من طلب الهرب وقد انقطع منهم الطمع ولما نظر عنتر الى ذلك طلب أولاد الملك زهير من خوفه على مالك وصاح فى من بقى حولهم من الفرسان فارتعدت منهم الأبدان وتغيرت منهم الألوان وهو قد أقبل جسمه من الدماء كالأرجوان يدوس بحوافر جواده أجسام القتلى وقد خضب بالدماء وآبدل وجود القوم عدما وجعل ما كانوا يطمعون فيه من السلب مصائب ونقما ولما رأى أولاد الملك زهير واطمأن عليهم عاد فخاض العجاج وفجر الدماء بحسامه من أنابيب الأوداج وجرى من سنانه النجع مثل المطر وفرق الفرسان فى تلك القفر وأوقع فى قلوبهم الرعب وقد أهلكهم بين الطعن والضرب وكان العبيد الذين فى المراعى ألقوا النفير فى بنى عبس فخاف الملك زهير على أولاده فركب فى فرسانه وأجناده وتجارت خلفه الفرسان وسارت الشجعان الا انهم ما وصلوا الى مكان القتال الا وعنترة قد فرق القوم شذر مذر وهزم الأبطال ومد الفرسان فى المجال فعادوا الى الخيام وعنترة بين أيديهم كأنه الأسد الضرغام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ما زلت مرتقبا الى العلياء ... حتى بلغت الى ذرى الجوزاء
فهناك لا ألوى على من لامنى ... خوف الممات وفرحة الأحياء
فلا غضبن عواذلى وحواسدى ... ولا صبرن على قلى وجواء

ولأجهدن على اللقاء لكى أرى ما ارتجى أو أن يحين قضائى
ولأحمين النفس عن شهواتها حتى أرى ذا ذمة ووفاء
من كان يجحدنى فقد برح الخفا ما كنت أكتمه عن الرقباء
ما ساءنى لونى أو اسم زبيبة اذ قصرت عن همتى أعدائى
فلئن بقيت لأصنعن عجائبا ولأخرسن مناطق الفصحاء

قال الراوى ففرح الملك زهير بسلامة أولاده وشكر عنتر على حسن جهاده وسألهم عن الحادثة فحدثوه بجلية الخبر وما فيهم الا من أثنى على عنتر ومدحه وشكره ، ولما وصل الملك زهير الى مضاربه جدد لاولاده الوليمة وأجلس عنتر الى جانبه وسقاه من شرابه ورفعه على جميع اصحابه وخلع عليه من ملابسه خلعة مقلمة بالذهب وأركبه فرسا من أجود خيل العرب وقلده بسيف محلى مشطب . وقال لابيه شداد لاعدت تخفض منزلة عنتر بان يرعى الجمال بعدما بدت منه فصاحة اللسان وقوة الفعال ودعه يغزو مع الابطال حتى يقال ان لبنى عبس عبدا يذل الفرسان ويقهر الشجعان وسماه زهير من ذلك اليوم حامية بنى عبس ، وفارس كل من طلعت عليه الشمس ، قال ومن ذلك اليوم ارتفع موضعه ، وزادفى عبلة طمعه. وهى كانت سبب فصاحته وشجاعته لانه كان كلما ذكرها انطلق لسانه بالشعر والنظام واشتاق الى طعن الرمح وضرب الحسام حتى وقعت هيبته فى قلوب الأنام .

قال وفى أثناء ذلك صار يبعد عن الحى ويغير على القبائل واخوه شيبوب يدله على الاحياء والمناهل فلم يكن يخطر الا ظافرا منصورا ولا يرجع الا محمودا مشكورا حتى شاع ذكره فى تلك البلاد وصار له أحباب وحساد وكان من جملة حاسديه شاس بن زهير والربيع بن زياد وكلما رأياه يفعل ذلك الفعال تزداد بغضته فى قلبهما وتكثر بينهما الاقوال . قال الراوى وصار الرجال اذا حضروا على الشراب لا يتناشدون الا ما لعنتر من الاشعار ويتذاكرون بشجاعته وفصاحته وحبه لعبلة وما بينهما من الاخبار حتى نما ذلك الى امها وابيها وسمع قصائده وتغزله فيها غير انهما لم يكترثا به ولم يلتفتا الى غرامه وحبه

فلما كثر الحديث عند أم عبلة دعت به اليها وأحضرته بين يديها وقالت له يا عنتر سمعت عنك أنك تحب أبنتى عبلة وتذكرها فى شعرك ولا تكتم هواها فى صدرك وكانت عبلة فى جانبها وقد أرخت ذوائبها وسمعت امها تقول لعنتر ذلك المقال فتبسمت عن ثغر أنقى من اللآلىء فازداد بعنتر الهيام والبلبال وقال يا مولاتى هل رأيت من يبغض مولاته اى والله احبها وحبها ما أنكره بل فى كل وقت أذكره وصورتها لا تبرح مقابل ناظرى وشخصها طى ضمائرى وانا اصف ما قد كساها الله من الجمال الذى فاقت به كل ذوات الحجال قال ولما سمعت عبلة كلامه زاد تعجبها وقرب عنتر من قلبها وقالت له ياعنتر ان كنت صادقا فأسمعنى شيئا من شعرك وصف به محاسنى التى ملكت قلبك وأوصافى التى سلبت لبك فاطرق الى الأرض وتنهد ثم رفع رأسه وأنشد صلوا على محمد

أحبك حب كرام الرجال ... واقنع منك بطيف الخيال
وأنت محكمة فى دمى ... ومالكتى وعليك اتكالى
أيا عبل ما تحتويك الصفات ... لأنك قد حزت أقصى الجمال
فان قلت وجهك بدر الظلام ... فمن أين للبدر عين الغزال
وثغرك فاق درارى السماء ... فكيف أشبه باللآلى
ولى فى جبينك كل الهدى ... وفى ليل شعرك كل الضلال
وتحت لثامك ورد الرياض ... وعيناك تحرسه بالنبال
وخصرك يشكو الضنى مثل جسمى ... يحمل جور الهوى وهو بال
ومن دون لحظك أسد البطاح ... وبيض الصفاح وشمر العوالى
ووجهك كالبدر تحت السماء ... قريب الضياء بعيد المنال

قال الراوى وكان ينشد هذه الابيات وعبلة وأمها باهتان ومن كلامه متبسمتان الا أنه شفى غليل صدره اذ باح بحبه ورأى عبلة تنظر اليه بعين المحبة لأن الاعين رسل القلوب ولا سيما نظر المحب الى المحبوب فقالت له أمها والله ياعنتر ما كنت أحسب أنك تنطق بمثل هذا الكلام ولا كنت أظن بك هذه الفصاحة فى النظام فوحق ذمة العرب لقد لحقت بأصحاب النسب وسادات ذوى الرتب وشاركت فى الشعر فصحاء

العرب ، وأنا أطلب لك من بعلى مالك أن يزوجك بخميسة أمة ابنتى عبلة ، ليس لها فى الحى شبيهة قدا ووجها ومقاما ، فضحك عنتر وقال لها وحق رب القدرة لاضاجعت امرأة لاأمة ولاحرة ، ولااستوى جانبى الا بجوار من أحب وأفديه بالروح والقلب فقالت عبلة بلغك الله أمانيك ورزقك زوجة ترضيك وشاعت ابيات عنتر فى الحى بين السادات وتناشدتها العبيد والفتيات وذكرت بين يدى شاس والربيع بن زياد وكانا على الشراب وعندهما عمرو اخو عبلة وجماعة من العبيد الجياد فقال شاس والله لقد أعجب هذا العبد الوضيع بنفسه وترفع عن العبيد الذين هم من ابناء جنسه فقال الربيع والله ياشاس ما ترك له هذا الذكر بين السادات الا ابوك وأخوك مالك صاحبا الهمات ولاجلهما مضى عبدك داجى وعبدى ضاجر وراح دمهما هدرا بيدهذا الفاجر ،وبالامس أجلسه ابوك مع السادات واستعاد منه تلك الابيات وهذا الذى أطمعه فى الغانيات العربيات . وما زالا على مثل ذلك الكلام حتى اخجلا عمرا أخا عبلة بين القدح والملام فقال والله باربيع ان القتل أهون على من هذا الصنيع وقد عرضت به لابى عدة مرار وهو يقول لى انه عبد ابن أمة ليس له شأن ولا مقدار ، وان نحن طردناه وابعدناه اجاره الملك زهير وحماه ثم ان عمرا قال والله لئن سمعته يذكر أختى أيضا فى شعره لاسفكن دمه ولو وضعه الملك زهير فى حجره . فقال الربيع دع هذا ولا تدنس سيفك بدمه وأنا اشير عليك فى عدمه أعد له غدا عشرين عبدا من عبيدى الاجواد وتجعل عليه العيون والارصاد حتى يخرج منفردا فيقتلونه ويخفون أثره ولا يعلم أحد خبره على ن عبدى بسام أخا ضاجر قد بقتله مرارا وانا أرده عن هذا الارب خوفا من ان الملك زهير يغضب أما الآن وقد صار الامير شاس من مساعدينا على قتل هذا القرنان فلا تخش بذلك ضررا ولو تعرضت دونه قبائل الانس وطوائف الجان ، فقال شاس وحق البيت والمقام الرفيع انى معين لك يا ربيع ولو شافقت ابى واخوانى الجميع ولكم عشرون عبدا من عبيدى الأجواد والفرسان الشجعان الشداد الذين لاقوا معا كل شدة وهم لنا عدة وعمدة قال وما انقضت الدعوة حتى تعاهد شاس والربيع بن

زياد على قتل عنتر بن شداد فوضعوا عليه العيون والارصاد واكمنوا له ثلاثين عبدا مثل الآساد ، قال وكان لشداد بنت من غير سمية يقال لها مروة وكانت متزوجة فى بنى غطفان برجل يقال له الحجاج بن مالك فاتفق ان زوجها زوج اخته عند ذلك برجل يقال له ماجد بن الليث الغطفانى فلما راجت الدعوة جاءت مروة فى جماعة من النسوة لكى تدعو شدادا أباها ومالكا عمها واخاها زخمة الجواد ومن يقرب اليهن من بنى قراد ودعت سمية امرأة شداد ونساء اعمامها من يلوذ بهن من النساء الأحرار والبنات الأبكار واجتمع الرجال مع الرجال والنساء مع النساء فى السير ، بعدما استأذنوا الملك زهير ، هذا وقد سبقت الفرسان النساء بنصف يوم وخرجت النساء بعدهم بالهوادج والأهلة والسجوف والأكلة وعلى الهوادج الثياب المقصبة والعصائب المذهبة وهن قن ارخين الذوائب والشعور على الأكناف والخصور وابرزن وجوها مثل البدور سود المقل يارقات الثغور والاماء قدام الهوادج بايديها الدفوف والعبيد متقلدون بالسيوف وعنتر بينهم فى الحلة يخدم نساء اعمامه وامرأة أبيه وعبلة وهو من دون العبيد راكب على جواد أدهم كأنه الغياهب متقلد بحسام قاضب معتقل برمح كاعب وهو قد ماشى عبلة يناظرها فى المسير وقد خلبت لبه وملكت قلبه ولازمها فى الطريق يخدمها وهى تهزأ به لأنه عبدها وأمها تضحك عليه كلما رأته يخدمها ويودها وتقول له يا عنتر أتعرف قدر ابنتى وشأنها فيقول اى وحق من خلق السماء وشاد بنيانها ولو قدرت لما رضيت لها بمكان دون سواد ناظرها او طى ضمائرى ومازالوا على تلك الحال يقطعون القفار وعنتر محاذى عبلة ينشد فيها الاشعار حتى انقضى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار فحلوا الرحال عند ذلك ونزلوا على غدير هنالك فتولى عنتر حرس القوم الى فجر ذلك اليوم حتى اذا ارادت العبيد أن ترفع الهوادج وتشد الرحال ليتمموا ذلك الترحال وآذا بالغبار قد ملأ القفار حتى سد الفجاج وعاد النهار كأنه ليل داج ، وبعد ذلك انجلى عن خيول تتدفق مثل الرياح تلمع عليها أسنة الرماح وشفار الصفاح وفى دون ساعة انجلى الخبر عن مئة فارس كأنهم الاسود القناعس وفى اوائلهم فارس صنديد كأنه البرج المشيد له صدر واسع وبأس شديد وهو قد لبس فوق

درعه ثوبا أسود مثل الحديد وهو ينادى من قلب قريح وفؤاد جريح الثار الثار البدار البدار قال وقد ذكرنا أن شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد بغيا على عنتر بن شداد ووضعا عليه العيون والأرصاد حتى علما بمسير عنتر مع بنى عبس وعدنان ونساء بنى قراد الى بنى عطفان وغابت عن الحى للرجال والفرسان وأن عنتر قد تخلف للسير عند الصباح فدعوا بالعبيد المذكورين وقلداهم بالسيوف والرماح وأخرجاهم فى ذلك الليل الأغبر لكى يفتكوا بعنتر وأوصاهم الربيع أن يكمنوا له فى وادى الغزال فاذا أشرف عليهم عند الصباح يتبادرون اليه بالأسنة والنصال على أن لا يؤذوا النساء ولا يأخذوا من أموالهم ولا عقال وقد ذكرنا أن عنترا ظهر عليه من ذلك الغبار مائة فارس كرار وكان ظهورهم من ناحية وادى الغزال حيث أصبح عنتر والنساء والجمال وكان لهم حديث وسبب ياله من سبب وان الزمان يأتى بكل عجب وينقلب بأهله أى منقلب وذلك أن العبيد ساروا عن حلل بنى عبس وفى أولهم عبد الربيع بسام حتى أشرفوا على وادى الغزال وحاولوا أن يكمنوا فيه تحت ذيل الظلام واذا بفرسان قد أغاروا عليهم وفى اياديهم السيوف القواطع والأسنة اللوامع ونادوا بهم أثبتوا يافتيان قبل أن تطير رؤوسكم عن الأبدان وتخوض .

انتهى الجزء الأول من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الثانى

الجزء الثانى

من سيرة
عنترة بن شداد

فى قلوبكم أسنة الأشطان فلما سمع بسام ذلك المقال نبه أصحابه للقتال ومد رمحه بين أذنى الجواد وقال لهم أما تعلمون اننا من أرض بنى عبس الآساد فمن أنتم وممن وما شأنكم فى هذا الواد ، فقال المقدم لبسام ويلك يا ابن العبيد اللئام سواكم والله لسنا طالبين واليكم اتينا قاصدين ولسفك دماكم ونهب اموالكم قادمين ولا بد أن نشتتكم بين الاوغار والانجاد لاسيما ان كان فيكم ذلك العبد السوء عنتر بن شداد قال وكان هؤلاء الجماعة من قوم يقال لهم بنو المصطلق والمقدم عليهم غالب بن وثاب وكان عنتر قد قتل له أخا يقال له ماجد وعفره بين الشعاب وتركه مأكلا لضوارى الغاب وكان أخوه غالب غائبا فى سفر فلما قدم أعلموه بالخبر فشق جيوبه وعظم مصابه وكثر حزنه وانتحابه وما أقام فى أهله أكثر من ثلاثة أيام وسار فى سبعين فارسا كانها أسد الأجام يطلب بنى عبس ليأخذ بالثأر وهو يقول ان كان عبد بنى عبس قتل أخى فانا أقتل ساداتهم الكبار وألقى الخوف فى أرضهم وأبددهم فى كل بر وفدفد ، ولا اعود الا برأس ذلك العبد الأسود ، ولم يزل سائر حتى أشرف على وادى الغزال وكمن بمن معه من الرجال ثم أنفذ بعض العبيد يأتيه بالخبر فمضى وعاد بعد ثلاثة أيام وأخبره بالخبر وان بنى عبس فى الأثر وبعد قليل تصل النساء وبينهن عنتر .

فلما سمع غالب هذا الكلام داخله الطرب وصاح من شدة فرحه يا للعرب لكم البشارة بالاموال والذهب وأخذ الثأر وبلوغ الارب وأقام فى من معه منتظرا فى ذلك الواد حتى أشرف عليهم بسام عبد الربيع ابن زياد ومن معه من العبيد الاجواد وأعلمهم غالب بانهم ما أتوا الا لقتل عنتر طالبين وعلى هلاكه معولين فلما سمع بسام كلام المقدم قال يا قوم نحن قد اسعفنا من كل جانب لان كلامنا ما أتى الا وهو لقتل عنتر طالب ، ونحن أيضا مواليا بنو عبس قد أرسلوا فى طلبه حتى

نسقيه كأس عطبه وهو اليوم واصل مع النساء المدعوات الى بنى غطفان فان شئتم نقتله ونعطيكم رأسه فانه قد أصاب بعضنا بالظلم والعدوان فقال مقدم القوم ما نريد منكم مساعدة ولو لم تخبرونا بخير قد ثبت عندنا لم نبق منكم نسمة واحدة ولكن عاهدونا على أنكم لا تكونون علينا مخامرين والا بذلنا فيكم رماحنا وسيوفنا أجمعين وأخذنا منكم بالثأر وجرعناكم كأس البوار فعاهدهم بسام وأخذ منهم الذمام وقد رأى ذلك صوابا فى قضاء حاجة مولاه فطاوع غالبا وجاراه وقال لأصحابه نحن نكون من كل جانب منصورين وعند بنى عبس مشكورين لأننا ان رأينا عنترا قد أضعف هؤلاء القوم وبقوا فى عددنا أو أكثر منا بقليل ما يمكنهم من أخذ الحريم وان رأيناهم قتلوه من أول حملة أنفذنا بعضنا الى الحلة وقاتلناهم حتى تدركنا الرجال والفرسان بالجملة ونخلص نحن النساء ونبلغ من قتل عنتر ما نشاء فقالت العبيد افعل ما نريد فكلنا لك عبيد ونحن على طوع رأيك السديد فنزل بسام وكان قد انجلى الظلام واختلط هو واصحابه بالقوم واكلوا الطعام واحتكم بينهم الزمان وجعلوا يحدثونهم بفعال عنتر وهم له ينتظرون الأثر هذا وان عنترا كان كما تقدم قد عول على الرحيل واذا قرعه الصهيل واقتحمته السوابق ولمعت فوقها البوارق وكانوا قد ركبوا صباحا وقصدوا عنتر وخافوا أن يكون فى الليل قد عبر فنظروا الى لمعان الهوادج والأساور والدمالج وهم بالثياب الفاخرة والزينة الباهرة فصاحوا الثأر الثأر الغنيمة الغنيمة ولعبوا على صهوات [illegible] عليه بصياحهم فعلا من النسوان البكاء والعويل والاشتكاء ونظر عنتر الى عبلة ودموعها تنحدر على خدودها وقد جرت على نحرها وعقودها وسمية وأم عبلة تصيحان بالويل والحرب وقد خشيتا على العرض والنسب فتقدم الح أم عبلة وقال لها أتزوجينى عبلة حتى أرد هذه الخيل من أول حملة وأعطيك أسلابهم وخيولهم من بعض الصداق وأتركهم مبددين فى الآفاق فقالت له ويلك يا عنتر أو فى مثل هذا الوقت يكون المزاح والأجساد قد كرهت الأرواح فقال عنتر لا وحق خالق الصباح ومنسم الرياح ان وعدتنى بذلك رددت هذه الخيل كلها على أعقابها وأعطيتك كل عددها وأسلابها فقالت دونك والخيل ولك ما تريد ،

غير انها لم تضمر له الوفاء لأنه من العبيد وذلك منكر عند العرب ان تتزوج الحرة بعبد لا نسب له ولا حسب وأن عنترا لما سمع ذلك سر غاية السرور وبدت عليه وسائم الحبور وقال لأم عبلة عاهدينى على هذا فعاهدته وبكل جميل وعدته فعندها ركب الجواد وتهيأ للجلاد وأمر العبيد أن تترك الجمال وتحل الرحال وقال لأخيه شيبوب ويلك أحم بنبالك ظهرى وأنا اتلقى الخيل بصدرى ثم انصب على القوم كأنه عارض المطر وصاح وزمجر والتقاهم بالأسمر والابتر ففرقهم شذر مذر طعن الأول فى صدره فطلع السنان يلمع من ظهره وأتاه الثانى فالقاه والثالث أورده فناه والرابع جعله عبرة لمن يراه والخامس الحقه برفقاه والسادس أعدمه الحياة والسابع قطع من الدنيا مناه والثامن جعله يتخبط بدماه والتاسع ترك القبر مأواه والعاشر ناحت عليه أهله وأقرباه وشيبوب من وراه يطعن بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وعنتر يجندل الابطال ويطوحهم على الرمال وهو يهدر ويزمجر كالأسد الرئبال قال فلما نظرت القوم الى أفعاله توقفوا عن حربه ونزاله وتفرقوا عنه ونفروا من قتاله وهو قد غاص بينهم كالأسد الجسور وسيفه قد طوق النحور ورمحه خاض فى الأحشاء والصدور فبددهم ذات اليمين وذات الشمال ومددهم على الرمال وشيبوب يحمى ظهره بالنبال اذا قصدته الخيل فى المجال حتى أخلى السروج من ركابها وخضبها بدماء أربابها وقد أهلك منهم ثلاثين فارسا من كل أصيد وجبار وجعلهم قوتا لطيور السماء وضوارى القفار وكان جواد عنتر قد كل ومل وعلم أنه قد انحل فنزل عنه وركب غيره من الخيل الغائرة وعاد الى المجال وطلب البراز والنزال وهاج كما تهيج فحول الجمال وأنشد وقال صلوا على الرسول سيد الأبطال :

اذا اشتغلت أهل المدامة بالكأس ... أو اغتبقوها بين قس وشماس
جعلت مقاهى تحت ظل عجاجة ... وكأس مدامى قحف جمجمة الرأس
وصوت حسامى مطربى وبريقه ... اذا أشتد عثم الجو بالنقع مقباسى
ومن قال انى أسود ليعيبنى ... أريد بفعلى أنه أكذب الناس
فسيرى مسير الأمن يا ابنة مالك ... ولا تجنحى بعد الرجاء الى اليأس
فلو لاح لى شخص انحمام لقيته ... بقلب شديد البأس كالجبل الراسى

قال الراوى وأما عبيد بنى عبس فلما رأوا فعل عنتر بالقوم انقطعت ظهورهم وارتبكت أمورهم وقال لهم بسام عبد الربيع ويلكم أشكروا

الله ان وقع لنا هؤلاء القوم وقاتلوا عنا فى هذا اليوم وقد فدونا بأنفسهم من هذا البلاء والا لكنا الآن معفرين فى الفلاء قال ونظر مقدم القوم غالب بن وثاب الى ما أصاب أصحابه من العذاب قال يا للمصيبة لو علمت أن الأمر يفضى الى هذه الحال كنت خرجت من أول الأمر الى القنال وسبقت الى قتل هذا القرنان قبل أن يحل ما حل برفقائى الفرسان ولكن أهملت أمره حتى بلغ من أمره هذا الشأن ثم انه وثب الى الميدان وعليه درع حسن النظام جيد اللحام وهو مقلد بسيف ابتر ماضى الحدين مسهر ، ان ضرب به شطر ، وان هزه طار منه الشرر ، وفى يده رمح أسمر يلمح منه القضاء والقدر وتحته جواد أجرد حالك اللون أسود بقوائم مثل العمد عيناه تتوقد وهو على صهوته مثل البرج المشيد ولما صار فى الميدان أنشد وقال صلوا على صادق المقال :

رمتناصروف الدهر عن قوس صرفه ... ففارق منا كل الف لالفه
وسارت بنا آجال قوم تقاربت ... على يد عبد لا يبالى بحتفه
فلا عجب ان يرفع الدهر عاجزا ... ويجعله يلقى الأسود بضعفه
فدع عنك هذا الجهل يا ابن زبيبة ... فكم أسد أرديته وقت زحفه

قال فصدمه عنتر صدمة تهد الجبال وأجابه على شعره وقال :

تعيرنى يا ابن اللئام بأننى ... كلون الدجى ها قد بليت بعسفه
فان كنت عبدا قد قتلت سراتكم ... وأبليتكم من ذا الزمان بصرفه
تويد الجبال الراسيات لهيبتى ... ويوقن من يبغى عنادى بحتفه
فكم أسد لما بدا آون غرتى ... له فى مقام الحرب الوى بعطفه
وكم من كمى قد تركت مجندلا ... وكم من ثرى ذل لى رغم أنفسه
فان كنت تبغى الحرب دونك ماجدا ... يذيقك طعم الموت من ضرب كفه

قال الراوى ثم أنه حمل عليه وما تركه ينظر ما بين يديه حتى طعنه بين ثدييه أخرج السنان من بين منكبيه وانقض على باقى أصحابه فخرق الصدور وأجرى الدماء من أنابيب النحور وأبصر باقى الرجال طعنا تنتهى به الآجال فشردوا فى التلال والجبال ونظرت عبيد الربيع وعبيد شاس الى فعاله ببنى المصطلق وكيف مال عليهم وانطبق وشيبوب خلفه كأنه البرق اذا برق فعادت على الاعقاب وطلبت الروابى والشعاب وبسام عبد الربيع فى أولهم يصيح دونكم الهرب ولا تقفوا قدام العطب

فولوا الأدبار وغاصوا فى الفدافد والقفار وطلبوا الأهل والديار وعاد عنتر وسنان رمحه يقطر من الدم ، فتلقته عبلة وهى تتبسم وحمدت الله على رجوعه وشكرته على صنيعه وقد شفت من قلبه الغليل وكان كلامها عنده مثل قدوم العافية على جسد العليل فشكرها على مقالها ورد هودجها الى فوق رحالها وأمر العبيد فجمعت أسلاب القتلى وهى ملء الأرض والفلا وساقوا الخيول وساروا فى أمان وطلبوا بنى غطفان فوصلوا والناس فى الولائم بين الطرب والسرور والحى منقلب بشرب كاس الخمور ودارت بملقاهم الأفراح وعلا الصياح وأخبرت النساء رجالهن بالخبر وما جرى من عنتر فما منهم الا من أثنى عليه وشكر ، وقدمت العبيد الخيول والأسلاب بين يدى شداد وأخبروه كيف صان الحريم ودفع عنهم ذلك الهول العظيم فزادت رغبة شداد فيه وما درى بأى وجه يكافئه وقبله بين عينيه واخذ بيده ليجعله مع السادات والشرفاء فابى وعاد الى ذيل المجلس ووقف مع العبيد والاماء وقال لا والله يامولاى ما أغير فى خدمتك العادة ولا أغتر بأيام السعادة فعجبت فرسان العرب من أدبه وهابوه وعظم قدره عندهم وقربوه وحلفوا عليه وأجلسوه بين الفرسان وأهل المقام وسقوه مما بين أيديهم من المدام وأعجبوه بفصاحته بين النثر والنظام وداموا على ذلك سبعة أيام ، وما يمضى يوم الا يرفع بنو غطفان قدر عنتر وشداد ومن معهم من الرجال الأجواد بعد ذلك رجع بنو قراد طالبين الأوطان ومعهم العبيد والنسوان ولم يتفرقوا فى المسير خوفا من مثل النوبة الأولى ولم يعلموا أن لعنتر فى الحرب اليد الطولى وما أشرفوا على أرض الشربة حتى سمعوا الصياح منعقدا فى سائر الجنبات والغبار قد خيم على الروابى والفلوات وأهل الحى قد طرقوا بحوادث الزمان وطوارق الحدثان فقال شداد لمن حوله من السادات وذمة العرب قد نزلت بنا الدواهى والملمات ثم حركوا على ظهور الخيل واقتحموا المضارب والأبيات فرأوا النساء متهتكات والبنات بارزات وقد غرقن البراقع بالمدامع المنحدرة وقد لمعت بينهن السيوف المشهورة واثخنت الفوارس بالجراح ولعبت بهم الرماح والبيض الصفاح وهم يمانعون عن النساء والبنات وقد أيقنوا بشرب كاس الممات وقلت منهم الحركات وخفيت منهم الأصوات قال وكان السبب فى ذلك أن الملك زهيرا كان قد ركب فى فرسان بنى عبس وسار بهم الى بنى قحطان

يطلب عدوا يقال له المتغطرس بن فراس من أحد أحياء العرب يقال لهم بنو القيان وكان الملك زهير قد بلغه أن المتغطرس سائر اليه فشق ذلك عليه وقام بفرسان بنى عبس ليلقاه فى الطريق قبل أن يغشى الديار وترك فى الحى أخذه زنباغ فى نفر قليل وسار ولكن لأجل القدر المتاح سار هو فى طريق والمتغطرس فى طريق آخر فى تلك البطاح فاختلفا فى الطريق فى تلك الفجاج لأن البر بحر عجاج فوصل المتغطرس الى ديار بنى عدنان فوجد الحى خاليا من السكان فاقتحم الأبيات والمضارب واستقبلها بالأسنة والقواضب فالتقاه من فى الحى بالرماح المداد وجردوا البيض الحداد واتصل الطعن بالسمر الصعاد وكثر العدد على بنى عبس وزاد فعادوا الى الخيام لما رأوا واسقاة المنايا تدور عليهم بكؤوس الحمام فياله من حادث لا يطاق على حين سالت دماهم على أسنة الرماح الدقاق ووردوا من الموت موردا مر المذاق فصاحت النساء وقد أيقنوا بالسبى والتشتيت فى الآفاق وفاضت الدموع من الاماق وبرزت تماضر زوجة الملك زهير من خدرها وأيقنت بهتك سترها وقرعت من خوف السبى على صدرها وفى ذلك الوقت أشرف عنتر وشيبوب وشداد بن قراد الفارس الجواد فقال شداد قد المحت والله آثارنا وخربت ديارنا وما جرت هذه النوائب الا أن الملك زهيرا هذه المرة غائب فدونكم والحملة لينكشف عنهم هذه المصائب وكان عدد القوم اربعين فارسا من بنى قراد فحملوا وتركوا العبيد عند النساء الا عنترة فان شداد قال هيا وأرنى اليوم منك ما سمعت بالأمس عنك فقال نعم يا مولاى ليس الخبر كالعيان ثم وثب الى فرسه وانتظم بين الفرسان ونادى اقتحموا القوم نأخذهم أسارى ونقودهم أذلاء حيارى ثم صاحوا وطلبوا الأعداء وقد هزوا فى أيديهم السمر الطوال وضجت العبيد والارماء لما عرفوا بقدوم الفرسان والأبطال وانصبوا على الميسرة وعنتر على الميمنة وهو كأنه القضا فى حملته وكل من رآه يهرب من طلعته وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

اليوم أسعرها حربا تذل لها ... كل الجبابرة الماضين فى الحقب
واترك الدم يجرى من غلاصمهم ... اذا غلوت رؤوس القوم بالقضب
كم سيد مذ رآنى جئت أطلبه ... ألقى السلاح وولى طالب الهرب
أنا الهزبر لنار الحرب أضرمها ... تحت العجاج وأرمى القوم بالعطب

كم قسطل خضته لم أخش غائلة ... وملتقى الموت يوم الروع من طلبى
لأفعلن فعالا لأمثال لها ... تظل تذكر فى الأوراق والكتب
وأجرين من الأبطال بحر دم ... تلاطمت فيه أمواج من العطب
وأجعل الجو مثل الليل بازغة ... فيه الأسنة تحت النقع كالشهب
وليس لى مؤنس فى كل معركة ... الا الجواد وسيف صيغ من غضب
وهمتى قد علت فوق السماك لها ... عزم يفوق على الأعجام والعرب

قال الراوى ثم ان عنتر انقض على الميمنة وصاح بها فخبلها وحمل عليها فأذهلها وطعن فى صدرها فبلبلها وتنافرت بين يديه الأعداء واندفعت الى البيداء وصار القتل فى البر واتسع للابطال مجال الكر والفر ، وتصادموا على ظهور الجياد الأعوجية واختلفت الطعنات بالرماح السمهرية ونهبت الأرواح الأبية وبمخالب أسنة الرماح الخطية وطارت الجماجم بمضارب السيوف المشرفية وهتك عنتر ميمنة القوم بنوافذ الطعنات ونثر رؤوس الأبطال بقواطع الضربات وأبصر المتغطرس ابن فراس وهو قائم على رابية فى تلك البطاح وعلى رأسه الرايات تخفق بالرياح وقد نفرت خيله على أعقابها وخلت سروجها من أصحابها ولعنتر صرخات مثل الرياح العاصفة أو الرعود القاصفة فتحدر المتغطرس من الرابية بمن معه وقد أكثروا الصياح ومددا الرماح ورجعت الخيل المنهزمة لما تقدم أميرها والتهبت نيران الحرب وزاد سعيرها فالتقاها عنتر ومن معه من الفرسان بالصدور وصبروا على عظائم الامور وأجروا الدماء من أنابيب النحور وثبتت الشجعان وولى الجبان ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والأبطال تجندل حتى ضاق بهم السهل والجبل وحل بهم البلاء والخبل والفارس الشجاع قاتل واستقتل والجبان ولى خوفا من نزول الأجل والبلاء المعجل واشتد الكرب والوجل وحل عليهم البلاء ونزل من العجائب الغريبة أن بساما عبد الربيع بن زياد الذى كان قد خرج ليقتل عنتر بن شداد وانهزم هو وجماعته فى وادى الغزال لما رآه قد أهلك غالب بن وثاب وقتل أكثر فرسانه السبعين بين الطعان والضراب عاد بسام بمن معه الى الأحياء وانهزم وهو لا يصدق بالنجاة من يد ذلك الأسد الغشمشم فأقام فى الحى حتى كان هذا اليوم العرمرم وقاتل مع جملة من الفرسان قتالا

يحير الاذهان وانهزم مع جملة المنهزمين حتى أقبل عنتر ومن معه من الأبطال المشهورين فشاهد من عنتر فعالا تحير بها عقله فزاد حسده وأضمر أنه يقتله وصار يتوقع له فرصة فى الحرب عند اختلاف الطعن والضرب وحمل على المتغطرس مع بقية الفرسان والأبطال وباشر الحرب والقتال ليتمكن من عنتر فى المجال ولما اشتدت الأهوال ودارت البيض والسمر الطوال وعلا الغبار وسد منافس الأقطار صوب بسام سنان رمحه الى عنتر بن شداد وعلم أن كرامته بذلك تزداد عند مولاه الربيع ابن زياد وما دانا عنترا ليطعنه فى ظهره حتى انطلقت نبله فى صدره فوقع قتيلا بدمه جديلا ووطأته الحوافر والنعال وحلت به نازلة الآجال فقتله حسده وأهلكه كمده وقدقيل فى الأمثال لا تعاد رجلامسعودا ولا تكن لأحد حسود لأن الحاسد أبدا عيشه منغص وفى كل يوم يتجرع الغصص قال وكان الذى قتل بساما عبد الربيع بن زياد شيبوب أخو عنتر بن شداد وكان لما حمل على الفرسان أوصاه أن ينزل عبلة من الهودج ويلاحظ خدمتها وخدمة بقية النسوان وما زال شيبوب عندهن يسكن قلوبهن حتى رأى الأعداء قد خرجوا من بين الأطناب وبنى عبس وراءهم مثل الضباب ورأى الرماح من حول عنتر مثل الأفاعى فى الظلام فخاف عليه من الحمام وعدا نحوه مثل ذكر النعام حتى اقتحم قسطل الغبار والقتام ورأى بساما قد عمد الى أخيه عنتر بالسنان فأرسل اليه نبلة القاه بها تحت أرجل الحصان هنا وعنتر مشتغل بالقتال فيطعن صدور الرجال وينكس أبطال المجال حتى وصل الى المتغطرس وهو يرد جماهير رجاله ويشير بالرمح الى أبطاله وهم لا يلتفتون اليه وقد هربوا من وجه عنتر مثل القطا اذا نفر فشق عليه ذلك وغدا النهار فى عينيه كالليل الحالك وثبت نفسه للطعان وأنف الهزيمة مع الفرسان واستقبل عنترا فصدمه بقلب اصلب من الجلاميد وكان يعد من الفرسان الصناديد فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وعلا فوقهما الغبار حتى اختفيا عن الأنظار وقد نام ذلك الفارسان من شدة الجراح واشتد بعنتر الغضب فزجره وصاح واقتحمه اقتحام الأسد وطعنه بالطويل الأملد فخاض الرمح فى أحشاءه وألقاه يتخبط بدمائه ونفرت أصحابه من وجه ذلك البلاء النازل كما ينفر النعام الجافل وتبعتهم فرسان بنى عبس وخيولهم وعملت فيهم أسنتهم ونصولهم فلعبت بهم أيدى سبا وتبددوا فى تلك

الربى هذا والعبيد قد جمعت الاسلاب والغنائم وعادت الى الأحياء ورجع الفرسان بعد ما انهزمت الأعداء وهم مسرورون بالنصر بعد الغلبة والقهر وكل واحد منهم يمدح شدادا واخوته ويحمد فعال عنترة ويصف شدته وحدث الفرسان شدادا كيف قتل عنتر المتغطرس بطعنته فى المجال فسر بهذا المقال وعلم ان افعال عبده ترفع قدره عند الرجال . هذا وعنتر قد أقبل عليه وقبل يديه فرآه شداد مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان فزاد به العجب وما وسعه درعه من شدة الطرب وقال لأخيه زخمة الجواد وحق ذمة العرب لقد كانت تربيتنا لهذا العبد خيرا ولم يضع فيه التعب ولو انه كان ولد حلال ملكت به رقاب العرب أصحاب الحسب والنسب فقال زخمة الجواد يا أخى أما حكم لك به حاكم العرب فلا تجحد ما له عليك قد وجب فتبسم شداد واتى الى الابيات والخيام وعنتر قدامهم كأنه ليث الأجام وقد سمع جميع مادار بينهما من الكلام وما جرى غير أنه كتمه فى صدره كانه ما سمع ولا درى ومشى قدام الجماعة وهو يقول صلوا على طه الرسول :

أنا الفارس المقدام والبطل الذى ... تخر له الفرسان خوف المهالك
اذا ثار نقع كنت موقد ناره ... وافنى الأعادى بالسيوف القواتك
وأصلى لظى الحرب العوان بهمة ... يقصر عن ادراكها كل سالك
وكم فارس ألقى السلاح لهيبتى ... وآخر قد أرديته فى المعارك
وخلصت قومى من أكف عداتهم ... ولست لفعل المكرمات بتارك
طعنت القرم خر لوقته ... يكشر عن أنيابه غير ضاحك
ولى سطوة فى الحرب ليست لضيغم ... وسل عن فعالى كل ليث مشابك

قال الراوى وان عنترا كان قد شق عليه كلام شداد وساءه ما دار بينه وبين زخمة الجواد فدخل على زبيبة أمه وحدثها بما كان من أبيه وعمه وقال لها أخبرينى عن نسبى وعرفينى من هو أبى فقالت والله يابنى ليس أبوك الا شداد مولاك ثم حدثته بالخبر المقدم ذكره فى أول السيرة وخصام العشرة عليه من أهل العشيرة وان قاضى العرب حكم به لشداد دون سواه فكان هو ابنه وشداد أباه فقال لها اذا كان قاضى العرب حكم اتى ولده وكل اهل الحى يشهدون بما كان فلماذا لا يدعونى ابنه كما يفعل كل انسان فقالت له زبيبة والله يابنى يعز على ذلك وكأنه يخاف ان اعطاك النسب ان لا تطيعه على ذلك سادات العرب ويخشى

أن يعيره بذلك أصحاب المنازل والرتب فقال عنترة أنا لا أحوجه الى ذلك ومن عيره سقيته كأس المهالك وان هو عصانى جحدمكانى ورأيت كل العشيرة تطلب هوانى بذلت فى الجميع سيفى وسنانى ورحلت عنهم الى قوم يعرفون قدرى ويعظمون شأنى وأول من أقتل أبى ان هو لم يعترف بنسبى وأسقى عمى كأس منيته ان لم يزوجنى بابنته فقالت له أمه لا تفعل ياولدى شيئا من هذه الفعال فقد أحبتك النساء والرجال لأجل ما رأوا لك من حسن الخصال فلا تنقض ما قد بنيت فتكون قد ظلمت وتعديت فقال لها يا أماه ان امرأة عمى بزواج ابنتها وعدتنى وعلى كلامها عاهدتنى فقالت يابنى لا تطمع فى المستحيل ولا تشغل فكرك بشىء من هذا القبيل وكيف يكون عبد لا حسب له ولا نسب يطمع نفسه فى بنات سادات العرب لا سيما وانت بينهم قد ربيت وفى نعمتهم قد نشيت فقال عنتر سترين كيف الحق نفسى بالنسب وأذل بسيفى سادات ملوك العجم والعرب ، ثم بات وهو قلق الفكر مشتغل فى هذا الأمر يحاول فى نفسه أمرا تعجز عنه صناديد الرجال ليشهر نفسه بين الفرسان والأبطال قال وعند الصباح أقبل الملك زهير وهو لا يصدق أن يرى أهل الحى فى خير لأنه سمع أن عدوه خالفه فى الطريق فخاف أن يعدم السعادة والتوفيق حتى أشرف على الأوطان فرأى الناس فى امان ولما رأوه قد أقبل فى ذلك الجيش والجحفل ركبت للقائه الرجال وتبادرت الأبطال وخرجت الأكابر والأصاغر وظهرت الاماء والحرائر فى أيديهم الدفوف والمزاهر واستقبلوه بالبشرى والبشر وخبروه بذلك النصر وما فعل شداد واخوته وعنتر بين الكر والفر فقال الملك زهير لله در عنتر فلقد سدنا به على سائر القبائل ولئن طال عمره ، ليسودن على كل محارب ومقاتل ثم انه نزل عن صهوته ودخل على تماضر زوجته فوجدها أيضا تمدح عنترا وتقول والله قد حمى الحريم وقتل الغريم وفعل أفعالا تعجز عنها سادات زمزم والحطيم فعظمت عنده منزلته وقال وحق ذمة العرب لو حكمناه فى الأرواح والأموال لكان قليلا فى مقابلة ما ظهر منه من فعل الاحسان وحسن الأفعال ثم أمر من وقته بذبح الأغنام وتزويق المدام سبحان من حرم الحرام .

قال الراوى ثم خرج الملك زهير الى وسط الحى وضرب له سرادق

من الديباج ونصب له سرير من الابنوس والعاج مصفح بالذهب الوهاج واجتمعت حوله السادات والفرسان والأمراء والشجعان وحضر الربيع بن زياد وأتى أيضا بنو قراد وزخمة الجواد ومالك وشداد وعنتر وفرسانهم الاجواد وتقدم عنتر بين يدى الملك عدة مرات وعاد فوقف فى الخدمة مع العبيد الحضار فقال الملك زهير وذمة العرب ما تجلس الا بين السادات أصحاب الحسب والنسب فوحق من أدار الافلاك قضى على الانفس بالهلاك لا شربت قدحى الا أنا واياك ولا كان لى نديم سواك . ثم أمره بالقرب منه فتقدم وبش فى وجهه وتبسم وقدم له الطعام فاكل معه هو والربيع بن زياد وكذلك بقيت الفرسان والاجناد ثم دارت عليهم الكاسات وعزفت القينات وضربت بمزاهرها المولدات وطابت لهم الاوقات وأمنوا من طوارق الحادثات هذا والملك زهير قد جعل عنترا خاصته ونديمه وسميره وكليمه وكلما أراد أن يقف فى الخدمة منعه وساقه وقربه وأدناه الى أن لعبت الخمرة بعقل شاربها وتفرقت العرب الى مضاربها وقدم الملك زهير شدادا اليه وقربه وخلع عليه وأركبه فرسا من جنائبه التى بين يديه وخلع على عنتر خلعة لا يلبسها الا الاكابر اهل الرتب او امير من امراء العرب وعممه بعمامة مقلمة بالذهب وقلده بسيف محلى مشطب وخرجا من بين يدى الملك زهير وهما بانعم بال وأحسن خير ولما قرب شداد من بيته ترجل عنتر فى خدمته حتى وصل الى خيمته والطيب يفوح من ثيابه وهو ثمل من شرابه ولما وصل ترجل شداد عن ظهر جواده وقبل عنترة يده وقال يامولاى لماذا لا تعرف حقى كما عرفه القريب والبعيد وتبلغنى منك ما أريد فقال وما الذى تشتهى قل لى ما حاجتك حتى أقضيها . وأبلغ نفسك أمانيها . وكان شداد يظن أنه يطلب نوقا يقتنيها أو أبياتا يأويها فقال يامولاى أنى أحب أن تلحقنى بالنسب وتنزع عنى عار العبودية من بين العرب وأنا أكافئك بشىء لا يقدر عليه انسان واترك سادات العرب تخدمك فى كل مكان وأسوق اليك اموال العربان واساويك بملوك الزمان . قال فلما سمع شداد كلام عنتر قامت عيناه فى أم رأسه وانزعجت جميع حواسه وقال والله لقد حدثتك نفسك بأمر يحفر لاجله رمسك وقد لعبت خلعة الملك زهير بعطفيك ودخل كلامه فى أذنيك وطلبت أنك

تضعنى وترتفع وتتركنى حديثا لمن تحدث والله سمع ويا ابن المنتنة الابطين والواسعة الشدقين ما بقى لك جواب على هذا الكلام الا ضرب الحسام ثم جرد حسامه وهجم عليه وقد تهاربت العبيد من بين يديه وسمعت زوجته سمية فخرجت من الخباء مكشوفة الرأس منشورة الذوائب منزعجة الحواس ووقعت فى صدر شداد وقبضت السيف بيدها وقالت والله لا أمكنك من قتله لأننى ما أنسى فعاله ولا يضيع منك صنيعه وأعماله وان كان قد طلب منك شيئا لا يصلح له فان السكر قد غير عقله وما زالت ببعلها حتى سكن غضبه الذى كان قد انتهى اليه ثم أوخلته الخباء واضجعته والسكر قد غلب عليه وأما عنتر فانه استعظم زلته واستكبر فعلته واستحى أن يصبح فى بيوت بنى قراد ويقع نظره أيضا على نظر أبيه شداد فما كان له دأب الا انه قصد بيوت مالك ابن الملك زهير ومضى اليه وأمر العبيد ان يستأذنوا له بالدخول عليه وكان مالك بن زهير قد عاد من وليمة أبيه وهو فرحان بما نال عنتر من الرتبة الرفيعة لأنه من أصدقائه ومحبيه . فلما هم أن ينام دخل عليه عبده واستأذن منه بدخول عنتر فاندهش لذلك وتحير وقال لعبده مره بالدخول فوالله هذه أبرك الليالى بزيارة عنتر والمكان من الرقيب خالى فدخل وهو جارى الدموع بفؤاد موجوع فقال له مالك أهلا وسهلا ومرحبا ثم قربه وأجلسه بجانبه مرحبا به وسأله عن حاله فحدثه بما فعل أبوه شداد حين طلب أن يلحقه بالنسب وكيف أراد قتله من شدة الغضب وأنه لولا سمية تخلصه لكان أذاقه كأس العطب فقال له مالك والله ياعنتر لقد جنيت على نفسك بما عملت فماذا الذى حملك على مافعلت فأطلعنى على أمرك ولا تخفه فى صدرك وأنا أبلغ معك فى تدبيرى غاية الجهد ولا افتح عليك من هذا بابا لا يسد فاضطرب عنتر عند ذلك لما سمع كلام مالك وقال والله يامولاى ما حملنى على هذا الا الهوى الذى هد كتمانه منى العزائم والقوى ولولا تلهب قلبى بالنيران لم يجر على الليلة هذا الحدثان بل كنت كتمت هواى ودائى حتى يكون موتى وفنائى وأنت على كل حال مولاى وقد كفيتنى شر اعدائى ومن لى بمثلك لشكواى وأعلم يا مولاى انى أحب عبلة بنت مالك ابن قراد وهى التى طيرت من عينى لذيذ الرقاد وأبلتنى بطول العناء والسهاد وما

طلبت من أبى النسب الا لكى يسهل على وصالها بهذا السبب والقى نفسى فى كل مهلك وعطب واملأ عين عمى مالك بالفضة والذهب فأما أن أبلغ الآرب أواهلك على يد بعض فرسان العرب واستريح من عيشى الذى لا التذ فيه بنوال الطلب ، والآن قد انقطع منى الرجا ، وضاق صدرى ولم أؤمل فرجا ولم يبق لى مقام الا مع الوحوش فى البرارى والآجام لا ألتذ بمنام حتى ألقى كأس الحمام ثم زاد به الأمر فتنهد وبكى وأن اشتكى وتحسر حسرات متتابعة تدل على نيران تتلظى فى حشاه وان مالكا بكا على بكاه ورثى لبلواه وأنشد عنتر يقول صلوا على طه الرسول :

أأخفى غرامى فى فؤادى وأكتم ... وأسهر ليلى والحواسد نوم
وأطمع من دهرى بما لا أناله ... وألزم منه ذيل من ليس يرحم
وأرجو التدانى منك يا ابنة مالك ... ودون التدانى نار حرب تضرم
فمنى بطيف من خيالك واسألى ... اذا عاد عنى كيف بات المتيم
ولا تحزنى ان لج قومك فى دمى ... فمالى بعد الهجر لحم ولا دم
ولا تسألى نوح الحمامة فى الدجى ... فمن بعض أشواقى ونوحى تعلم
ولم يبق لى ياعبل شخص معرف ... سوى كبد حرى تذوب وتسقم
رتلك عظام باليات وأضلع ... على جلدها جيش الصدود مخيم
اذا عشت من بعد الفراق فما أنا ... كما أدعى يا عبل فى الحب مفرم
وان نام جفنى كان نومى علالة ... أقول لعل الطيف يأتى يسلم
أحن الى تلك المنازل كلما ... غدا طائر فى ايكه يتنغم
بليت من الهجر المضر واننى ... صبور على جور الهوى لو علمتم

قال الراوى فلما انتهى عنتر من شعره وشكا بعض ما يجد من نيرانه وتصاعد زفراته تساقطت دموعه على وجناته فقال له مالك والله ياعنتر لو أعلمتنى بهذا الخبر قبل أن ذاع واشتهر لكنت توصلت فيه بروحى وما أملكه من اللآلى والبدر وكنت دبرته بعقل سديد ورأى اكيد واما الآن فقد فسد الأمر واستبدلوا التمر بالجمر وأنا اعلم ان عبلة تحتجب عنك اليوم فى خباها ولا تعود تراها لأن أباها اذا علم أنك تطلب من ابيك انه يلحقك بالنسب يعلم أنه من اجل ذلك السبب فلا يعود يمكنك ان تلم بأبياته وربما القاك فى بعض المهالك ولا تأمن على نفسك بعد

ذلك والصواب انك تقيم عندى ههنا حتى اتحدث مع أبى ننظر لك تدبيرا حسنا فقال عنتر والله يا مولاى ما بقيت أقدر أن أقيم فى الحى الى ان تنطفى هذه النار وينسى هذا الحديث الذى صار وأكون أول النهار اخرج الى البر والصحراء ولا اعود الا فى المساء لانى مابقى لى عين أبصر بها أحد من الناس ولا سيما عمى مالك وولده عمر والربيع بن زياد واخوك شاس وبعد ذلك قطع هو ومالك بن زهير الليل والظلام بشرب المدام الى ان صار وقت الغلس وكان ضوء النهار يتنفس فركب عنتر الجواد واعتدل من بيت مالك بعدة الجلاد وصار حتى بعد عن الأبيات وهو لا يدرى الى اين يأخذ من الجهات وقد ضاقت عليه المذاهب واغلقت فى وجه ابواب كل الجوانب وصار يهيم ذات اليمين وذات الشمال بين الروابى والتلال الى ان تضاحى النهار عليه واتسع البر فى عينيه ففاضت دموعه وتهاطلت على خديه وتذكر فعل أبيه وقومه معه بعد ذلك الصنيع الذى صنعه فانشد يقول صلوا على طه الحبيب الرسول

وتوعدنى الأيام وعدا تغر بى ... وأعلم حقا أنه وعد كاذب
خدمت سا واتخذت أقاربا ... لعونى ولكن أصبحوا كالعقارب
ينادوننى فى السلم يا ابن زبيبة ... وعند اصطدام الخيل يا ابن الأطايب
ولولا الهوى ما ذل مثلى لمثلهم ... ولا خضعت أسد الشرى للثعالب
تذكرنى قومى اذا الخيل أصبحت ... تجول بها الفرسان بين المضارب
فان هم نسونى فالصوارم واقنا ... تذكرهم فعلى ووقع مضاربى
فياليت أن الدهر يدنى أحبتى ... الى كما يدنى الى مصائبى
وليلت خيالا منك يا عبل طارقا ... يرى فيض جفنى بالدموع السواكب
سأصبر حتى تطرحنى عواذلى ... وحتى يفج الصبر بين جوانبى
مكانك فى جو السماء محله ... وباعى قصير عن نوال الكواكب

قال الراوى ثم صار فى غير مقصد وهو ينظر الى البر والفدفد وأصبح الحى يموج بحديثه او حديث ابيه شداد وشمتت الأعادى والحساد وقالوا يا فضيحتنا بين العرب اذا علموا ان اولاد الزنا شاركونا فى الحسب والنسب وسمع أبو عبلة هذا الحديث فزاد به الغضب وقال

ما بقى لى غنى عن قتل هذا العبد ولد الزنا وان انتصر له الملك زهير وولده مالك وعجزت عن ذلك قتلت انا ابنتى عبلة ولا يمكن ان اقيم فى الحلة واجلب على نفسى عارا فى الجملة فقال له شداد اما قتله جهرا فليس بصواب لأجل الملك زهير ومن له من الأحباب ولكن نحن نهلكه بحيث لا يعلم به احد اما فى صيد واقتناص واما انفذه الى مهلكة لا يكون له منها مناص هذا ما جرى من هؤلاء واما شاس بن الملك زهير فانه لما سمع ذلك وعلم انه فى بيت اخيه مالك تقلد بسيفه وطلبه معولا على قتله وقال لا ابالى ان رضى او غضب لأجله ثم ذهب الى بيت اخيه مالك فما وجده فسأل اخاه عنه فجحده وقال له يا اخى ماذا تريد منه فقال اريد ان اقتله واعجل عليه اجله ومن تعصب له فعلت به مثله فتبسم من كلامه مالك وقال لا تفعل يا اخى فانه لم يرتكب جناية يستوجب عليها القتل العذاب وانما طلب لنفسه العلو كما يفعل كل احد ونحدث مع ابيه وهو سكران وما على السكران عتاب . وقد اعترف لما صحا بذنوبه القباح ومن اعترف بذنبه فما عليه جناح ومن شدة حيائه طلب الفلاة وربما التجأ الى بعض احياء العرب ولى عنا ولم نراه فقال شاس الى حيث لا يرجع ولا يبصر ولا يسمع وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهران وقعت عينى عليه لأقطعن رأسه من بين كتفيه على انك انت وابى اطمعتماه فتجاوز حده وتعداه لأنه ما طلب الحاقه بالنسب الا ليتزوج بعبلة بنت مالك وهذه غاية الوقاحة وسوء الأدب لأنه بالأمس كان من خدامها ويريد اليوم ان يصير مالك زمامها وكمان مالك يظن أن عنتر يعود اليه عند المساء من الصحراء فلما لم يعد فى تلك الليلة ضاق صدر مالك لأنه كان يحبه محبة صافية ومن شدة ما جرى عليه اعلم اباه بذلك فنال قلب زهير منال عظيم وعتب على مالك وقال له ويحك يا ولدى لماذا ما اعلمتنى حتى كنت اتوسط بينه وبين ابيه واتخذه الى ابياتى وازوجه من اراد ولو طلب احدى بناتى فقال والله يا ابتاه كنت خائفا من وقوع الفتنة وجلب المحنة لأنى رأيت مبغضيه اكثر من محبيه فخفت ان يثور الشر ويعظم الامر على انه خرج من عندى الى البر وقت السحر وقلت انه يعود فى المساء على الأثر والى الآن لم يجئنى منه خبر فقال الملك زهير لولده مالك لقد فرطت فى امره

ولابد لى من ان انفذ احدا فى اثره لأنى اريد ان اقف على اخباره واعيده الى دياره هذا ما كان من هؤلاء ، واما ما كان من عنتره فانه عند خروجه من الحى سار حتى ابعد عن الديار وصار يلتفت الى اليمين واليسار فرأى بين يديه خيلا سائرة وعليها نحو اربعين فارسا غائرة وهم بسيوف تلمع ورماح شرع وخيل تنهب الأرض نهبا وتقطع الفيافى بسيرها وثبا فحرك عنتر جواده ومال اليهم حتى اقبل عليهم واذا هم من بنى عبس والمقدم عليهم امير يسمى غياض بن ناشب وهو فارس سائرا فى تلك الجماعة يطلب الغارة والمكسب من بعض قبائل العرب معدود على خوض الشدائد والنوائب ولقاء الأهوال والمصائب وكان سائرا فى تلك الجماعة يطلب الغارة والمكسب من بعض قبائل العرب فبدأهم عنتر بالكلام وسلم عليهم فردوا عليه السلام وقال له غياض بن ناشب الى اين انت ذاهب فقال والله يابنى العم كنت خرجت اطلب الصيد فرأيتكم سائرين وعلمت انكم تقصدون بعض الأحياء غائرين فملت اليكم اطلب موافقتكم لعلى اكسب مما تكسبون واصيب مما تصيبون فقال غياض اهلا وسهلا سر على اسم الله فنحن نبلغك ما تريد ونفضلك على سائر العبيد فقال عنتر وما معنى هذا الكلام ايها السيد الهمام فقال ان العبد اذ غزا مع الأحرار له ربع سهم ولكن انت مانساويك بغيرك من هل العبودية بل نعطيك نصف سهم على وجه الهدية لأجل ما فيك من الشجاعة والحمية فقال بعض الفرسان والله ياغياض ان عنتر يستاهل نصف سهم واكثر ولو كان له حسب ونسب لكان يستاهل مثل ثلاثة فرسان من العرب لأجل ما فيه من الثبات عند الحرب والخبرة بمواقع الضرب والطعن فقال لهم عنتر ياقوم اسمعوا منى وانصفونى ولاتبغوا على ولا تظلمونى انا اكبس الأحياء وحدى واذا نفرت الخيل لقيتها بقوة ساعدى وزندى وتعطونى قسما كاملا من غير ظلم ولا تعدى فقالوا والله لقد انصفت فى مقالك وانك تستحق اوفى من ذلك ولكن انما نخاف من معيرة العرب اذا قسمنا على ابن الأمة مثل ابن الحرة المكرمة فقال لهم عنتر اعطونى النصف كما تريدون حتى لا تكونوا خرجتم عن سنة العرب ولا يقع عليكم لوم ولا عتب فقالوا نعم رضينا بذلك فسر معنا على اسم الله وهو مالك المماليك

قال فساروا القوم يقطعون القفار فى الليل والنهار حتى خرجوا من احياء بنى عدنان ودخلوا فى ارض اعدائهم بنى قحطان واشرفوا على بعض حال العربان فرأوا نعما لا تحصى وخيرات لا تستقصى والحى يضج بساكنيه ويرتج بقاطنيه وفى ذلك الحى قباب مضروبة وخيام منصوبة وخيول مجنونة ورماح شاعة وسيوف لامعة والخيل تلعب على مقاودها كأنها الغزلان وهى مختلفة الالوان من اصفر كالذهب واسود كالغبهب واحمر واشهب وابيض وأزرق واشقر وابلق والقوم آمنون من الطوارق غافلون عن البوايق فانصب عليهم عنتر ومن معه انصباب الغيث الدافق وانقضوا عليهم كالبواشق فقال غياض يابنى عمى هذه حلة كثيرة الأموال قليلة الرجال فدونكم واياها قبل ان يحول النهار وترجع عبيدهم والأحرار ثم انه زعق فى أوائلهم وحمل وتبعته الفرسان الذين معه مثل الغيث اذا هطل فساقوا الجمال من بين الأطناب واخذوا الكواهب والأتراب فركبت رجال الحى لترد الحريم فردها بنو عبس على الأعقاب وطرحوا اكثرهم على التراب وسطا عليهم عنتر بسطواته وابعدهم عن المال بحملاته وتواتر طعناته وكان فى الحلة فارس يقال له الحارث بن عباد اليشكرى كان قد غضب على قومه ونزل على هؤلاء القوم حردان وكان له عندهم مدة من الزمان فلما رأى هذه المحنة طرقتهم وفرسان بنى عبس دهمتهم عمد الى مهر له ادهم كأنه الظلام او سحابة من غمام وكان يقال له الأبجر وامه يقال لها النعامة وبها تضرب الأمثال فى ارض نجد وتهامة وابوه جواد يقال له واصل تنحسر عليه جميع القبائل فلما صار الحارث على ظهره صاح بين أذنيه فطار من بين البيوت كأنه بعض العفاريت الطيارة او زرق الشهب السيارة ووثب وثبات متداركات حتى صار على اعلى الربوات وامن صاحبه من الحوادث والآفات فلما رآه عنتر تعجب منه كل العجب وتحسر قلبه وتلهب وعلم انه اذا طلبه لا يلحقه الجواد لا يبلغ منه المراد وكان بنو عبس قد قلعوا الأحياء بما فيها وملكوا الأموال والخيول وعنتر عن كل هذه الأمور مشغول وفكره فى هذا الجواد يصول ويجول ثم اطلق عنانه نحو ذلك الفارس ووجهه كوجه الغول العابس ولما رآه الحارث اليشكرى طالبه لم يكترث به حتى قاربه فدق جنبات المهر بكعبيه وصاح

بين أذنيه واطلق له العنان فمر به ممر البرق وقت اللمعان وصار عنتر يطلب ان يدرك نظره مواقع حافره او يرى خياله بنواظره فاعجزه ذلك ولم يقدر عليه وفى دون لمح البصر غاب عن عينيه وخيل له انه سهم قد مرق او برق قد خفق فوقف وقد زاد به القلق ونسى عشق عبلة بهذا المهر الذى يجب لمثله ان يعشق وعاد وهو يتمنى ان يرجع يراه ولو قدر بروحه لكان اشتراه وساق بنو عبس الغنائم الى ان صاروا فى القفار وهى مالا يحصى من الخيول والجمال والمهارة وقالوا لعنتر يا ابن زبيبة تسلم هذه الأموال وسر حتى نتخلف نحن لمن يتبعا من الرجال لأن هذه الأرض كثيرة الطارق ولا نأمن من الحوادث والبوائق ففعل عنتر ما به امروه وقد علم انهم احتقروه فاسرها عنتر فى نفسه وصاح بالعبيد فساقوا بين يديه الغنيمة وقد وقع له فى قلوبهم هيبة عظيمة لاجل ما نظروا من حملاته وما شاهدوا من طعناته ومازالوا يسوقون الأموال والنساء يبكين على المنازل والاطلال ويندبن على من قتل لهم من السادات والأبطال حتى غاب بنو عبس عن عيون عنتر وصار بينهم فرسخ من الطريق او اكثر وعنتر يتلهب بنيران الحريق كيف يخرج من تلك الأرض والمنازل وما حظى من هذا الجواد بطائل الا انه ما غابت بنو عبس عن عيونه حتى طلع الفارس المقدم ذكره عن يمينه والمهر تحته وهو بين الروابى يهيم فى قلبه مما جرى على الحى من نيران الجحيم فلما رآه عنتر نادى وافرحاه بعد ترحاه بالله ايها الفارس قف قليلا واسمع خطابى ولك الزمام منى ومن اصحابى فوقف الحارث وقال يا اكرم العبيد تكلم بما تريد فقال اريد ان تبيعنى هذا الجواد الذى انت راكبه والا فاهدنى اياه ان كنت انت صاحبه فتبسم الحارس من كلام عنتر وقال يافتى والله العظيم لو انك سألتنى فيه قبل ان تفعل باهل الحى هذه الفعال كنت قدمته لك ومعه قطعة من الجمال ولكن يافتى هذا الجواد نجم راكبه مسعد وعدوه على كل حال مكمد واذا وقع صاحبه فى شدة مر به مثل مرور الرياح وطار به من غير جناح واذا كنت ما سمعت به فهذا الأبجر بن النعامة الذى تضرب به الأمثال فى نجد وتهامة ابوه واصل الذى لا نظير له فى خيل جميع القبائل ولم يكن مثله عند كسرى ولا قيصر ولا سائر ملوك بنى الأصفر ولكن يافتى ما ابيعك اياه الا برد الغنيمة ، وعزيز على ان انزل عنه بهذه القيمة فانكم قدمتم علينا بالشر

ومال قلبك اليه فانا لا امنعك منه ولكن استرد الغنيمة عوضا عنه ولا تظن انى تركت قتالكم خوفا من المنية بل خوفا على هذا المهر ان يصيبه سوء القضية فما انا بحول الله جبان ولا رعديد الجنان ولكننى فارس صنديد وذو بأس شديد وقد عارضتكم وسرت خلفكم وانا اظن ان ارى فرسان الحى فادلهم عليكم ويخلصوا الحريم والاموال منكم ويعجلوا حتفكم لانكم دهمتم الحى وليس فيه رجال فأطهم ما كان فيه الحريم والعيال فان كنت توافقنى فى المروءة وحسن الشيم فرد العبيد ودعها ترد المال والسبايا الى الاوطان وخذ هذا المهر الذى هو اعجوبة الزمان واعطنا من قومك الأمان ولا تظن انك فى الشراء خاسر وانا الرابح فوحق ذمة العرب لو لم اكن نزيلا عند القوم ما كنت عنه بسامح فلما سمع عنتر هذا الكلام على انه من اهل الكرم فاشتهى ان يساويه فى حسن الشيم فقال له يافتى اشتريت منك هذا المهر بهذه الغنيمة ولك على بعد ذلك المنة العظيمة وهذه يدى لك بالذمام وان عارضك احد من قومى جالدته بالحسام ثم عاهده واعطاه يده على هذا الكلام فلما استوثق منه باليمين نزل عن المهر وسلمه اليه واعطاه عنتر جواده ليعود الى منزله عليه وامر عبيد القوم ان يسوقوا السبايا والاموال وتعود الى المنازل والاطلال فرجعوا وقد علت منهم اصوات الافراح وعاد فسادهم الى صلاح واخذ بهم الحارث فى عرض البر الأقفر وعنتر يرعاهم حتى غابوا عنه وقد نال الحصان الأبجر وحصل ما كان عليه يتحسر ولكن ما غابوا عن عينيه حتى طلعت فرسان بنى عبس عليه فرأوه وحده والغنيمة ليست عنده فقالوا له ويلك يا ابن الامة الزنيمة ، اين تركت الغنيمة ، فقال يابنى عمى بعتها بهذا الحصان وتركت لكم فى هذه الأرض شكرا طول الزمان لأنى رأيت صاحبه حميد الشيم بادى الجود والكرم كثير الغيرة على الحرم وسمعت منه كلام اهل المروءة فاشتهيت ان اساويه فى الفتوة ولا اترك لنا فى هذه الأرض سمعة قبيحة ولا عارا ولا فضيحة والبر قدامنا واسع والرب ناظر وسامع وهو المعطى والمانع وان شاء الله لا نعود الا بما نريد ونرجع بالأموال والعبيد قال فلما سمع غياض ابن ناشب هذا الكلام غضب وزمجر كما يزمجر

الأسد الضرغام وقال ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا نحن مارضينا ان تعطيك مثل واحد منا فأخذت الكل وما سألت عنا وبعت واشتريت وتصرفت فى اموالنا كما اشتهيت فقال عنتر يابنى عمى الآن قد كان ما كان وانا اخلفها عليكم من غير هذا المكان وان طلبتم قتلى ما نعت عن نفسى بهذا الحسام ولا اعيش مفسوخ الذمام قال فزاد بغياض الغضب من هذا الكلام وقال لأصحابه اسقوه كاس الحمام وردوا الغنائم والأموال والانعام والا افتضحتم فى القبائل وصرتم مثلا لكل قائل فعندها هاج بنو عبس وتأهبوا لقتله مجازاة له على فعله فعند ذلك انفسخ عنهم عنتر بجواده ونزل عنه وشد حزامه وافتقد عذاره ولجامه وعاد الى ظهره اسرع من البرق وقد اظلم فى عينيه الغرب والشرق وصال وجال واوسع فى المجال ورأى نفسه قليل الناصر فى كل حال فعاتب دهره وانشد وقال صلوا على المبعوث بالكمال

اعاتب دهرا لا يلين لناصح ... وأخفى الجوا فى القلب والدمع فاضحى
وقومى مع الأيام عون على دمى ... وقد طلبونى بالقنا والصفائح
وقد أبعدونى عن حبيب أحبه ... وأصبحت فى قفر من الأرض نازح
وقد هان عندى بذل نفس عزيزة ... ولو فارقتنى مابكتها جوارحى
وآيس من كفى اذا ماممددتها ... لنيل عطاء مد عنقى لذابح
فيارب لاتجعل حياتى ذميمة ... ولا موتى بين النساء النوائح
ولكن قتيلا يدرج الطير حوله ... وتشرب غربان الفلا من جوارحى
رعى الله انسان أضاف بمعشر ... وأصبح امارا لنا بالمصالح
ولما رآنا قد طرقنا ديارهم ... على كل جوال من الخيل سابح
وعندنا بامـوال وبيض كواعب ... حسان بارداف ثقال رواجح
فداهن بالمهر الذى ليس مثله ... وباع الفتى بيع الكريم المسامح
ومن رام منكم يابنى عبس قتالنى ... فانى له فى الحرب أكبر فاضح

قال الراوى فلما سمع بنو عبس كلامه وقفوا عن قتاله وتأخروا عن نزاله وصار بعضهم يحرض الآخر ويتأخر وكان غياض قد تقدم فرجع وراءه وتقهقر فقالوا له يا غياض تشير علينا بالمقال وتتأخر وقت النزال فقال غياض يابنى عمى والله ما تأخرت عنه الا اننى ذكرت له وقعة جرت قضعفت نفسى وانكسرت فقالوا وماذا الذى ذكرته منه نريد ان تحدثنا عنه فقال رايته يوما وقد اعطاه الملك زهير فرسا فاخذه ليلجمه فتعاصى عليه فمد يده ومسك الفرس بقوائمه ورفعه على يديه حتى بان سواد ابطيه وجلد به الارض فخلط بعضه بالبعض والعاقل لا يتعرض له بقتال فيتركه مطروحا على الرمال فلما سمعوا ذلك المقال وقعت فى

قلوبهم الأهوال فقالوا لغياض تقدم يا ابن العم اليه وامنن بالغنيمة عليه ولا تدعه يشعر اننا خفنا منه لئلا يزيد طمعه فينا ويقول لنا ما اخليكم تروحون حتى آخذ خيلكم وسلاحكم والا انهب ارواحكم فتقدم غياض اليه وقال ويحك يا ابن العم أما تستحى ان تقاتل بنى عمك وتشهر فى وجوههم السلاح لما طلبوا منك المزاح . فما قدر هذه الغنيمة التى اخذت بها الجواد الذى تقاتل عليه اعدانا وتكفينا شر العباد فكف عنا شرك فما نحن جاهلون قدرك لأنك سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل قال ولم يزل غياض بن ناشب يلاطفه حتى لان وقال والله يابن العم ما أنسى جميلكم ابدا ولا اريد ان يصيبكم الذل والهوان ولكن اذا بلى الانسان بمن يطلب قتله دافع عن نفسه حذرا من حلول رمسه وقد اعتذرت اليكم فما قبلتم عذرى بل احتقرتمونى وجهلتم امرى والآن ما انا الا عبدكم بسيفكم اضرب وببأسكم اغلب وعاد غياض وهو يقول لقومه يابنى العم قد طلب منكم هذه الغنيمة فتنزلوا عنها وهو ان شاء الله يعوض عليكم مرة اخرى باحسن منها فقالوا له كلهم قد وهبنا الغنيمة اجمعها وبيننا وبينه نسبة لا نضيعها ثم انطفأت النار بينهم من الظاهر وبقيت فى القلوب والضمائر وعاد عنتر بالابجر ونال ما كان عليه يتحسر وكان هذا الجواد ادهم كأنه الغراب الاسجم تدوى له الاودية اذا حمحم النجم معقود بعذاره ولجامه والحرير ملمس جلده وعظامه والنخلة السحوق من حافره الى خزامة ظهره حسن اذا سار واذا ركض يقول طار كأنه القبة المبنية والعروس المجلية . قال الراوى ومن حذر عنتر على نفسه تجنب عن بنى عبس وانفرد وساروا وقد اشتعلت فى قلوبهم نار الحسد وبعضهم يقول لبعض بئس ما فعلنا بسكوتنا عن هذا العبد اللئيم الذى كأنه الشيطان الرجيم والله ان هذا اذا سمعت به العرب تقول ان بنى عبس خلت اموالها وغنائمها لهذا العبد خوفا من العطب فماذا يكون هذا العبد السوء حتى نعود نحن بالخيبة ويعود هو بالغنيمة والهيبة هذا يجرى بينهم وعنتر سائر بحذاءهم لا يلتفت اليهم ولكن عينه لا تزال عليهم وقد علم انهم يتشاورن فى أمره فاحترز منهم على نفسه ونوى ان كل من عارضه منهم اسكنه فى رمسه قال ولم يزالوا الى أن صاروقت المساء فاذا هم على ارض فيها واد واسع الفضاء

فنزلوا فى ذلك الوادى وبات عنتر حارسا حولهم وكان أكثر حرسه لنفسه لا لهم حتى ظهر الصباح بالاشراق وعولوا على الانطلاق فلاح لهم هلال على هودج مجلل بالديباج المدثر موشح بوشائح الحرير الاصفر على ناقة عالية السنام مليحة الخطام وحولها جماعة من العبيد والاماء بالدفوف والمزاهر ومعها ستون فارسا متقلدون بالسيوف البواتر معتقلون بالرماح الخواطر فلما نظر بنو عبس ذلك علموا ان فى الهودج عروسا قد اخذوها من اهلها وهم يسيرون بها الى بعلها فقالوا هذه غنيمة قد ساقها الله الينا وخلف بها علينا ثم انهم اكبوا رؤوسهم فى قرابيس سروجهم واغاروا عليها وساقوها مع كل من حواليها فتزاعقت الفرسان التى معها وحملت على بنى عبس اجمعها فتقلتها بنو عبس بضربات قاطعات وطعنات نافرات فقتلوا منهم خمسين وعاد منهم عشرة منهزمين الى اهلهم طالبين ووقع الفرح فى قلوب بنى عبس لاجل تلك النصرة العظيمة والتعويض عليهم من تلك الغنيمة ثم انهم بركوا الناقة فاذا فى ذلك الهودج جارية مثل القمر او مثل الصباح اذا اسفر وعليها كثير من حلل الوشى والديباج المرصع بالمعادن والجوهر الوهاج وبين عينيها درة تلتهب كالنيران وهودجها كأنه مقصورة من مقاصير الجنان فاندهلوا من ذلك الاتفاق البعيد وسألوا عنها بعض العبيد فقالوا لهم ياوجوه العرب وسادة الحى هذه امبمة بنت يزيد بن حنظلة الملقب بشارب الدماء سيد بنى طى وبعلها ناقد بن الجلاح الملقب بفارس اليمن وصاحب صنعاء وعدن وقد جسرتم على امر عظيم وركبتم طريقا من الخطر غير مستقيم قال فصاح بهم غياض وقال لهم ويلكم ياعبيد السوء هذا عظيم عندكم لا عند بنى عبس الذين لا يبالون بكل من طلعت عليه الشمس ثم ساروا يقطعون القفار والجارية فى هودجها تصيح بالبكاء وتذرف الدموع الغزار وكان عنتر قد سمع من العبيد صفة ابيها وبعلها وعلم انهما لابد ان يلحقاهم وعن المسير يعوقاهم وسمع ايضا محاورتهم من اجله وكيف قد عولوا على قتله ورأى قلة عنايتهم فحقد عليهم فى قلبه وقال فى نفسه والله لأعرفنهم قدرهم فى هذا المكان ولا ارجع اجاور عبسا طول الزمان ثم تقدم اليهم وقال هناكم الله بالنصر والظفر ياوجوه البدو والحضر فقالوا له وانت يابن زبيبة يأتيك مايسرك

ويدفع عنك ما يضرك فقال يابنى عمى أنتم تعلمون ان هذه الغنيمة اوفى من الاولى وقد اشتهيت ان تطرحوا عليها السهام وتقسموها الى اقسام ليفرح كل واحد منا بقسمه ويحميه بروحه وجسمه فقال واحد منهم ويلك يا عنتر تأخذ الغنيمة الاولى وحدك وتأخذ قسما من الاخرى التى لم تمد اليها يدك فقال ياموالى لان الغنيمة الاولى انتم وهبتمونى اياها وما جرت عادة السادات ان ترجع فى الهبات فقال غياض ابن ناشب صدق الرجل اطرحوا السهام على سائر الغنيمة وابصروا ماذا يحض الرجل منكم فاعطوه نصف القيمة فقال عنتر ياوجوه العرب عاملونى بالانصاف واتركوا الجور والاسراف فقال غياض وما معنى هذا الكلام يا ابن اللئام فقال اما سبق الشرط بينى وبينكم ان كل غنيمة تأخذها يكون نصفها لى وحدى وانتم تأخذون النصف من بعدى فقال غياض ويلك يا ابن السوداء لقد اسمعت اذنك المحال ورميت نفسك فى قيد الضلال فما انت الا مجنون بعد هذا المقال لعن الله ساعة صادفناك على الطريق وعدمنا من اجلها الرشد والتوفيق فقال عنتر المجنون من يرافقكم وانا لا آخذ من الغنيمة غير نصفها والا قاتلت عليها كلها حتى تشرب روحى كأس حتفها فعندها التفت غياض الى اصحابه وقال ياويلكم دونكم هذا العبد الاسود وقطعوه بالسيف المهند نحن نطرح فى المخاطر نفوسنا ونبذل للسيوف رقابنا ورؤسنا ويأخذ هذا العبد غنائمنا واموالنا ويطلب حربنا وقتالنا قال فعندها انتخت الرجال وتصايحت الابطال وابعد عنتر عنهم وجال وما بقى بينهم الا القتال واذا قد بان لهم غبار كالعمام السيار فنظروا اليه حتى انجلى للابصار واذا قد علا من تحته الصياح ولعت اسنة الرماح وفى اوائل القوم ابو الجارية اميمة القحطانى وهو يدمدم كالأسد وفى يده صارم مهند وعلى رأسه بيضة تتوقد وهو ينادى اين تذهبون يابنى الزوانى والطالب لكم بن يزيد حنظلة القحطانى قال وكان السبب فى وصول هؤلاء القادمين العشرة الذين سلموا من الوقعة الاولى وفروا هاربين لأنهم انقسموا قسمين فمضى منهم خمسة الى ابى الجارية وخمسة الى بعلها وكلهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وكانت حلل بنى طى اقرب فلما اخبروا ابا الجارية اشتعلت فى قلبه نار الغضب وركب بثلاثمائة فارس مثل أسد البطاح غائصين فى السلاح فلحقوا بنى عبس قريبا لأنه

كان قد عاقهم ما جرى بينهم وبين عنتر من الخصام الذى تقدم اليه الكلام ولما رآى عنتر الحيل قد تبادرت والفرسان قد تواترت علم انه يوم ثقيل وعلى آصحابه طويل فقال يابنى عمى جاءتكم الابطال واليوم يحل بكم الوبال لأنكم منعتمونى من الغنيمة حقى وطلبتم قتلى وقطع رزقى ولكن آنا آسامحكم لأنى فى نعمتكم تربيت وعلى خدمتكم انتشيت وهذه الغنيمة لكم وباسيافكم نهبتموها وبقوتكم ملكتموها وآنا كنت مزاحمكم فيها فاحملوا وخلصوها وقد اعترفت بذنبى وآعفيتكم من حربى فقاتلوا من آتى يآخذها منكم وها آنا معتزل عنكم فقال واحدمنهم صدق الرجل لأن ماله الا ما يحصل بلا تعب ولا يحسن آن يقاتل غيرنا دون العرب هذا وعنتر قد طلب رابية عالية ووقف فى اعلاها وآخرج رجله من الركاب وعلى عنق جواده ثناها وصار ينظر ما يكون من أصحابه فقربتهم الخيل وانتصبت عليهم مثل السيل فالتقوها بأسنة الرماح وعلموا آن ما بقى ينجيهم الا ضرب الصفاح ثم اشتعلت بينهم نيران الحرب واختلف الطعن والضرب وسالت الأدمية مثل السيل وصار النهار مثل الليل وعظم الحرب والويل وكثر على بنى عبس العدد وزاد المدد وسطا عليهم شارب الدماء وآخذ الأنفس الكرب والظماء وتحسروا على جرعة من بارد الماء وملك شارب الدماء ابنته ومن كان معها من الاماء وطلبت بنو عبس الهزيمة وكانت سلامة نفوسها عندها آوفى من الغنيمة ونظر الى آحوالهم عنتر فرد رجله الى الركاب واقتلع رمحه من التراب وتحدر من الرابية مثل العقاب وقال اريد آعرف بنى عمى قدر ماسمعت منهم من غليظ الخطاب واخليهم يعرفون كيف فعل آصحاب الأنساب ثم اتبع آثار القوم وقد صرخ فجاوبته الاودية والشعاب ودفع الابحر فمر به مثل مرور السحاب وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

اليوم تخبرنا العوالى ومضارب البيض الصقال
وتبين فى الحرب العوا ن لنا العبيد من الموالى
ما الفخر فى الملمات باللسا ن ولا بانساب الرجال
الفخر صبر فى الحرو ب على الملمات الثقال
ولقاء كل غضنفر متغطرس وافى السبال
فاختر لنفسك منزلا ترقى به فالعز غال
وانا ابن سوداء الجبين زبيبة راعى الجمال

الادرع عمى والحســـــا م أبى وهذا الرمح خالى

قال الراوى وكان بعض الخيل قد تبعت بنى عبس والباقون وقفوا مع الجارية فطلبهم عنتر وصاح فيهم صيحة زلزلت البادية وطعن فى أواسطهم فتفرقوا وبادأهم بطعناته وضرباته فتمزقوا ومن شدة الصياح سمع باقى الفرسان الذين تبعوا اصحاب عنتر والتفت المقدم عليهم فرأى ما حل بأصحابه من العبر فقال ياويلكم دهمتنا الرجال ولا شك أن هذا كمين فيه ألف من الابطال ثم عادوا وقد قلبوا الأعنة وقوموا الأسنة فتلقاها عنتر بطعن يسبق لمح البصر وضرب يوافق القضاء والقدر وقلب أقوى من الحجر وقد أعانه على ذلك سرعة جواده الأبجر لأنه كان اذا طلب لحق واذا طلب سبق وجعل يجول يمينا وشمالا وهو يجندل الفرسان حتى طرح أكثرهم فى تلك القيعان ، ونظر بنو عبس وقد انقطع الطلب عنهم فرأوه قد أوقد نار الحرب وأحزمها ونكس الفرسان وأجرى دمها ولم يثبت بين يديه أحد الا شارب الدماء مقدمها فقالوا والله ان هذا الفعل لا يقدر عليه أحد من أبطال العجم والعرب ويحق له أن يأخذ من الغنيمة كل ما طلب ثم صفت له منهم القلوب وصارت محبته فى قلوبهم كمحبة يوسف فى قلب يعقوب وحملوا ليعينوه بنيات صحاح ومدوا الى بنى طى قطع الرماح وأبصر شارب الدماء هذه النوائب وقد أتت اليه الفرسان من كل جانب فأطلق عنان جواده وولى هاربا وللنجاة طالبا وتبعه من بقى من رفاقه ولا يصدقون بالنجاة وعنتر يدمدم كالغول وينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أيا نفس صبرا عند مشتجر فان عزيز القوم من عز جانبه
ولا تطلبى منى الفرار فاننى لى الموت حلو ان تقع لى مضاربه
سأحمل فى الحرب العوان بهمة اذا النقع فى العبوق مدت سحائبه
وتبقى دماء القوم تجرى كأنها زواخر بحر فيه تسرى مراكبه
أيا عبل قد جاء العدا يطلبوننى يريدون قتلى والقضا من يغالبه
أيا عبل او شاهدتنى قد أحاطبى من القوم قرن ثم كلت مضاربه
أيا عبل مالى اليوم فى البر مسعف سوى السيف والمهر الذى أنا راكبه
أيا عبل كم من سيد قد قتلته وقد ندبت حزنا عليه حبائبه

وكم جحفل فرقته وقت معرك وكم ملك بالطعن فرت كتائبه

وكم فارس ألقى السلاح لهيبتى اذا جئته يوم الهياج أحاربه

قال الراوى فلما سمعوا هذه الأبيات تلقوه غير ذلك الملتقى وأنثروا له من المدح والثناء والدعاء بطول العمر والبقاء وقالوا له لله درك من أسد أسود وصارم مهند والله لو أخذت الأرواح وملكت الأشباح لكان ذلك أقل القليل فى مقابلة فعلك الجميل ثم اعتذروا اليه فقبل عذرهم وقال أنا لا أنكر فضلكم وما أنا الا عبدكم من جديد وقديم وبكم أعتز فى كل هول عظيم ثم جعلوا يجمعون الأسلاب والخيول والرماح والنصول وساروا طالبين الديار وهم فى غاية الفرح والاستبشار قال ووصل الخبر من الخمس الفوارس الآخرين الى بعل الجارية ناقد بن الجلاح المعنى المعروف بفارس اليمن وهو اسم فرسه الذى كان يفتخر بها على بنى معن وبنى قيس قال وكان ناقد بن الجلاح من ليوث البطاح وأسود الكفاح لا يخاف من طعنات الرماح وكان دأبه مصارعة الأبطال وحمل النوائب الثقال وكان اذا لطم الجمل أتلفه واذا أمسك قوائم الفرس الجارى أوقفه واذا هز الرمح الأصم قصفه وكان مع هذه القوة والشجاعة وحشى الخلقة قبيح المنظر أفطس الأنف غليظ المشفر وقد جرى له مع أبى الجارية وقائع حتى زوجه بها وفى هذه الأيام أرسل فى طلبها فزينها ابوها واخرجها مع السبعين فارسا الذين ذكرناهم والتقاهم عنتر والأربعون الذين كانوا معه كما وصفناهم ووصل الخبر الى ناقد بن الجلاح فاشتعلت فى قلبه نار لا تطفأ ولهيب لا يخفى وثار من مضربه ثوران الأسد وغاص فى الحديد والزرد وركب جواده وجمع قومه واجناده وخرج من الخيام وقد تبعه خمسة آلاف فارس همام وسار بهم وهو فى مقدمتهم يقطع القفار وفى قلبه لهيب النار وهو يود لو انه طار حتى يلحق اعداءه ويأخذ منهم بالثار ، وسار ثلاثة أيام بالليل والنهار حتى ، خرج من ديار بنى قحطان وعول أن يقصد ديار بنى عبس وغطفان ويلحق عنتر ومن معه من الفرسان ومن شدة حرصه فرق الخمسة آلاف فارس على الطرقات وملأ بها القفار والفلوات وكان عنتر ومن معه من الفرسان قد ساروا مسير الأمان لما خرجوا من أرض بنى قحطان وطلبوا ديارهم والأوطان وقد صفت لعنتر نبلتهم وبزرت لهفاتهم وداموا على مسيرهم خمسة أيام وفى اليوم السادس طلع من خلفهم الغبار والقتام وثار من

سائر الجنبات كما يثور الغمام وسمعوا فيه صياحا يقرع الآذان ويذهل الخواطر والأذهان فوقفوا ينظرون اليه ساعة من النهار حتى انكشف الغبار وظهرت تحته المواكب من كل جانب ولمعت الأسنة والقواضب وناقد فى اوائلهم كأنه الأسد الوثاب وقد كشف رأسه وخفف لباسه وهو ينادى اين تأخذون يابنى عبس الحريم ولكم مثلى غريم قال ونظرت فرسان بنى عبس الى هذا البلاء فهالها وكاد يقطع اوصالها وقال بعضهم لبعض هذه فرسان بنى قحطان كلها قد تحصنت باللقاح لنهب الارواح واليوم تباع النفوس بيع السماح وتتخضب الأجساد بأدمية الجراح وتتكحل المقل باسنة الرماح ثم التفتوا الى عنتر فرأوه يترزم ويتحزم وكلما رأى الخيل قربت منه يتبسم فتعجبوا من قلة اكتراثه بالرجال ومن سعة صدره الى لقاء الأبطال فقالوا له يا ابا الفوارس اليوم والله تؤخذ غنائمنا وتطير جماجمنا فقال يابنى العم الاعمار لا تنقص ولا تزيد ومن كان فى أجله تأخير لا يعمل فى جسده الحديد ويسلم من كيد الاحرار والعبيد ، وانا لمثل هذا اليوم كنت اطلب وارید ، لانى ماخرجت من العشيرة ولى نية فى العودة اليها لأجل ما تم بينى وبين ابى من الأمور التى اطلعتم عليها وانما اتفق لى معكم هذا الانفاق وكنت عائدا الى اهلى غير طيب الأخلاق والآن قد اشتعلت نار الحرب وما بقى يشفى قلبى سوى الطعن والضرب فمن شاء منكم فليحارب ومن ابى فلينصرف وهو هارب فانا لابد لى ان اكون لكاسها اول شارب فان سلمت كان ذلك غاية المرام وان قتلت فاقراوا على الملك زهير وولده مالك منى السلام ثم حرك جواده يطلب الفرسان القادمين وهو يهمهم كأنه أسد العرين وينشد ويقول صلوا على سيد من يصول ويجول

اليوم تنظر آل عبس مواقفى ... وفعائلى فى الحرب حين أجول
وترى قتالى دونها بعزيمة ... فيها مناديا الدارعين تصول
انا فارس الفرسان والاسد الذى ... باسى يخاف وصارمى مصقول
والجن تخشى أن تلم بساحتى ... ويخافنى وسط لرحال الغول

قال الراوى ولما فرغ عنتر من ابياته حمل على القوم وحده وشمر نحوهم ساعده وزنده فاحتاجت بنو عبس ان تقاتل معه القوم خوفا من العام واللوم وحينئذ اختلطت المواكب بالمواكب ، واختلعت رسل المنايا

بين مغلوب وغالب ، وندمت فرسان بنى عبس على الثياب وتحسرت على ما فات وقتل منهم عشرون من السادات والباقون أيقنوا بالحتوف وعاجل الممات ، وتشتتوا فى الفلوات ، وما فيهم من يصدق أنه قد نجا من الآفات واصطلى عنتر بنفسه نار الحرب وطلب صدور الفرسان بطعنات نافذات وضربات أخف من هبوب الرياح العاصفات وحمل حملات تهد الجبال الراسيات وأبصر ناقد أفعال عنتر وأهواله فاستعظم أمره وتقدم يريد قتاله فقال عنتر فى نفسه ان انا قتلته وقعت هيبتى فى قلوب الرجال وعاد بالابجر الى الوراء حتى اتسع له المجال وتبعه ناقد بن الجلاح وقد طمع فيه واستطال وصاح فى رجاله فوقفت عن القتال وأراد أن يرى زوجته فعاله بالأبطال فعاد اليه عنتر عودة الاسد الرئبال ثم اصطدما فكانا كانهما بعض الجبال ولعبا بالرماح الطوال حتى تحيرت فيهما عقول الرجال وجدا فى الطعان حتى اذهلا كل انسان وما زالا كذلك حتى خدر الساعدان وتعب الزندان وبانت الزيادة والنقصان واختلف بينهما طعنتان فاصلتان فكان عنتر أسبق وأعرف بمواقع الطعان وارشق فوقع سنانه فى صدر الجلاح فخرج من ظهره يلمع مثل نجم الصباح ومال الى الأرض يختبط فى دمه ويبحث بكفه وقدمه وابصرت فرسان بنى قحطان ما نزل بصاحبها فزعقت على عنتر من سائر الجوانب وقصدته بالرماح والقواضب وهى تقول لعن الله فطستك ياولد الزنا لقد قتلت فارس قحطان وجبار الزمان واطلقوا نحوه الأعنة وقوموا الأسنة وهو عن نفسه يدافع ويمانع ويتعلق باذيال الآمال والمطامع ويمدد الرجال مثل الضحايا ويوردهم موارد المنايا ولم يزل كذلك حتى كثرت فيه الجراح وسال دمه على أسنة الرماح لأنه ثبت للرماح وهى تنهبه وطاب له الموت وعذب مشربه ونادى بنو معن بعضهم وقد ملأوا بكثرتهم جنبات الأرض ياويلكم اقتلوا جواد هذا العبد الشديد السواد والا أفناكم ولم تبلغوا منه المراد فهنالك تقدموا على قتل جواد عنتر عزموا واذا قد ظهر غبار وارتفع بعد تفريقه اجتمع حتى اسودت به البرارى والقفار وحجب ضوء شمس النهار ثم انكشف للعيون وبان من تحته جيش جرار وفى مقدمته فارس يتمايل فى سرجه كأنه نشوان من شراب كأس العقار وذلك الفارس فاخر الثياب مليح الشباب وعليه درع معلم بالذهب بصفائح مثل النار ذات اللهب

والكل ينادون يالعبس يالعدنان ويتسابقون للحرب مثل العقبان قال وكان المقدم على ذلك الجيش مالك بن زهير المعهود سعيه بالخير وقد ذكرنا ما كان جرى على قلبه من فقد عنتر وانه اخبره اياه بعدثلاثة ايام فعتب عليه لأنه ما اعلمه قبل ذلك بالخبر وحينئذ انقذ الملك زهيرخلف شداد ولامه على تفريطه فى أمر عنتر وما صنع فى حقه من العمل المنكر فقال شداد يا مولاى والله ما كان السبب فى ذلك الا اخى مالك لأنه كان يبكى فى وجهى ويقول انابنك قضحنى فى ابنتى وانالحقتهبنسبك زاد طمعه فيها وما يرجع بعد هـذا يخليها ويكون آخر امرى اما ان اقطع رأسه بالحسام واما ان آخذ ابنتى وارحل عنكم بسلام فقال له الملك زهـير لقد فرطتم فيه ولو انى علمت به لأخـذته انا الى بيتى وزوجته باحدى بناتى وكنت افتخر به على سائر القبائل واملك بسيفه جميع المراعى والمناهل واى فخر يكون اعظم من هذا بين العربان اذا كانت عبيدنا تذل الفرسان فوحق ذمة العرب لابد ان اقف على اخباره واعيده الى دياره ثم ارسل بعض عبيده يقتفون آثاره فبلغهم انه رافق فرسانبنى عبس وغياض بن ناشب لأنه صادفهم فى البريد وهو ذاهب فعند ذلك امر الملك زهير ولده مالكا ان يركب فى طلبه وان اجتمع عليه لا يعود الا به فعند ذلك انتخب مالك من الابطال خمسـمائة فارس وساروا يقطعون الآكام ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع التقوا بالعشرين المنهزمين من اصحاب عياض بن ناشب فسألهم مالك عن عنتر فاعلموه الخبر وقالوا تركناه والخيل محيطة به والرماح تنهب جسده وهـو يكابد الاهوال وحده فبكى مالك وقال والله لا أعود حتى آخذ بثاره أو أعيده الى دياره وجد فى مسيره فادركه على تلك الحال وهو يصادم الأبطال ويلتقى بصدره الأسنة والنصال فقال مالكهلك والله ابنزبيبة واشرف على العطب وهو لا يرى على نفسه الهرب وصاح فىقومهواقتحم الفرسان واختلط بنو عبس وعدنان بينى معن وقحطان فاختلف الضرب والطعان واتسع على عنتر الميدان فتمكنت من الطعن الشجعان ونهبت الأرواح من الأبدان وجرت الدماء مثل الغدران وفعلت بنو عبس ذلك اليوم ما أزعج قلوب القوم وكانت فرسـانهم بعد قتلة ناقـد قد ذلت وابصرت هذه المصائب التى وقعت عليها فولت وما صدق مالك ان يرى

عنتر وهو سالم حتى كان ذلك عنده افضل الغنائم ولما خمدت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب دنا مالك من عنتر واعتنقه وانعكف عليه فترجل له عنتر وقبل يديه وجمعت بنو عبس الاسلاب والاموال وباتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وهم فى احسن حال ومالك يحدثه بما جرى له مع ابيه وكيف عتب على شداد ومالك وعنفهما لاجله وقال له ان أباه أرسله خلفه لكى يسترضيه ويرجعه الى أهـله فسر عنتر لذلك وانشرح وامتلأ قلبه من الفرح وقال يا مولاى ماكنت على نية العودة الى أهلى لولا قدومك واشتغال قلب أبيك من أجـلى ومن أنا حتى تحملوا لاجلى هذه الأثقال وكم لكم عبيد مثلى ترعى الجمال قال ولما أقبل النهار وعاد القوم يطلبون الاهل والديار والاموال تتسابق بين أيديهم والعبيد والاماء ، ومن الجملة أميمة بنت شارب الدماء ، وعنتر الى جانب مالك مسرور وبعظمة امره وانتشار ذكره ، فى حبور وكلما قرب من الاوطان لعبت به الاشجان وكلما هبت عليه الرياح زادت به الافراح فأنشد وقال صلوا على نبى الكمال

ذكرت عبلة والامواج تشـتجر ... والبيض مشهورة النقع معتكر
وقد أحاطت بى الفرسان واعتركت ... وسط المجال وجمر الحرب مستعر
بحيث لا التقى ملجـا ألوذ به ... وقد تدانى القضا المسطور والقدر
فلم يكن عن بعيد الحى يبعدنى ... بل كاد قلبى لفرط الذكر ينفطر
وحين أيقنت أنى ليس لى فرج ... أتى الى الـذى منـه لى الظفـر
سيفان من نصله سيف ومن يده ... سيف لقتل العدا صمصامة ذكر
أعنى به مالك الليث الهمام ومن ... الاسد فى غابها من خوفه الحذر
فرد عنى صدور الخيل فاندفعت ... مهزمة ورجال الخيل قد كسروا
وعدت وابن زهـير فى كتيبته ... والقوم سحم وهـذا بينهم قمر

قال الراوى وساروا يقطعون القفار واستنشق عنتر رياح محبوبته فجاش بالشعر خاطره فباح بما انطوت عليه ضمائره وقال صلوا على المختار من سائر الرجال

اذا الريح هبت من ربى العلم السعدى ... طفا بردها حر الصبابة والوجد
وذكرنى قوما حفظت عهودهم ... فما عرفوا قدرى ولا حفظوا عهدى
ولولا فتاة فى الخيام مقيمة ... لما اخترت قرب الدار يوما على البعد
مهفهفة بيضاء من سحر لحظها ... اذا كلمت ميتا يقوم من اللحد
أشارت اليها الشمس عند غروبها ... تقول اذا السود الدجى فاطلعى بعدى
وقال لها البدر المنير ألا اسفرى ... فانك مثلى فى الكمال وفى السعد
فولت حياء ثم أرخت لثامها ... وقد نثرت من خدها رطب الورد
وسلت حساما من لحاظ جفونها ... كسيف أبيها المرهف القاطع الحد
تقاتل عيناها به وهو مغمد ... ومن عجب أن يقطع السيف فى الغمد
مرنحة الاعطاف مهضومة الحشا ... منعمة الاطراف مياسة القد
يبيت فتات المسك تحت لثامها ... فيزداد من انفاسها أرج الند
ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها ... فيغشاه ليل من دجى شعرها الجعد
وبين ثناياها اذا ما تبسمت ... مدير مدام يمزج الراح بالشهد
شكا نحرها من عقدها متظلما ... فواحرنا من ذلك النحر والعقد
ترى تسمح الايام يا ابنة مالك ... بوصل يداوى القلب من ألم الصد
سأحلم عن قومى وان سفكوا دمى ... وأجرع فيك الصبر دون الملا وحدى

قال الراوى وكان عنتر ينشد ومالك يتبسم فرحا بشجاعته وعجبا من فصاحته الى أن فرغ من أبياته وهدأت نيران زفراته فقال له مالك اقر الله عينك وشرح صدرك وبلغك مرادك ويسر امرك فوالله لقد نشرت لعبلة ذكرا بين الأباعد والأقارب ولابد أن تسير بهذه الأبيات الرواة الى أحياء الاعارب ويشيع ذكرها فى كل الجوانب فتأتى اليها الطلاب وتكثر عليها الخطاب فقال عنتر يا مولاى وحق مالك على من الافاضل والمنن ما أحد يقدر أن يذكرها ما دام هذا الرأس مركبا على هذا البدن ، واذا كنت أنت لى فما أبالى بطوارق الزمن وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى الديار وسمع الملك زهير بقدوم ولده مالك وعنتر معه وقد عاد سالما من الدمار فركب وتبعه جماعة من السادات والاجناد

سوى ابنه شاس والربيع بن زياد ومالك بن قراد وكان شداد قد ذكر لأخيه مالك ما جرى له مع الملك زهير وكيف عاتبه من أجل عنتر فقال والله ياشداد أن رجع هذا العبد سالما وتعصبت له أنت وزهير تركت الحى وسرت فى البر الاقفر فقال شداد ياأخى لا تفعل ومن هو عنتر حتى أنك من أجله ترحل والصواب أن ندع هيبتنا عليه باقية ولا نرفع له رأسا بين البادية وأنا انفذه الى كل مصيبة والقى به فى براثن كل كتيبة ولا ازال به حتى اهلكه فى برهة قريبة قال وكان شداد يبرد قلب أخيه مالك بهذا الكلام ويرغبه فى المقام الى ان سمع بقدوم مالك بن زهير ومعه عنتر فى كل خير ورأى الملك قد ركب للتقاهما فركب شداد واخوه زخمة الجواد ولم يزل بمالك وولده عمرو حتى ركبا وساروا فى بنى قراد ولما رأى مالك أباه قد أقبل ترجل وسعى اليه وكذلك فعل عنتر وقبل كل منهما يديه ففرح الملك زهير وقال لعنتر اتظن ياأبا الفوارس أننا غفلنا عنك لما خرجت غضبان ، أو طابت لنا بعدك الأوطان ، فقال عنتر ايدك الله أيها الملك انى ما خرجت فى زى حردان وما أنا الا أقل العبيد والغلمان ولكن لما خرجت من حضرتك عثر لسانى مع مولاى شداد بذلك المقال وزين لى الطمع وجه المجال فطلبت ما لا يحق لى كما تطلب الجهال وما كان لى بعد غضبة الا الارتحال والآن قد حملتنى منة لا تطيق حملها الجبال فلا زلت محفوظا من حوادث الأيام والليال قال . ثم انتفت عنتر واذا مولاه شداد قد اتى اليه فسعى الى لقائه وقبل يديه وانشد يقول صلوا على طه الرسول

مولاى شداد انى جئت معتذرا ... فاقبل فديتك عذر المذنب الجانى
واسمح لك الخير عما كان من ذلل ... وامتن بعفو وافضال واحسان
طلبت ما لم يكن حقا وذاك من ... جبلى ومن سوء افعالى وعصيانى
وانت اسمح من كل الكرام كما ... نراك افصح من قس وسحبان
وبالشجاعة قد اصبحت منفردا ... يخشاك كل شديد البطش طعان
ومالك بن زهير ذاك خلصنى ... من العدا والردى والحرب تغشانى
اتى ففرقهم عنى بسطوته ... وردهم بحسام منه دنان
لا زلتما فى نعيم دائما ابدا ... ماغردت صادحات فوق أغصان

قال فلما سمع شداد هذا المقال ونظر الى تذلل عنتر بين يديه تحركت له جميع أعضائه دون سائر الرجال لأنه ولده على كل حال وقال فى نفسه لعن الله من يجحد وينكر مثل هذا الولد ثم انحنى عليه وقبل مابين عينيه وكانت كل بنى عبس تتعجب من مروءة عنتر وشجاعته وتنازله ووداعته وهم يقولون والله مارزق هذا من مواليه مثل مارزقوا منه لأنه يذل نفسه لهم غاية الأذلال وهم يفعلون فى حقه هذه الافعال قال وما كان ذلك لعنتر من حاجة اليهم ولكن هواه لعبلة أقامه فى ذلك ذلك المقام وما زال الهوى يذل أسود الاجام ويهين النفوس الكرام قال وقدم مالك الغنيمة بين يدى أبيه ففرق الدرع والخيل على عنتر وأصحابه وأما الجارية أميمة فانه أخذها الى ابياته وتركها عند حريمه وبناته ثم عاد عنتر وقد أصلح مالك بن زهير بينه وبين أعمامه وأوصاهم بالمحبة والرضا وانهم لا يعيدون ما مضى وكان الملك زهير قد سمع ما جرى لعنتر لما رافق السرية ورأى الابحر فتعجب منه وقال لولده مالك والله يابنى ما خلق هذا الحصان الا لعنتر ثم دخلوا الى الخيام والمضارب وما فيهم الا من تعجب بشجاعة عنتر وأفعاله الغرائب سوى عمه مالك وولده عمرو فانهما كانا فى غاية الهم والغم من ذلك الامر ومالك يقول لولده والله ياولدى ان الموت أهون من أن يكون عبد ابن أمة فى ابياتنا ويكون عاش فى رعى جمالنا ويصير أعلى منزلة من ساداتنا والله ان هذا مما يطمعه فى أختك فيفضحنا عند العربان طول الدهر والزمان فقال عمرو والله يا أبى لو كان هذا العبد يلزم أدبه لكان فخره الينا عائد وكنا نلقى به كل عدو وحاسد والآن ما بقى لنا الا ان نزوج اختى برجل يحميها او نرحل من هذه الديار ونخليها والا فالملك زهير ما لنا به طاقة ولا على غضبه استطاقة فقال مالك وحق الكعبة لاقلعن أثره واطفين خيره ولاعملن فى هلاكه التدبير ولا أخاف من ملك ولا أمير هذا وعنتر قد دخل على أمه زبيبة فقامت اليه وتلقته وهى لا تصدق أن تراه لأنها كانت تحبه أكثر من أخويه لانه جعل بيتها مثل بيوت الأكابر وجعلها تفتخر على كل أصحاب المفاخر وكان قد أهدى لأبيه واعمامه كل ما وقع بيده فى هذا السفر وما تعوض من الجميع الا بالايجر ولما أستقروا فى الخيام جمع الملك زهير أولاده العشرة وهم شاس وقيس ومالك وورقاء ونوفل وكثير وجندل

والحارث ونهشل وجندب ودعا بأخويه اسيد وزنباغ وجماعة من السادات المعتبرين وأضرموا النار وارتفع القتار ودارت ألكاسات ولعبت الخمور بعقول السادات وبينما هم كذلك واذا بالسماء قد تمخضت وغمامة سوداء قد تعرضت كما يشاء علام الغيوب ولمعت البوارق وانزعجت المغارب والمشارق ثم قوى عزم السحاب حتى فاضت الغدران بالماء العباب وتلاطمت أمواجها كملاطمة الجبال فى ذلك الوقت قال زهير لولده مالك فى مثل هذا الوقت نحب أن نسمع كلام عنتر من لسانه ونقضى باقى هذه الليلة فى منادمته لأنه فريد زمانه فأرسل مالك من ساعته فى طلب عنتر وما كان الا ساعة حتى حضر ودخل وسلم وأطلق لسانه وتكلم ففرح به أولاد الملك زهير وما منهم الا من رحب به وتبسم وكذلك الملك زهير رد عليه السلام وأكرمه غاية الأكرام وقال يا أبا الفوارس ويا زين المجالس لا يلذ لنا عيش ولا مسرة الا أن تكون معنا فى كل حضرة والساعة التى تكون فيها حاضرا ننال منها حظا وافرا فقبل عنتر يده ودعا له ثم قدموا بين يديه الطعام فأكل وسقوه المدام فنهل ثم قال له مالك يا أبا الفوارس حدثهم بما رأيت من أول سفرتك وما جرى لك مع رفقتك فأنا قد حدثت أبى عن البعض من شجاعتك وأنشدته ما حفظت من قصيدتك ولكن ليس الناقل مثل القائل فعندها ابتدأ عنتر يحدثهم بما جرى له مع غياض بن ناشب وأصحابه وأنشد القصيدة التى منها يقول : صلوا على الحبيب الرسول

فيارب لا تجعل حياتى ذميمة ... ولا ميتتى بين النساء النوائح
ولكن قتيلا يدرج الطير حوله ... وتشرب عربان الفلا من جوانحى

وحكى لهم كيف سبوا أميمة وأخذوها وكيف أختلفوا على الغنيمة التى اغتنموها ثم أنشد القصيدة التى من جملتها يقول :

مهفهفة بيضاء من سحر لحظها ... اذا كلمت ميتا يقوم من اللحد
أشارت اليها الشمس عند غروبها ... تقول اذا اسود الدجى فاطلعى بعدى
قوات حياء ثم ردت لثامها ... وقد نشرت من خدها ورق الورد

قال الراوى هذا والملك زهير يشرب ويطرب وقد سر بعنتر ، ومما جرى له تعجب وقال وحق ذمة العرب لقد أكتمل هذا الرجل فى

الشجاعة والفصاحة والأدب واكتسب من زمانه أحسن مكتسب ثم التفت الى أخيه أسيد وقال له يا أخى من اليوم فصاعدا تعتنى بعنتر وتكتب جميع ما يقوله من الشعر المفتخر فان لنا فى ذلك الشرف الزائد وفخره علينا وعلى قبائلنا عائد ، ثم دارت بينهم على حديث عنتر الكأس وكان حاضرا بينهم شاس فكان كلما رأى اباه يزيد لعنتر فى الأكرام يزيد فى قلبه الغيظ الضرام وما زال حتى قام عنتر مع شيبوب وأبعد عن أبياتهم لقضاء بعض الأشغال والسكر قد غلب عليه ومال فقال شاس لأبيه : والله يا أبتاه ان هذا العبد قد كسانا وبنى قراد عارا بين العشائر وقبائل العرب بذكره لعبلة وعشقه لها وهو كما علمت عديم الحسب والنسب وسنكون بسببه هزءة فى جميع الأقطار اذ سمعت العرب ان عبيدنا تعشق البنات الأحرار غيرانى لا الومه على ذلك لان كل أحد يطلب لنفسه العلو والافتخار ولكنى أعجب منك كيف تطمعه فى ذكر البنات العربيات وتحسن له أن يذكر المخدرات وقد كان بالأمس لعبلة عبدا ذليلا فكيف يصير لها اليوم بعلا وحليلا ولئن تم هذا الأمر بزواج عبلة لهذا القرنان ليركبنا العار الى آخر الأزمان ، قال فلما سمع زهير منه ذلك قال له : ويلك يا شاس ما هذا القول الباطل الذى لا يتكلم به الا كل أحمق جاهل ومن ترى يقدر أن يرد أحكام الخالق العظيم أو يمنعه أن يتم سعد عبد أو يتيم وربما يكون لهذا العبد سعادة ويبلغه ربه الارادة وها قد بدت له السعود وأجهل الناس من يكون لأهل السعادة حسود . فانه قط فى عمره لا يسود ، قال فبينما هم على ذلك واذا بعنتر قد حضر وعيناه ترشق أبيات عبلة بالنظر وقد أبصر بها نارا توقد فتنفس الصعداء وأنشد : صلوا على النبى الحبيب مُحمد :

هذه نار عبلة يا ندمى ... قد حلت ظامة الظلام البهيم
تتلظى ومثلها فى فؤادى ... نار شوق تزيد فى التضريم
أضرمتها بيضاء تهتز كالغصـ ... ـن اذا ما انثنى بمر النسيم
وكستها أنفاسها أرج النـد ... د فتنا من عرفها فى نعيم
كاعب رقصها الذ من الشهـ ... ـد اذا مازجته بنت الكروم
كلما ذقت باردا من لماها ... خلته فى الفؤاد نار الجحيم
سرق البدر حسنها واستعارت ... بسحر أجفانها ظباء الصريم

انتهى الجزء الثانى من قصة عنتر بن شداد ويليه الجزء الثالث .

الجزء الثالث

من سيرة
عنتر بن شداد

وغرامى بها غرام مقيم ... وعنابى من الغرام المقيم
واتكالى على الذى كلما ابـ ... ـصر ذلى يزيد فى تعظيمى
ومعينى على النوائب ليث ... هو ذخرى وفارج لهمومى
ملك تسجد الملوك لذكرا ... ه وتومى اليه بالتفخيم
واذا سار سابقته المنايا ... نحو اعداه قبل يوم القدوم

قال الراوى فسر الملك زهير لما سمع شعر عنتر وأثنى عليه وشكر وقال : وحق ذمة العرب لقد وليتنا من الأفضال ما لا يكافأ بنوال ولقد غمرتنا باحسانك وتفضلت علينا بكرمك وامتنانك ولقد فقت على أقرانك وافتخرت على أبناء زمانك ثم أن الملك زهير أهدى عنترا مولدتين بكرين ناهدتين مضختين بالمسك والعنبر وفى عنق كل جارية منهما عقد من الجوهر ، وقال له يا أبا الفوارس قد ذكرتنى فى شعرك بكل جميل فحق لك على الجزاء الجليل غير أننى ما أرضى لك بهذا القليل ولا اتخلى عنك حتى تنال اعلى المطالب وتطيعك الاهلون والقرائب واننى وحق رب البيت لو أنك تكون عندى لكنت ألحقتك بنسبى وشاركتك فى حسبى ولو عيرتنى بذلك جميع قبائل العرب وأولى المناصب والرتب ، قال وأما شاس فانه غلب عليه الكمد والحرج فقام من عند أبيه وخرج وفى قلبه من عنتر نيران تتأجج ومكث عنتر عند الملك زهير عند الانشاد وشرب المدام حتى انشق حجاب الظلام وانبلج نور الفجر وقد لعب برأس عنتر السكر وبعد ذلك خرج عنتر هو ومالك حتى أبعدا عن السرادق فتوادعا هنالك وسار عنتر وشبوب بين يديه والطيب يفوح من ردنيه حتى وصل الى بنى قراد فرأى نيرانهم زائدة الاتقاد ونيران باقى الحلة خامدة وأعينهم راقدة فأنكر ذلك وسأل أمه عن الخبر : فقالت له : ان مولاك شداد وأخوتك ركبوا وأخذوا فى عرض البر الأقمر وساروا فى عشرة فرسان على

غنيمة وبقيت النساء فى الاحياء مقيمة وهن ينتظرنك حتى يأتين اليك ويسلمن عليك ويسألنك عن سفرتك ويحظين بحديثك ورؤيتك واشوقهن اليك محبوبتك عبلة ابنة عمك التى لا تزال تنتظر حلول قدومك . قال : فلما سمع عنتر ذلك طار من رأسه السكر وحلت مكانه البلابل واشتغال الفكر واشتاق الى مغازلة عبلة ومرآها والتمتع بجمالها وسناءها ثم دخل بين المضارب وقلبه من الأشواق لاهب حتى وصل الى النيران فرفعته النسوان ونهضن اليه وما فيهن الا من فرحت به وسلمت عليه وقالت له سمية امرأة أبيه : ويلك يا عنتر أما رويت من الخمرة ولا شبعت من السكرة الى كم تسهر أعيننا فى انتظارك وأنت مشتغل بخمارك . فقال لها عنتر : وذمة العرب ما علمت ما جرى عندكم من الأحوال ولا دريت بغيبة الرجال ولو علمت ذلك لأتيت أسرع من هبوب ريح الشمال . ثم تقدم الى عبلة وأمها وسلم عليهما ووقف بين يديهما ، ولما راى عبلة تبكى وأشتد به العشق والهيام وجعل يخاطبها بألطف خطاب وأرق كلام . فقالت له عبلة : ويلك يا عنتر كف دموعك ، وأقلل تفجيعك فأنشد يقول : صلوا على أشرف رسول :

كتمت غرامى باجتهادى وطاقتى ... وأخفيت وجدا فى الحشا يتضرم
وما زال بى الكتمان حتى كأنه ... يرد جوابى فى الهوى وهو أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمى ... وما أحد من السن الناس يسلم

قال الراوى وكانت دموعه لعلة شفيعة ، ونظرها لقلبه نبلة مريعة ، الا أنها لما رأته تلك الليلة على تلك الحال قالت له بكلام الدلال ويلك يا ابن زبيبة أين قسمى من الغنيمة أو ما كان لى عندك قدر وقيمة . فقال لها : وحياة عينك العزيزة عندى ما أنت الا روحى وكبدى وأعز من ساعدى وزندى ولكن وحق جبينك وضياء وجهك وبهائه ما بقى فى يدى منها عقال ولا مال ولا نوال بل قدمت الكل الى ابيك وأعمامك فى الحال ثم أعطاها المولدتين والطيب والعقدين وقال لها : هذا الطيب أنت فى غنى عنه ، وهذا الجوهر عنقك أبهى منه ، فضحكت من كلامه وشكرته على أنعامه وسألته عن سفرته فحدثها بالجميع وقد صار له فى قلبها المكان الرفيع . ولما فرغ عنتر من حديثه سأل عن أبيه شداد

وأعمامه ، فقالت له النساء انهم ساروا يطلبون غنيمة من حين أقبل الليل بظلامه وقلوبنا خائفة عليهم لأن العبيد أخبرونا أن الغنيمة مع قيس بن ظبيان الحارثى فارس أرض اليمن كلها ومبيد الأبطال ومذلها وهم الذين أخبروا مولاك عنها اليوم وقالوا له ان الرجل قد نزل على غدير أرض الدوم ، فقال شداد أنا أسير اليه واقلع الغنيمة من يديه ثم ركب ومعه اخواه مالك وزخمة الجواد وتمام العشرة من الاجياد وطلبوا غدير أرض الدوم وهذا آخر العهد من القوم ، فقال عنتر : وحق ذمة العرب لقد ركبوا طريق الخطر وساروا على غرر لان هذا قيس بن طبيان فارس بنى قحطان وأنا أعلم أنهم معه يخسرون ولا ينالون ما يشتهون . أنا ما بقيت اقدر ان اصبر عنهم ولا أؤاخذهم بفعلهم لأنهم ساروا وما أعلمونى وقد احتقرونى بجهلهم ثم ودع عبلة وقال يا مولاتى هذه ليلة ما أظن أن أرى مثلها فى المنام أو تغلط بمثلها الأيام .

قال الراوى فملك عنتر قلب عبلة بهذا المقال وقالت له أمها أنت اليوم يا عنتر أعز من عندنا من الرجال ونحن ما حجبنا عبلة عنك الا لما سمع أبوها من كلام الحساد والعذال قال الراوى وبعد ذلك عاد عنتر وأخذ رمحه وتقلد بحسامه وخرج بأخيه شيبوب وسار فى طلب أبيه وأعمامه فلما أبعد عن الأبيات قال له شيبوب : أعلم يا أخى ان قلبى غير طيب بمسيرك اليهم لان كل ما تفعل لهم ضائع ، وتعبك معهم غير نافع ، فقال عنتر ولماذا ياشيبوب ، فقال يا اخى اعلم امرأة ابيك شداد قالت لى من أول الليل حذر أخاك من مالك وولده عمرو فقد عولا على قتله وهما يخفيان الأمر وسمعت من عبلة هذا الكلام وقد أمرتنى ان احذرك منهما فعلى نفسك الملام ، فقال عنتر ويلك ياشيبوب أنا ما سمعت من سميا شيئا من هذا المقال ، فقال شيبوب : ياأخى ما أمكنها ان تحدثك وانت بين النساء والرجال وانت كنت أول الليل عند الملك زهير واتفق سيرهم فى طلب الغنيمة ولولا ذلك كان ابو عبلة القاك فى مهلكة عظيمة والصواب اننا اذا لحقنا القوم وهم فى القتال نأخذ حذرنا منهم والا اغتالونا ولأجل هذا سار شداد وما أعلمك بالحال ، فقال عنتر : ويلك يا شيبوب سوف اريك من يلوم نفسه على القبائح ومن الذى تحل به الفضائح ويظهر منا الخاسر من الرابح ،

قال ثم ان عنترا اركض جواده وشد اجتهاده وهو قاصد اليه وشيبوب يجرى بين يديه فلما توسط فى البر تذكر أحواله وما جرى له فأنشد وقال صلوا على خير من تشد له الرحال :

أسير بعون الله نحو النوائب	واطعن فى الاعداء من كل جانب
اما علمت فرسان قحطان أننى	أقلق هامات العدا بمضاربى
أنا عبل ثم من سيد قد تركته	طريحا يعض الأرض فوق السباسب
أنا عبل لو عاينت فى الحرب موقفى	ومالى معين غير رمحى وقاضبى
أنا عنتر المعروف فى كل مشهد	ونجمى ترقى فوق أعلى المراتب
سألقى ملوك الأرض شرقا ومغربا	وأجرى دم الأبطال مثل السحائب

قال الراوى : ثم أنه جد فى السير حتى هجم الحر واشتعل البر واذاهم بفارس فى الحديد غاطس وهو راكب على جواد ينهك الطريق ودرعه فى الدماء غريق فقال عنتر واحرباه من هذا الحال والله ان هذا لبئس التشاؤم ثم تأمل فى ذلك الفارس واذا هو من بنى قراد أحد رفاق ابيه شداد وفيه جرح وثيق وله زفير وشهيق فقال له عنتر ما هذا الحال يا ابن العم فقال والله يا أبا الفوارس ما طلع سهمى من هذه الغنيمة الا هذه الجراح العظيمة وان جاروا على وأخذوا زيادة من حصتى فهم فى حل من جهتى . فتبسم عنتر وقال له ويلك ما معنى هذا الكلام قال اننا سرنا مع أبيك وأعمامك من أول الليل حتى نكبس بنى قحطان ونأخذ الغنيمة ونرجع بالأمان فرأينا قيس بن ظبيان يحرسهم فلما أحس بنا حمل علينا وطلبنا وأول ما طعن أنا وبعدى طعن عمك وولداه وأخذهما أسارى بالذل والعناء ثم دار قومه منا كسباع البرية وفى دون ساعة قتلوا أربعة منا وأسروا البقية وهربت أنا فى الفلا وقد أصابنى هذا البلا فان كنت تريد أن تلحقهم فها هم بين يديك وان أردت السلامة فارجع واقبل منى ما أشير به عليك . قال عنتر لا وذمة العرب وشهر رجب لاعدت حتى أوشح الكل بحسامى وأخلص أبى وأعمامى فانطلق أنت امامى وان كنت قد عجزت عن المسير فانزل الى جانب هذا الغدير حتى أعود اليك وترى ما تنال به قرة عينيك . فقال وذمة العرب انه ما بقى لى كبد ولا فؤاد ولا رمق امسك به نفسى على ظهر الجواد ثم قال لشيبوب اطرحنى على جانب الغدير لعلى أبقى الى حين ترجعون لأننى مشرف على شرب كأس المنون فطرحه شيبوب

على جنب الغدير وسار مع أخيه حتى أشرف على القوم والخيل تنساق قدامهم كالحمير وقيس بن ظبيان على آثارهم وشداد ومن معه فى الوثاق وقد كادت ارواحهم تبلغ التراق فحانت من قيس التفاتة فرأى عنترا وهو يركض من وراه فجمع أصحابه وتلقاه ثم دنا منه حتى قاربه وقال له ويلك من تكون فانى أرى جلدتك جلدة العبيد وهمتك همة الصناديد . فقال له عنتر الويل لك سوف تعلم من التقاك من الفرسان اذا انطرحت قتيلا تأكل لحمك العقبان وتشرب دمك الغربان. صلوا على سيد بنى الانسان .

قال الراوى : ثم انه حمل على قيس بساعد شديد وقلب اقوى من الحديد وجالا وأوسعا فى المجال وتطاعنا طعنا يقرب الآجال وتشيب منه الأطفال وأبصر شيبوب أن أخاه على عدوه قد استطال فصار يقول يا ويلكم اطلبوا لأنفسكم النجاة يابنى قحطان فقد أدركتكم بنوعبس وغطفان وقتل مقدمكم قيس بن ظبيان فلما سمع القوم الصياح طلبوا شيبوب بالرماح وقالوا له كذب تشاؤمك وساء مقالك وخابت آمالك ولما قربوا منه جعل يرميهم بالنبال فبشك بها مقاتل الرجال . واذا أدركته الخيل يسعى مثل ريح الشمال فكانوا يتعجبون من فعاله ويتعوذون من نباله وظنوا أنه شيطان فى صورة انسان ولم يزل يحمل عليهم ويمنعهم عن المسير حتى أدركته الخيل وصار النهار عندهم مثل الليل فعثر شيبوب بحجر فوقع على قفاه وحل به الاسف واشرف منه على التلف واذا بعنتر قد طلع كأسد البيداء وسنانه يقطر من دم الأعداء وكان قد جاول قيس بن ظبيان حتى أضجر وأكربه وطعنه بالرمح فى صدره فأهلكه وأدرك أخاه وهو على تلك الحال فكشف عنه الرجال ونهب مهج الأبطال وأبصرت بنو قحطان أهواله فولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وما نجا منهم الا من كان له عمر مديد والباقون انطرحوا على وجه الصعيد لا يقومون الى يوم الوعيد واحتوى عنتر الغنيمة وخلص قومه من المهالك وفرحوا كلهم سوى عمه مالك فان الموت كان أهون عليه من ذلك الا أنه شكر عنتر مع من شكر وأظهر له خلاف ما أضمر وعاد القوم يسوقون الغنائم بعد ما كانوا يساقون كالبهائم هذا وعنتر يعاتبهم ويقول لهم أنتم سرتم وما أعلمتونى بالحال فكأنكم خفتم أن أقاسمكم فى الغنيمة والأموال وأنا وحق ذمة العرب

وشهر رجب لو ملكت كل مال الأرض لا أطمع منه فى عقال وما قصدى الا رضاكم على كل حال . فقال له شداد نحن سرنا وأنت عند الملك زهير فى مسرتك وكنت تعبانا من سفرتك فتركناك حتى تستريح وفى الآخر احتجنا الى نصرتك فشكرهم عنتر على هذا المقال وساروا طالبين الأوطان والاطلال حتى أدركهم المساء فنزلوا على الغدير الذى ترك شيبوب عنده ذلك المجروح فوجدوه فارقت جسده الروح فحزنوا عليه وقالوا لقد فقد لنا أبطال كانوا أحسن لنا من الغنيمة وأفضل من المال وكان ذلك الغدير فى واد واسع الجنبات كثير النبات فتعجبوا من حسن ذلك الوادى ثم استراحوا هناك الى أن طلعت الشمس وامتد نورها على البوادى فساروا حتى أشرفوا على الأحياء واذا بالملك زهير يتنزه على غدير ذات الاصاد ومن حوله أولاده والى جانبه الربيع بن زياد ولما اشرف شداد وابصر الملك راكبا عدل اليه وسلم عليه ومد الغنيمة بين يديه وحدثه بما جرى وكيف خلصوا ووصلت اليهم الغنيمة واخبره عن عنتر كيف اباد الفرسان وقتل قيس بن ظبيان فتعجب الملك زهير من حديثه وقال ياشداد لا ترجع تسوم عنتر سيمة العبيد ولا تمنعه مما يريد واحفظ له هذه المكرمة مع ما تقدم له من الاحسان على طول الزمان وانا ناصح لك بهذا الكلام ولا أريد لك الا الخير والسلام . قال فاغتاظ من هذا الكلام شداد وكذلك جماعة من الحساد مثل شاس ابن الملك زهير والربيع بن زياد وملك بن قراد وفرح مالك بن زهير به لأنه من المحبين لعنتر وقسم الملك زهير الغنيمة بينهم بالسوية وتركها لهم بالكلية فلما عرف كل واحد سهمه وحقق منه قسمه وهب عنتر جميع غنيمته لأبيه وعمومته وقال ياقوم العبد وما تملك يداه فى حوزة مولاه فتعجبت العرب من فعاله ونزاهة مقاله ولما فرغت الابطال من قسمة الأموال دعا الملك بعنتر وقال له يا أبا الفوارس قد عولنا اليوم أن نشرب على هذا الغدير فانشدنا شيئا من شعرك المطرب لأن الخيل تشرب بالصفير . فانشد من فوره يقول صلوا على الحبيب الرسول :

لقد جاءك الأمر الذى أنت طالبه ... فعش سالما قد أمنتك عواقبه

وهذا غدير أنت أعذبت ماءه ... واولاك ما انهلت عليه سحائبه

وقفت به فاخضر جذع نباته ... وزاد ابتساما شرقه ومغاربه

وفاح نسيم المسك من نور زهره ... وبانت لنا آياته وعجائبه
فدعنا نقضى حقه بمدامة ... الى أن نرى فاضت علينا جوانبه
ونشرب بالطاسان معك مسرة ... ونسحب ثوبا أنا بالفخر ساحبه
فوجهك بسام وجدك صاعد ... وسيفك فى أعداك تدمى مضاربه
اذا قيل أى الناس أوفى عزيمة ... وأى فتى لم تحص يوما مناقبه
لقالوا زهير قد حوى الفضل كله ... علا فى محل لا تنال مراتبه
أضاءت لنا أفعاله غيهب الدجى ... أنارت الى أن نظم الجزع ثاقبه
مليك له كل البرية أعبد ... تخر له طوعا وتخشى عواقبه
وأولاده سادات عبس ومنهم ... أسود وأحظى بالذى أنا طالبه
وبان لكم فضل يؤرخ فى الورى ... ويروى ولم يتعب من النسخ كاتبه

قال فطرب الملك زهير وأمر العبيد فاحضروا المدام ونحروا النوق والاغنام وانضجوا الطعام و طابت لهم الاوقات ونقرت الدفوف من سائر الجنبات ولعبت الخمرة برؤوس السادات . فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طلع وعجاج قد ارتفع وبان من تحته مائة فارس كالليوث العوابس يتقدمهم غلام معتدل القوام كانه البدر التمام عليه ديباجة رومية وهو على ظهر مهرة عربية . قال وما زالت الخيل تدنو منهم حتى وصلت اليهم فترجل ذلك الغلام المقدم اليهم وسعى الى أن وقف أمام الملك زهير فسلم عليه وقبل الأرض بين يديه ثم بكى بدمع هطال وأنشد وقال صلوا على نبى الكمال :

يا أما الملهوف والمستجير ... كن معينى على العدا ونصيرى
أنت ربيتنى صغيرا ومن نعمـ ... ـماك جبر لعظم قلبى الكسير
سيدى قد رمانى الزمان فؤاد ... ى بسهام كشفن سر ضميرى
وابتلانى بظالم طبعه الغدر ... وهتك الابكار ذات الستور
كلما سار طالب الحرب سارت ... خلفه الخيل داميات الصدور
ورماح كانها قصب الغا ... ب بأيدى فوارس كالنسور
فأجرنا من شره وأغثنا ... قبل تسبى نساؤنا بالشعور

قال ثم ان الغلام بعد انشاده بكى بين ايدى الملك زهير واولاده فوثب مالك بن زهير اليه وضمه الى صدره وقبله بين عينيه ثم تواثبت

اخوة مالك الى ذلك الغلام وسلموا عليه وقالوا له يا أخانا اخبرنا بقصتك حتى نحمل عنك الأثقال ونبلغك الآمال ولم يزالوا يمسحون جفونه الى أن انقطع، بكاؤه وجفت مجارى دموعه وسكنت النار التى بين ضلوعه . قال وكان هذا الغلام أخا مالك بن زهير من الرضاعة لأن أباه كان قد سبى أم هذا الغلام من بنى مازن فى بعض غزواته واتى بها الى ابياته وكان هذا الغلام صغيرا وكانت تماضر أم مالك ترضعه فسلمته اليها واعتمدت فى تربيته عليها وكان ذلك الغلام اسمه حصن فنشأ مع مالك وكان أبوه يسمى الحارث وقد قتل فى المعمعة وسبيت أمه كما سبق الكلام على ذلك وبهذه الوسيلة استغنت أم حصن من بيت الملك زهير ونالها منه كل خير ثم اشتاقت الى أهلها فاستأذنت الملك وذهبت الى أوطانها وأعطاها ما تعيش به مع ولدها كل زمانها وربى عند بنى مازن ذلك الغلام وفيه روائح بنى عبس الكرام فخرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة ولما بلغ مبلغ الرجال صار يشن الغارات ويلقى السادات والأبطال وله بنت خال بديعة الجمال فهواها وزاد عشقه فيها واستحيا ان يخطبها من ابيها وصار يكتم حاله ويكابد غرامه وبلباله الى أن قدم على أبيها رجل من بنى البراجم يقال له عوف وكان رجلا من الابطال كثير المال والرجال فاضافه ابو الجارية ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع نض عوف وقال أيها السيد قد اتيتك خاطبا وفى كريمتك راغبا وأريد أن لا تضيع حق قدومى عليك وأطلب مهرها وما تقربه عينك . قال فلما سمع أبو الجارية هذا الخطاب أراد ان يجيبه بالايجاب فسبقه حصن وقال ياخاله لا تنعم له بما طلب فانا أحق من كل من طلب وخطب لأجل صلة النسب وأنا لا أترك بنت خالى تتغرب فقال البراجمى وقد لعبت برأسه كؤوس الخمر وطار من عينيه الشرر ويلك ياغلام وأنت مثلى حتى تعارضنى فى الكلام فقال له حصن المازنى ولماذا لا أعارضك وأنا أفخر منك نسبا وأشرف منك اما وابا فوحق ذمة العرب لولا أنك فى بيت من لا اقدر ان اخفر ذمته ولا يمكنى ان أضيع حرمته لكان سيفى الى هامك ، أقرب من لسانك الى كلامك ، وان كنت تفخر على بمالك فانا اكثر منك مالا ونوقا وجمالا لانك أنت ما تملك الا الذى فى يدك وأنا أموال العرب كلها مباحة لى من القريب والبعيد آخذ منها ما أريد وأترك لهم ما أريد وان كنت تفخر على

بشجاعتك فدونك والبراز فى الميدان لتنظر الناس الشجاع من الجبان فلما سمع البراجمى كلام حصن زاد به الغضب وقال أنصفت وذمة العرب ثم انه ركب حصانه وأخذ سيفه وسنانه وخرج مع خصمه وخرج معهما جماعة من الفتيان ينظرون ما جرى بينهما من الضرب والطعان ولعبت بهما نخوة الجاهلية وهانت عليهما المنية وجالا وصالا واصطدما والتحما ولم يكن عوف من رجال حصن قضايقه حصن وأكربه واتعبه والهبه ومد يده اليه وجذبه فاقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا وساقه ذليلا حقيرا وهم أن يضربه بالسيف فشفع فيه خال حصن وقال ياولدى الرجل قد أكل طعامنا وأعطيناه زمامنا فما أدعك تقتله قدامنا فاطلقه حصن واخرجه عن الحى خائبا ولنفسه نادبا وشاهدت الناس هذه الفعال منه فهابته وشاع ذكره فى قبائل العرب وانقطعت عن الجارية الطلاب والخطاب وفى بعض الأيام قال خاله لزوجته وذمة العرب ما ابن اختى الا حارس حلو الشمائل حسن الخصال الا انه قليل المال وما يتركه كرمه يبقى على شيء لأنه مهما اكتسبه يفرقه على فتيان الحى وأخاف أن أزوجه ابنتى فتكون معه تحت الضيق ويفرح بذلك العدو ويغتم الصديق فلما سمع حصن كلام خاله أراد ان يريه بعض فعاله فركب فى جماعة من الأبطال وسار يطلب الكسب والأموال قال وكان فى بنى قحطان ملك يقال له العساف وكان كثير الجور والاشراف قليل العدل والانصاف عظيم الهامة طويل القامة وتحت رايته جيش غزير وجمع غفير فاقحطت أرضه فى ذلك العام وقل منها الماء والعشب وضاق به مرعى الأغنام فشكا أصحابه اليه ذلك فرحل بهم ونزل على جبل الخشاخف والتناصب وضرب فيه المضارب وسمع بقدومه جميع من فى ذلك المكان فنزحوا عن المناهل والغدران فلما كان فى بعض الأيام ركب وأبعد فى السير عن تلك الأماكن فأشرف على أرض بنى مازن وأبصر غدراتها ومراعيها واتساع أراضيها وكانت الجارية التى سار حصن فى طلب مهرها وهى نعيم بنت خاله تتنفرج على الغدران مع أترابها والأقران فرآهن الملك عساف وهن غافلات وقرب منهن وهن باللعب مشتغلان ونظر الى نعيم وهى على الغدير كأنا الدر المنير التفت التفات الغزال وتبسمت عن ثغر انقى من اللال فلما رآها العساف

طاش عقله ووقع فى الانذهال وأبصرته الجارية وصويحباتها وهو شاخص الى نعيم فصحن عليه أما تستحى ياوجه العرب أن تهتك ستر الحريم قال فلما سمع العساف هذا الكلام ابدى الابتسام ودعا بعجوز معهن وسألها عن الجارية فقالت يامولاى هذه نعيم بنت نجم المازنية التى حيرت بحسنها البرية فقال أهى ذات خدر أم ذات بعل فقالت لا والله ماهى الا ذات خدر وبنت بكر ولكنها قد خطبت لابن عمتها وقد مضى يأتى اليها بالمهر فعندها عاد العساف الى عشيرته ومن الغد أنفذ الى أبيها يقول له أعلم أبى قد نظرت الى ابنتك ووقع فى قلبى هواها وأريد ان ترسل لى اياها وبعد انفاذها الى أطلب المهر ما شئت وأنا أبلغك ما هويت وان لم ترسلها الى كما أريد سبيتها سبى بنات العبيد قال فمضى الرسول الى نجم أبى الجارية بهذه الرسالة وبلغه هذه المقالة فصعب عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وقال للرسول يا وجه العرب ان ابنتى متزوجة بابن أختى ولا يمكننى أن أغدر به فان كف صاحبكم عنا شره وكفانا أمره فهو العزيز المكرم والا سوف يندم حيث لا ينفعه الندم وان قاتلنى قاتلته فعاد الى العساف وأعاد عليه ما جرى بلا خلاف فغضب من ذلك وزادت به الاطماع وحل برأسه الصداع وحلف ان لا اخذها الا مسية تحت الرماح السمهرية وقال وحق الشمس المضيئة لا بد أن أسقى أهلها كأس المنية قال وفى تلك الأيام قدم حصن ومعه شىء كثير من الأموال والنوق والجمال فأعطى خاله المهر وعزل خمسمائة للنحر واشترى كثير من الخمر وطالب خاله بالزفاف فحدثه بحديث العساف وما جرى له معه من التهديد والارهاب والوعيد قال فغضب حصن من ذلك وقال والله يا خالى ان تعرض لى لأقلعن آثاره وأخربن دياره فطاب قلب خاله وشرعوا فى الأفراح ونحروا النوق وأعدوا الأقداح ودامت الوليمة سبعة أيام فى أكل وطعام وشرب المدام وفى اليوم الثامن زينوا الجارية وأرادوا أن يخرجوها من بيت أهلها ويزفوها على حصن بعلها فأتاهم خبر أن العساف قد كاتب حلفاءه وأمرهم بالاجتماع فاجتمعوا من المناهل والبقاع وكذلك أنفذ الى مسعود بن مصاد الكلبى وبنى أسد وبنى دارع وبنى العنقاء وبنى مشاجع وسار اليه عوف البرجمى الذى قهره حصن طالبا اخذ الثأر وكشف العار قال فلما سمع الامير نجم المازنى هذا المقال خاف على مهجته من الوبال وقال له سادات قبيلته

اعلم ايها الامير والسيد الخطير نحن ما لنا طاقة بقتال العساف ولا بجموعه والاحلاف ولا منا من يقدر أن يلقاه فى حرب ولا قتال فاسمع منا الصدق ودع عنك المحال والرأى عندنا أن تنفذ اليه ابنتك ولا تطلب منا نجدة فليس لنا طاقة للقاء هذه الشدة فلما سمع نجم كلامهم حار من مقالهم فوقف عن الزواج والزفاف فلما نظر حصن الى ذلك جرت دموعه على خديه وكاد من شدة الحزن أن يغشى عليه . صلوا على من صلى الله وملائكته عليه .

قال الراوى ثم ان حصنا غاص فى شكيمته وغرق فى لامته وسار من وقته وساعته فى مائة فارس من قومه وعشيرته وقطع الأرض خببا ونبراته تزداد لهبا حتى وصل الى الملك زهير وهو على الغدير مع أولاده وبدمائه وخواصه وأقربائه وحوله سادات بنى زياد وأبطال بنى قراد فتقدم الى الملك زهير وقبل يديه وشكا حاله اليه فقال له الملك زهير يا حصن طب قلبا وقر عينا فنحن نعينك على حربه ونمحو آثاره ونخرب دياره وقال له مالك يا أخى وأنا أسير فى صحبتك وأبذل نفسى فى سبيل محبتك . قال الراوى هذا وعنتر حاضر يسمع ويرى ويتعجب مما جرى وقال لمالك يا مولاى تسير أنت وتركب مركب الخطر ولأى شىء خلق عبدك عنتر أنا أسير عنك فى حاجة هذا الغلام وأبلغه المرام ولو أن دونه كسرى وقيصر او ملوك بنى الاصفر قال فلما سمع زهير كلام عنتر قال لولده مالك اذهب أنت لنصرة أخيك وخذ معك ألف فارس ، ويكون معك عنتر أبو الفوارس قال مالك السمع والطاعة وأنا افعل من هذه الساعة ثم انهم قدموا لحصن واصحابه الطعام ودارت عليهم أقداح المدام فخف ما به من الوجد والغرام وبات حصن واصحابه وهم لا يصدقون بالصباح من خوفهم على أهلهم ان يدهمهم العساف بالسلاح ولما انقضى الليل ركبوا الخيل وخرجوا من الخيام مثل أسود الآجام وودع مالك أباه واخوته وركب فى مقدمة اصحابه وركب عنتر الى جانبه وسار شيبوب فى ركابه وسار بنو عبس وهم غائصون فى الحديد ومسربلون بالزرد النضيد وعنتر قدامهم كأنه سبع الغابات وهو يترنم بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

ياحصن بشراك بليث باسل ... معوذ خوض الوغى حلاحل
سيبصر العساف منى ضيغما ... شهما يجيد الطعن بالذوابل

أغشى الوغى والليل أسود فاحم ومتى رجعت تنطفى بلابل
كم ضيغم أرديته فى مأزق ولكم أجدت الضرب بالمناصل
مالمعت زرق الرماح فى الوغى الا ومللت طربا كالثاكل
الجن تخشى سطوتى وحملتى والانس أيضا عاينت شمائل
أنا القضا على العدا أنا البلا أنا مقيم الندب فى القبائل
نجمى علا فوق السهى وهمتى تذكرها الملوك فى المحافل

قال الراوى ولم يزالوا سائرين ثلاثة أيام وهم يقطعون الفيافى والآكام وفى اليوم الرابع لما يريده الله من سعادة عنتر عدل عن الطريق ومر فى واد عميق فنظر فارسين يقتتلان فى ذلك المكان فتحرك اليهما حتى قرب منهما وصاح على رسلكما ياوجه العرب أخبرانى عن قتالكما لأى سبب قال فلما سمعا كلام عنتر افترقا عن القتال وسار أحدهما اليه ودموعه جارية على خديه وقال يا فارس العرب وياكريم النسب أنا مستجير بك فاجرنى وأعطنى الذمام بحق البيت الحرام قال عنتر أجرتك وحق البيت والمشاعر العظام فأطلعنى على حالك وأصدقنى فى مقالك فقال أعلم يامولاى أن هذا الفارس هو أخى الأكبر وأنا اخوه الأصغر وأبونا امير يقال له الحارث بن النبع وهو يتولى على عشائرنا أجمع وان النبع جدنا كان فى بعض الأيام جالسا تعرض عليه أمواله ونوقه وجماله وكانت له ناقة مليحة الصفات سريعة الحركات فلما عرضت عليه النوق والجمال ما وجدها بين المسال فسأل الرعاة عنها فقال له بعض العبيد والله يامولاى انها شردت من المرعى فسرت أنا خلفها فى الطلب وأخذت هى فى الهرب وقصرت الناقة فى خطاها وضعفت عن مسراها فطأطأت الى الأرض وآخذت حجرا أسود صلبا كالصوان وهو شديد البريق واللمعان ورميت به الناقة فخرج بطنها وخرج من الجانب الآخر فوقعت الى الأرض وفى جوفها خرق هائل المنظر وماتت من ضربة ذلك الحجر فلما سمع جدى هذا الكلام قال له سر قدامى وارنى اياها فأخذه قدامه حتى رآها ميتة والحجر بالقرب منها فأخذه وتأمله ببصيرته الحاذقة فعلم أنه صاعقة فأخذه ، وأحضره الى الصياغ وأهل المعرفة وأمرهم أن يصنعوا

له منه سيفا على أحسن صفة فأخذه بعضهم ولما فرغ منه أتى به الى جدى فأعجبه وأعطاه ما أعطاه فلم يعجبه ما أعطاه وقال :

أيا دهر أفنيت الكرام جميعهم وأبقيت من لا ترضيه المناصب

حسام على كل الصوارم فائق ولكن ترى من أين للسيف ضارب

فلما سمع كلام الحداد أخذ السيف بيده وهزه حتى دب الموت فى فزنده وقال بلى والله أنا ضارب وأى ضارب ثم ضرب الحداد فأطار رأسه وأخمد انفاسه وسمى ذلك السيف الضامى وتركه فى خزانته وذخره الى وقت حاجته وأقام جدى بعد ذلك خمسة عشر عاما ومات وورث أبى هذا السيف من جملة المتروكات ولما شعر بوفاته وانقضت ايام حياته دعانى اليه سرا وقال لى ياولدى اعلم ان اخاك ظالم يبغض العدل والانصاف ويحب الجور والاسراف وأنا اعلم ان بعد انقضاء مدتى يستولى على جميع تركتى فخذ هذا السيف واجعله فى كمين فانه ينفعك ويغنيك على طول السنين لأنك اذا قدمته الى كسرى انو شروان يجود عليك بما يغنيك طول الزمان وان سرت به الى قيصر يعطيك ما ينفعك من البدر فلما سمعت من أبى هذا الكلام أخذت الحسام وخرجت من عنده تحت غسق الظلام وسرت حتى وصلت الى هذا الوادى ودفنته تحت الرمال بين هذه الروابى والتلال ورجعت الى أبى وقد بلغت سؤلى وأربى وأقمت حتى قضى نحبه فاستولى أخى مكان ابيه وحكم فى قومه وذويه واخذ جميع النعم والاموال ولم احصل من كل ذلك على مقال ثم انه لما استقر فى ملكه افتقد عدة الحرب والكفاح فما نظر هذا السيف بين السلاح فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألنى عنه فانكرته وحجدته فاستكذبنى وأراد ان يقتلنى ثم عذبنى مر العذاب وعاقبنى أشد العقاب فلما رأيت انى قد اشرفت على الهلاك اخبرته بالخبر لكى انجوا من الخطر فقال ويلك احضر لى اياه والا عدمتك الحياة فضلت يا أخى اركب معى الى المكان الذى دفنته فيه لكى يتم حرمان الولد من ميراث أبيه فركب معى وأتيت الى هذا الوادى وفتشت فى نواحيه فضل على المكان الذى دفنته فيه وحلفت له بأعظم الأقسام فلم يصدق وسل على الحسام فحاميت عن نفسى حتى أشرفت علينا

ووصلت الينا وجعلت اعتمادى عليك وقد علمت كل ما جرى فدبر بما ترى قال فلما سمع عنتر كلام الغلام قال له أنت مظلوم وحق البيت الحرام ثم قال لأخيه ويلك لماذا تتعدى على أخيك ولا تقسم عليه من ميراث أبيه فقال له ويلك يا ابن اللئام وما هذا التعرض لما لا يعنيك لا بارك الرب القديم فيك ثم حمل على عنتر بعد هذا الكلام وعول على ضربه بالحسام فاستقبله عنتر بطعنة فى صدره أخرج الرمح من ظهره فقار ظهره فوقع على الأرض يتخبط بدمه ثم أقبل على أخيه وقال له عد الى أهلك وقبيلتك واقعد مكان أبيك فى مملكتك وأى مخلوق اعتدى عليك فأعلمنى حتى اسارع الى نصرتك فشكره وأثنى عليه وترجل وقبل يديه ورجليه وقال يامولاى بعد أخى ما بقى لى معاند ولا عدو ولا حاسد وهذا السيف لا يليق بى ولا باخى بل يليق بك ياوجه العرب وأنا افتش عليه على نيتك فعسى أن يوجد بين هذا التراب ثم انطلق الرجال يبحث فى الرمال وما ابطأ حتى عاد والسيف فى يده يلوح كالهلال ولما وصل الى عنتر دفعه اليه وقال بارك الله لك فيه ولا آسف عليه فتناوله عنتر واذا هو سيف صقيل عريض طويل انواره شارقة وصفحاته بارقة وضربته أشد من الصاعقة لا يرده درع ولا طارقة حتى بالغ فيه بعض من شاهده بعد ذلك فى الحرب انه يقطع الحجر الاصم اذا وضع عليه من غير ضرب فسر به عنتر غاية السرور وشكر الرجل على حسن صنيعه المشكور ثم سار ولحق العسكر والسيف فى يده مشهر وحدثهم بماجرى معه فتعجبوا غاية العجب وأخذهم الفرح والطرب وقالوا يا أبا الفوارس هذه تحفة قد أنعم الله بها عليك وما خلق هذا السيف الا لك ولاصنع الا لكفيك فاحمد الرب القديم على هذا الاحسان العظيم هذا وبنوعبس يتعجبون من ذلك السيف وخضرته وجوهره ونضرته وعلموا أن عنترا رجل مسعود يذل العدو والحسود ثم سار القوم قاصدين ديار بنى مازن فما ساروا الا قليلا حتى طلعت عليهم غبرة عالية ومن تحتها الف فارس كالاسود الضارية يتقدمهم فارس يقال له الصياق البارق كان عنتر قد قتل أباه وكان له صداقة مع العساف فارسل يستنجد به على قتال بنى مازن فلما رأى غبار الخيل أرسل من استخبر عنهم فلما عرفهم حمل عليهم ليأخذ من عنتر بالثأر ويكشف عن نفسه العار فادركه عنتر بطعنة فى صدره فطلع الرمح يلمع من قفار ظهره ولما رأته اصحابه قتيلا ولت

الأدبار وركنت الى الهرب والفرار وغنمت فرسان بنى عبس ما كان معهم من الأموال وساروا طالبين ديار بنى مازن وعنتر فى أوائلهم وهو من الطرب أنشد صلوا على النبى الماجد محمد :

أنا مورد الابطال كأس منونها ... بمهند ماضى الحديدة يبـــرق
ومذيقها والجو اغبـر مقتـم ... حربا يذل لها الجبـان ويقلق
انى أنا المـوت الذى لا يلتقى ... يوم الهياج بلا لسان ينطـــق
أوقعت بالغيـداق لما أن بغى ... وسائل العســاف شلوا يلحق
وأجول ميمنة وميسرة على ال ... فرسان فى وسط المضيق وأطبق
وأجندل الابطال صرعى فى الوغى ... والخيل تعثر بالرؤوس وتزلق
ياعبل ان كان السواد يعيبنى ... فبيـاض أفعالى ينير ويشرق
ياعبل قد شهرت سراة عشيرتى ... فعلى وسيفى للمنيـــة بسبق
وأبيد أبطال الوغى بمهنـدى ... وترى الرؤوس بصارمى تتفلق
هذه فعالى ويك يا ابنـة مالك ... بمهندى أفنى الجموع وأمحق
لى همة فوق الثريا قد علت ... وسعيد نجمى فى السماء معلق

فقال الراوى هذا ولم يزالوا سائرين الى ان قربوا من ديار بنى مازن وقد اشتد بحصن القلق وفاض دمعه واندفق وتقدم الى مالك بن زهير وقال له يا مولاى قد قربنا من الاوطان وقد هاجت بى البلابل والاحزان وما أدرى ما جرى بعدى من حوادث الزمان وأريد أن اتقـدم اليهم لاكشف الخبر واطلع على حقيقة الأثر فان كان قومى فى القتال أبشرهم بقدومكم عليهم واعينهم الى ان تصل الرجال فقال له مالك افعـل ما بدالك فسار حصن فى اصحابه وقد تجنب عن الطريق وفى قلبه نيران الحريق حتى اشرف الديار واذا بالصياح مرتفع والعبار مندفع فقال حصن واحرباه هلكت العشيرة ونزلت بها البلية الكبيرة ثم اطلق عنانه الى أن قارب الحى فرأى رجال العساف قد داروا بهم من كل جانب وضيقوا عليهم الطرق والمذاهب والتجأت العشيرة الى جبل هناك بقرب المكان وهو جبل حصين يقال له أبان وقد حصنوا فيه الأموال والعيال

وهم يدافعون عن الحريم ويمانعون الغريم وأكثرهم قد أثخنوا بالجراح وضجت النساء بالعويل والنواح خوفا من السبى والافتضاح والعساف ينادى فى القبائل ويحرضهم على سبى الحلائل ويقول لهم مهما أخذتم من الأموال فانا أقسمه لكم بالسوية وما أريد من الغنيمة الا نعيم المازنية فلما عاين حصن ذلك لم يبصر ما بين يديه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وحمل عليهم برجاله ورموا أنفسهم على تلك الألوف المتألفة وقلوبهم مرتجفة فانحدر قومهم من الجبل حتى يعينوهم على القتال وصاحوا على الأعداء صيحة واحدة واضرموا نار الحرب بعد ما كانت خامدة وهناك انطبقت القبائل ودارت بهم الجحافل وكثرت عليهم الألوف وبرزت اليهم تلك الصفوف وكثر الزحام ونزل عليهم الموت الزؤام وتزلزلت من تحتهم الوهاد وتكسرت الرماح المداد وكان حصن يقاتل ويطلب خصمه العساف وقد ايقن بالانخساف وفى قلبه منه نار لا تطفأ ولهيب لا يخفى وكان قد عرفه لما رآه يحرض أصحابه على القتال ويحثهم على النزال فقصد حصن اليه حتى صار بين يديه وناداه والله يا عساف خابت آمالك واليوم تترمل عيالك فأيقن بخراب الديار وقلع الآثار فقد اتتك فرسان بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان فلما سمع العساف كلام حصن أسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يبصر ما بين يديه وصاح على حصن بصوت يصدع الحجر ويصم آذان الدب الذكر وقال له الويل لك ولابيك ولقومك وذويك من أنت ومن فرسان بنى عبس وعدنان وما الذى أتى بك الى هذا المكان فقال له حصن ويلك يا أخس العرب أنا بعل الجارية التى أتيت فى طلبها وكانت هذه الحروب بسببها وأتيت تأخذها سبية بظبى السيوف الهندية والرماح السمهرية فابشر الآن بخراب الديار وقلع الآثار فقد أتيتك الآن برجال يسقونك كأس المنايا ويصبون عليك الرزايا ثم أنذره بقدوم بنى عبس الذين يجعلون اعداءهم ضحايا قال فلما سمع العساف كلام حصن زاد به الغضب وقال له ويلك انا لا اخاف من فرسان بنى عبس ولا من كل من طلعت عليه الشمس وحمل على حصن بعد هذا الكلام وصدمه صدمة الاسد الضرغام واشتد بينهما الكفاح والخصام هذا وخيل اليمين قد ملأت الفضاء وسدت منافس الهواء وحملوا على بنى مازن فردوهم الى الجبل

وقتلوا من أصحاب حصن خمسين فارسا فعظم عليهم الخوف والوجل وخاب منهم الرجاء وانقطع الأمل وأخذ العساف فيهم الطمع ونظر حصن ما حل باصحابه فتقهقر الى وراه وزاد بكاه واحمرت عيناه وخاف على نفسه من العساف وأخذه القلق والارتجاف لانه لم يكن من رجاله ولا ممن يلتقيه فى مجاله هذا وان العساف ضايق حصنا تحت الغبار فقل منه الاصطبار غير أنه رضى لنفسه بالهلاك والبوار واستخاره على الهرب والفرار فصار يظهر الجلد ويخفى الكمد ولم يزل كذلك حتى ضاق وبلغت الأرواح التراق واذا بفرسان بنى عبس قد أقبلوا كأنهم العقبان على خيول أخف من الغزلان ورماحهم تهتز على اكتافهم كأنها الاشطان وفى أوائلهم مالك بن زهير وعنتر بن شداد وقد أوقر بجثته ظهر الجواد وكانت أم عنتر قد لامته على ركوب الأخطار وقلة المقام وكثرة الأسفار فتذكر ذلك وانشد يقول صلوا على المختار طه الرسول:

تعنفنى زبيبة بالملام ... على الاقدام فى يوم الزحام
تخاف على أن ألقى حمامى ... بطعن الرمح أو ضرب الحسام
مقال ليس يسمعه كريم ... ولا يرضى به غير اللئام
يخوض الشيخ فى بحر المنايا ... ويرجع سالما والبحر طام
ويأتى الموت طفلا فى مهود ... ويلقى حتفه قبل الفطام
فلا ترضى بمنقصة وذل ... وتقنع بالقليل من الحطام
حياتك تحت ظل العز يوما ... ولا تحت المذلة ألف عام

قال الراوى وابصر عنتر نار الحرب تضرم وبنو مازن من قدام العساف تنهزم والرماح فيهم خارقة ونساؤهم زاعقة والأعداء اليهم باسنتهم متسابقة وحصن مع العساف فى اشتباك واعتراك وقد اشرف معه على الهلاك ووقع فى سوء الارتباك ولم يبق له مناص ولا فكاك فتبسم عنتر لما رأى لمعان السيوف كما يتبسم الكريم فى وجه الضيوف وقال لمالك اليوم أروى هذا الظامى من دماء هؤلاء القوم الذين قدامى فاقسم أنت فرسانك الى سائر الجهات حتى يكتشف البلا عن الحريم والبنات وأنا أدارك رضيعك حصنا واخلصه من هذا الجبار الذى أشرف منه على البوار ثم حمل واطلق العنان وقوم السنان وصاح بالأبجر فخرج

من تحته كانه الريح اذا عصف والرعد اذا قصف هذا ومالك بن زهير فرق الفرسان الذين معه فى سائر الجهات وحمل خلف عنتر فى اصحابه وبنى عمه السادات هذا وقد جد البراز بين حصن والعساف وضجت القبائل من سائر الأطراف وعادات أرواح بنى مازن اليهم بقدوم رجال بنى عبس عليهم وعادوا الى الحرب والكفاح ومدوا الى العساف قطع الرماح وأشهروا الصفاح واطلقت الأرواح من أقفاص الأشباح وطلع الغبار من تحت حوافر الخيل حتى صار النهار مثل الليل وتفذت فى مقاتل الرجال سهام المنية وتغيرت الوان الازهار الربيعية لما جاد عليها غمام الغبار يسحبه الدموية فلا ترى فى تلك الساعة الا رمحا خارقا وسيفا بارقا وفارسا شاهقا ودما دافقا وشجاعا بالدم غرقا ولم يزالوا كذلك حتى زادت بهم الحرب وتناثرت الرءوس مثل الورق وهذا عنتر قد فرق الكتائب المتطابقة وطعناته كالقضاء متسابقة وسيفه يقطع كل درع وطارقة واتسع عليه المجال وخطف مهج الابطال وابصرت عساكر العساف منه أشد الأهوال . قال الراوى وبينما هم كذلك وعنتر يهمهم ويصول ويدمدم ويجول واذا بمالك ابن زهير ينادى يا أبا الفوارس أدركنى قبل الهلاك وخلصنى من الارتباك وكان قد حمل على القبائل التى لمسعود بن مصاد الكلبى وجرى بينهم قتال شديد ما عليه من مزيد حتى كلت السواعد من القتال وتقهقرت رجال مالك وضاق عليها المجال وهجم مسعود وكان هذا الفارس جبارا من جبابرة العربان فقتل من بنى عبس ثلاثة فرسان وضايق مالك بن زهير وأكربه فى الجولان ونظر مالك الى المنية بعينه فنادى عنترا حتى يخلصه من البلا وينقذه من ذلك أسد الفلا فلما سمعه عنتر عدل اليه وفرق الفرسان من حوله وصار يطعن فى الصدر وقد شاهد مسعود بن مصاد وهجم عليه بالجواد وأراد أن يطعنه فرآه شديد الاحتراز فطعن جواده فأرداه ووقع على أم رأسه فقام على قدميه ولم يحس بثقل الحديد الذى عليه ودخل بين الخيل وخلص مالك ابن زهير من يديه بعد ما كاد أن يقضى عليه هذا ورأى عنتر السيوف متسابقة والسيوف بارقة والرماح خارقة والأرواح فى سوق المنايا نافقة فعلم أن ثباتهم بالعساف وأنهم من هيبته ألقوا أنفسهم فى الانخساف فحمل نحو أعلامه وفرق الفرسان من قدامه وما زال فى حملته حتى اشرف عليه وصار بين يديه فرآه مثل شقائق النعمان مما سال عليه من

أدمية الفرسان وهو يدمدم فى قاع الصحصحان ويدوس بجواده جماجم الفرسان وكان قصده نعيم المزنية التى ملكت منه العنان فبينما هو كذلك واذا بعنتر قد أدركه ومال اليه مثل ثنية الجبل وصاح فيه فانخبل وحك ركابه بركابه وفرق عنه زمر وضربه على عاتقه فاطلع السيف يلمع من علائقه فلما نظرت الرجال ما حل به من سيف عنتر حملوا مثل موج البحر ولم يزالوا فى حملتهم حتى قاربوه فتلقاهم بقلب اصلب من الحجر وسنان يسوق لهم القضاء والقدر وحسام لا يبقى ولا يذر ، فعند ذلك حملت الخيل على الخيل والتقوا كما تلقى الأرض العطشانة الى وابل السبل أو عقد عليهم الغبار مثل سواد الليل ومازال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونيران الحرب تشتعل وشيبوب من عنتر يلاصقه ولا يفارقه وهو يرمى من حوله بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وقاتل مالك بن زهير أحسن قتال ونازل أعظم نزال وخلص أصحابه فى تلك المعمعة من الاهوال وفرق بنو عبس اعداءهم فى المجال وشردهم الى اليمين والشمال وكان صوت عنتر كالرعود القاصفة وقلوب الذين يسمعونه راجفة الى أن خاضت الخيل بالدماء وحجب الغبار ما بين الأرض والسماء والتهبت الأجساد من شدة الظمأ واشتهت الأنفس جرعة من الماء وشاع فى قبائل اليمين قتل العساف فما منهم أحد الا ارتعد وخاف وتفرقوا فى جميع النواحى والاطراف وما أظلم الظلام حتى خلص بنو مازن من الاسر فانتعشت منهم الارواح وعاد فسادهم الى صلاح ورجع عنتر مثل ثوب الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان وأقبل بنو مازن يشكرون فعله ويحمدون فضله وحصن يمدحه ويثنى عليه ويقبل رأسه ويديه هذا وعنتر قد ذكر صياح مالك بن زهير اليه لما خلصه فى القتال من مسعود بن مصاد الكلبى حين النزال وأنقذه من تلك المصائب والاهوال فأنشد عنتر وقال :

صلوا على محمد صاحب الفضل والافضال

اذا ظنت الاعناق بالبيض تشرط ... وعادت سيوف القوم بالدم تنقط
فناد الا يا عنتر الخيل والوغى ... يلبيك من سيفى بلاء مسلط

وطعن يشيب الطفل من هول وقعه ... ويرتد عنه وهو بالشيب أشمط
أنا خاطف الأرواح بالبيض والقنا ... وبأسى شديد المواكب يفرط
وترتعد الابطال من هول سطوتى ... وتخضع لى عند اللقا حين أسخط

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره دارت به السادات والفرسان وهم يثنون عليه بكل لسان فلما كان الصباح نحروا الجزور وسكبوا الخمور وأخذوا فى الفرح والسرور وداموا على ذلك سبعة أيام وفى اليوم الثامن دخل حصن على عروسه وانقضت أيام نحوسه وفى تاسع الأيام رحلت بنو عبس ومالك وعنتر فى أوائلهم واقفلوا راجعين الى منازلهم وركبت معهم بنو مازن يومين ليشيعوهم وفى اليوم الثالث حلفوا عليهم وأرجعوهم فعادوا وهم يشكرون عنترا على تلك الأفعال ويتذكرون كم جندل وقتل من الأبطال هذا وحصن قد شغف بعنتر وضمه الى صدره وهو يود أن لا يفارقه طول دهره وأشاد حصن بمدحه بهذه الأبيات : صلوا على صاحب المعجزات :

ولو أن للشكر شخصا يلوح ... اذا ما تأمله الناظر
لشخصته لك حتى تراه ... وتعلم أنى أمره شاكر
ولكنه ساكن فى الضمير ... يترجمه النفس السائر
على أن شكرى له أول ... وليس له أبدا آخر

قال الراوى ثم عاد حصن وبنو عمه الى الديار فرحين وبما نالهم من عنتر مسرورين وسار عنتر ومالك بن زهير وهو يقول له لله درك يا أبا الفوارس من أسد جسور وبطل فى مقام الحرب صبور وهمام على الأعداء منصور ومقدام فى سائر الأمور . هذه والله هى الشجاعة والحمية والبسالة والنفس الأبية ونحن والله نعلل أنفسنا بالأباطيل ونمنيها بزخرفة الأقاويل وأنت يا أبا الفوارس سيف بنى عبس لو كانوا يعرفون وحاميتهم لو كانوا ينصفون وتاجهم لو كانوا يفتخرون قال فلما سمع عنتر من مالك هذا الخطاب ترجل وقبل قدميه فى الركاب وقال يامولاى همتك هى التى تركت لى هذا الذكر بين الناس ولولا غيرتك لم ترتفع لى رأس فلازلت ملجأ حصينا لكل ضيف وطودا يظل من امه بالظل

الكثيف ثم ساروا طالبين أرض بنى عبس وعنتر لا يصدق بالوصول الى الديار لما فى قلبه من لهيب النار ومالك يسليه وبأنواع الأمانى يمنيه حتى بقى بينهم وبين أرض الشربة ليلة واحدة فباتوا على غدير يقال له المنهل العذب والماء البارد والأرض حوله خضرة نضرة بروائح الأزهار عطرة أشجارها متلاصقة وثمارها فائقة والغزلان بين تلك الأشجار متسابقة هذا وقد هبت عليهم رياح الشربة فزاد بعنتر القلق والشوق والأرق وعدم الرقاد واكتحل بالسهاد واشتد به جواه وغلبه هواه وقد تذكر حبيبته فأنشد يقول • صلوا على النبى الرسول :

ترى هـذه ريح أرض الشربة ... أم المسك هب مع الريح هبه
ومن دار عبلة نار بدت ... أم البرق سل من الغيم عضبه
أعبلة قد زاد شوقى وما ... أرى الدهر يدنى الى الأحبة
وكم قد بليت من النائبات ... لأجلك فى نكبة بعد نكبة
فلو أن عينيك يوم اللقاء ... ترى موقفى زدت لى فى المحبة
أسقى سنانى دماء النحور ... وقرنى أشق مع الدرع قلبه
وعزى بالسيف تحت الغبار ... اذا ما ضربت به ألف ضربة
وتشهد لى الخيل يوم الطعان ... بأنى أفرقها ألف سربه
وان كان جلدى يرى أسودا ... فلى فى المكارم عز ورتبه
ولو صات العرب يوم اللقا ... لابطالها كنت للكل كعبة
ولو ان الموت شخصا يرى ... لروعته وأكثرت رعبه

قال الراوى فلما سمع مالك من عنتر هذه الأبيات زاد طربه وكثر عجبه وقال لعنتر يا أبا الفوارس يازين المجالس لقد وصفت نفسك بالحق وتكلمت بالصدق ولقد كملت خصالك وبانت لنا أفضالك وأما شكواك من حب عبلة وقلة ناصرك فى هواك فانا أبذل روحى واسعفك بما لى حتى تبلغ مناك وغداة غد نصل الى الحى واتحدث أنا مع أبيك واسأله أن يلحقك بنسبه ويدخلك فى حسبه وان لم يفعل هجرنا الأوطان والأقارب ورحلنا كلانا من تلك الجوانب وتخلى لهم الديار وندبر على

سبى عبلة ونبعد بها الى أبعد الأقطار عسى أن يخمد فيك بعض لهيب النار واذا بلغت ذلك فافعل ما تختار قال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد بكاه وهاجت نيران جواه وقال والله يامولاى لا فعلت ذلك ابدا ولا سبيت عبلة وآشمت بها العدا ولو سقيت كآس الردى لأننى قد فعلت مع هؤلاء القوم أفعالا غير خفية ولم يراعونى ولا ازالوا عنى رق العبودية وما برحت عندهم فى المنزلة الدنية فان فعلت ذلك المرام وجهت لى الناس الملام ويقولون مابرح عنتر حتى فعل فعل اللئام ورجع الى اصله الخسيس وطبعه الرجيس وما لى احسن من الصبر ولو قلبونى على الجمر غير اننى اطلب منك أن تسأل مولاى شداد فى الحاقى بالنسب وادخالى معه فى الحسب لأننى والله ما بقى لى سبيل أن آكلمه بهذا السبب فان فعل والا حلفت يمينا أن لا اركب ظهر جواد ولا احضر فى حرب ولا جلاد ولا اقف فى مجال ولا موضع قتال لأننى اذا كنت على هذا الحال ترثى لى النساء والرجال ولا افارق الحلة وبذلك أستطيع ان اتمكن من النظر الى عبلة قال وساروا على مثل هذا الحديث حتى انشق ذيل الدجى وطلع الصباح متبلجا وسار القوم طالبين الأحياء هذا ما جرى لهؤلاء واما ما كان من بنى عبس فانهم كانوا ينتظرون هذه السرية ولا سيما الملك زهير او كان يخاف على ولده مالك وهو لا يصدق ان يراه فى خير وكان كل نسيب ينتظر ان يرى نسيبه سالما من الخطر سوى عنتر فان الأكثرين كانوا يتمنون له الموت الاحمر لأنهم كانوا يحسدونه على ما نال من المنزلة العلية بعد رعى الجمال ورق العبودية ولا سيما مالك ابو عبلة فانه كان يشتهى له كاس المنية لأنه هتكها بشعرة واشاع حديثها فى سائر الجهات وتناقلت حديثها اهل الولائم والدعوات . قال الراوى وكان للربيع بن زياد آخ يسمى عمارة الوهاب وكان مليح الصورة حسن الآداب وكان يعجب بنفسه غاية الاعجاب ويلبس الرفيع من الثياب ويحب الطيب والنساء الملاح ومنازلتهن فى المساء والصباح فلما سمع عن عبلة تلك الصفات وما قال عنتر من الأشعار والأبيات اشتعل قلبه بلهيب النار وتخبل فى امره وحار وخفق فؤاده وطار رقاده وطال سهاده وانفذ عجوزا الى بيت مالك بن قراد وقال لها اريد منك ان تنظرى لى عبلة هل تستحق الوصف الذى وصفها به عبد شداد فان كانت كما قال فيها خطبتها من

أبيها فذهبت العجوز فى الحال ودخلت على أم عبلة فى زى زائرة فاستقبلتها احسن استقبال وتحدثت معها ساعة من النهار وهى تتفرس فى عبلة شاخصة الأبصار فاندهشت من جمالها وظرفها ودلالها وقدها واعتدالها ثم ان العجوز مازحت عبلة ولاعبتها وحدثتها وضاحكتها فرأت من حديثها ما يبلبل عقول الرجال ويفوق السحر الحلال فعادت الى عمارة الوهاب ووصفتها له وبالغت من الأطناب ثم قالت له اننى والله ياولدى كنت استجهل عنترا كلما سمعته يذكرها فى شعره ويتصبب بها فى نظمه ونثره حتى ابصرتها فعلمت انه ما انصفها لأنها اعظم مما وصفها والرأى عندى أيها الأمير انك تبادر الى خطبتها وتسرع فى طلبتها وتعطى اباها كل ما طلب ولو قنطارا من الذهب حتى تحظى بذلك الحسن الذى ما عليه من مزيد ويتجلى عليك من وجهها كل يوم بدر جديد ، قال فلما سمع عمارة ذلك الكلام لعب به الغرام وقام من وقته وساعته ولبس افخر ثيابه واسبل شعره على اكتافه وتطيب حتى فاح الطيب من اعطافه وركب من ساعته وحوله جماعة من العبيد فى خدمته فالتقى بمالك وولده عمرو وهما عائدان من الصيد فسلم عليهما أحسن سلام فاجاباه بالاعزاز والاكرام وهما ان يترجلا فاقسم عليهما أن لا يفعلا وقال عمارة ارجع معى الى الغدير فاننى اريد ان اخلو بك سرا ولا اكتم عنك أمر اعلم انى أتيتك بما فى صيانة حريمك ودفع غريمك لأنى جئت اليك خاطبا وفى كريمتمك راغبا فلا تردنى خائبا لأكون قريبا منك واتمتع بالنظر الى طلعتك واتشرف بمصاهرتك وخدمتك وما فعلت ذلك الا غيرة منى عليها من عنتر بن شداد ولد الزنا وابن الخنا الذى قد فضحها بين العرب وهتك سترها بين ذوى الرتب وجعلها حديثا فى مجالس الشراب يتحدث بها الشيوخ والشباب وانا اعلم انك شديد الغيرة على عرضك الطاهر بين العرب لا تسمح ان يتدنس بهذا العبد الخسيس الحسب والنسب وانا اريد ان ازيل عنك كل ما يشينك واكون انا واخوتى فى شدايدك ورخائك قال الراوى وما زال عمارة على مثل ذلك حتى القى الخجل على مالك واوغر صدره حقدا وحنقا وأورثه اضطرابا وقلقا ومن شدة فرحه ببعد عنتر بن شداد وقربه بعمارة سيد بنى زياد قال يامولاى بنتى امتك وانا لك خادم وقد

زوجتك بها وانا غير نادم قال الناقل ثم تقدم الى عمارة واعطاه يده وزوجه وعاقده وعادوا الى الحى وعمارة يعد مالك بن قراد بهلاك عنتر ابن شداد ان عاد سالما من تلك البلاد قال ثم ان عمارة اعلم اخاه الربيع بذلك الصنيع فقال له والله ياعمارة انا لست راضيا لك بمصاهرة مالك ولاقربك من بنى قراد لأنهم قوم فقراء ما يتعايشون الا من غزواتهم وغاراتهم على العبـاد ولكن اذا كنت تريد ذلك فاجـزل المهر واكثره واجتنب عنترا واحذره لأنه شيطان مارد يقهر العدو والمعاند فلما سمع عمارة كلام الربيع قال له ما هذا الكلام يا اخى ومن هو عنتر فى الكلاب حتى تخاف منه سادات الأعراب ويعادى مثل عمارة الوهاب وكيف يعارضنى فى ما اريد وكم فى خدمتى مثله من العبيد قال الراوى وفى تلك الأيام اقبل مالك بن الملك زهير وعنتر وفرسان بنى عبس من ديار بنى مازن ومعهم الغنايم الكثيرة والتحف الوفيرة وخرجت الى لقائهم الأحزاب وفرحت بملقاهم الأحباب وكان يومهم أعظم من يوم مشهود نشرت فيه الرايات والبنود وكان افرح الخلق الملك زهير لأجل قدوم ولده مالك الذى كان يحبه اكثر من جميع اولاده لأنه كان احسنهم جمالا وابهاهم كمالا واصدقهم مقالا قد اكمل المـروءة وحاز الفتوة واحسن العقل والأدب والفضل والحسب فلما التقوا ترجل مالك وقبل يد ابيه الملك زهير وقبل عنتر ركابه واقبل مالك على ابيه يحدثه عن سفرته وما جرى له فى غيبته واخبره بما فعل عنتر من الأفعال وما ابداه عند صدام الأبطال وكم جندل من الأقبال واهلك فى المجال فسر الملك زهير وقال لمالك والله يابنى لقد بنى عنتر لهذه القبيلة عزا مديدا وصير لها ذكرا حميدا . قال ووصل عنتر الى ابيات بنى قراد فالتقوه بالفرح والسرور والغبطة والحبور وهنأوه بالسلامة واكرموه بكل كرامة سوى مالك ابى عبلة فانه كان يكلمه بلسانه والنار تشعل فى جنانه وقد ساءه رجوع عنتر سالما من تلك الحرب وكان يود لو انه قتل بين الطعن والضرب وكان عنتر يعرف ذلك . ولكنه يتعلق بالمحال ويمنى نفسه بالآمال وفرق عنتر عليهم جميع ما صاحبه من الأموال فشكرته النساء والرجال ثم دخل على امه زبيبة وهى لا تصدق ان تراه وكان قدومه عليها أحلى من قدوم العطشان عللى بارد المياه . وكانت قد علمت ان

عمه قد زوج ابنته عبلة بعمارة بن زياد فكتمت ذلك عن عنتر حتى استراح واقبل الليل بالسواد فقعدت عند رأسه مع اخوته واخذ عنتر يسألهم عن عبلة واحوالها وهل ذكرته فى غيبته . فقالت له امه بالله يا ولدى دع عنك عبلة ولا تذكرها فانك لا تنظرها فلما سمع عنتر كلام امه جمدت عيناه وتقلصت شفتاه واستوى جالسا وقال لها والله لأفعلت ذلك ابدا ولا تركت هوى عبلة على طول المدى فكيف ذلك وما معنى مقالك فقالت ياولدى ان اباها زوجها بعمارة بن زياد وما تبقى غير قبض المهر والزفاف المعتاد . فلما سمع عنتر كلام امه كاد ان يغشى عليه ولم يبصر ما بين يديه وقال والله يا اماه لابد ان افنى بنى زياد ولو انهم فى عدد قوم ثمود وعاد فقالت له بالله عليك ياولدى لا تعجل فى امرك ولا تضيق دائرة صبرك لأن عبلة لا ترضى بذلك ولو وقعت فى اعظم المهالك . وهى تقول لو قطعونى اربا ما طاوعت ابى واخى على ما طلبا وكذلك امها لا تطاوع اباها على ما اراد لأنها تكره بنى زياد فقال عنتر وحق من سطح الغبراء ورفع الخضراء وشرف الكعبة الغراء لأمزقن شمل بنى زياد واقتل عمارة ولو انه فى حجر ملوك بنى غسان أو كسرى صاحب التاج والايوان قال فلما سمع شيبوب كلامه قال له ويلك يا ابا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك انا امضى اليه وادخل عليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولا يعلم به ابيض ولا اسود . فقال عنتر انا اعلم انك قادر على هذا العمل ولكن اصبر حتى اركب غدا الى خدمة الملك زهير وابنه مالك واستشيرهم فى ذلك ثم انه بات بليلة طويلة ما اخذه رقاد ولا ذاق شيئا من الزاد حتى اصبح فأعد له شيبوب الأبجر وركب الى ابيات الملك زهير فخرج اليه مالك وسأله عن الخبر . فقال يامولاى تبيت اعداؤك مثل مابت البارحة فانها كانت ليلة سوداء كالحة فقال مالك ما هذا الكلام ياحامية بنى عبس وكيف ذلك فاخبره بزواج عبلة لعمارة وما فعل عمه مالك . وقال انهم مع كل هذا تعاهدوا على قتلى وقد خطر بقلبى ان اقتل عمارة وسائر بنى زياد واتركهم عبرة بين العباد فقال له مالك وقد صعب عليه هذا الأمر والله يا ابا الفوارس لقد خاب عمارة وخسر عمك فى التجارة وحيث ان الامر بلغ الى هذا الحد فانا اتولاه وارد عنك كيد بنى زياد واخرج عبلة من يد عمارة القواد فطب نفسا وقر عينا واصبر على حتى

اسأل مولاك ان يلحقك بالنسب فمتى فعل ذلك خاطبت عمك ابا عبلة فى هذا الأمر وضمنت كل ما طلب وحينئذ اقول لعمك مالك عنتر احق ببنت عمه من كل احدا واجعل ابى يساعدنى على ذلك واطلب منه الاسعاف والمدد وان لم يقبل مولاك شداد سؤالى فى الحاقك بالنسب خطبت انا عبلة من ابيها وجعلتها على اسمى حتى ينقطع طمع عمارة وغيره فيها ثم اماطل اباها بالمهر وآحرمه ان يزوجها طول الدهر فلما سمع عنتر من مالك هذا المقال حمد عنه بعض الاستعال وقال له لاعدمتك يامولاى من مشير وحام ونصير وانا اسأل الرب المعبود ان يجعل ايامك تجرى فى المسرة ولياليك فى السعود ثم انه سار الى جانب مالك حتى وصلا الى ابيات الملك زهير فتقدما اليه وسلما عليه فرحب بعنتر وحياه وقربه وادناه ورفع مكانه وعلاه وجعل يحادثه ويخاطبه ويسأله ويجاوبه فحدثه عنتر بحديث سيفه الضامى الابتر وما تم له مع الاخوين وكيف قتل الواحد وكف شره عن اخيه واعاد الآخر الى مكان ابيه . ثم انه سل الضامى من غمده وسلمه الى الملك زهير فهزه فوجده صاعقة مبرقة ونارا محرقة وقال لعنتر يا ابا الفوارس هذا السيف من تمام سعدك لأنه يعينك على قهر عدوك وضدك وانا اقسم بالرب العظيم انه ما صنع الا لساعدك وزندك فلما سمع عنتر من زهير هذا الخطاب قبل رجله فى الركاب وسأله قبول هذا السيف القرضاب فقال الملك زهير لا والله يا ابا الفوارس انت بحمله اليق واخرى به واخلق وهو لساعدك قد انطبع ولو وضرب به غيرك ماقطع ، ثم انهم ساروا حول البيوت يتفقدون المراعى والمناهل وخرجت معهم سادات العشيرة من المنازل وكان من جملتهم بنو زياد وبنو قراد وكان عمارة قد اخذ يركب الى جانب الملك ابى عبلة ويتطيب ويلبس افخر حلة فلما رآه عنتر زادت لواعج بلباله واضطرمت نيران اشتعاله وتغيرت جميع احواله ولكنه صبر مؤملا بالخير لأن قلبه تعلق بوعد مالك بن زهير هذا والملك زهير مازال يشرف على المنازل والغدران والمناهل حتى اشتد الحر واشتعل البر وصاح الجندب وصر فعاد يطلب الاظلال وتفرقت من حواليه الأبطال وطلب كل واحد منهم مضاربه وفارق كل انسان صاحبه . فعندها قال مالك ابن الملك زهير لعنتر يا آبا الفوارس اسبقنى انت الى الحى حتى اتحدث مع مولاك شداد واسمع ما عنده من الايراد

ثم انفرد مالك عن عنتر ولحق شداد بن قراد على الأثر وقال له باشداد الى متى تمنع ولدك عنتر حقه من نسبك ولماذا لا تدخله فى حسبك فان سائر القبائل من العرب تحسدك عليه وما عنده من مكارم الاخلاق لا يقدر احد من السادات ان يصل اليه . اتحسب ياشداد ان فى العرب والعجم من يقدر ان يلقاه اذا سل حسامه او يضاهيه فى فصاحته اذا ابدى كلامه . ومن الرأى الصائب انك تعتز بسيفه وتلحقه بالنسب فانك تفخر به على سادات العرب . والا وحق من خلق الانسان من تراب ان لم تسمع منى هذا الخطاب يأتى عليك يوم تقبل عنتر فى الركاب وقال فلما سمع شداد من مالك هذا الطلب بان فى وجهه الغضب وعبس وقطب وقال يامالك من فعل هذا قبلى من العرب حتى اتبعه انا فى هذا المذهب اتريد يامولاى نا تعريني من ملابس الشرف وتلبسنى ثياب المذلة ولا تترك لى حرمة بالجملة ويقال عنى ان شداد ابن قراد سبى أمه سوداء واتاه منها ولد سفاح على غير عقد نكاح ثم ادعى انه ولده من نسله والحقه بنسبه واصله حتى يعتز بسيفه او ينجو من حبفه فلما سمع مالك كلام شداد قال له ياشداد ومن اتاه من امه مثل هذا الولد وانكره واستعبده وما حرره والله يا شداد ان عنتر ما ولدت مثله أمة ولا حرة مكرمة ومن الرأى عندى انك تسن هذه السنة فى العرب ويقتدى بك اهل العقل والادب وهل المرأة الا وعاء الرجل يسترد منها ما استودع وهى بمنزلة الظرف يؤخذ منه الذى فيه يوضع فقال شداد والله يامالك ان ضرب النصال اهون على من هذا السؤال واريد من انعامك ان تمهل على حتى اراجع فكرى وانظر فى امرى . ثم ذهب شداد على غير طائل وعاد مالك وقد ذهب كلامه كقول باطل وعلم انه قد اضاع الكلام مع قوم غير كرام لا يعرفون الجميل ولا يرعون الذمام : ثم قصد ابياته فوجد عنتر فى انتظاره وقد زاد اشتعال ناره . فقص عليه ما جرى له مع مولاه شداد فخفق من عنتر الفؤاد وفاضت الدموع فى عينيه وكاد ان يغشى عليه . وقال وحق خالق الانس والجان لا ركبت ظهر الحصان ولا حضرت فى حرب ولا طعان ولا اقمت بعد هذا الحديث فى الأوطان ولا بدلى ان اكافىء كلا على ما فعل فى حق ان ساعدنى الزمان : قال فلما سمع مالك من عنتر هذا الكلام قال له يا ابا الفوارس ولماذا ترحل من الديار وتهيم فى الأقطار

ومثلى وراك يرد عنك شر عداك ولابد لى ان ابلغك مناك ولو هلكت روحى من اجلك وذلك قليل فى هواك : ثم انه قدم ما راج من الطعام واحضر شيئا من المدام وقضى معه نهاره بشرب العقار ومناشدة الأشعار وقال الراوى وكان عمارة فى دعوة عند مالك بن قراد هو وجماعة من بنى زياد ومالك قد نحر الجزور وصفى الخمور وبات عمارة بتناول الكاسات ويغترف بالطاسات ومالك وولده عمر يتقربان بالكرامة اليه ويتسابقان الخدمة بين يديه لأن ما فى بنى عبس بعد الملك زهير اعلى من بنى زياد ولا اكثر مالا ولا اعز رجالا سيما الربيع لأنه كان بنادم الملوك الكبار ويحادثهم بالأخبار ويناشدهم الأشعار وينفدون اليه الخلع من سائر الأقطار وكان حافظا اشعار العرب وموصوفا بالفضل والأدب : قال وما خرج عمارة من بيت مالك حتى اصبح الصباح فركب عمارة وصار طالبا ابياته وهو ثمل من الخمرة يتمايل من السكرة فبينما هو كذلك واذا بعنتر التقاه فى طريقه وهو عائد من عند مالك صديقه: فقال لهَ ويلك يا ابن زبيبة اين كنت البارحة : ومواليك ينتظرونك لتحضر وليمتهم الطافحة : فلو كنت معنا لكنت اجلستك معى وخلعت عليك لأنك تستحق الأكرام لأجل ما سمعنا عنك من الافعال العظام فلما سمع عنتر كلامه اخفى ما فى قلبه من الكمد واظهر الصبر والجلد : وقال له يا سيدى انا والله لا استاهل الاكرام منك الا اذا دخلت بمولاتى عبلة وخدمتك ليلة زفافها عليك وحضورها بين يديك : ثم هاجت بعنتر البلابل فزعق بعمارة بصوت كالرعد الهائل وقال له ويلك يا عمارة هل ضاقت عليك الأرض ذات الطول والعرض حتى تتزوج بعبلة بنت مالك وتلقى نفسك فى المهالك اما علمت انى بها هائم أم أنت من البهائم : أو ما سمعت مالى فيها من الا شعار التى سارت بها الركبان فى الأقطار اما تعلم ان دون عبلة خرط القتاد : ولو كان خاطبها عاد بن شداد : قال الراوى فلما سمع عمارة كلام عنتر همهم وزمجر وشخر ونخر وقامت عيناه فى ام رأسه وقال لعنتر ويلك يا ابن الزنا وتربية الخنا ما هذه الوقاحة لعلك سكران او خالط عقلك مس الجان على انى سمعت عنك ما هو اعظم من هذا الهذيان لأنك تارة تريد ان تلحق بالنسب وتارة تريد ان تخطب بنات سادات العرب فوالله يا ابن الملعونة ان رجعت تذكر عبلة او طلبت الحاقك بالنسب لأقطعن بهذا الحسام

رأسك ولأهدمن اساسك واخمد انفاسك . قال فلما سمع عنتر كلام عمارة صار الضياء فى عينيه كالظلام وهان عليه شرب كأس الحمام : وقال والله ياعمارة انك آذل واحقر من ان تشهر فى وجهى الحسام او تقاومنى فى مقام : وانا والله لولا حرمة الملك زهير لازلت هذا العجب الذى يلعب بعطفيك واطرت رأسك من بين كتفيك . قال فلما سمع عمارة من عنتر هذا الكلام جرد الحسام واهوى به الى عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء الفاقد الأدب من انت حتى تجترىء على سادات العرب . فعند ذلك اشهر عنتر الحسام وهجم على عمارة هجمة الأسد الضرغام وهنالك تقدمت العبيد اليهم ودخل شيبوب بين الاثنين وصرخ عليهما هذا وقد وقع الصياح فى ابيات بنى قراد فخرجوا من الخيام وسعوا على الأقدام وفى آوايلهم ابو عبلة واخواه شداد وزخمة الجواد فلما وصلوا فرقوا بينهما وزعق مالك على عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء هل بلغ من قدرك ان تعارض السادات والملوك التادات ارجع الى رعيك الجمال وجمعك الجلة من بين التلال ولا تذكر نفسك بين الرجال انسيت جمع الحطب وصر النوق والحلب وتريد ان تقاوم سادات العرب : هذا وعمارة ينظر الى عنتر شزرا ويتأسف حيث لم يقدر ان يصل اليه وبكأس الحمام يسقيه وقال له والله يا ابن الملعونة ان وقعت بك فى غير هذا المكان لابد ان اخضب يدى من دم تحرك واريح العرب من شرك هذا والعبيد نظروا الى مالك بن قراد وقد استخف بعنتر وازدراه ، وهو قد ذل بين يديه ورجع الى وراء فطمعوا فيه وداروا حواليه بالعصى والحجارة وطلبوه بكل وقاحة وجسارة هذا وعنتر قد اشرف منهم على الهلاك ووقع معهم فى الارتباك وصار شيبوب يدافع عنه ويمانع وهو واقف ذليل خاضع وبينما هو كذلك واذا بمالك ابن زهير قد أقبل وسيفه فى يده مشهر وهو كأنه الأسد القسور وعبيده من حوله يركضون وفى أيديهم اللتوت واعمدة البيوت ومالك يصيح فيهم دونكم وعبيد بنى قراد اكشفوهم عن عنتر بن شداد ومن ظفرتم به منهم فاقتلوه والحقوه بقوم عاد قال فعندها علت الضجات وتهاجمت العبيد وجرت الدماء على الصعيد وجرى بينهم قتال شديد وتقدم مالك الى عنتر وقال له ويلك يا طنجير هذا كله يجرى عليك وانت صابر ، لماذا لا تبذل سيفك فى هؤلاء اللئام اولاد العواهر فقال عنتر يا مولاى

ان العبد يكرم لاكرام مولاه ولولا ذلك ما تركت احدا منهم فى الحياة ثم حدثه بما جرى له مع عمارة حتى استوفى العبارة . وكان الصائح قد وصل مع العبيد الى الحى فانقلب الحى برجاله وتبادرت جميع ابطاله ووصل الخبر الى الربيع بن زياد وقيل له الحق أخاك عمارة والا أهلكه عنتر ابن شداد . قال فلما سمع الربيع ذلك الكلام ركب فى أبطال بنى زياد واخوته واقاربه وعشيرته وهو يقول والله يابنى الأعمام ما كنت اريد ان اخى يتعرض لهذا الشيطان المريد واخس العبيد وقد نهيته عنه فما انتهى وما فعل الا ما اشتهى . ثم ان الربيع حرك جواده حتى وصل الى مكان المعمعة فنظر الى اخيه عمارة وهو يصيح فى عبيدهم ويحرضهم على عبيد مالك بن زهير اللذين قتلوا من عبيده ثلاثة ومن عبيد مالك بن قراد اربعة . فلما نظر الربيع الى ذلك صعب عليه وكبر لديه وحمل على عنتر والسيف فى يده مشهر وكان عنتر قد استحضر جواده الأبجر فركب وتقلد بسيفه الضامى الأبتر واعتقل برمحه الأسمر وهو واقف كأنه الأسد الغضنفر ومالك ابن زهير كان قد استحضر السلاح والجواد فركب وتصدى للربيع بن زياد وقال له ارجع يا ربيع والا تركت الخيل تخرض فى النجيع . فلما نظر عنتر الى مالك ابن زهير وقد عول على قتال الربيع قوى قلبه وانفرج عنه همه وكربه . وتأهب للقتال وحدثته نفسه انه يلتقى جميع بنى زياد ويفنيهم الى جيل الأجيال ، فبينما هم كذلك واذا بالملك زهير قد اقبل فى اولاده وهو يركض بجواده وحوله جماعة من فرسانه واجناده وهم يصيحون ويقولون ياويلكم كفوا عن القتال والا حل بكل الوبال وكان الخبر قد وصل الى الملك زهير ان احد ملوك ارض اليمن راكب عليه بعساكر لا يعرف لها اول من آخر ، وبلغه ان ملجم بن حنظلة وأخاه يزيد الملقب بشارب الدماء الذى سبى عنتر ابنته اميمة وقتل بعلها ناقد بن الجلاح لما كان مع غياض بن ناشب وكانت الجارية اميمة فى أبيات الملك زهير وهى عند بناته فى اعز المراتب وكانت امها لأجلها على مقالى النار والعرب تعير اباها كيف تركها فى الاسار ويقولون له ياملك ماذا يقعدك عن خلاص ابنتك وما ذلك الا لضعفك وقلة نخوتك ولو كان فيك نخوة العرب وغيرة اصحاب الرتب ما كنت قعدت عن اخذ

ثارك وكشف عارك . قال الراوى وان شارب الدماء لما عيروه بذلك انفذ الى قبائل اليمن واستنجد بحلفائه وأصدقائه ومن يعتمد عليه فى تلك الدمن حتى اجتمع عنده جمع غفير من الرجال وصار عنده جيش من الأبطال وكان اكثر هذا الجيش من بنى كندة ومزحج والريان وبنى خشعم وحمدان فلما صار فى هذا الجيش الجرار عزم على اخذ الثأر وخلاص ابنته اميمة من الأسر والعار . وبينما الملك زهير بلغته هذه الأخبار وهو من أجلها مشتغل الأفكار وصلته اخبار خصومة عمارة وعنتر وما جرى بينهما من الأمر المنكر . فلبس لامة حربه وركب الجواد وسعى ليكشف الخبر واذا ولده مالك فى قتال الربيع ابن زياد هذا وان العبيد لما رأوا الملك قد اقبل كفوا ايديهم عن القتال وتقدم عمارة الى قدامه بحالة الاذلال وقال أيها الملك ما بقى لنا فى أرضك مقام ان لم تأذن لنا بقتل عنتر فى هذا المقام . فقال الربيع والله لولا قدومك ايها الملك فى هذه الساعة لكانت هلكت منا جماعة ، والسيف وقع بيننا وتقاضينا من بعضنا ديننا وكنا صرنا مثلا بين العرب وسقطت منزلتنا عند اصحاب الرتب لأن هذا العبد داخله الطمع فى القبيلة وانت كنت السبب لأنك تقربه وتدنيه وترفع شأنه وتعليه وكذلك ولدك مالك لا يأكل ولا يشرب الا معه ويعلى مقامه وموضعه ونحن ايها الملك ما نصبر على هذا الهوان ولا نقعد تحت الاهانة فى هذا المكان ولابد ان نرحل اكراما لعنتر من وطننا ان لم تمكنا من قتله او تبعده عنا . فقال لهم الملك يابنى عمى حدثونى عن سبب هذه الفتنة التى جلبت علينا هذه المحنة فاخبره الربيع بان عمارة خطب عبلة من ابيها وانه كان تلك الليلة عنده يشرب المدام مع اخيها وحدثه كيف التقى به عنتر فى الطريق وجرد عليه الحسام وكلمه بذلك الكلام فلما سمع الملك من الربيع ذلك الكلام المشئوم علم ان عنتر مظلوم وانهم ما فعلوا ذلك الا لكى يكيدوه ويطردوه ويبعدوه وكان الملك زهير قد نظر الى عنتر لما اشرف عليهم وهو بعيد عن المعمعة لا يدنو اليهم فرق له قلبه وقال فى نفسه والله ما هذا العبد بين اهله الا مثل الدرة اليتيمة عند من لا يعرف لها قدرا ولا قيمة ولكن لم ير ان يخاصمهم لاجل حاجته اليهم واعتماده فى ذلك الوقت عليهم لاجل الخير الذى سمعه عن ملجم ابن حنظلة واخيه يزيد وما جمع من الابطال والصناديد . قال الناقل هذا وشاس بن الملك

زهير من بغضه لعنتر قال لأبيه والله يا أبى ان هذا الأمر لا يصبر عليه أحد من العجم ولا من العرب ولقد افتضحنا من فعل هذا الكلب الأكلب كلب ومن هو هذا العبد حتى يهجم على سادات العرب والأكابر ذوى الرتب ويفعل بمثل عمارة هذه الفعال واذا كان اليوم استخف بهذا الأمير فغدا يستخف بنا ولا يبالى بكبير ولا صغير وتقدم مالك ابو عبلة وبكى قدام الملك زهير قائلا وافضيحتاه وقلة ناصراه ايها الملك اتأذن لى بالرحيل من هذه الديار ولا انهتكت ابنتى فى ساير الأقطار أو أعطنا هذا العبد السوء حتى نقتله ونكشف عنا العار قال وان الملك زهيرا لما رأى القضية قد اشكلت قال لهم يابنى الاعمام ماذا تريدون منا قالوا ايها الملك اما ان نقتل هذا العبد او تبعده عنا قال الملك زهير اما قتله فلا اطاوعكم عليه لأنه دخل ابياتنا واكل من طعامنا واستظل بظل حمايتنا وذمامنا واما ابعاده عن الديار فليس لى حق فى هذا الابعاد وانما هو لأبيه شداد هذا كله يجرى ومالك بن زهير واقف قدام ابيه وهو ينظر الى الحاضرين ليرى هل احد يتكلم بالحسنى فى حق عنتر فلم يجد من يتكلم بالخير فيه وما رأى الا اعداءه وحاسديه فصبر على المض وعلم انه اذا تكلم لا يقضى له غرض هـذا وعنتر لا يدرى ماذا يصنع لأنه انغضب ورحل لا يطيق قلبه ذلك لأجل محبته لعبلة بنت مالك وان بذل فيهم سيفه لا يبقى له وجه ان يرجع الى الحلة ويحرم النظر الى محبوبته عبلة ولا يكون له اليها سبيل فيموت من أجلها كمـدا ويتحسر عليها طول المدى فما وجد لنفسه أحسن من الصبر ولو أقام تحت الذل والقهر هذا والملك زهير قد استدعى شداد اليه وقال له ياشداد هؤلاء القوم قد تعارنوا على عبدك فافصل بينهم بماتريد واناعلى ما تحكم به شهيد فقال شداد أيها الملك قد حرت فى هذا الأمر فان أخى لا أقدر ان اغضبه وهذا العبد لا يستحق الضرب حتى اضربه لأنه اليوم يعد من الفرسان ، وقد صار له شأن وأى شأن وما بقى فى الامر الا طرده او يعود الى ما كان عليه من رعى الجمال ويخلى عنه الحرب والقتال فان بنى عبس لا يحتاجون اليه على كل حال وان نطق يشعر على خلاف عادة رعاة الجمال أو خلع عنه ثوب الصوف سقيته كأس الحتوف ولابد لى ان اخرج هذه الحماقة من رأسه وأعدم جهله من

أساسه وهذا العبد السوء ما تجرأ على القبيلة الا من يوم ركوب الخيل وصار يجلس معكم ويناديكم فى النهار والليل، فقال الملك زهير ياشداد أحضر عنترا واشرط عليه ما تريده قدامى وفصل الأمر أمامى فعندما دعا شداد بعنتر ترجل وسعى اليه وقبل يديه وفاضت الدموع من عينيه فقال له ويلك ياعبد السوء قد كفاك ما جرى فارجع الى ما كنت عليه من رعى الجمال وجمع الجلة من بين التلال والا عجلت قتلك فى الحال وأنا لا أقدر ان أغضب القبيلة وانحرف معك ولا آن اترك أخى واتبعك فقال له يامولاى افعل ما تريد واحكم على حكم الموالى على العبيد لأن العبد ماله الا مولاه لا ينفعه الا سواه أن أبعده أو أدناه انا من اليوم لا أقصر عن رعى جمالك وحفظ جميع أموالك ولا أركب جوادا ولا أحمل السلاح ولا أقول شعرا فى غدو ولا رواح . قال الراوى فعندما شهد عليه الملك زهير وجميع من حضر يحفظ كل ما ذكر ثم انطفأت نار الشر بعد الانقاد وشمت بعنتر الاعادى والحساد وبعد ذلك قال لهم الملك زهير يابنى الأعمام خذوا أهبتكم للقتال حتى اسير بكم الى من أراد ان يسير اليكم طالبا قلع آثاركم وسبى عيالكم وأخذ أموالكم وخراب دياركم . قال فلما سمع القوم كلامه ثارت بهم الحمية ولعبت باعطافهم النخوة الجاهلية وقالوا له ايها الملك من هو الذى سائر الينا من الملوك ونحن معروفون بين العرب الكرام بفرسان المنايا والموت الزؤام . فأخبرهم الملك زهير بقصة بنى طى وما قد جمع عليهم ملجم بن حنظلة وأخوه شارب الدماء من الجيوش التى جمعاها من كل حى ثم قال لهم يابنى الأعمام أنتم تعلمون أن بنى طى هم جمرة بنى قحطان وقد انضافت اليهم ملوك الزمان والآن قد ساروا الينا واجتمعوا علينا وأذل الناس من يغزى فى دياره وتطأ اعداؤه جوانب أقطاره وقد عولت أن أسير بكم اليهم وأهجم عليهم فلا تبيتوا الا وانتم تحت السلاح معولين على الحرب والكفاح لأنى أريد أن نسير غدا عند الصباح قال فأجابوه بالسمع والطاعة وتفرقت على ذلك تلك الجماعة وفرح عنتر بكثرة الجموع التى اجتمعت على القوم وعلم أنهم يحتاجون اليه فى ذلك اليوم وانه دخل على أمه زبيبة فوجدها باكية عليه متألمة مما وصل اليه فقال لها دعى عنك هذا البكاء والحزن والاشتكاء فوالله العظيم رب زمزم والحطيم والخليل ابراهيم لابلغن ما أريد على رغم أنف الجميع وأهشم

رأس عمارة وأخيه الربيع . فقالت والله ياولدى ان عبلة تهواك كما تهواها وتعد نفسها جاريتك وأنت مولاها واليوم كانت عندى وقد خلت البيوت من الرجال لما اشتغلتم بالقتال ورأيتها على ما جرى عليك باكية ومما اصابك شاكية وقالت لى طبى قلبا وآزيلى كربه فوالله ما انسى جميله ولا صحة وداده ولا اطاوع ابى على مراده . فلما سمع عنتر هذا المقال انجلت عن قلبه الهموم والادغال واتسع صدره وانشرح وداخله السرور والفرح . ولما اصبح الصباح امر عنتر اخويه وشيبوب وجريران يسوقا الجمال وكان الحى قد أصبح يموج كما يموج البحر اذا لعبت به ريح الشمال وما تتصفف النهار حتى خرجت الابطال وتلاحقت الرجال وهم قد غاصوا فى الحلق وتنكبوا بالدرق وركبوا الخيول السبق وركب الملك زهير وهو غائض فى الحديد مسربل بالزرد النضيد ونشرت على رأسه راية العقاب ودارت به العشائر والاحزاب وبقى فى الحى ولداه شاس وقيس الملقب نقيس الرأى ومعهما خمسمائة فارس لكى يكونوا للحى بمنزلة المحافظ والحارس لأن اباهما استخلفهما احتسابا من أن يختلف مع بنى طى الطريق فيصلون الى الحى بعد مسيره ويعدمونه التوفيق وساروا تاركين الحى طالبين بنى طى هذا ما كان من الملك زهير وبنى عبس واما ما كان من بنى طى فانهم رحلوا عن ديارهم فى أثنى عشر الف فارس من كل مدرع ولابس والكل بالدروع والمغافر والسيوف البواتر وكان حساب الملك زهير حساب من اختبر الزمان لأنهم اختلفوا فى الطريق لسعة البر والقيعان وكان الأسق بنى طى فوصلوا الى حى بنى عبس عند طلوع الشمس وامتلأت بهم الروابى والبطاح وسدوا منافس الهواء بأسنة الرماح ونظرهم الرعيان قبل ان يصلوا الى المراعى وقد ظهروا من رؤوس الروابى والشعاب فعادوا الى الحى على ألاعقاب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ولما وصلوا الى الحى أخبروا بقدوم بنى طى فنفرت الرجال وركبت الأبطال وركب شاس وأخوه قيس فى مقدمة الفرسان وتبادرت اليهما الشجعان من كل جانب ومكان وركبت بنو قراد وفى أوائلهم مالك وزخمه الجواد والأمير شداد وما أبعدوا عن المضارب حتى طلعت عليهم غبائر بنى طى من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب وظهرت الخيول ولجنايب ورجفت الأرض من ركض الخيل السلاهب وانسدلت على

الاقطار اذيال الغياهب ولمعت الأسنة فى القتام مثل الكواكب وحجبت الشمس بنورها الثاقب ورأى قيس بن زهير هذه الأحوال فخاف على الأهل والعيال وقال لبنى عبس قد اخطأ ابى فى مسيره ولكن قد كان ما كان والآن ما بقى يخلصنا الاثبات الجنان على الضرب والطعان ثم انهم تأهبوا للحرب والقتال وتقدمت الابطال الى المجال وأبصر عنتر هذه الحال ففرح وقال والله اليوم ابلغ الآمال ثم التفت الى أخيه شيبوب وقال له ويلك ما الذى تشير على به من الفعال فقال له شيبوب أتقبل منى ما أقول فانك به تبلغ المأمول وتلحق بالنسب والحسب وتفتخر على سادات العرب وان لم تنل اليوم ما تريد لاتزال محسوبا من جملة العبيد فقال له عنتر ولأجل ذلك استشرتك فأخبرنى ماذاافعل وما الذى يكون من العمل قال له شيبوب الرأى انك تسوق قطعة من الجمال وتصعد الى بعض التلال فانى اعلم ان اصحابنا ينكسرون واليك يحتاجون وبك ينتصرون وبين يديك يبكون ويتضرعون فلا تركب جوادا ولا تمارس حربا ولا جلادا حتى يلحقك بالنسب مولاك شداد ويشهد عليه انك ولد من جملة الاولاد وان لم يفعل ذلك وطلب منك النصرة فلا يكن منك اليه التفات وقل له يامولاى انا عبدوما جرت عادة العبيد ان تقاتل مع السادات وأنت بالأمس منعتنى عن ركوب الخيل وحمل السلاح وأشهدت على الملك وسادات القبيلة واستحلفتنى ان لا أمس السيوف والرماح والا أدخل تحت هذه الحومة ولا أخلع ثياب الخدمة . قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب رآه عين الصواب ثم أخذ العصا بيده وساق الجمال وطلع الى ذيل الجبل الذى يسمونه العلم السعدى ووقف هناك لينظر كيف يكون الحال واعدله شيبوب الحصان وربط له سيفه فى السرج وأخذ الرمح وتبعه الى ذلك المكان وبقى عنتر ينظر ما يجرى بين بنى طى وبنى عبس من القتال وشيبوب يقول له اليوم يومك يا ابن السوداء فابشر ببلوغ الآمال قال واندفقت بنو طى مثل السيل العظيم وانتشروا على بنى عبس انتشار الليل البهيم فالتقوا هم وبنو عبس بوجوه وقاح واشرعوا الى صدورهم اسنة الرماح ووقع الحرب والكفاح وجرى الدم وساح واشتد الصياح وحام طير الجمام الى اجساد القتلى وناح وحجب الغبار نور الصباح وعلم بنو طى ان ملك بنك عبس غائب فافترقوا عليهم من كل جانب واشهروا عليهم

القواضب والتقت الكتائب وحملت المواكب واحاطت بنو طى ببنى عبس من كل الجهات وضاقت على بنى عبس الأراضى والفلوات ودارت عليهم رحى المهالك والآفات وضرب فيهم بوق الشتات وقد اختاروا شرب كأس الممات وغمرت بنى عبس كثرة العدد وابهرتهم زيادة المدد وصبرت الكرام وفرت اللئام وانقطع من الطائفتين الكلام وتراجعت بنو عبس الى اذيال الخيام ، وقد دارت عليهم كؤوس الحمام وانجرح قيس بن الملك زهير جرحا أشرف منه على التلف فحملوه على المناكب والاكتاف وتبعهم القوم وصار القتال بين الأطناب وخاضت فى بطون القتلى حوافر الدواب وخرجت الكواعب وهن منشورات الذوائب ممزقات الثياب واختار بنو عبس ضرب الرقاب على العار وشربوا كأس المنون مثل العقار وزعق على ديارهم اليوم والغراب وأنذرهم بالخراب وقال مالك أبو عبلة لأخيه شداد وقد انجرح فى موضعين وعاين الموت الأحمر ويلك يا أخى اين عبدك عنتر ولماذا لم يحضر فى هذا اليوم المنكر فلما سمع شداد الخطاب غاب عن الصواب وقال له اسكت يا مالك ودع عنك قول المحال فوالله ما تركت لنا مع عنتر أى مجال ولو كان اليوم معنا لكنا فى أحسن حال وما كان السبب .

« انتهى الجزء الثالث من قصة عنتر بن شداد ويليه الجزء الرابع »

الجزء الرابع

من سيرة عنتر بن شداد

فى طرده سواك وعسى ان لا تفضى جراحك الى الهلاك ثم التفت شداد فرأى عنترا على رأس الجبل والعصا بيده يسوق بها النوق والجمال فعندها همز شداد جواده وصعد اليه ولحقه مالك ابو عبلة والموت نصب عينيه ولما صار شداد عنده صاح به ويلك ياعبد السوء أهذا يوم اشتغال مثلك بالرعى عن بنى عبس وقد سبيت الاولاد والحريم وطرحت الرجال بين الخيام وصرنا حديثا بين الأمم . قال عنتر يامولاى وما الذى أصنع والله يعز على البلاء الشديد ولكن انا عبد من أخس العبيد وأنا أعلم اننى اساق مع القوم من جملة الغنيمة فمن ملكنى خدمته وخدمت عياله ورعيت نوقه وجماله ثم انه ساق الجمال والغنم وترك أباه وعمه يعضان اصابعهما من الندم فغضب شداد وزعق عليه وقال له ويلك ياطنجير ما هذا العناد هل دخل على عقلك الفساد .قال عنتر يامولاى وما الذى تريد منى أرايت من يطلب نصرة العبد ويترك السادات اصحاب الأنساب الذين عندهم العبيد مثل الكلام قال له والله لقد صبرت وقدرت وانا أعلم ان قلبك على ملآن وأنت لأجل ما جرى عليك غضبان فاركب جوادك حتى تبلغ يوما مرادك واحمل الأعداء على كر وانت بعد اليوم حر فقال عنتر يامولاى دعنى عبدا طول الدهر ولا أكون حرا اقاسى العذاب والقهر فانى أريد ان استتر خلف الجمال وأستريح من القيل والقال ومن ملكنى فأنا له مملوك وأعيش عنده كما يعيش العبد والصعلوك . فقال له شداد ويلك اترك عنك هذا العناد وانزل الى هؤلاء الاوغاد وقاتل الآن وأنا ادخلك فى نسبى وألحقك بحسبى فتقدم اليه مالك ابو عبلة وقال ياولدى وابن أخى اما ترى ما نحن فيه من المصاب وما هى عادتك يا أبا الفوارس ان تتركنا فى العذاب انهض وكر على هؤلاء الأحزاب فقد الحقناك بالنسب وشاركناك فى الحسب واصبحت تعد من سادات العرب . فقال عنتر يامولاى أنا ما اقدر ان اكر ولا اعد نفسى فى مقام حر ولا اريد ان

يكون لى حسب ولا ذمام ولا أب ولا اعمام فلا تطيلوا على الكلام ثم اعتزل عنهما وساق الجمال والاغنام

هذا كله يجرى بين عنتر وابيه شداد وعمه مالك بن فراد وخيل اليمن قد دخلت حيهم وصارت بين البيوت وقد اخرجوا النسوان والبنات والمخدرات الحسان وطردوا الفرسان وقاتلوا الشجعان . وهزموا الأقران وعلت الزعقات . ونزلت عليهم البليات وعملت المشرفيات . وخرقت الصدور الرماح السمهريات ووقع النهب فى ابيات بنى قراد واشتفت منهم الاعادى والحساد . وخرجت الفرسان بالسبايا ومعهم سمية والمعتدلة وشريحة والمدلله ومافيهن الا من تنادى بالويل ودموعها تجرى مثل السيل وكان أكثرهن خوفا وبكاء ورنة واشتكاء عبله بنك مالك لأنها قد سباها فارس جبار واسد مغوار وبطل كرار يقال له غياض بن محارب الملقب بسوار . وكان شأنه ان يهتك المخدرات ويسبى البنات ويباغت القبائل ويغضب العرب على المياه والمناهل وكان قد خرج فى هذه النوبة لكى يسبى عبلة لكثرة ما وصله من اخبار محاسنها . وهو الذى كسر بنى عبس وبعد الحريم عن مواطنها . ودخل ابيات بنى قراد واخذ عبلة وجرها جر الاماه واردفها وراءه وهى تلطم خدودها الى ان تخضبت بالدماء وفاضت دموعها مثل مطر السما قال الناقل ونظر مالك ذلك الحال فاقبل على عنتر بلسان الاذلال وقال ويلك يا ابا الفوارس اما ترى عبلة تساق سوق الاماء وانت عودتها العز والحمى فقال له عنتر ولماذا لاتطرح نفسك الى عمارة الوهاب وتسأله ان يخلصها من السبى والعذاب قال ويحك يا ابن أخى ان عمارة فى هذه النوبة جرح من أول القتال وهو مع ذلك ليس من فرسان هذا المجال فقال عنتر يامولاى اذا انا حملت الساعة وبذلت روحى فى هواها تزوجنى اياها قال مالك اى وحق من بسط الارض ودحاها ورفع السماء وعلاها . احمل وخلصها من هذه المظلة حتى أكون لك عبدا وهى لك أمة . قال الراوى فلما فرغ مالك من ذلك الكلام تقدم شيبوب الى عنتر وقال له ياأخى ما بقى على أبيك وعلى عمك ملام فاركب الساعة وابذل المجهود وتوكل على الملك المعبود فعندما لبس عنترة عدة الحرب والجلاد وقد زالت من قلبه الاحقاد وانحدر من الرابية وهو يهمز همزات الأسود الضارية حتى ادرك بنى عبس الذين باتوا كالاعجاز نخل خاوية فاكب راسه فى سرجه وحمل على القوم

وطلب عياض بن محارب وهو الذى سبى عبلة وكان قد خرج بها من المضارب وهى تنادى وليس لها من مجيب فانقض عليه عنتر انقضاض الكواكب او السهم الصائب وخاف ضربه بالسيف تصل الضربة الى عبلة فتهلك معه بالجملة فاعترضه عن يمينه وصاح فيه ويلك يا كلب العرب قد أتاك عنتر وطعنه فى جنبه الايمن فاخرج السنان من جنبه الأيسر فمال عن الجواد يخور فى دمه ويفحص بقدمه واقبل عنتر على عبلة وهنأها بالسلامة من المهالك وسلمها الى ابيها مالك وعاد الى الغبار وانصب على الاعداء انصباب الغيث المدرار وجعل قصده بنى كندة لأنهم أكثر عددا وأقوى جلدا أفتك فرسانهم وقتل أبطالهم وشجعانهم وأخرجهم من بين الخيام وفرقهم بين الروابى والآكام فطرحوا ما كانوا اخذوه من الاسلاب وهربوا كما تهرب الغنم من الذئاب وعند ذلك رجعت بنو قراد الى القتال وقويت قلوبهم على النزال . ولما رأى عنتر ان القوم لا يرجعون ترك بنى قراد فى اعقابهم وانحرف الى بنى طى وكانوا قد وقعوا فى ابيات الملك زهير من دون الحى لأن مسيمة بنت سيدهم كانت عنده فقصدوا ان يخلصوها وكان فى مقدمتهم ابوها ، فاخذها وسبى حريم الملك زهير واولاده وعاد هو وبنو عمه طالبين ديارهم ومعهم السبى والاموال والاماء والعبيد والرجال فالتقاهم عنتر بطعن يلمح منه القضاء والقدر وضرب لا يبقى ولا يذر . وكانوا كلما طلبوه وازدحموا عليه وصوبوا الرماح اليه يصرخ فى فرسانهم ويطعن صدور شجعانهم هذا وبنو عبس قد شدوا بعنتر قلوبهم وأكثروا صياحهم وزعاقهم وأظهروا ارعادهم وابراقهم ونادى بالنصر المنادى وتراجعت الشجعان من كل شعب ووادى ورجع قيس وشاس بعدما كانا قد هربا ونظرا ما فعل عنتر من الاهوال فقال شاس لأخيه قيس يا أخى الا ترى هذا العبد السوء انه ما قعد عن القتال الا الان حتى يظهر عزه وذلنا ويصير فضله علينا كلنا وان لم أظفر منه فى هذا اليوم بالمقصود مت وأنا مكمود فقال له ماذا تريد ان تفعل به يا شاس وهل يرفع لنا بدونه رأس قال لابد لى من قتله ما دام مشغولا بالقتال والافان عاد الى الحلة سالما الحقه شداد بالنسب فيكون ذلك عارا بين قبائل العرب . قال قيس يا اخى اذا كانت هذه الفعال فعاله وهو ابن امة فهو افضل من ابن حرة مكرمة فدعه يحامى عن الحريم والعيال ويخلصنا من

غلبات الرجال ومع ذلك هل تقدر على قتله وهل تغنينا عنه وتفعل كفعله قال الراوى ولم يزل قيس على اخيه شاس حتى رده عما كان فى عقله من الوسواس ثم حملت بقية الرجال كى تعاون عنتر على القتال فتصادمت الابطال وباتت الأهوال وجرى الدم وسال وقصرت الأعمار الطوال وبان الصدق من المحال واختلفت رياح المنايا كاختلاف الصبا والشمال واما عنتر فانه غاب فى طلب فارس بنى طى غياض ابن ربيعة وما زال يطارده حتى أدركه فى المجال وهو يحرض الابطال فالقى نفسه عليه وقام فى يديه وتمطى فى ركابه وضربه بالسيف على قمته فنزل الى نصف قامته فلما نظرت بنو طى الضربة رجفت قلوبها وردت سيوفها الى اغمادها وولت راجعة الى بلادها . وهرب شارب الدماء مكتفيا بخلاص ابنته اميمة وتبعته بنو طى وبنو كلب بن وبرة وكانت على بنى قحطان اشأم سفرة وكسرة . لانهم كانوا قد تفرقوا فى اقطار الارض وعنتر يطعن فيهم بالطول والعرض وبنو عبس قد بذلت فيهم رماحها وكسرت فى جماجمهم صفاحها الى ان ابعدوا فى القفار وهم لا يصدقون ان يصلوا الى الديار وعادوا عنهم وعنتر بين ايديهم كانه الاسد الادرع وهو من دماء الاعداء قد تدرع . ثم انه اقبل على بنى قرادوقبل يدعمه مالك وابيه شداد وقد زالت من قلوبهم الاحقاد وظهر منهم حسن الوداد وظن عنتر انه بلغ المراد ولم يعلم بما فى قلب عمه مالك من العناد وفرح بخلاص عبلة من الاسر والمذلة . وتذكر تلك الوقعة فجاش الشعر فى خاطره وأنشأ يقول صلوا على والد الزهراء البتول

عقاب الهجر أعقبنى الوصالا ... وصدق الصبر اظهر لى المحالا
ولولا حب عبلة فى فؤادى ... مقيم ما رعيت لها جمالا
فآها كيف ذو العشق مثلى ... ولى عزم أقل به النصالا
أنا الرجل الذى خبرت عنه ... وقد عاينت مع خبرى الفعالا
غداة أتت بنو كلب وطى ... تهز أكفها السمر الطوالا
بجيش كلما فكرت فيه ... حسبت الأرض قد ملئت رجالا
فداسوا أرضنا بمضمرات ... حسبت صهيلها قيلا وقالا
فولت حفلا منى خوال ... خفافا بعد ما كانت ثقالا

وراحوا هاربين وهم حيارى ... وفاتوا الطعن قهرا والرحالا
ومارد الفوارس غير عبد ... ونار الحرب تشتعل اشتعالا
بطعن ترتعد الأبطال منه ... وان ذكرته اجتنب القتالا
صدمت الجيش حتى كل مهرى ... وعدت ولم تجد نفسى ملالا
تبدد شملهم من خوف سيفى ... وقد طلبوا المفاوز والجبالا
تدوس الفوارس خيل عبس ... وقد جعلت جماجمهم نعالا
وكم بطل تركت بها طريحا ... يحرك بعد يمناه الشمالا
وخلصت العذارى والغوانى ... وما أبقيت مع أحد عقالا

قال الراوى ولما فرغ عنتر من هذه الابيات فرح أبوه شداد وقال لأخيه مالك والله يا أخى لا بد أن يرتفع قدرك بسيف ولدى عنتر عند أمة ربيعه مضر فقال له بمكره الآن يا أخى قد كان الذى كان وقد مضى ما مضى واليوم عنتر سيفنا المنتضى ، ثم انهم دخلوا الحى والاماء بين أيديهم بالدفوف والمزاهر وقد وقعت البشائر فى العشائر وتخلصت الأبكار والحرائر وتفطرت عن أعداء عنتر المرائر ثم نحروا الجزور وصفوا المدام وصنعوا الألوان الفاخرة من الطعام وداموا على ذلك خمسة أيام وبعدها قدم الملك زهير وهو طائر العقل لا يصدق أن يرى حيه بالسلامة والخير لأنه سمع أن اعداءه خالفوه فى الطريق فخاف من خراب داره وانطفاء ناره فلما وصل رآهم تحت ظل العز العزيز والحرز الحريز وكان عنتر قد ركب الى ملتقاه وترجل له وقبل فى الركاب رجله فامره الملك زهير أن يركب جواده الابجر فركب الأمير عنتر وسار الملك زهير واولاده الى جانبه حتى وصل الى أبياته وقد زالت عنه جميع حسراته وباتوا فى السرور والأفراح الى أن أصبح الصباح فعندها دعا الناس الى وليمته فحضروا بين أزواج وأفراد وكان أقرب الناس اليه فى مجلسه عنتر بن شداد فصار يحدثه كيف الحقه أباه بالنسب وشازكه فى الحسب وكيف خلصهم وحمى الحلة وكيف زوجه مالك بابنته عبلة . فلما سمع شاس عن عنتر ذلك الكلام اشتعل فى قلبه الغضب . وقال ويلك ياشداد كيف يجوز لك أن تلحق هذا العبد بالنسب ومن فعل

هذا قبلك من العرب . فقال له أخوه قيس والله ياشاس ما قصر عنتر فيما فعل . ويليق أن يعمل فى حقه أكثر من هذا العمل فقال الملك زهير لا تزال ياشاس تتكلم بكلام الحسد وتعارض الوالد فى الولد ولا يصل اليك من ذلك الا التعب والنكد . والقبيلة كلها تعلم أن عنتر هو ابن شداد . وله الخيار فى معاملته بالتقريب والابعاد على أنه والله قد فاق على جميع بنى قحطان . وقهر جميع العربان ولو افتخر علينا لكان يحق له ذلك لأنه دائما يرفع قدرنا ويشيد أمرنا . وكان الملك زهير يقول هذا الكلام وعنتر يقبل الأرض ويدعو له بالبقاء على ممر الليالى والأيام. ويقول يامولاى لا تؤاخذ مولاى شاس بما قال فانا عبده على كل حال واذا كان قد تألم قلبه من الحلقى بالنسب فأنا أرحل الى بعض أحياء العرب وأطلب لنفسى علو الرتب ولا أقيم بدار الهوان ولا اعادى ملوك الزمان ولولا انتظارى مثل هذا اليوم السعيد ما صبرت على الضيم ولا تركت نفسى فى مقام العبيد واحتمالى كل هذه المذلة من أجل ابنة عمى عبلة . والآن قد بلغ الأمر المنتهى لأن عمى قد وعدنى بها وأنا لا آخذها الا عن اذنه ورضاكم ولا أمشى الا بحسب هواكم . وان كان هذا لا يرضيكم فانا اتخذ لى بعض المنازل وأقيم على بعض المناهل وأتجرد لنهب أموال العرب وجمالها وأسبى خيار نسائها وعيالها وأعيش بقية عمرى بلا صاحب ولا خليل ولا أقارب ثم بعد ذلك تجارت الدموع من عينيه وكاد أن يغشى عليه فجاش الشعر فى خاطره وباح بما كتم فى ضمائره فأنشد يقول : صلوا على سيف الله المسلول طه الرسول :

حكم سيوفك فى رقاب العدل ... واذا نزلت بدار ذل فارحل
واذا يليت بظالم كن ظالما ... واذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
واختر لنفسك منزلا تعلو به ... أو مت كريما تحت ظل القسطل
فالموت لا ينجيك من آفاته ... حصن واو شيدته بالجندل
واذا الحبيب جفا ومل فخله ... فى غيه واسمع مقال العذل
لا تسقنى كأس الحياة بذله ... بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
كأس الحياة بذله كجهنم ... وجهنم بالعز اطيب منزل
موت الفتى فى عزه خير له ... من أن يبيت أسير طرف أكحل

ان كنت فى عـدد العبيد فهمنى ... فوق الثريا والسـماء الأعزل
ويذابلى ومهنـدى نلت العـلا ... لابا لقرابة والعـديد الأجـزل
ان أنكرت فرسان عبس نسيبتنى ... فسنان رمحى والحسـام يقر لى
والخيل تشـهد والفوارس اننى ... فرقت جمعهم بضرب الفيصـل
ورميت مهرى فى العجاج فخاضه ... والنار تشعل تحت ظل القسطل
قاعدته كالأرجـوان مخضـبا ... يشـكو الى بذلة وتململ
خاض العجـاج محجلا حتى اذا ... شهد الوقيعة عاد غـير محجل
باتت زبيبة فى الظـلام تلومنى ... خوفا على من اقتحام الجحفل
وأنت تخوفنى الحتوف كأننى ... أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها أن المنيـة منهل ... لابد من ورد لهـذا المنـهل
كى مـلامك يا أميمـة وأعلمى ... أنى امرء سـأموت ان لم أقتـل
ان المنيـه لو تمثل شخصها ... لى فى العجـاج طعنتها بالأول

قال الراوى فما فرغ عنتر من شعره حتى نهض الملك زهير قائما على قدميه ومشى اليه وقبله بين عينيه وقال له والله لا أصابك سـوء ولا شمت بك عدو ويحق لك أن تلحق بالنسب وتفتخر على سادات العرب وأنت اليوم ابن عمى وفارج همى وغمى ثم نادى ياسادات عبس وعدنان من كان يريد أن يعل ما يرضينى فينادى عنتر مثل ما ينادينى. قال وكان ولده مالك حاضرا فما صدق أنه يسمع من أبيه ذلك الكلام الذى يشفى الغليل ويعافى العليل حتى نهض وعانق عنتر وهناه وبابن عمه دعاه وقام الى عنتر بعد مالك سائر بنى عبس وعانقوه وبابن العم لقبوه قال الراوى هذا وشاس قد زاد حنقه وكاد الغيظ أن يخنقه وكذلك الربيع بن زياد وأخوه عمـارة القواد الا أنهم اخفـوا ما فى الصدور من الكمد واظهروا الجلد ولما انقضت الوليمة خلع الملك زهير على عنتر خلعة معلمة بالذهب تساوى الف دينار كسروية وعممه بعمامة ريحانية وقلده بصمامة هندية وأركبه حجرة عربية وسماه حامية بنى عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس وسار عنتر مع أبيه نحو أبياته

وقد علت بين السادات كلمته وارتفعت مرتبته والاماء حوله بالدفوف والمزاهر والعبيد بالحراب والسيوف والخناجر وزادت عند بنى زياد الأحقاد وتفتت منهم الأكباد وكان أعظمهم حسرة عمارة لأنه علم أن عبلة خرجت من يده واشتعلت النيران فى كبده وأحس أن روحه خرجت من جسده فقال فى نفسه مالى الا أن أحتال عليها انظرها فان كانت كما سمعت عنها فائقة فى الحسن والجمال فانى أطرح نفسى على أخى الربيع واسأله أن يعيننى على هلاك هذا العبد الشنيع لأن أخى يقدر على هلاكه بدواهيه . ويبغلنى منه ما اشتهيه وان لم تكن بهذه الصفة تركتها وسلوت عنها وأرحت قلبى منها ثم الى عمارة رصد عبلة حتى خرجت فى بعض الأيام مع جماعة من نساء بنى قراد الى غدير ذات الاصاد فلبس ثياب بعض العبيد وتزيا بزيهم وخرج خلفها من بعيد ولما قرب منها أمعن فيها النظر فوجدها كما وصفت له وأكثر قال الراوى فعند ذلك التهب فؤاده وتزايد عشقه وغرامه ورجع وهو لا يدرى أين تقع أقدامه فلما وصل الى منزله قص على أخيه الربيع قصته وشكا اليه غصته وقال له والله يا أخى ان فاتتنى هذه الجارية عدمت عقلى وان أخذها هذا العبد السوء كانت سبب قتلى . فقال الربيع والله ياعمارة لقد حملتنا امرا كنا عنه فى غنى وأحوجتنا ان نعادى هذا العبد الذى ليس هو من مثلنا . والآن لا تقدر على هذه الجارية الا أن كان أبوها يأخذ بيدك فأطلعه على أمرك وكاشفه بسرك ورغبه فى المال وكثرة النوق والجمال وان كان يخاف من عنتر فانا أدبر على هلاكه واريحه من ارتباكه فطاب قلب عمارة بهذا الكلام واظهر الضحك والابتسام وانطفأ عنه ما كان يجده من نار الغرام وقام من الغد ولبس أفخر ملابسه وتطيب وركب جواده وقد ظن انه يبلغ من عبلة مراده واخذ عبدا من عبيده يدعوا أباها واخاها فأقبلا من ساعتهما اليه وسلما عليه وقال مالك لعمارة ما حاجتك أيها الأمير والسيد الخطير . قال ياعماه اعلى أننى ما دعوتك الا لأرى ان كان طاب قلبك بتسليم الدرة المكنونة والحرة المصونة الى راعى ابلها وسائق مواشيها الذى زاحم سادات العرب على معاليها. فقال ولده عمر وحق اله السماء

لو قطعونى اربا اربا ما طاوعته على ذلك وان سلمت أختى الى هذا العبد الزنيم فلا أكون ابن مالك . فقال أبوه والله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أبغض الى من عنتر فانه عدوى الأكبر لولا ما تخدمه السعادة وتطاوعه المشيئة والارادة لما كان نال هذه المنزلة من الملك زهير حتى ألحقه بالنسب وجعله من سادات العرب ، ولولا ذلك لما كان له ذكر لأننى أنا وأخى ماألحقناه الا ضحكا عليه حتى يساعدنا فى القتال وما كان قولنا له الا على سبيل الزور والمحال ولقد أخطأنا نحن باقرارنا قدام الملك زهير وسادات العشيرة أننى قلت له وقد سبيت ابنتى وخلصها وهى لك زوجة ففعل ذلك وسلم من المهالك وقد صارت له الحجة علينا ولأجل ذلك ضاقت علينا المسالك ولكن أدبر أجود التدبير وأنتظر اه المقادير . فقال عمارة يامالك أما خوفك من زهير وأولاده فهذه حجة فارغة كيف يقدرون ان يغضبوك على زواج ابنتك بغير اختيارك ولو كنت أقل من فى العشيرة ولا سيما أن مثلى خلفك يردعنك شر من ناوأك ويكون معك فى شدتك ورخاك . وأنا واخوتى اليوم أقرب من كل واحد الى الملك زهير لأن ولده قيس قد تزوج بالمدللة بنت أخى الربيع وقد شاهدت أنت زفافها عليه ولذلك صرنا أهله وأحب الناس اليه . فاذا حضرنا غدا فى مجلس الملك أقوم اليك وأخطب منك ابنتك وأغلظ معك فى المقال فاجبنى الى ذلك واطلب من المهر ما اردت من النوق والجمال ودعنى بعد ذلك لعنتر ولكل من يعارضك من البشر . وأنا أقود لك المهر ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر وألف رأس من الغنم وعشرين رأسا من الخيل بلاماتها ومائة ثوب اطلس احمر واربعة عقود جوهر ومائة ثوب من الديباج المدثر ومائة زق من الخمر تصنع بها الوليمة ومائة عبد ومائة أمة والف دينار من الدنانير القديمة . فقال له عمر أخو عبلة وقد فرح بذلك ياوهاب والله نحن ما قصدنا فى مالك ونوالك ولا فى نوقك وجمالك ولا نريد الا حسبك ونسبك وكمالك وأدبك وماذا نصنع نحن بذلك العبد الأسود الذى ليس له حسب ولا نسب ولا ذكر يذكر بين سادات العرب . قال الراوى فلما سمع عمارة

ذلك الكلام فرح فرحا شديدا واستبشر وانفصل الأمر بينهم على أن عمارة يكفيهم مؤنةعنتر ومن يتعصب له عند الملكزهير من البشروعول مالك على أن يحتج ببنى زياد ويغدر بعنتر بن شداد وحدث عمارةأخاه الربيع بما جرى له مع مالك وكيف عول أن يغدر بعنتر فوعده بالمعونة على ذلك ولما كان الغد وجلس الملك زهير أقبل عمارة فى جماعة من بنى زياد وقد كبروا العمائم وضيقوا اللثام وأقبلت بنو قراد وفيهم عنتر بن شداد فنهض الملك زهير قائما على قدميه وسعى اليه وقبله بين عينيه وأشار بالسلام عليه وضحك فى وجهه وقال له أهلا وسهلا ومرحبا بابن العم وكاشف الهم والغم ثم أجلسه الى جانبه بين أولاده وأقاربه هذا وقد أخذت الفرسان مقاماتها وجلست كما كان من عاداتها قال الراوى فعند ذلك التفت عمارة بن زياد الى مالك بن قراد وقال له ياشيخ أتعرف فى نسبى او فى اهلى واخوتى ارتباب او فينا ما يعاب . قال مالك لا والله ياولدى بل أنتم اشرف العرب واصحاب المعالى والرتب قال عمارة ولماذا تهاونت فى حقى بعد ما أنعمت لى بزواج ابنتك وتغافلت عنى وأنا راغب فى مصاهرتك . فان كان فى قلبين عذر أو سبب فاظهره لى فاننى من الحق لا أغضب ، ولا اخرج عن سنة الأدب ولا عما تحكم فيه العرب ، قال مالك أبو عبلة يا عمارة ما أنا غادر وليس لى باطن وظاهر قال عمارة الآن مضى ما مضى وها أنت فى حضرة هذا الملك الكريم والسيد العظيم وقد جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فافرض على من المهر ما شئت من الفضة والذهب وأشهد على وعليك هؤلاء السادات من ذوى الرتب قال الناقل فلما سمع عنتر هذا الكلام علم أن عمه كاذب وفى عمارة راغب فخاف عنتر أن يقطعا فى المهر كما جرت العادة وتثبت على الاثنين الشهادة فقال عنتر لعمارة يا ابن زياد لا تزال على هذه التعدى ولا تتركه؟ اتخطب من الرجل ما لا يملكه فقال عمارة اسكت ياعنتر والزم موضعك فما أنا أتكلم معك ثم عاد عمارة الى مالك بالكلام وقال له ماذا تقول فى ما سمعت من أخس العبيد فانا لا أخالفك فى كل ما تريد بل أشهد على هذا الملك انى اسوق اليك مهر ابنتك كل ما تعينه من المال والنوق

والجمال وبعد هذا كله أنا عمارة بن زياد الذى افتخر بالاباء والاجداد وهؤلاء الأمراء اخوتى وهذا الملك صهرى ومن يكون أفخر منى فى الحسب وأعلى فى النسب . قال الراوى فزاد بعنتر الحنق والملال وظهر له من عمه المحال فقال وأنتم ماذا لكم فى عبلة حتى تأمروا عليها ان عبلة لمن خلصها من مخاليب فرسان العرب لما أشرفتم كلكم على العطب قال عمر واخو عبلة والله ياعنتر لو امر الملك زهير بقتلى ورأيت السيوف تنهبنى ما سلمت اختى اليك ولا جعلتها فى حوزتك وطوع يديك ولا أترك العربان تتحدث عنا فى كل مكان ويقولون ان بنى قراد زوجوا ابنتهم بعنتر بن شداد قال الربيع ياعمرو من الذى يغضبك على هـذا الأمر الشديد لأن أختك تحت حكمك تزوجها بمن تريد ولا يقدر أحد أن يلزمك بأن تعطيها للعبيد قال فلما سمع عنتر هذا الكلام قام الى جواده وركبه وكان شيفه مع شيبوب فأخذه واستلبه ونادى وقداحمرت عيناه وطلع الزبد على شدقيه وما بقى ينظر ما بين يديه وقال ياسادات العرب ها أنا وأنتم فى حضرة هذا الملك العظيم الشأن العالى المكان وقد خطر ببالى كلام أريد أن اقوله قدام هذه السادات الكرام وهو مما يصدقنى عليه الخاص والعام . انتم تعلمون انى قد سألت أبى الف مرة ان يلحقنى بالنسب فما فعل ولا زال عنى رق العبودية وأوصاه مولاى مالك فما قبل الوصية وما أقر لى انى ولده وما قال يابنى حتى احتاج الى وانتصرت بسيفى هذا على الأعداء وخلصت حربكم كلكم من السبى والعناء وهذا عمى سبيت ابنته وسلبت نعمته فقال لى يا ابن اخى خلص بنت عمك المكرمة وانا لك عبد وهى لك أمة ففعلت فعالا تعجز عنها صناديد الرجال ورميت نفسى فى الهلاك والوبال وخلصت الغنائم من بنى طى والعيال طمعا منى فى ذلك الوعد والمقـال واليوم حين قر قراره يقول انه يزوج ابنته بمن يريد ويحسبنى من جملة العبيد واما عمارة فقد جرى لى بالأمس معه ما جرى وعاد الى التعرض لى مرة أخرى وانتم تعاونونه على طعما فيما ترونه من انقيادى اليكم وخضوعى بين يديكم وأنا أفعل ذلك لأجل القرابة والنسب والا لو كان غيركم كنت

تركته مثلا بين قبائل العرب والآن فقد كان الذى كان ، وأريد منكم العدل والانصاف ان كنتم تزعمون انكم سادات وأشراف وان لم تنصفونى فما أنا عن أخذ حقى جبان ولا يدى قصيرة عن الضرب والطعان بل أنا مهلك الفرسان والجبابرة والشجعان ومن حاد عن طريق رددته اليه بهذا الصارم اليمان لانى لا أصبر على الذل والهوان . ثم ان عنتر أوما الى الملك زهير وقال له وأنت أيها السيد الفاضل لا تلمنى على ما أنا فاعل لأنك أدرى بما نحن فيه وأخبر بما نظهره ونخفيه . وهذا عمارة قد اراد ظلمى وزاحمنى على بنت عمى . فدعه يبرز الى الميدان ويقارعنى عليها بين الفرسان فأينا غلب وقهر كانت عبلة له رغم انف الآخر وان كان يفتخر على بماله ونوقه وجماله فهذا أهون الأمور على فقل لعمى يقترح على ما أراد من الأموال والنوق والجمال حتى آتيه بها بلا اخلال ولا يحتج على بغنى عمارة وفقرى ويفتح عينه ويعرف قدرى لأن عمارة لا يملك الا الذى بيده وأنا أموال العرب كلها لى ان شئت أخذتها نهبا وغزوا وان شئت تركتها حلما وعفوا وان لم يسمع منى عمى هذا الكلام رحلت عنكم الى مكة وأقيم هناك أعبد رب بيت الحرام وأغزوكم كل عام حتى أفنى أعدائى بالحسام واتركهم موعظة لسائر الأنام لأنى أحسنت اليهم فجحدوا الاحسان وحلمت عنهم فقالوا هذا جبان وأريد من اليوم أن أعرفهم من هو أحق بالذل والهوان واعلموا انى ما تكلمت بهذا الكلام ولى عندكم نية فى المقام ولا أريد منكم نسبا ولا زماما ولا أبا ولا أعماما لأنى لا أريد أبا غير هذا الحسام ولا عما غير هذا الرمح المعتدل القوام وان زوجوا بنت عمى باحد حضرت اليه وخطفت روحه من بين جنبيه وان تعرض لها كسرى انوشروان ركبت اليه وخربت على رأسه الايوان . ثم انشد وجعل يقول صلوا على الحبيب الرسول :

اذا جحد الجميل بنو قراد ... وجادت بالفعال بنو زياد

فهم سادات عبس أين حلوا ... كما زعموا وفرسان البلاد

فلا عتب على ولا ملام ... اذا أصلحت حالى بالفساد

لأن النـــار تضرم من جمـــاد ... اذا ما الصـــخر كر على الزناد
ويرجى الوصل بعد الهجر حينا ... كمـــا يرجى الدنو من البعـــاد
ومن يهرب من الأخطـار أمسى ... بقيد الذل فى أسر الأعـــادى
حلمت فما عرفتم حتى حـــلمى ... ولا ذكرت عشـــيرتكم ودادى
سأجهل بعـــد هذا الحلم حتى ... أريق دم الحواضر والبـــواد
ويشـــكو السيف فى كفى ملالا ... ويشـــكو عاتقى حمـــل البجاد
وقد شـــاهدتم فى يـــوم طى ... فعـــالى بالمهنـــدة الحداد
رددت الخيـــل خالية حيـــارى ... وسقت جيـــادها والسيف صاد
ولو أن الســـنان له لســـان ... حكى كم شـــك درعا فى فؤاد
وكم داع دعا فى الحرب باسـمى ... وناداني فخضت حشى المنـــادى
لقد عاديت يا ابن العم ليثـــا ... هزبرا لا يمـــل من الطـــراد
يرد جـــوابه قـــولا وفعـــلا ... يبيض الهنـــد والسـمر الصعاد
فكن يا عمـــر منه على حذار ... ولا تملأ جفـــونك بالرقاد
فاولا ســـيد فينـــا مطـــاع ... كريم القـــدر مرتفع العمـــاد
أقمت الحق بالهنـــدى قهرا ... وأظهرت الضلال من الرشـــاد

قال الراوى فتعجب كل من حضر من حدة خاطر عنتر فالتفت شداد لأخيه مالك وقال له يا أخى أتريد أن تجعلنا مثلا لكل قائل ونشـتت شملنا فى كل القبائل فاما ان تزوج ولدى عنتر بابنتك عبلة والا رحلت عنكم أنا فى الجملة وكذلك قال زخمة الجوار أخو شداد وأما مالك بن زهير صديق عنتر فأبدى غضبه وأظهر محبته لعنتر وتعصبه ثم التفت الى أبى عبلة وقال له يامالك اذا كان لابن أخيك فى قلبك هذه البغضة والضغينة لماذا ألحقته بالنسب وقلت خلص ابنتى عبلة وهى لك قرينة واليوم لما قرت بنتك فى قرارها وأمنت فى ديارها صرت تبعده وتهينه وتطرده فلو أن عنتر هلك لأجل ذلك هل كنت أنت تنفعه يامالك والله ان عبلة لعنتر على رغم أنفك وأنوف أعدائه الجميع الرفيع منهم والوضيع أولهم عمارة وآخرهم الربيع . قال ولما أتم مالك كلامه ساعده بعض المحبين لعنتر وعلموا ان كلامهم يرضى أباه فلاموا أبا عبلة مثله وأكثر

فتلهب بنار غيظه وحنقه وقال من شدة قلقه أنا لا أسمع ولا أطيع ولا أزوج ابنتى الا لمن عاهدته فى الأول وهو عمارة أخو الربيع فقال الملك زهير يامالك هذه حجة قاصرة لا تقبلها ولا تترك مثل هذا الأسد الذى ناره فى الحرب لا تخمد وان كان خوفك من عمارة والربيع فانا اسأله أن يهب لنا هذه الجارية ويعدل عن هذا الأمر الشنيع واسأل أخاه الربيع ان يعيننا عليه ويطفى هذه النار التى تصل حرارتها اليه . فلما سمع الربيع هذا الكلام التجم من الخرس بلجام وقال من شدة مكره أيها السيد الهمام وحق ما لك علينا من سوابغ الانعام ان أخى عمارة لايذكرها ولو هلك لأجلها من الغرام ولا أنادى عنتر الا كما انادى بنى الأعمام. ثم انفصل الأمر على هذا الحال وتفرقت الأبطال وعاد عمارة خائبا يتحسر وباذياله يتعثر ولم يزل كذلك الى أن وصل الى أبياته وبكى بين يدى أخيه الربيع مثل بكاء الثكلى على ولدها الرضيع وقال وحق اللات والعزى ياربيع ان أخذ عبلة هذا العبد الزنيم فاعلم ان أخاك عمارة يموت من حسرته ويقاسى العذاب الأليم . فقال له الربيع والله ياعمارة لقد اقتحمتنا فى أمر يقلع آثارنا ويخرب ديارنا وعاديت بيننا وبين من ليس هو من نظرائنا ولا يعد من اكفاؤنا وما وقع الفناء فى بنات عرب البادية حتى تزاحم هذا العبد على هذه الجارية قال الراوى ودخلت عليه امه فاطمة فوجدته يبكى بين يدى أخيه الربيع فسألته عن حاله فاخبرها بما جرى له مع عنتر من الصنيع فقالت له والله ياعمارة أنا ما أردت أنك تتعرض لهذا العبد وتلج اللجاج لأنه فحل الهياج وهو مع شجاعته عاشق كالسكران لا يبالى بسادات العرب ولا بكسرى انو شروان وان رجعت وذكرت عبلة فما آمن عليك من جهله لأنه والله جبار عنيد ولا يقدر أحد أن يفعل كفعله ولقد رأيت من أفعاله ما أذهل بصرى وحير نظرى لانه حطم ذلك الجيش الذى عجزت عنه الالوف وبدد تلك الجماهير والصفوف . ولو لم يخلص من أيديهم السبابا لكنا الآن فى ديار بنى طى نقاسى البلايا فقال عمارة يا أماه لا زلت تعظمين هذا العبد الزنيم وأنا والله ان لقيته فى الحرب أتركه كالعظم الرميم واعلمى يا أماه انه ان أخذ عبلة بنت مالك فانى لا شك هالك : قال الربيع ياعمارة أنا لا أتركك تموت بحسرتك بل أدبر لك على هلاكه بكل سبب وارميه فى مهاوى العطب حتى نستريح منه نحن وسائر العرب قال وكان للربيع صديق

من بنى عبس قد أفنى عمره فى الغزوات والهب العرب بالغارات لايبرح غائبا عن الاوطان ولا يستقر فى مكان وكان يصطاد السباع من الدحال ويصادم الابطال وينهب الاموال ويفرقها على صعاليك الرجال وهو فى عروة ابن الورد الذى يلقب بعروة الصعاليك لانهم كانوا يجتمعون اليه وكان معهم فى أمواله كالشريك . وكانت العرب تتحدث بعطاياه وفضائله وحسن أخلاقه وخصائله وهو لا يقر من الغارات ولا يهدأ من الغزوات وكان مع شجاعته حلو الخطاب حسن الآداب يفتخر على العرب بالفصاحة والكرم والسماحة وحسن الشيم ومن جملة ما نقل عنه من الاشعار انه لما كانت امه تنهاه عن كثرة الاسفار وتلومه على ارتكاب الاخطار انشد وقال فى الحال :

اقلى يا أميمة من ملامى ... وعذلى فى الرحيل وفى المقامى
فمن طلب العلا أمسى كهيا ... وأصبح جائلا تحت القتام
ولاقى كل جبار عنيد ... بطعن الرمح مع ضرب الحسام
فاهنا ما يلذ به فؤادى ... محادثة الضيوف على الطعام
وبذل المال نحو جياع قوم ... حيارى بين أطناب الخيام
ونارى دائما فى الليل تهدى ... الى الطارقين دجى الظلام
وانى فارس فى كل حرب ... منيع فى الطعان وفى الصدام
ويطربنى ضرير الرمح حتى ... أشبهه بآنية المدام
حياة لا يكون العز فيها ... حرام فى حرام فى حرام
فعش فى العز والاقبال يوما ... ولا تحت المذلة ألف عام

قال الاصمعى وكان هذا عروة قد سمع بحديث عنترة بن شداد ولكن ما اتفق له ان يراه فى قتال ولا طراد ولما جرى لعمارة ما جرى مع عنتر فى هذه المرة شكا الى أخيه الربيع ما به من الحسرة كان عروه ابن الورد حاضرا فى الحلة فى تلك الايام فاستحضره الربيع وبالغ فى الاكرام ثم حدثه بحديث أخيه عمارة وما جرى له مع عنتر من العبارة وطلب من عروة قتل عنتر لانه قد طغى وتجبر فقال له عروة وهل بلغ قدر عنتر هذا العبد الى هذا الحد ونسى ما كان فيه من رعى الجمال وجمع الجلة من بين التلال قال الربيع أى وحياتك يا أبا الابيض خرج علينا منه

شيطان مريد وعبد لا يقاس بالعبيد وقد رفع الملك زهير قدره وعظم أمره ولقبه بحامية بنى عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس ودعاه بابن عمه وكاشف غمه والآن نريد منك يا أبا الابيض ان تعيننا عليه لعلك تصرم عمره وتكفينا شره قال وكان عمارة حاضرا وقد لعب به سلطان الهوى وزاد به الوجد والجوى فطلب من عروة النصر على عنتر وقبله بين عينيه وبكى من شدة حرقه بين يديه فقال له عروة لا تبك ياوهاب فانا اقتله ولو صعد الى السحاب قال عمارة يا أبا الابيض ان قتلته فانا أعطيكفرسى اليعسوب ومائة ناقة حلوبقال عروة أنا ما أريد منكمالا ولا نوالا ولا نوقا ولا جمالا ولا بد ان اغتالهفى بعض المواضع واقتله حيث لا ناظر ولا سامع فاشرب وطيب قلبك واشرح صدرك لان الله قد يسر أمرك فعند ذلك شرب عمارة وطاب قلبه وخف كربه وداخله السرور والفرح واتسع صدره وانشرح قال وأما ما كان من عنتر فانه أصبح الصباح وأتت الفرسان الى خدمة الملك زهير والسلام عليه أتى فى الجملة وجلس بين يديه وبعد ذلك قام مالك بن زهير وقصد ابياته وأخذ معه عنتر وأبا عبلة وأقاموا ذلك اليوم فى دعوته وفرح عنتر بقضاء حاجته وجعل يشكر عمه ويصف مكارمه وحلمه ويقول له بالله ياعماه لا تضيع خدمتى لك ونسبى ولا تترك عمارة يشمت بى فقال له مالك بمكره والله ياولدى لا أعدك من اليوم الا عمدتى وركنى وأنت عندى فى منزلة ابنى فلا تظن ان كلامى كان لك فى ذلك اليوم الا حياء من بنى زياد لانهم بيت رفيع العماد فما أمكننى أجاوبك قدامهم الا على طبق المراد والآن فقد صار الملك يخاصم عنا بنى زياد ومضى ما بيننا من العناد وقد صفت القلوب من الاحقاد فشكره عنتر على ذلك المقال وأيقن ببلوغ الآمال وقال والله يامولاى ما أغضبنى ذلك اليوم الا قول ولدك عمر والله لو قتلنى الملك زهير ما سلمت أختى الى بعض خدمها وراعى ابلها وغنمها قال له عمه ياولدى ان ابنى رغب فى نعمة بنى زياد وأمل ان يختلط بهم ويعيش فى ظلهم وليس على كلامه اعتماد وهذا الأمر انا الى مرجعه والذى أدبره أنا فهو بالضرورة يتبعه قال له مالك بن زهير يامالك اقبل سؤالى فى عنتر وبلغه المراد وانا اكفيك مؤونة بنى زياد واريك ما افعل بعمارة الكشحان واحرمه ان يذكر ابنتك عبلة بشفة ولسان ، فشكره مالك على ذلك وأتموا بقية يومهم بالسرور والافراح وتناول

الاقداح الى أن اقبل الظلام فركب شداد ومالك ابو عبلة الى الخيام، هذا وقد استوى على جواده وسار فى ركاب عمه كأنه بعض اجناه وكان عمر أخو عبلة قد بات فى تلك الليلة غضبان لما رأى أباه قد أتى من عند مالك بن زهير وهو سكران وعلم ان عنتر كان معهم فى الجملة وانه أنعم له بزواج عبلة فتركه ان صحا وقال له يا أبتاه عرفنى ان كنت صادق الكلام فى تسليم أختى الى هذا العبد الأسود حتى أرحل عنك بسلام وحق الركن والمقام ان كان هذا الأمر صحيحا لا عدت ترانى ولا فى المنام قال يابنى طب نفسا وقر عينا وحياتك لأقتلنه شر قتلة وأعدمه الحياة وأجعله عبرة لمن يراه فطاب قلبه وما صدق أن الصباح يصبح حتى مضى الى عمارة وأعلمه بما جرى بينه وبين أبيه من العبارة فحدثه بحديث عروة بن الورد الذى ضمن له قتل عنترة ففرح بذلك واستبشر هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عروة فانه بقى متفكرا يتبصر فى أمر عنترة وصار يقول فى نفسه أنا رهنت لسانى مع بنى زياد ولا بد لى أن أنجز هذا الميعاد وما لى الا أن اترصده وأغتاله فى الصيد والقنص واكمن له وأجرعه الغصص ثم أرسل بعض عبيده يرصده حين يخرج الى الصيد لكى يتم ما نواه من الكيد قال الاصمعى ياسادة وكانت عبلة تحب عنتر وتريد قربه وتراسله وتطيب قلبه وتعلمه بكل ما يجرى من بيها ومايدور بينه وبين أخيها ولما أخبر عمارة أخاها بخبر عروة بن الورد أتى يسعى الى أبيه مالك واخبره بذلك وقال يا أبتاه لك البشرى جاءنا الأمر كما نريد من هلاك هذا الشيطان المريد قال وكيف ذلك ياولدى فحدثه بما عرفه عمارة من حديث ابن الورد وقال له ان شاء الله عن قريب يتم هذا الوعد وكانت عبلة كلما اختلى بوها وأخوها تجىء خفية عنهما وتسمع كل ما يقولان وترسل تخبر عنتر بما سمعت منهما فاتت تلك الساعة وسمعت ما دار بينهما فأرسلت من ساعتها الى عنتر تقول له يا ابن العم أوصيك أنك لا تغتر بكلام أبى وأخى وخذ لنفسك الحذر ولا تخرج الى الصيد الا وأنت غارق فى الحديد فان عمارة بن زياد قد عاهد عروة بن الورد على قتلك وضمن له ما يريد فخذ حذرك ودبر أمرك ولا تضيق من قبلى صدرك فانى لا أملك نفسى لغيرك ولو كان كسرى أبو شروان صاحب التاج والايوان فطاب قلب عنتر بهذا الكلام وسأل عن عروة بن

الورد فقيل له انه آخذ رجاله وسار من آمس الى آرض بنى مذحج يغير عليهم ويآخذ ما آمكنه من الأموال والأنعام وكان لعروة مائة فارس من بنى عبس تركب لركوبه وتنزل لنزوله وتحل مكان حلوله فآخذهم وآكمن لعنتر فى شعب يقال له شعب الأوداد وقد ترك على عنتر الارصاد الى آن خرج يوما من الأيام وشيبوب معه يعدو كظليم النعام فآثار له الصيد ورد له الوحش حتى آشرفا على ذلك الشعب فخرج عليهم فارس طويل القامة عريض الهامة كآنه دعامة وآطلق عليه عنانه وقوم سنانه قال وكان هذا الفارس عروة بن الورد وقد غير لباسه وآقام فى الكمين وهو يسحق على عنتر آضراسه حتى رآه قد آشرف عليه فخرج وبرز اليه بعد آن قال لأصحابه يابنى عمى اعلموا آن هذا العبد قد شاع ذكره بشدة البآس وسمعت عنه بالشجاعة ما لا آسمعه عن سائر الناس وقد ضمنت لعمارة قتله ورهنت لسانى معه وآنا آريد آن آحمل عليه واقرعه فلا يكن فيكم من يقاتله حتى تروه وقد استظهر على فعند ذلك آركضوا الى وآبذلوا فيه الصفاح وآرفعوه على آسنة الرماح وان رآيتمونى انا الظافر به فدعونى واياه آقتله وآفى بهذا الضمان وتكون قد عرفت منزلتى عند الفرسان وبعد ما فرغ من ذلك الكلام خرج على عنتر وصدمه صدمة الأسد الضرغام ولما رآه عنتر عرفه وناداه ويلك من تكون من الفرسان وما الذى آوقعك فى هذا المكان فما رد ولا نطق بسلب ولا ايجاب فقال عنترة ويلاه من هذا الفارس فانه جرىء الجنان ولكنه آخرس اللسان فقال شيبوب ويلك يا ابن الأم آقتله ودعه يكون كآن من كان وان لم تقتله دعنى آشك هذه النبلة فى صدره آو صدر الحصان ولو آنه النمرود بن كنعان فقال عنتر ياشيبوب اننى آريد الانصاف وآنا كفؤ له ولو آن معه خمسة آلاف وان صدقنى حذرى فما هو الا عروة ابن الورد الذى ضمن لعمارة نهاية أمرى فلما سمع عروة هذا الكلام وعلم آنه عرفه كشف عن وجهه اللثام وقال نعم آنا عروة بن الورد ياعبد السوء ولقد كنت لك فى الانتظار حتى آقتلك وآتركك مطروحا فى هذه القفار لأنك قد خرجت عن رتبتك وحدك ولم تنظر الى قدرك وسواد جلدك وعاديت بنى قراد ونسيت ما كنت فيه من رعى الجمال فى كل

شعب وواد وصرت تفضل نفسك على بنى زياد وأريد اليوم أن أصرم عمرك وأصرف عنهم شرك فقال عنتر احترس ياكلب العرب أين كنت فى وقعه بنى طى ولماذا لم تهاجم وتستخلص حريمك التى سبوها مع نساء الحى فقد كانت الفروسية ذلك اليوم عندما وقعت أموالكم ونساؤكم فى أيدى القوم والآن تريد أن تكافىء الذى صان حريمك بأن تجعله غريمك فهذه ليست أخلاق السادات الكرام الذين يعرفون الجميل ويحفظون الذمام ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وانحط عليه انحطاط صاعقة الغمام وزمجر فى وجهه كما تزمجر الأسود فى الآجام وتطاعنا بالرماح خلافا ووفاقا وطلع الغبار حتى بنى عليهما رواقا هذا وشيبوب قد تركهما فى القتال وعدا نحو الشعب مثل الغزال لينظر هل كان فيه أحد من الرجال فغاب ساعة وعاد كأنه ريح الشمال وهو ينادى ويلك يا أخى خذ حذرك فقد أتتك الأبطال فلما سمع عنتر هذا المقال هدر مثل أسد الرئبال وصدم عروة صدمة تزعزع الجبال وقلب الرمح وطعنه فى جنبه فألقاه على الرمال وكان قبل ذلك يلاعبه فى القتال مثل ما تلاعب اللبوة الشبال وحينئذ تركه مشتغلا بنفسه وطلب فم الواد واذا بالخيل خرجت كأنها نار الزناد فتلقاها بطعن يخطف البصر وضرب لا يبقى ولا يذر وهو يهمهم كأنه أسد قسور فقد المغافر والزرد ونثر الرجال مثل نثر البرد واراد شيبوب ان يعينه يرمى النبال فرأى الرجال بين يديه ممددة على الرمال وهم من حوله ذات اليمين وذات الشمال فصار يربط من فيه الروح ويترك المقتول والمجروح حتى وصل الى عروة بن الورد فشده كتافا وقال له أيها السيد لا تؤاخذ العبد وعاد الى أخيه فرآه يكدس الرجال حتى صاروا تلالا فوق التلال وما زال كذلك الى ان تعالى النهار فطلبت اصحاب عروة الفرار قد رأت ما حير منها الانظار وكان قد هرب منهم ثمانية وخمسون فارسا الى البر الاقفر من قدام الأمير عنترة وقتل أحد عشر واسروا احدى وثلاثين رجلا ثم أمر عنتر أخاه ان يشد الاسارى على خيولهم عرضا فشدهم وساقهم بين يديه وعروة نادم مما جرى عليه وذهبوا وهو يعض البنان ويلعن عمارة بكل شفة ولسان وسار عنتر عراض شيبوب وهو ينشد ويقول صلوا على النبى الرسول :

اعبـــلة لولا ان قصدت تكرما ... تركت جميع القوم بالسيف جثما

خرجت الى صيد الوحوش فثار لى ... غبـــار وفيه عـــروة قد تلثما

فدافعت بعض القوم عنى وقد غدوا ... الى الحى مهزومين كى يقباوا الحمى

واولا الحيا من آل عبس تركتهم ... طعاما لوحش البر لحمـا وأعظما

قفى واسألى ياعبل منهم ليخبروا ... لقد حق لى فى الحرب أن أتقدما

اخوض لظاها أســـودا ثم اثنى ... من الدم محمرا وقد كنت أدهما

اعروة دع مكر الربيع وغـــدره ... فما بيننـا ثأر ولا بيننـا دمـا

وان طاب هذا الكحل عنك عد غدا ... وبادر اليه ان تكن تشتهى العمـا

قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الربيع بن زياد فانه ركب فى ذلك اليوم هو وعمارة وقد طاب قلبهما بعروة بن الورد وهما ينتظران منه البشارة وكان الملك زهير قد ركب يتفقد المراعى فى سائر أولاده وخواصه وأجناده فقدم الربيع الى شاس وأعلمه بما دبر وكيف ضمن له قتل عنتر ففرح شاس بذلك واستبشر ولما رجع الملك زهير الى الحى أخذ الربيع أخاه عمارة وشاس وقال أريد أن نلحق عروة ابن الورد ونرى ما جرى له مع هذا العبد وأنا ارجو ان آراه قد شرب كأس العطب لأن عروة معدود من جبابرة العرب ثم انهم ساروا حتى قربوا من ذات الجرعاء واذا بأوائل المنهزمين فالتقاهم الربيع وصاحباه وهم يركضون ويلتفتون الى ورائهم مندهشين فقال لهم شاس ياويلكم ماوراءكم وأما الربيع وعمارة فانهما ذابت اجسادهما وتفتتت أكبادهما قال الراوى هذا وعمارة يقول وحق ذمة العرب ان ملك الموت لا يقدر أن يقتل هذا الشيطان الذى شابت من فعاله رؤوس الولدان ولا بد أن يأخذ عبلة ويملكها دونى وأموت من حسرتى وتفقدونى قال الربيع نحن نفـرغ جهدنا فى كل ما نقدر عليه وأما الآن فنجتهد فى خلاص عروة من يديه قبل ما يصل الى الحى وهو يساق كالبعير لديه ثم ساروا وهم يتشاورون

فى هذا الشأن واذا خرج عليهم نحو ثلثمائة من الفرسان يتقدمهم فارس أمرد وعليه جوشن منضد مقلد بسيف مهند ومعتقل برمح مسدد وعلى رأسه بيضة تتوقد وجال عليهم جولة الأسد الضرغام وانقض على شاس انقضاض الباز على فرخ الحمام وخطفه من سرجه وسلمه الى أجناده وعطف على الربيع وطعنه فقلبه عن جواده وصاح بعمارة فأذهله وضربه بالسيف صفحا على رأسه فكاد يهدمه من أساسه ثم ربط الجميع بالحبال وقطرهم كما تقطر الجمال قال وكان هذا الفارس من بنى معن يقال له الهجام بن جابر وهو من سادات العرب الأكابر وكان سبب قدومه الى تلك الديار ان الملك زهيرا لما سار الى قتال المتغطرس ووجده قد خالفه فى الطريق وكان السابق المتغطرس فوجد حلة بنى عبس خالية من الرجال لأنهم ساروا مع الملك زهير وكان ذلك له من أحسن التوفيق فقتل من قتل وأسر من اسر ولحقه عنتر وقتله وخلص الأسارى كما تقدم الخبر وأما الملك زهير فانه لما علم أن المتغطرس قد خالفه الطريق لم يكن له هدوء ولا قرار ما لم يرجع طالبا الديار فجاءت طريقه على حى بنى معن فقتل لهذا الغلام أخا وسبى عيالهم ونهب أموالهم وكان هذا الغلام غائبا فلما قدم من غيبته وعلم بما جرى على عشيرته سار فى هؤلاء الفرسان يطلب حلة بنى عبس وعدنان ليأخذ ثأره ويخمد ناره فالتقى بشاس والربيع وعمارة كما سبقت العبارة ولما عرفهم قال لأصحابه يابنى عمى ها قد أخذنا ابن الملك والربيع بن زياد وأخاه عمارة وأخاف بعد الربح من الخسارة والرأى عندى ان نرجع الى ديارنا ونقتلهم هناك أولى من ان نلقى أنفسنا بين قومهم ونتعرض للهلاك فقالوا له اصبت فى ما به أشرت ثم عولوا على العودة راجعين وقد شدوا شاسا وعمارة الربيع على خيولهم معارضين وما ساروا بهم ساعة من النهار حتى طلع من بين يديهم الغبار فتأهبوا للقتال وأخذوا رماحهم الطوال وكان هذا غبار عنترة بن شداد القادح النار من غير زناد ولما تقاربوا تقدم الهجام بين ايدى اصحابه وصاح بعنتر صيحة تصدع الحجر وقال له ويلك من تكون من البشر قال له عنتر بل الويل لك ياكلب العرب أنا عنتر بن شداد الذى شاع صيته فى البلاد قال الهجام مرحبا يا ابن السوداء أنت والله

غاية المطلوب هلم لكى اقرنك الى ساداتك ويكون معهم انصرام حياتك قال له عنترة ومن يكون هؤلاء الاسارى من الناس قال ويلك هـذا الربيع بن زياد وأخوه عمارةوابن ملكهم شاس قالله خابت والله آمالك واليوم تترمل عيالك هذا وشاس وصاحباه يقولون لبت الأعداء تنهبنا بسيوفها ولا يكون خلاصنا على يد هذا العبد الكشـحان فاننا نبقى عنقاء سيفه طول الزمان هذا والهجام تقدم الى عنتر وحمل عليه فحمل عليه عنتر كأنه من عفاريت منفر وضايقهولاصقه وسد عليه طرقهواطرافه وضربه بالسيف على عاتقه اطلعه يلمع من علائقه فلما رأى اصحابه ذلك حملوا على عنتر فتلقاهم بصدر جواده الأبجر وصار ينثر رؤوسهم مثل الاكر واكفهم مثل أوراق الشجر وشيبوب يرمى خلفه بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال ولم تزل السيوف عاملة والخيول جائلة والاعناق مائلة والرؤوس زائله والرماح خارقة والاجال متسابقة والارواح فى سوق المنايا نافقة والعربان على بنى معن ناعقة كانها وقعت عليهم الصـاعقة فوقعوا فى الندم وحال وجودهم الى العدم وماجوا كالبحر اذا انتظم وشابت من هول تلك الوقعة اللمم وكان لهم يوم ما سمع بمثله فىسالف القدم وما نجا منهم الا من كان جواده طيارا ففاز بنفسه وانهزم . قال فعند ذلك نزجل عنتر عن جواده وقبل يد شاس وقال له الحمد لله على زوال البأس ثم حله من وثاقه وأمر شيبوب أن يسوق فى الحبال بقية رفاقه ثم ان عنتر أخذ السوطمن أخيه شيبوب ونزلعلى عمارة الوهاب حتى هشم منه الاوصال والاجناب فصار يعوى مثل الكلاب وقال له ويلك يا عمارة السوء هذا جزاء من يعادى الرجال ولا يساوى قطعةمن النعال أين أخوك الربيع يرفع عنك هذا العار الشـنيع وأين صاحبك عروة بن الورد يكشف عنك سوط هذا العبد ويجمع صعاليكه الشداد ويقل لك عنتر بن شداد . قال الراوى فصعب على شاس كيف ان عنتر خرق بعمارة هذا الاخراق ولكنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقال ياأبا الفوارس ما هذه الفعال التى تفعلها ببنى عمك وهم على كل حال من لحمك ودمك فقال عنتر يامولاى ان بنى زياد قد لزموا معى العنـاد

ورتبوا لى عروة ورجاله حتى يقتلونى وقد نصرنى عليهم الاله العظيم رب زمزم والحطيم وهذا عروة قد أسرته مع رجاله وقتلت بعض أبطاله وهذا عمارة وأخوه الربيع لا بد أن احضرهما بين يدى ابيك حتى يرى فعلهما الشنيع وأظن أنه مافاتك خبر هذه الحيلة التى صنعوها وصرت معهم لكى تتموها فجاء الأمر بخلاف ما كنتم حاسبين وصرتم مغلوبين لا غالبين قال شاس يا أبا الفوارس أرجوك أن تطلقهم هذه الكرة وتقبل سؤالى فيهم هذه المرة قال عنتر اذا كان الأمر كذلك فاحفظ لى هذا الصنيع وأنا أطلق لك عمارة والربيع وأجيب سؤالك فى الاثنين وأما عروة مقدم الصعاليك فانى أقسمت انى لا أطلقه الا بين يدى ابيك قال أطلق الربيع وعمارة كما ذكرت وأنا أبلغك ما به اشرت ولكن بشرط انك لاتعلم بذلك أحدا ولا تطلعه على ماأصابنا أبدا قال عنترة لا ومالك الممالك لا اطلع احداعلى ذلك ثم ان عنترة أطلق الربيع وعمارة واعطاهما خيلهما فانطلقا الى الحى من وقتهما وهما فى حال الذل والأنكسار لا يعرفان الليل من النهار ويتمنيان أن يكون العدو قد قتلهما وما وقعا فى هذا العار هذا وسار عنتر على أثرهما كأنه كسرى أو قيصر أو أحد ملوك بنى الأصفر وعروة مشدود على ظهر الجواد وهو يلعن عمارة والربيع بن زياد . قال الراوى ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الدار ودخلوا على الملك زهير فتقدم عنترة اليه وقبل الأرض بين يديه ثم حدثه بتلك القصة فأخذت عمارة وأصحابه الغصة وأمر الملك أن يحلوا وثاق عروة فجلس بين يديه كالأرنب أو كالجمل الأجرب فقال له الملك زهير ويلك يا أبا الابيض أنت تدعى العقل والكرم والمروءة وحسن الشيم فما الذى دعاك الى معاداة عنترة الذى تخشى معاداته عفاريت منفر وهو حامية بنى عبس وعدنان الذى خاطر بنفسه وخلص حريمك من سبى بنى قحطان قال عروة يامولاى ليس الأمر كذلك ولكن أنت تعلم أننى كثير الاسفار شهرا أغيب ويوما فى الديار وفى هذه النوبة اخذت رجالى وطلبت مذحج فلما وصلت الى أرض الدوم وأنا اتحدث مع القوم سرح عن يمينى قطيع من الوحوش والغزلان وعن شمالى قطعة من البوم والغربان فصارت الوحوش تزعق والغربان تنعق وأنا

أعلم ان الطير والوحوش لا يجتمعان الا على قتيل فقصدت أن اكشف الخبر واذا أنا قد التقيت بعنترة وكان فى قلبى منه أمر عظيم لما سمعت عنه ولكننى ما عاينت قط قتاله ولا شاهدت نزاله ولما رأيته منفردا أردت أن اجرب نفسى معه وأختبر حاله وقلت ان ظفرت به نلت عند العرب المنزلة العليا وفزت بالذكر بين جميع أهل الدنيا وكان فى قلب الرجل خلاف ما فى قلبى فتلقانى وقتل رجالى وشدنى وأوثق عقالى واتهمنى بالزور والمحال فى مالم يخطر لى ببالى فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد كذب هذا الثعلب وما كان الا مكمنا لى فى أرض الروم ينتظرنى يوما بعد يوم وقد جعل على العيون والارصاد طمعا فى رشوة بنى زياد وهذا عمارة أخس الرجال الذى ضمن على قتلى المال ثم أن عنتر التفت الى عمارة وقال له ويلك يا ابن زياد ان هذا ذل لك واهانة وعجز وخيانة كيف تطلب من الناس قتل عبدك الزنيم وأنت السيد الكريم صاحب الشرف العظيم ان كنت من الرجال فالبس عدة الجلاد وابرز الى أنت واخوتك وجميع بنى زياد وأنا ما أقاتلكم بسيف ولا قنا وما أقاتلكم الا بهذا العصا . قال الراوى فلما سمع عمارة كلام عنتر قال له ويلك ياعبد السوء أنت أذل مما ذكرت وأحقر وان أردت ذلك فسوف تراه أسرع من لمح البصر وأنا لابد ان اسقيك كأس الحمام واقطع رأسك بهذا الحسام فقال عنتر لماذا لا تعجل بالقيام حتى ننظر افعال الوهاب الذى يستعير الناس لقتل عبيده اللئام الذين يرعون جماله ويخدمون جلاله . ثم اشار اليه وانشد يقول صلوا على الحبيب ص الرسول :

تهدد يا عمارة بالنزال ... شجاعا دابه طعن الصوالى

عمارة لو صدقت وقلت حقا ... عدلت من القتال الى الفعال
ولكن الذليل اذا تمادت ... به الآمال مال الى المحال
أيا ابن زياد قد عاديت ليثا ... صبورا فى الملمات الثقال
بياض فمائلى وسواد جلدى ... امر عليك من ضرب النصال
قمت كمدا كما قد عشت حزنا ... حسودا لى على ذات الجمال

ساحويها ولو أن المنـــــايا تميـل على فى صـــور الرجال
وقد عـاينتنى فى يـــوم على فان أنكرتنى جـــــرب قتالى

قال الراوى ولما فرغ الأمير عنتر من شعره قام اليه الربيـــع بدهائه ومكره وقال له وذمة العرب يا أبا الفوارس لقد كذب الذى أخبرك عن عمارة هذا الخبر فدع عنك هذه الاوهام وحقق النظر واعلم ان اخى عمارة من اليوم الذى أمره هذا الملك بالسكوت عن هذه الجارية ما ذكرناه بشفة ولا لسان ولا حدث عنها طول الزمان . واما هذا الرجل عروة فالقبيلة كلها تشهد له بالكرم والمروءة وحسن الشـــيم وتعرف ما يفعله نحو الضعفاء والأرامل والأيتام ولقد طالما يطلب لهذه القبيلة الذكر الجميل بين الأنام فلا تدخل يا ابن العم فى أمر يوجه اليك ملاما ومضرة على بنى الأعمام وما هو الا صادق فى الكلام ولكنه طوح نفسه فى التجارب فتأدب وصار يعرف مقام نفسه بين سادات العرب . قال الراوى ولما رأى الملك القضية مشكلة من سائر الجهات لم ير أصوب من الصلح بينهم لأن الربيع شيخ بنى عبس وكبيرهم ومدبرهم فى كل الأمور ومشيرهم . وعروة عند الناس مشكور وعنتر محسود لأنه دائما على اعدائه منصور فأصلح الملك زهير بينهم صلحا غير مقبول لأن احقاد العرب تزداد ولا تزول وبعد ذلك تفرقوا الوتيرة وقد شاع خبرهم فى العشيرة وسمع بذلك شداد ففرح واستبشر بســلامة ولده عنتر واما عمه مالك وولده عمر فعظم عليهما ذلك الأمر واشتعل فى قلوبهما الجمر وقال مالك هذا شىء لا ننال به مقصودا ولا نقهر به حسودا ولا نقدر أن نهلك هذا العبد السوء ان لم نبعد به عن الديار ونطرحه فى الاخطار والا افتضحنا فى سائر الاقطار قال وبقى مالك أبو عبلة يفكر فيما يعمل وقد ضاقت به الحيل والربيع بن زياد اشتد عليه الأمر وزاد . واما عمارة فانقطرت منه المرارة وتجرع الغصص ولم يجد له من قيد الهوى مناص ولما كان من الغد خرج عنترة وأخوه شيبوب للصيد والقنص وتسويع الغصص فأنفد الربيع خلف مالك وولده عمر ليتفاوضوا فى ذلك الأمر

فركبا اليه وركب معهما عمارة وساروا وهم يتحادثون فى هذه العبارة قال الربيع لمالك ان أردت هلاك عنترة فاسمع منى ما به آشير لأنى ما طلبتك الا لأجل هذا التدبير قال مالك وكيف ذلك قال من اليوم فصاعدا أظهر له المحبة والوداد وافعل معه كما تفعل الآباء مع الأبناء ولا تمنعه من دخول الخباء وأظهر له محبة الأهل والاقرباء وبعد ذلك طالبه بالصداق واذا قال لك ما الذى تريد قل له الف ناقة من النوق العصافير التى للمنذر ملك العراق حتى تفتخر بها ابنتى على سائر بنات العرب وتحوز أنت أعلى المنازل والرتب وانا أعلم يا مالك انه يسير الى بنى شيبان ويتعرض للمنذ بن النعمان فلا تسمع به ما بقى من الزمان ويكون عذرك واضحا عند الملك زهير وسائر العربان فيقول مضى حتى يأتى بمهر أبنة عمه فاغتالته طوارق الحدثان قال ولما سمع مالك ذلك الخطاب رآه عين الصواب وخف عن قلبه الالتهاب وقال عمارة وحق ذمة العرب يا أخى لقد فتحت لهذا الأسود نعم الباب وبمثل ذلك فاه عمر اخو عبلة لما سمع هذا الخطاب وما عادوا الى المضارب والخيام الا وقد أيقنوا بأن عنتر قد شرب كأس الحمام وعند المساء عاد عنتر من صيده فتلقاه مالك بالابتسام وأمر العبيد فأخذوا ما كان معه من الصيد ثم مضى به الى بيته وحادثه حتى نضج الطعام ففرح عنتر بذلك ورآه من أعظم الأنعام وأقام عنده ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أراد الانصراف فقال له عمه يا ابن أخى ان عبلة اليوم امتك وكل عشيرتها خادمتك فكن طيب الخاطر قرير الناظر فلما سمع عنترة كلام عمه زال ما كان من همه وغمه من عظم وجده وشدة غرامه ماوجد شيئا يكافىء به عمه على كلامه الا ثيابه التى على جسده فخلعها عليه وشكر فضله وقبل يديه وكانت ثيابه عظيمة لها قدر وقيمة وما تبقى عليه شىء يستتر به غير القميص فنظرته عبلة وهو عريان مثل فحل الجاموس وجسمه مثل الابنوس وفيه ضربات السيوف وخدشات الرماح وآثار الجراح فصارت تتعجب من صورته وتضحك من هول جثته فلما نظر الى ضحكها أنشد يقول صلوا على المكمل طه الرسول :

ضحكت عبيلة اذا رأتنى عاريا ... وبجانبى من الرماح خدوش

لا تضحكى بل فاعجبى منى اذا ... دارت على مواكب وجيوش

ورأيت رمحى فى الصدور محكما وعلى من سيل الدماء نقوش
ألقى صدور الخيل وهى عوابس وأنا ضحوك نحوها وبشوش
انى لأعجب كيف ينظر صورتى يوم الطعان مبارز ويعيش

ولما فرغ عنتر من أبياته قامت اليه عبلة وقالت والله يا ابن العم ما ضحكت الا فرحا برؤيتك وتعجبا من حسن صورتك لانى لما نظرت هذه الجراح ضحكت من شدة العجب لا من قلة الأدب ففرح عنتر بكلامها وأحضروا له ثيابا فلبسها وذهب ولم يزل كذلك وعمه يزيد له كل يوم فى الاكرام الى أن دعاه الى منزله فى بعض الأيام وأقام معه فى مطارحة الكلام وشرب المدام الى أن جن الظلام ومال عليه بالشراب ولده عمر حتى لعب برأسه الخمر فقال له عمه مالك يا أبا الفوارس مالنا تريد ان تقدم لعبلة فقد منعت عنها الطلاب وقطعت الخطاب اتأخذها بلا مهر وتتركها معيرة طول الدهر قال عنتر لا والله يامولاى حاشا لتلك الدرة المصونة والجوهرة المكنونة أن تسام بهذه المسام الرديئة أو تطلع عنها هذه السمعة الدنيئة وماكنت منتظرا الا كلامك فقل ماتشاء واطلب ما تريد الا ما تعجز عنه الفرسان الصناديد ولا يقدر عليه أحد من ملوك الزمان ولا يكون انقاد فى مهر قبل الآن الى بنت من بنات ملوك العربان قال مالك والله ياولدى ما اطلب منك الا ما جرت به سنة العرب لانها لا تطلب فى الصداق الا الجمال والنياق وانا أريد منك الف ناقة من النوق العصافيرية التى للملك منذر صاحب الدولة العربية لانها لا توجد عندنا فى أرض الحجاز فنحن نفتخر بها ونعتز غاية الاعتزاز وتنال انت بها العز والفخار وتحظى بعبلة على رغم انف الكبار والصغار فلما سمع عنترة ذلك الكلام داخله الفرح وابدى الابتسام ولعبت بعقله بلابل الغرام فاستهون شرب كأس الحمام فانعم واجاب وصفا عيشه وطاب وقال انى بعد قليل من الزمان آتيك بها وهى محملة من خزائن الملك النعمان ولو تعصب له كسرى انوشروان فعاهد مالك على ذلك واعطاه يده والغدر قد ملأ قلبه وكبده قال وقام عنتر الى منزل امه ونام تلك الليلة بالفرح والسرور ولم يعلم ما اضمر له عمه من المكر والغرور ولما انتصف الليل نهض ونبه اخاه شيبوب وقال له قم وشد الأبجر فانى عازم

على السفر قال الى أين نريد نمضى يا أبن أمى قال اننى سائر فى طلب مهر ابنة عمى قالت له امه زبيبة هل رضى عمك بذلك قال نعم يا اماه قد ذهب من قلبه الكيد والنفاق و زوجنى وطلب منى الصداق قالت له اذهب ياولدى أعانك رب السماء ونصرك على الأعداء فشد له شيبوب على جواده وقام عنتر ولبس عدة جلاده وركب وخرجا تحت ظلام الليل وامهما تبكى على فراقهما بدموع كالسيل .

قال له شيبوب يا أخى أى الطرق تريد ان تركب وأى المذاهب تريد أن تذهب قال يا ابن الأم الى أرض العراق فانها كثيرة الجمال والنياق قال الراوى فاخذ شيبوب يقطع قدامه الأرض حتى غابت عنهما الديار وتضاحى عليهما النهار واذا هم بغبار قد ثار حتى حجب الأبصار ثم ظهر من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول اخف من الغزلان ولما قربوا من عنتر عرفوه وصاحوا عليه وطلبوه ونادوا الى أين تذهب ياهجين فى هذه الروابى والقفار ونحن لك فى الانتظار واعلم يا عبد السوء انه قد حان منك الدمار واليوم نجعلك طعام الوحوش والأطيار قال فلما سمع عنترة هذا الكلام احمرت اماقى عينيه وظهر الزبد على شدقيه وحرك الأبجر واستقبل الخيل برمحه الاسمر وزعق من شدة الغضب وانقض على القوم كأنه سلهب وقال ويلكم ياأوغاد وطلب مقدم القوم كأنه النار ذات اللهب وأراد ان يطعنه فى صدره واذا به قد اسفر اللثام عن وجه كأنه البدر التمام ونادى لا تفعل ياحامية بنى عبس فانا الحارث بن الملك زهير وقد اردت ان امازحك فما فى الامر الا الخير وكان هذا الحارث طريد أخيه مالك الذى يحب عنترة ويتعصب له فى كل محضر وكان السبب فى ملتقاه بعنتر انه كان فى وليمة عند صديق له فى بنى غطفان سار اليها فى جماعة من الفرسان ولما عاد منها التقى بعنتر فاراد ان يلاعبه وجرى بينهما ما جرى كما تقدم الخبر فلما عرفه عنترة رمى نفسه عن جواده واسرع اليه وقبل فى الركاب قدميه وقال يامولاى ما هذا الحال لقد خاطرت بنفسك وبهؤلاء الرجال لابى وحق الركن والحرم لو فرط منى أمر لكنت قتلت نفسى من الندم فضحك الحارث وقال لله درك يا أبا الفوارس أين تقصد فى هذه السباسب التى لا يركبها الا كل مخاطر او هارب قال أيها الملك انت تعلم ان من أراد النفيس يخاطر بالنفوس وعبلة بنت عمى قد قاسيت لاجلها ما قاسيت من الشقاء

والبؤس حتى أنعم لى أبوها بزواجها وطلب منى مهرها وقد خرجت فى طلبه لكى انجز امرها قال الحارث ارجع معى ولا تبعد عن الحلة ونحن نعطيه ما يريد فليس فى اموالنا قلة وانى لأعجب كيف تركك أبى وأخى تسير وأنت وحيد فريد وما أعطاك ما تريد قال عنترة لا والله يامولاى ما علموا بمسيرى ولا اطلعت احدا على امرى قال الحارث والله لقد أخطأت يا أبا الفوارس فارجع معى وأنا اعطيك كل ما املك من النوق والجمال والذهب والملابس فشكره عنتر وقال له يامولاى لقد اكرمت وافضلت واحسنت واجملت ولكن عمى طلب منى شيئا لا يوجد فى أرضنا وقد ضمنت له ما طلبه ولا أقدر أعود الا به كما تقضى به شيم العرب قال الاصمعى فقال له الحارث اذا كان الامر كذلك فانا أسير معك ولا ادعك تخاطر بنفسك فى طرق المهالك قال عنترة وحق ذمة العرب لا أطاوعك على ذاك ابدا ولا أخاطر بمثلك فى خوض هذه المسالك قال له الحارث فان كان لابد من ذلك فاذهب مصحوبا بالسلامة وعسى أن تعود بالعزة والكرامة ثم ودعه هو ورجاله وصاروا طالبين الاحياء وسار عنتر فى طريقه يطارد الوحش وشيبوب يرده عليه حتى أمسى المساء فمال عن الطريق يطلب بعض الغدران واذا هو قد اشرف على بيت مضروب فى ذلك المكان فقصد اليه فظهر له شيخ قد انحنى من الكبر ومضى عليه الزمان وعبر فالتقاهما وقال لهما أهلا وسهلا بكما انزلا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فلما سمع كلامه عنتر نزل عن الأبجر واضرم ذلك الشيخ النار وصنع لهما الطعام واكل معهما وجعل يحادثهما بالكلام وبعد ذلك سأل عنتر الى أين هو سائر ومن أى العشائر فاخبره بقصته من الأول الى الآخر فقال له الشيخ قاتل الله عمك لقد بالغ فى التدبير وانفذك الى الهلاك والتدمير قال عنتر وكيف ذلك يا شيخ يقال ياولدى هذه النوق العصافير لا توجد الا فى بنى شيبان وهى لملك يقال له المنذر بن ماء السماء اللخمى سيد قبائل العربان وخليفة كسرى انوشروان وهى عشرة آلاف ناقة اذا سارت تكاد ان تطير ولذلك يقال لها النوق العصافير . ومنزلها حول الحيرة وأرض النجف وأنت وحق الكعبة سائر بنفسك الى الهلاك والتلف لأنك ان أردت تأخذها جهرا شربت كأس العطب وان أخذتها خطفا فاين تغدو بها ومن يقدر ان يحميك من قبائل العرب . وأعلم ياولدى اننى قد نصحتك لأجل أكلى معك الطعام فلا تطرح نفسك الى لهوات الحمام. فقال له أخوه شيبوب والله

يا أخى ان هذا الشيخ قد نصحك فاقبل وارجع ولا تعرض نفسك للفضيحة واطلع الملك زهير على ذلك فانه يبلغك المراد رغما عن عمك وبنى زياد قال عنتر ويلك ياشيبوب دع عنك هذا الكلام فانى لا اسمعه ولا أدع عمى يرانى بعين عاجز عم اصنعه ويلك هل أعود الى عمى بعد خوض البلاد وأقول له عجزت عن مهر ابنتك فزوجها لابن زياد والله ما فعلت ذلك ولو مالت على الجبال فى صور الرجال . ثم انهما باتا عند ذلك الشيخ ولما أصبحا ودعاه وصارا يضربان فى الآفاق قاصدين أرض العراق وقد حمل عنتر نفسه على ارتكاب الخطر وحب عبلة قد أعمى منه البصر ولما طال عليه المسير أنشد يقول صلوا على نبى الهدى طه الرسول :

بأرض الشرية شعب ووادى ... رحلت وسكانه فى فؤادى
يحاون فيه وفى ناظرى ... وان ابعدوا فى محل السواد
اذا خفق البرق من أرضهم ... أرقت وبت حليف السهاد
أيا عبل منى بطيف الخيال ... على المستهام وطيب الرقاد
عسى نظرة منك يحيا بها ... حشا ميت بالجفا والبعاد
أيا عبل ما كنت لولا هواك ... قليل الصديق كثير الأعادى
وحقك لا زال ظهر الجواد ... مقيل وسيفى ودرعى وسادى
الى أن أدوس بلاد العراق ... واسبى حواضرها والبوادى
اذا قام سوق لبيع النفوس ... ونادى وأعلن فيه المنادى
واقبلت الخيل تحت الغبار ... بوقع القنا والسيوف الحداد
هنالك اصدم فرسانها ... فتمضى ممددة كالعماد
وأرجع والنوق موقورة ... تشير الهوينا وشيبوب حاد
وتسهر لى أعين الحاسدين ... وترقد أعين أهل الوداد

قال الراوى وما زال عنتر وشيبوب يقطعان القفار والفدافد حتى اشرفا على ديار بنى شيبان وقد بقى بينهما وبين الحيرة يوم واحد فابصرا بلادا عامرة وخيرات وافرة وأنهار دافقة وأشجار باسقة ومواشى بعدد النمل وحبات الرمل فلما رأى عنتر ما فى تلك الديار من الخلائق

ما بين صامت وناطق داخله الهول والارتباك وعلم أن عمه ما انفذه اليها الا وقد اراد له الهلاك غير انه ثبت عزمه المتين وسلم أمره الى رب العالمين وقال لشيبوب يا ابن الأم انطلق وانظر لى هذه النوق وارجع الى بالخبر حتى استريح هنأ وأريح الأبجر فاخذ قوسه وكنانته والقى العصا على اكتافه وسار الى المراعى وهو بصفة راعى فوجد المواشى تنشق شحما ولحما لخصب تلك الأرض وهى قد انتشرت فى تلك السهول ملأتها بالطول والعرض فلما رأته العبيد ترحبوا به واكرموه واخرجوا له من الزاد الذى معهم وأطعموه ثم سألوا من يكون من العبيد وكيف اتى الى تلك البلاد وماذا يريد فقال لهم يابنى الخالة أنا من عبيد بنى زبيدلى مولى جبار عنيد لا يرحم عبدا ولا أمة ولا له على أحد مكرمة فهربت من بين يديه وابعدت عن الديار حتى لا يلتقينى أحد ويردنى اليه فقالوا له يا ابن الخالة أقم عندنا بقية عمرك فأنك تكون فى امان من حوادث الزمان ونحن نقول لمولانا الملك المنذر ان يزوجك ببعض امائه وتكون عندنا فى حماه فشكرهم شيبوب على ذلك التدبير وأقام عندهم بقية يومه حتى عرف النوق العصافير فوجدها من عجائب الزمان لأنها كانت بيض الألوان ولها اوبار ناعمة كريش النعام واسنمة كالقبب العظام وقوائم كأعمدة الرخام وعيون سود الحدق فسبح من خلق . فتعجب من حسن منظرها البديع غير أنه داخله من أخذها الهول المريع ثم انه جلس مع العبيد على الطعام وساق الابل معهم حتى قرب من الاحياء وخيم عليهم الظلام فعاد عنهم وقد اشتغلوا عنه وانطلق يعدو كالظبى النافر أو الطير حتى وصل الى أخيه وأنبأه بالخبر وحدثه بما سمع ونظر وقال له يا أخى وحق ذمة العرب ما نحن الا فى مقام الخطر الا أن يسعدنا الرب القديم فنجوا من هذا الهول العظيم . قال عنتر ويلك ياشيبوب اما تعلم انه من لا يصبر على النوائب لا ينال اعلى المراتب . ثم انه اقام الى وقت السحر واعد له شيبوب على جواده الابجر وافرغ على جسده الحديد ففصار كأنه البرج المشيد وسار الى المراعى ولبث ساعة واذا قد اشرفت النوق العصافير كقطع الجبال وكل عشرة من العبيد مع الف ناقة تسوقها حتى لا تزاحمها فحول الجمال فلما رآهم عنتر امهلهم حتى قربوا من المرعى وسرحوا مواشيهم تسعى واخذوا فى حديثهم

ولعبهم ولم يلتفتوا الى عنتر لأنهم لعزة انفسهم لا يبالون باحد من البشر قال عنتر ويلك ياشيبوب اذهب وامسك الطريق من جهة الحلة على العبيد ولا تمكن أحدا من الهزيمة حتى لا يثور علينا الصائح الا ونحن قد صرنا فى مكان بعيد فركض شيبوب حتى صار خلف العبيد وأفرغ كنانته بين يديه وأوتر قوسه وجثا على ركبتيه والعبيد عنه غافلون وهم فى لعبهم مشتغلون . فلما علم عنتر ان أخاه قد وصل الى الطريق حرك جواده وخاض فى وسط النوق وقطع برمحه الف ناقة أسرع من نار الحريق وصاح فى العبيد ويلكم سوقوا النوق وسيروا بها قدامى والا خضبيك من دمائكم حسامى قال فعند ذلك ثاروا الى وجه عنتر وقد أذهلهم مرآه وصاح فيهم المقدم عليهم دونكم اياه ثم بدر اليه وقال له ويلك من أنت أيها الجاهل المغرور الذى سعى برجليه الى الهلاك والثبور اما علمت أن هذه النوق للملك المنذر بن النعمان خليفة كسرى انوشروان فتلقاه عنتر بقلب أقوى من الحجر ثم علاه بضربة على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه . فلما رأت العبيد تلك الضربة وقعت فى قلوبهم الرعبة وساقوا النوق وجفت اكبادهم وتصبغ بالصفرة سوادهم وعلت الضجة فى المراعى فسار بعضهم خلف عنتر فعاد اليهم ومددهم على الثرى وترك أكثرهم للوحش قرف وقصد بعضهم الحلة فالتقاهم شيبوب بنباله وردهم الى الوراء وجعل يرمى صدورهم ونباله لا تخطىء ابدا حتى ما بقى منهم احد ثم لحق اخاه وعدل بالعبيد والجمال واستقبل مهب الشمال وغاص فى القفار والسباسب وقد ساق سوق الخائف الهارب وتأخر عنتر حامية له على الأثر الى ان تنصف النهار واذ قد طلع من خلفهم الغبار حتى سد منافس الأقطار ثم ظهرت من تحته الفرسان من ابطال بنى شيبان ولمعت الصفاح وبرقت أسنة الرماح حتى أشرفوا على عنتر والغنيمة سائرة بين يديه فتدفقوا من كل جانب عليه وهم ينادون ياكلاب العرب اين تنجون من سطوة بنى شيبان ومن سيف الملك المنذر بن النعمان. وكان الصائح قد وصل الى الملك المنذر وهو قد خرج للصيد فى ظاهر الحيرة ومعه جماعة من رجال العشيرة فقال لولده النعمان وهو الأكبر انظر ما لهؤلاء العبيد وعد الى بالخبر فتقدم اليهم فاخبروه ان خيلا اغارت على المراعى وأخذت الف ناقة من النوق العصافير وجدت فى المسير فلما

سمع النعمان ذلك حرك الجواد وتجارت خلفه الفرسان الجياد وتبعته بنو شيبان حتى لحقوا بعنتر كما سبق الايراد ولما رآهم عنترة حمل عليهم حملة الأسد القسور وانصب عليهم انصباب المطر فاطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وعلت منهم الضجة والرنة فلما نظر عنتر الى تتابع الخيول ولمعان النصول تلقى الفوارس والخيل كما تتلقى الأرض العطشانة وابل السيل وطعن فى الصدور وأجرى الدماء من أنابيب النحور وكانت الرجال تتابع اليه وهو ينكسها على الأرض ويطرح بعضها فوق البعض الى أن كثر عليه العدد وتزايد المدد وعدم الصبر والجلد فخاض معهم تحت الغبار والهتهم بالصارم التار وكان اذا طعن ضلعا دقة وان ضرب راسا شقه وكلما ازدحمت عليه الأبطال صاح فيها وبدرها وكر على الخيل فشردها هذا وشيبوب مشتغل عن معونته بالنوق والعبيد قويت قلوبها بقدم مواليها فتأخرت عن السوق ولما رأى النعمان عنتر وشيبوب وحدهما وليس فى المعركة غيرهما قال لقومه أذلكم الله من بين الفرسان فارس واحد من العبيد يفعل بكم هذه الفعال وأنتم فى هذا العدد من الأبطال فانعطفت جماعة منهم الى شيبوب وأطبق البافون على عنترة فانفرد شيبوب الى ناحية وربض كأنه الذئب الاغبر ونادى ويلكم يا أنذال العرب وحق الكعبة ان تقدم أحد منكم ضربته بنبلة فى صدره وأطلعها تلمع من ظهره واما عنترة فانه قاتل حتى كلت يداه وخدر ساعداه وفاض عليه الجمع وزخر وخيم الغبار فوقه وانتشر وقصر من تحته الابجر وما تبقى له سبيل أن يتقدم ولا يتأخر فكبا به الجواد فترجل وقد أيقن بحلول الأجل وحينئذ قصدته الرجال مثل السلاهب وتدفقت عليه من كل جانب فضرب فيهم ضربا لا يبقى ولا يدر ونثرهم فوق بعضهم كورق الشجر وقاتل فيهم قتال من استقتل وما تبقى له فى السلامة أمل فتكرست القتلى فوق الرمال حتى ما تبقى للخيل من كثرتها مجال وبينما هو يفرق الشجعان وينكس الفرسان عثر بقتيل فوقع على وجهه فأدركته الرجال وبركوا على صدره وأوثقوه بالحبال وأخذوه أسيرا فى حال الذل والهوان بين يدى النعمان وأما شيبوب فانه من حينما غاص أخوه بين هذا العسكر الجوار ما رآه لأنه كان مشتغلا بالنياق والعبيد

والفريق الذى تلقاه وبينما هو كذلك اذا بالجواد الأبجر وهو خالى السرج من عنتر فأيقن انه قد قتل واندثر ففاض الدمع من عينيه وانطلق يعدو على قدميه فانطلقت خلفه الفرسان وتبادرت اليه كالعقبان وهو يعدو فى البر كالغزال النافر او الطير الطائر وغاص فى البر بقوة عصبه والخيل تلح فى طلبه فلا هو يفوتها ولا هى تدركه وتظفر به بل دام الأمر كذلك من الظهر حتى اقبل الظلام وانسدل القتام فوصل الى كهف جبل فيه غلام من رعاة الغنم وبين يديه نار تضرم فلما رآه شيبوب ناداه يافتى اجر عبدك الطريد الذى صار اذل العبيد فقال مرحبا بك قد دعوت غلامك الذى يبذل نفسه قدامك فدخل شيبوب الا انه ما استقر حتى وصلت اليه الخيل وهى تتدفق مثل السيل وقالوا للغلام ويلك اخرج لنا هذا الشيطان الذى قتل فرساننا وخيولنا وبلبل عقولنا وخيولنا وبلبل عقولنا فقال الغلام ياسادات العرب هبوه لى واقبلوا فيه كلامى فانى قد اجرته وصار فى ذمامى قالوا لا كنت ولا كان ذمامك اخرجه لنا لكى نقتله والا قتلناك قبله لأن اخاه قتل من بنى عمنا اكثر من ثلثمائة فارس وقد لقينا من هذا الشيطان ما لا تقدر عليه الجن والأبالس فارحم نفسك وسلمه الينا سريعا والا قلناكما جميعا قال لهم ياوجوه العرب اذا لم تسمح انفسكم بتركه فأبعدوا عن باب المغار مقدار أربعين ذراعا وانا اخرجه لكم وحينئذ دونكم اياه ولا تجعلوا ذمتى تذهب ضياعا قالوا له قد قبلنا سؤالك فافعل ما بدالك فعندها دخل على شيبوب وقال له يافتى قد سمعت ما جرى لى مع هؤلاء اللئام الذين لا يعتبرون الذمام وانا قد رضيت باتلاف مهجتى ولا اضيع حرمتى فاخلع الثياب التى عليك والبس ثيابى وخذ مزودى وعصاى بيديك واذا صرت على باب المغار قل لهم ياوجوه العرب دخلت اخرجه لكم فما رضى ان يخرج معى وانا قد نزلت لأجلكم عن ذمامى فدونكم اياه وانا ذاهب حتى لا يكون قتله امامى واذا رأيتهم دخلوا الى فاطلب لنفسك النجاة ودعنى اياهم حتى يسقونى كاس الحمام ولا اعيش مفسوخ الذمام فعندها لبس شيبوب ثياب الراعى واخذ مزوده وعصاه وخرج من المغار وسواد الليل قد اخفاه وقال لهم كما علمه الغلام وانطلق يعدو تحت الظلام فعند ذلك دخل القوم الى المغار واخرجوا الغلام فعرفوه

ولاموه على ذلك وعنفوه فقال ياوجوه لعرب انه قد استجار بى فأجرته واعطيته الذمام واذا لم اقدر على حمايته رضيت ان أشرب كأس الحمام ولا اعيش ساقط الحرمة بين الانام وها انا قد صرت بين يديكم فان منتم على بالاطلاق شكرتكم فى جميع الآفاق والا فافعلوا ما شئتم فقد فوضت امرى الى الخلاق قال فتعجبوا من تلك المروءة العظيمة التى لم يسمع بمثلها فى الأعصار القديمة ولم يروا على انفسهم ان يقتلوه ويرجعوا با لخزى والمذمة ويفوز هو بالكرم وحفظ الذمة فرجعوا عنه خائبين ومن قصته متعجبين واما ما كان من شيبوب فانه نجا بنفسه وسار حتى اصبح عليه الصباح وهو يذكر ما جرى لأخيه ويندب ودموعه على خديه تسكب وكان اشد المصائب عليه دخوله الى الحى ونعيه لاخيه وشماتة الأعداء فيه ولا سيما عمه مالك وولده عمرو والربيع بن زياد واخوه عمارة القواد ولما تمادى به المسير التهبت فى قلبه نار السعير . فأنشد وجعل يقول صلوا على المحمود طه الرسول

يافارس الخيل ما للخيل تبكيكا ... ماعادة السمر تحلو من أياديكا
لاكان يوم رأيت الطعن مستبقا ... اليك يهوى وأطراف القنافيكا
فما حياتى بعد اليوم طيبة ... ولو قدرت بروحى كنت أفديكا
سقاك عمك كأسا من خديعته ... فلا سقى الغيث يا ابن الأم سأبيكا
واليوم تعلم عبس حق مافقدت ... اذا أتيت الى الأحياء ناعيكا
ويشمت ابن زياد بعد غصته ... ويشتفى لا شفى ربى اعاديكا
وبنت عمك تضحى وهى جارية ... له ولو عشت لم ترضاه مملوكا
يافارس الخيل مابقيت لى جلدا ... ولا فؤادى مدى الأيام يسلوكا
والمهر يصهل بين الخيل ملتفتا ... اليك كالمرأة الثكلى يناديكا
لهفى عليك وقد أمسيت منطرحا ... مضخما بالدما والنقع يعلوكا
سقى ثراك الحيا فى كل باكرة ... وأزهر الروض لا زالت تحييكا

قال الراوى هذا ما كان من شيبوب واما ما كان من عنترة فانهم اخذوه اسيرا بين يدى النعمان وهو مع ذلك يدمدم كالأسد الغضبان

وعيناه تقدحان الجمر كمواقد النيران فتعجب من شدة جسارته وهول صورته فقال للقوم سيروا به الى ابى لكى يتفرج عليه ويفعل به حسب ارادته فساقوه بين يدى المنذر وكان ذلك آخر النهار والكتائب قد احدقت به ودارت حوله كالأسوار وكان قد خرج الى الصيد وهم ان يرجع الى الأوطان فظهر عليهم اسد من أرض يقال لها خفان وطلبهم وهو يدمدم فيقلب الوديان . قال ولما ظهر ارعب القلوب والأكباد ونفرت الى ورائها الخيل الجياد فتبادرت نحوه الأبطال واكثرت الصياح من اليمين والشمال واتفق فى ذلك الوقت وصول النعمان بعنتر فقدمه الى ابيه واخبره بالخبر فتعجب المنذر من افعاله واندهش من هول منظره وشدة اوصاله وقال له من اى العرب انت يا عبد النحس قال يا مولاى من بنى عبس قال هل تكون عبدهم ام نزيلا عندهم قال يا مولاى ان النسب عند الرجال الطعن بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال والصبر فى معمعة القتال وانا طبيب بنى عبس اذا اعتلت وحاميها اذا ذلت وحافظ حريمها اذا ولت قال فتعجب الملك المنذر من فصاحته وقوة قلبه ووقاحته قال وما الذى حملك على التعرض لأموالى وقتل رجالى فقال ظلم عمى وغدره وخبثه ومكره لأنى ربيت فى نعمته وضيعت عمرى فى خدمته طمعا فى زواج ابنته فطلب منى مهرها الف ناقة من النوق العصافير فساقتنى اليك المقادير والآن ان شئت تقضى على او تغنم الأجر والشكر بالاحسان الى وانا اكون عبدك على طول الزمان وخادمك الذى يغنيك عن كثير من الجنود والاعوان فان العفو بعد المقدرة ومن شيم الكرام قبول المعذرة لأن عمى قد طلب منى هذا الطلب وغلب على الجهل لشدة رغبتى فى ابنته فوقعت فى هذا العطب فقال له وانت فى هذا العقل والادب كيف ركبت هذا الغرور وخاطرت بنفسك لأجل جارية من بنات العرب قال عنتر اى يامولاى ان الهوى يحمل الرجال على ركوب الأخطار والاهوال واى بلية تحمل النفوس على الهلاك والقتل ولا تكون النساء فيها الفرع والاصل والله يا مولاى ما اوقع الرجال فى مثل هذه المواقع الا النظر الى ماتحت البراقع ثم فاضت عيناه بالدموع وتنفس من فؤاد مصدوع

وانشد يقول صلوا على خير البرية طه الرسول :

جفون العذارى من خلال البراقع ... أحد من البيض الحداد القواطع
اذا جردت ذل الشجاع وأصبحت ... محاجره قرحى بفيض المدامع
سقى الله عمى من يدالموت جرعة ... وشلت يداه بعد قطع الأصابع
كما قاد مثلى بالمحال الى الردى ... وعلق آمالى بذيل المطامع
لقد ودعتنى عبلة يوم بينها ... وداع يقين أننى غير راجع
وناحت وقالت كيف حالك بعدنا ... اذا غبت عنا فى الأراضى الشواسع
وحقك لاحاولت فى الدهر سلوة ... ولا غيرتنى عن هواك مطامعى
فكن واثقا منى بحسن مودة ... وعش ناعما فى غبطة غير جازع
خلقنا لهذا الحب من قبل خلقنا ... فما يدخل التفنيد فيه مسامعى
فيا نسمات الريح بالله خبرى ... عبيلة عن رحلى بأى المواضع
ويا برق بلغها الفداة تحيتى ... وحى ديارا كان فيها مراتعى
ويا صادحات الأيك ان مت فاندبى ... على تربتى بين الطيور السواجع
ونوحى على من مات ظلما ولم ينل ... سوى البعد عن أحبابه والفواجع
وياخيل فابكى فارسا كان يلتقى ... صدور المنايا فى غبار المعامع
وأمسى بعيدا فى هوان وذلة ... وقيد ثقيل من قيود التوابع
ولست ببالك أن اتتنى ملمة ... ولكننى أهفو فتجرى مدامعى
وليس بفخر وصف بأسى وشدتى ... وقد بان فخرى فى جميع المجامع
بحق الهوى لا تعذلونى واقصروا ... فعذلكم ما مر لى بالمسامع
وكيف أطيق الصبر عمن أحبه ... وقد أضرمت نار الهوى فى أضالعى

قال الراوى فتعجب الملك المنذر من فصاحته وشجاعته وقوة جنانه وبراعته وعلم انه غريق فى بحر الغرام لا يدرى ماله او عليه من حوادث الايام وبينما هو كذلك اذا بالرجال تقدموا اليه وقالوا ايها الملك قد سطا علينا الأسد فكان الشجاع منا من فرق من بين يديه ونظر من بعيد اليه وقد اهلك منا جماعة ولم يقدر عليه لأن الرماح لا تعمل له فى جسد ولا يجسر عليه احد فقال الملك بادروه بالنبال قبل ان يلتجىء الى

بعض آحاقيف الرمال ويقطع الطرق والمسالك ونعير فى سائر القبائل بذلك قال الراوى فلما سمع عنترة كلام الملك انفتح له باب الأمل وطمع فى تأخير الأجل وقال يا ملك قل لأصحابك يرمونى بين يديه فان افترسنى تكون قد بلغت منى المرام وان قتلته تعاملنى بما استحقه من الأحكام فاجاب الملك سؤاله واشتهى ان يرى افعاله فقال لحجابه حلوا يديه ورجليه حتى نرى ماذا يعمل وتتفرج عليه قال لا وحق ذمة العرب لا تحلوا الا يدى ودعوا رجلى فى الوثاق حتى لا يكون لى منه براح ولا فراق فتعجب الملك من مقاله واشتهى ان ينظر الى اعماله فحلوا يديه من عقاله وعند ذلك آخذ عنترة سيفه وذهبوا به اليه وتبعه من بعيد الملك ومن حواليه فعجل عنترة نحو الأسد وقد هاجت فى راسه النخوة وانشد صلوا على سيد الشجعان محمد

دونك يا كلب البطاح والربى اليوم أسقيك بكفى العطبا
وسوف تأتى فارسا غشمشما حلا حلا عند اللقا مجربا
لقد هزمت الخيل يا وحش الفلا فأين تبغى اليوم منى الهربا

انتهى الجزء الرابع من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الخامس

الجزء الخامس

من سيرة

عنترة بن شداد

خذ هذه الضربة بالضامى الذى ... عن الصخور الصم قط مانبا
بكف عبال الساعد بن فاتك ... يجعل كل سبع الغاب ثعلبا

قال الراوى ثم تقدم عنترة الى الأسد فصرخ الأسد عليه صرخة تفلق الحجر الجلد فاجابه عنترة بصرخة اعظم من صرخته واستتر منه بجفنته فوثب الأسد على عنترة والقى نفسه عليه فابتدره بضربة بين عينيه طلع السيف من بين فخذيه ووقع على الأرض شطرين فمسح عنترة سيفه فى جلده ورجع وهو يحجل فى قيوده كأنه قاتل أرنبا فى وكره أو طفلا فى مهده وقد اقشعرت جلود الناس من هول تلك الضربة ووقعت فى قلوبهم الرعبة وقالوا والله ان قتل هذا الرجل حرام فانه فارس ما سمحت بمثله الأيام هذا والملك المنذر قام وهو يقول والله ان هذا الفارس لا يقاس بالفرسان ولا ينتج مثله الزمان وما بقى له عندنا الا العفو والاحسان فأشار اليه عنتر يقول : صلوا على الحبيب الرسول

ترى علمت عبيلة ما ألاقى ... من الأهوال فى أرض العراق
طغانى بالريا الغدار عمى ... وجار على فى طلب الصداق
فخضت بمهجتى بحر المنايا ... وسرت الى العراق بلا رفاق
وسقت النوق والرعيان وحدى ... وعدت أجد من نار اشتياقى
وما أبعدت حتى ثار خلفى ... غبار حوافر الخيل العتاق
وطبق كل ناحية وفج ... وأشعل بالمهندة الرقاق
وضجت تحته الفرسان حتى ... حسبت الرعد محلول النطاق
فعدت وقد علمت بأن عمى ... دهانى بالمحال وبالنفاق
وبادرت الفوارس وهى تجرى ... بطعن فى الصدور وفى التراق
وما قصرت حتى كل مهرى ... وقصر فى السباق وفى اللحاق

نزلت عن الجواد وسقت جيشا ... بسيفى مثـــل سوقى النياق
وفى باقى النهـــار ضعفت حتى ... أسرت وقد وهى عضدى وساقى
وفاض على بحـــر من رجـــال ... بأمواج من الســـمر الدقـاق
وقادونى الى مـــــلك كريم ... عظيم قـــدره فى العـــز راق
وقد لاقيت بين يديه ليثـــا ... شـــديد الملتقى مـــر المذاق
بوجه مثـــل دور الترس فيـه ... لهيب النـار يشعل فى الأمـاقى
قطعت وريده بالسـيف جزرز ... وعدت اليـــه أحجـل فى وثاقى
عساه يجـــود الى بمراد عمى ... وينعم لى بهاتيـــك النياق

قال الراوى فلما سمع المنذر شعر عنتر قال لحجابه وحـق مفـرق الأديان ان هذا الرجل أعجوبة فى هذا الزمان لأنه حـوى الفصـاحة والشجاعة والقوة والبراعة والجسارة والاقدام على الأمور العظام وبه أفتخر عند كسرى انوشروان وأبين فضـل العرب على العجـم عبـاد النيران وأنه يستحق ان يطلق أسره ويعفى عنه ولو كان قتل لناخمسمائة من الأبطال لأنه يقدر بالألوف من الرجال ولا يليق ان يرفع عليـه السلاح ولا ينجو به الا كل جاهل لا يعرف المساء من الصباح . ولابد لنا ان نبلغه ما طلب وننعم عليه بما أتى لأجله وكان لمعرفتنا السبب . قال الراوى ثم ان ناموس الملك خطر على باله واستنكف من اخراق عنتر لحرمته وقتله لرجاله فأمر بالترسيم عليه لينظر ما يؤول أمره اليه فوضعه فى حجرة واقام جماعة يحافظون عليه بدون اهانة ويقدمون له ما يحتاج اليه بتمام الأمانة . قال الراوى وكان كسرى ملك الفـرس يحكم على بلاد العراق ، وملوك الحيرة كانوا نوابا له فى تـلك الآفاق وكان الملك المنذر يتردد اليه فى اكثر الاحيان وهو يكرمه وينعم عليه ويبالغ فى الاحسان اليه فحسده بعض الحجاب وقال للملك كسرى يامليك الى كم تكرم هذا البدوى عابد الحجر وترفع قدره ان غاب أو حضر وهو أقل من هذا وأحقر لأن العرب رعاة الأغنام والبقر لا يفتخرون الا بالسرقة والغارة وعبادة الحجارة وكان ذلك الحاجب عزيزا عند كسرى وتحت يده عشرون الفا من الفرس والديلم وكان اسمه الخسر وان بن جرهم وما زال يحدث كسرى بالكذب والمحال حتى تغير قلبه عن مودة

المنذر واستحال واتفق ان الملك المنذر حضر الى زيارة كسرى فى تلك الأيام فقال الحاجب لكسرى سأريك جهل هذا البدوى لتعلم مايستحق من الاكرام فلما جلس على الطعام واياه وضع الحاجب قدام كسرى تمرا منزوع النوى وقدام المنذر تمرا بنواه فصار كسرى ومن حوله يأكلون التمر ولا يرمون شيئا منه فظن المنذر ان هذه عادة لهم فصار يأكل مثلهم وكان ابتلاع النوى يتعسر عليه فصاروا كلهم يضحكون عليه فخجل المنذر وقال ما لكم تضحكون فأظهر له كسرى ذلك السر المكنون فغضب المنذر وقام عن الطعام ثم انصرف الى بلاده وهو يلعن الفرس والأعجام ولما وصل الى الحيرة أعلم العربان بما جرى بينه وبين كسرى فى المدائن وأمرهم ان يغيروا على بلاده والقواقل التى تأتى اليها ففعلوا حتى حرموا الطير ان يطير نحو تلك الاماكن فأرسل كسرى الى المنذر يأمره أن يردع قومه عن هذا الطغيان والا خرب بلاد العرب الى آخر الزمان . فلما وصلت الرسالة الى المنذر أرسل الى كسرى يقول له أيها الملك ان العرب قد سمعوا بما جرى لى عندك حين اطعمتنى التمر واضحكت على الحجاب فظنوا انى صرت مسخرة فتركوا طاعتى ولم يعد لى عندهم هيبة ولا حساب وان أردت أن يعودوا الى طاعتى فأرسل الى الحجاب الذين ضحكوا على مقيدين بالاصفاد حتى أدوس رقابهم بقدمى على رؤوس الأشهاد وأشهرهم بين قبائل العربان فى جميع هذه البلاد وحينئذ تعود العرب الى طاعتى وتسمع كلمتى فلما وصل هذا الجواب الى كسرى هاج به الغضب وقال لقد طمع فينا المنذر حاكم العرب واخبر الحجاب بما ارسله من الجواب فقال الحاجب خسروان انا أيها الملك أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وأخرب تلك الديار وأشتت اهلها فى الاقطار . قال نعم فاركب اليه برجالك ولا تقتله اذا ظفرت به بل احضره الى أسيرا لكى اجازيه على سوء أدبه . فركب خسروان فى رجاله وهم عشرون ألف عنان وقصد الحيرة على بركة النار ذات الدخان . وكان عنتر فى تلك الأيام قد قصد أرض العراق لأجل اخذ النياق وجرى له ما جرى مع الملك المنذر كما تقدم السياق . واما المنذر فكان

يركب كل يوم ويبعد عن الديار يتنسم فبينما هو كذلك ذات يوم اذ طلع عليه غبار من ناحية بلاد العجم وأسود الجو منه وأظلم ثم انكشف جمهور من الفرسان كانهم مردة الجان وقد هزوا السيوف والعمد وأشهروا العدد وسطع عليهم بريق الزرد فقال المنذر هذه والله مواكب عباد النيران فخذوا يابنى عمى اهبتكم للضرب والطعان ومن ساعته نفذ النفير الى قبائل العربان وتبادرت اليه بنو شيبان وانعقد الغبار الى العنان وتقدمت فرسان الاعجام حتى التقت العين بالعين وانتشب القتال بين الطائفتين واشتعلت بينهم نار الحرب ودارت سوق الطعن والضرب حتى انعقد عليهم الغبار واظلم منهم ضوء النهار وفتك خسروان عابد اللهب بقبائل العرب وقصد رايات المنذر فنكسها واباد فرسانه ودرسها وكان جيش الملك المنذر اثنى عشر الف فارس فما قدروا على الثبات فانهزموا وتشتتوا فى الفلوات والفرس فى أعقابهم ينادون باسم النيران وهم يقتلون ويأسرون من أدركوا من الفرسان ثم عادوا عنهم وقد صارت الأرض من دمائهم مثل ثوب الأرجوان وبعد ذلك نزلوا وضربوا الخيام وقال خسروان لاصحابه يا قوم احتفظوا على الحيرة وامسكوا الطرقات حتى لا يهرب المنذر فى الظلام فانى أريد ان آخذه اسيرا واقوده الى كسرى ذليلا حقيرا فداروا بالبلد من جميع الجهات وحفظوا المنافذ والطرقات . واما الملك المنذر فانه دخل الحيرة وهو يعض أنامله من الندامة وقد قامت عليه القيامة ثم أحضروا أولاده الثلاثة وهم النعمان والأسود وعمر وجميع خواص اجناده للمفاوضة فى ذلك الامر وقال والله لقد انفتح علينا باب لا يسد ووقعنا فى بلية لا ترد . والان لا ينجينا الا القتال والصبر على الاهوال ولكن نريد ان نحصن النساء والبنات فى بعض الجهات ونترك الديار خالية والمنازل خاوية ونلف من خلف أعدائنا فنجمع قبائل العربان ونرجع الى قتال عباد النيران وبينما هم فى ذلك الكلام دخل بعض العبيد الموكلين بعنتر وقال يامولاى هذا الفارس العبسى سمع اليوم الصياح وسألنا عن الخبر فحدثناه بما جرى لنا من العظائم وكيف كسرتنا الاعاجم فقال أحضرونى الى ملككم فان لى معه كلاما عسى ان يكون له نافعا ولأعدائه دافعا . قال المنذر احضروه حتى نسمع كلامه ونعرف مرامه فأحضروه بين يديه وقد حلوا يديه

ورجليه فدخل وقال أيها الملك العظيم وحق زمزم والحطيم لقد كاد قلبى ينفطر فى هذا اليوم لما سمعت بما حل بكم من هؤلاء القوم . قال المنذر ياعبسى وماذا تفعل الرجال وقد حمل عليها اضعافها وبليت بمن لايهاب قتالها ولا يخافها . فقال عنتر تصبر عند الاجتماع وتقطع من الحياة الاطماع ولا تخاف ولا ترتاع لأن الشجاعة هى صبر ساعة . قال المنذر يا عبسى كيف التدبير وقد جرت المقادير . قال يا ملك ان ضمنت لى ما طلبه عمى من النوق العصافير فأنا ضامن لك كسر هؤلاء الطناجير . قال المنذر يا عبسى ان وفيت بضمانك لأحكمنك فى أموالى وجميع نوقى وجمالى . قال عنتر ياملك اعطنى سلاحى ومهرى والفين من فرسانك تحمى ظهرى حتى أريك ما تتحدث به الاعجام والعربان على طول الزمان فاعطاه ما طلب وحينئذ ركب ونزل حومة الميدان ولما رأته الأعجام حملت عليه من كل مكان فتلقاها وطعن الأول فرمان والثانى القاه والثالث دحاه والرابع أعدمه الحياة والخامس ألحقه برفقاه والسادس مزق أحشاه والسابع أقام عزاه . قال وكانت عساكر العجم قد دارت بالحيرة من كل الجهات طمعا فى نهب الأموال وسبى المخدرات فحمل عليها عنتر وبددها وفرق جموعها وشردها ودام الامر كذلك حتى تنصف النهار وهم فى قتل أشد من لهب النار والتجأت العجم الى خيامها وأطنابها وقد نظرت من العرب ما لم يكن فى حسابها وباتت أكثر الخيل خالية من ركابها وهى تدوس على وجوهها واجنابها ولبث مقدمها خسروان تحت الاعلام بعيدا عن موقف الصدام ونظر الى اصحابه وقد صاروا بعد الربح الى الخسران وبعد الزيادة الى النقصان فقال لبعض المتهزمين ويلكم ما بالكم تسابقتم الى الفرار وغضبت عليكم النار قالوا يامولانا قد أتيت بنا الى هذا المكان لكى نحارب الانس والا نحارب الجان لاننا بلينا بفارس لا يخطىء اذا ضرب ولا يدرك اذا طلب ولا ينوى الهرب . ان طلب موكبا فرقه وان طعن فارسا خرقه وان صدم جيشا محقه وان دارت به الرجال صرخ فيها ودمدم وساق الفرسان بين يديه سوق الغنم ولا ندرى من اين اتى هذا الفارس ولا نعلم هل هو من

الجن أم من الابالس فلما سمع خسروان ذلك شق الأمر عليه فطار الشرر من عينيه فخرج من تحت الاعلام وطلب الغبار والقنام وفى يده عمود ثقيل وهو جواده مثل الفيل فقاتل الى ان اختلط الظلام وبات تلك الليلة لا يذوق الطعام ولا يعرف المنام وباتت العجم تحدثه عن قتال عنتر وما رأوا من هوله المنكر فقال لهم أنا رأيته لعنة الله على سواده وعلى آبائه واجداده وقد طلبته فاختفى عنى لخوفه منى ولكن غدا افتحوا انتم باب الحرب حتى يبرز اليكم وأنا ابرز حينئذ بغتة اليه ولا أتركه يجول معى جولة حتى أضربه ضربة تطير راسه من بين كتفيه ومتى قتلت لكم هذا الأسود اللعين يهون عليكم أمر الباقين فتهلكونهم أجمعين فقالوا نعم يامولانا هذا الاسود هو الذى اهلك الخيل والرجال ولكنه لا يثبت قدامك فى المجال فمتى قتلته نكر على الشيطان الاخر الذى يرمى بالنبال فان نبلته لا تخطىء ولا يمنعها الزرد وهو أسرع من النسيم لا يقدر ان يدركه احد ومتى اكتفينا شر هذين الماردين تصير عرب العراق قدامنا مثل الكلاب قدام الذئاب هذا ما كان من هؤلاء .واما الملك المنذر فانه لما لاح له وجه الظفر بقتال ابى الفوارس عنتر أمر باخراج الخيام الى ظاهر المدينة ولما عادوا من الحرب نزل مضاربه وجميع اولاده وجلس معهم واجلس عنتر الى جانبه وقد صار من أعز أولاده واقاربه وجعل يباسطه فى الكلام ويزيد له فى الاكرام ويعده باعطاء كل ما طلب ولو كان واديا من ذهب ثم ان عنترا اقام عند الملك المنذر الى نصف الليل واراد ان يتولى حرس الرجال والخيل فحلف عليه المنذر ان لا يفعل فذهب الى مرقده ونام الى الصباح فبرز الى الكفاح . ولما صار وسط الميدان اشار الى الأعجام وأنشد يقول : صلوا على سيد العرب والعجم طه الرسول :

نفسوا كربى وداووا عللى ... وأبرزوا كل شجاع بطل
وانهلوا من حد سيفى جرعا ... علقما مثل نقيع الحنظل
واذا الموت أتى فى جحفل ... فاتركونى للقاء الجحفل
يا بنى الأعجام ما بالكم ... عن ندائى كلكم فى شغل
من يكن منكم لقتلى طالبا ... حيث يسقينى شراب الأجل

قدموه وانظـــروا ما يلتقى من ســنانى تحت ظل القسطل

قال الأصمعى وكان عنتر يقول هذا المقال والخسروان يتأهب للقتال ثم نزل الى الميدان كأنه الأسد الغضبان وتحت فخذه أربع حراب كأنهن الشهاب وبيده عمود من الحديد صدمته نهد البرج المشيد ولما صار فى الميدان صاح انزلوا يا كلاب العرب وابشروا بالهلاك والعطب وأراد ان يحمل على عساكر الملك المنذر فاعترضه عنتر وقال له الى اين يا ابن الف قرنان وانا لك فى الطلب من دون الفرسان وحينئذ حمل بعضهما على البعض وقد رضت حوافر فرسيهما جنادل الأرض ورأى الخسروان من عنتر مالم يخطر له ببال وعلم انه كان مغرورا بالمحال فاخذه الانبهار وصار ينقل عموده من اليمين الى اليسار وقاتل بالحراب الى ان فرغت وما اصابت لأنه كلما ازج واحدة منها انحرف عنها عنتر فخابت وحينئذ استلهب العمود وهجم على عنتر هجمة الاسد واطلقه من يده الى صدر عنتر وهو يزمجر كأنه البحر اذا هدر فألقى عنتر الرمح من يده وخطفه اسرع من لمح البصر ثم اطلقه على الخسروان فوضع الترس على صدره فوق الدرع وبه استتر فوقع العمود فوق الترس فخرقه الى احشائه فسقط الى الارض يتخبط فى دمائه فلما رأت عساكر العجم ارتبكت فى أمورها وتقطعت ظهورها وبربرت باختلاف لغاتها وحملت على اعدائها فالتقتها فرسان العرب بقلوب اقسى من الحجر وقد اشتدت عزايمهما بالأمير عنتر واعملوا فى الفرس رماحهم الطوال وسيوفهم الصقال وشيبوب يدور حولهم كاللولب ويرميهم بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وعنتر يزعق فيهم كالرعد القاصف ويخرق صفوفهم كالبرق الخاطف ويقد بسيفه المغافر والدروع ويدق برمحه التراثب والضلوع وهو ينادى انا عنتر العبسى فارس العرب وقد ارسلتنى النار على رؤوسكم جمرة الغضب . واشتدت به قلوب جماعة العربان فانقضت من خلفه كالعقبان والهبت عباد النار بالضرب والطعان فظنوا ان السماء عليهم قد اطبقت أو الأرض تزلزلت بهم وصعقت فقالوا الفرار الفرار من هول هذا الجبار الذى لا يصطلى له بنار وصاروا يتسابقون على الهزيمة وهى عندهم اعظم غنيمة وتركوا رحالهم واحبابهم

وغنمت العرب خيلهم وسلاحهم واسلابهم وعادوا من خلفهم كأنهم مردة الجان وهم يثنون على عنتر بكل شفة ولسان ويقولون هكذا تكون الفرسان وكان المنذر قد اركبه مهرة صفراء فعاد بها مخضبة حمراء وهو سائر قدامهم كأنهم قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل فتذكر ما جرى له فى أرض العراق ولعبت به لواعج الأشواق فانشد يقول : صلوا على صاحب المحامد طه الرسول :

سلى يا ابنة العبسى رمحى وصارمى ... وما فعلا فى يوم حرب الأعاجم
سقيتها والخيل تعثر بالقنا ... دماء العدى ممزوجة بالعلاقم
وفرقت جيشا كان فى جنباته ... هماهم رعد تحت برق الصوارم
على مهرة منسوبة عربية ... تطير اذا أشتد الوغى بالقوائم
وتصهل خوفا والرماح قواصد ... اليها وتنسل انسلال الأراقم
قحمت بها بحر المنايا فحمحمت ... وقد غرقت فى موجة المتلاطم
وكم فارس يا عبل غادرت ثاويا ... يعض على كفيه عضة نادم
يقلبه وحش الفلا وتنوشه ... من الجو عقبان النسور القشاعم
أحب بنى عيسى ولو هدروا دمى ... لأجلك يا بنت السراة الأكارم
وأحمل ثقل الضيم والضيم جائر ... وأظهر انى ظالم وابن ظالم

ولما قارب عنتر من الملك المنذر قام على اقدامه وقد تعجب من فصاحة كلامه كما تعجب من قوة قلبه وشدة طعنه وضربه وقوة عزمه على مخاصمة عباد النار ولو كانوا بعدد رمل البحار وقال له يا فارس العرب جميع ما نهبته رجالنا هذه المرة فهو لك غنيمة لأنك كنت السبب فى هذه النصرة العظيمة وبعد ذلك اعطيك النوق والعصافير وعليها الهدايا والمال الكثير ولكن يا ولدى من الرأى ان أكتب الى سائر القبائل واجمع العرب من الأحياء والمناهل واتاهب لحرب كسرى فانه لابد ان يعود الينا ويسطو بعساكره علينا وأول ما ارسل الى قومك بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وسائر بنى غطفان ولن استريح حتى اقيم دولة العرب وأذل عباد النار واللهب . فقال عنتر افعل يا ملك ما تريد فأنا لك من جملة العبيد ثم دعا له وقام وانصرف الى مضجعه بالسلام . ولما طلع الصباح جلس الملك المنذر على سرير مملكته ودارت حواليه سادات

عشيرته وعول على ان يكاتب العربان ويتأهب لحرب عباد النيران واذا ببعض حجابه دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال ايها الملك لك البشارة الجميلة بقدوم وزيرك عمر بن نفيلة وكان هذا الوزير قد عاش كثيرا من الأعوام وهذبته الليالى والأيام وكان رجلا عاقلاخبيرا وله كرامة عند العرب والاعجام وفى تلك المدة كان قد توجه الى زيارة البيت الحرام فلما دخل على الملك المنذر بادأه بالسلام وقام له على الأقدام وقال له ما أتيت الا فى وقت الحاجة اليك لأنى نادم على ماسبق لى من العمل وحائر فى ما افعل ثم اخبره بما جرى وما عزم عليه وفوض الرأى والتدبير اليه فقال الوزير ياملك الرأى عندى ان تتوج بتاج الأدب وتعدل عن مكاتبة العرب حتى اسير انا الى المدائن وادخل على الموابذان واستحلفه بحرمة النيران ان يخمد ما فى قلب كسرى من الغضب ولا يخرب بلاد العرب . فقال لهالمنذر أفعل مابدا لك من التدبير والتوفيق بالله القدير . وبعد ذلك أقام عمر بن نفيلة ثلاثة ايام حتى استراح وسار طالبا مدائن كسرى فى اليوم الرابع عند الصباح وقد أوصى الملك المنذر بالاحتراز على عنتر وان لا يمكنه من العودة الى أهله قبل هذا الأمر المنكر لأن المنذر كان قد حدثه بما فعل فى حومة الميدان وكيف أهلك عباد النيران وقتل حاجب كسرى الخسروان . قال ولما وصل الوزير الى مدائن كسرى دخل على الموبذان بعد الاستئذان فاستقبله أحسن استقبال وعامله بالاكرام والاجلال وقال له ما الذى اقدمك علينا بعد ما جرى بيننا وبينكم من القتال قال كنت غائبا فى هذه الأيام فى زيارة البيت الحرام ولما بلغنى ما جرى من الفتنة بعد أكل التمر بت تلك الليلة على مقالى الجمر وبادرت من الغد لعلى استدرك هذا الأمر فما وصلت حتى وقعت الواقعة وفاتت الفرصة النافعة والان فقد مضى ما مضى وما بقى لى الا الخضوع واستعطاف الرضا فاتوسل اليك بحرمة النار ذات الأشعة والأنوار ان تستعطف خاطر الملك العادل بالعفو عن جهل العرب الذين تربوا بين الجمال والمواشى فمن أين لهم الأدب .فلما سمع كلامه الموبذان رق قلبه ولان وقال انا الى الآن ما اطلعت الملك على هذا الشأن ولا اعلمته بانكسار عسكره وقتل الخسروان لأننا فى هذه الايام فى شغل من أهم الأشغال فما أردت ان أزيد على قلب

الملك الأثقال . قال الوزير ما الذى جرى حتى اشغل قلب الملك ياترى قال ان قيصر ملك الروم كان يرسل كل سنة الى الملك كسرى الهدايا والأموال الجزيلة والمماليك والسرارى الجميلة ففى هذه السنة وصلت الأموال زيادة عما جرت به العادة ولكن حضر معها بطريق جبار يطير من عينيه الشرار ولما دخل على كسرى فى الايوان قال له على لسان الترجمان اعلم ايها الملك ان معى فى هذه النوبة هدايا لا يصفها لسان ولا نظر مثلها انسان ولكن ما اسلمها لخزانتك الا ان يكون عندك فارس من جاد الفرسان يلقيانى فى الميدان كما امرنى قيصر عظيم الشأن قال الراوى وكان هذا الجبار قد خرج من جزائر البحار يريد زيارة البيت المقدس ويتبرك بما حوله من الآثار وسمع بلطائف دمشق الشام فانى اليها وقضى بعضا من الايام وبارز عساكر بنى غسان وقهرهم فى الميدان فعظم فى عين الحارث ملك دمشق واخبر الملك قيصر عنه واثنى عليه واعلمه انه يريد ان يرسله اليه فارسل الملك قيصر الجواب بالقبول والايجاب فلما حضر لاقاه بالاكرام وانزله فى دار الضيافة ثلاثة ايام ، وبعد ذلك نزل الى الميدان وفاز بجميع ابطال قيصر واقام على ذلك مدة من الزمان حتى صار له عند الملك اكبر قيمة وجعله فى منزلة عظيمة فلما كان بعض الايام دخل على قيصر فرآه يجهز اموالا وتحفا فسأله عن الخبر فاخبره ان تلك عادة عليه كالخراج لكسرى الملك الاكبر فقال له لا تفعل يا ملك فانا أسير اليه واغلب كل من عنده من الابطال واخفف هذه الاثقال فقال له قيصر من الراى ان تسير انت مع الاموال وتبارز من عنده من الرجال فان غلبتهم ترفع الخراج وترجع بالاحمال وان غلبوك فقد وصل اليه معتاده وانفصل الخال فرضى بذلك وسار حتى دخل على كسرى فى الايوان وبلغه المقالة على لسان الترجمان فغضب كسرى من ذلك الكلام ولكن خاف ان ابى ان ينسب العجز لابطال الاعجام فصار البطريق ينزل الى الميدان ويفوز بالشجعان واباحهم دمه ان وصلوا اليه وحرم دمهم عليه واقام خمسة عشر يوما على ذلك الحال حتى فاز بجميع الابطال وما ثبت قدامه الا فارس الديلم بهرام فانه طارده ثلاثة أيام ثم استطال عليه فالحقه بمن تقدم وهابت مبارزته فرسان العرب

والديلم وفى اثناء ذلك وصل عمروبن نفيلة العدوى ودخل على المويذان فاخبره عن هذا البطريق العظيم الشان فلما سمع عمرو هذا الكلام تعجب من تلقبات الايام وقال للمويذان لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فان اليوم عند الملك المنذر فارسا من بنى عبس لا يقاس به كل من طلعت عليه الشمس وهو الذى قتل حاجبكم وكسر عساكره بالامس وارجو ان يكون انفصال هذه النوبة على يديه اذا برز هذا البطريق اليه ثم حدثه بحديث جسارته على اخذ النوق العصافير وفتكه بعرب العراق وقتله للاسد وهو مقيد فى الوثاق وكيف التقى عساكر الفرس وهى عشرون الف عنان ولم يسمح بان يقاتل معه احد من العربان فلما سمع المويذان بذلك داخل قلبه السرور والفرح وعلم ان الامر قد اصنلح وقال ان هذا الحديث يجب ان يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وانا أقول انه يزيل عن قلب كسرى ما به من الغضب ويكون لاصلاح الشان بين الفرس والعرب . ثم وثب وقال له لا تبرح من هذا المكان حتى اعود اليك واقص ما يجرى عليك ومن ساعته دخل على كسرى فأمره بالجلوس وقال له أردت ان أدعوك لانظر ما ترى فى تدبير هذا الوقت العبوس فان هذا الجبان قد تمرد وان لم نقهره خرق حرمة دولتنا الى الأبد والآن نريد ان نكتب الى خراسان ونأمر الولاة ان تأتينا بالفرسان عسى ان يقع لنا ما يذل هذا الشيطان . فقال المويذان ومن يكون هذا الكلب حتى تزعج لأجله مملكة كسرى وتجرب معه الفرسان مرة بعد اخرى . قال كسرى وكيف الرأى هل نذل لقيصر ملك الروم ونخلى له الخراج المعلوم قال المويذان لا ولكن الرأى عندك ان تكتب الى نائبك على العربان وتأمره ان ينفذ اليك بعض الفرسان لان اهل العراق والحجاز اجول من الفرس فى مثل هذا البراز قال كسرى ان ملك العرب غضبان لاجل ما جرى بينه وبين الحاجب خسروان وقد سار اليه بالعسكر والى الان ما أتانا منه خبر قال المويذان ايها الملك تبقى انت بعد العساكر فان خسروان قد مضى كما مضى امس الدابر ورجع جيشه منهزما من خمسة ايام وهو لا يعرف الطريق وانا كتمت عنك هذا الأمر خوفا على صدرك ان يضيق وما رايت ان احملك هما

فوق هم البطريق . فلما سمع كسرى ذلك اشتعلت فى قلبه النيران وقال من قتل الخسروان وهو فارس الزمان فقال قتله فارس من بنى عبس وعدنان ثم حدثه بما سمع من عمرو بن نفيلة عن عنتر وقال ان هـذا البطريق ليس له الا هذا البطل الذى يقدر ان يخرب ملك قيصر ويكون لك بذلك الفخر الأكبر لأنهم سيقولون ان بطريق الروم قد قهره عبد من عبيد دولتك وتصير كل الممالك ترتعد من صولتك والرأى عندى انك ترسل الى الملك المنذر خلعة الأمان وتأمره أن يرسل بهذا الفارس الى هذا المكان وذلك يحسب لك من الحلم والاحسان وأنا ضامن لك أن هذا الفارس يقهر هذا الكشحان لأنه لا يلبث قدامه أحد ولو أنه ملك الجبان واننا متى جمعنا بينه وبين البطريق فأيهما قتل كان لنا بقتله السعادة والتوفيق . قال له كسرى افعل كما تريد على بركات النار عسى أن نقهر هذا الجبار ونرفع عنا الذل والعار . فعندها ذهب المربذان الى الوزير عمرو بن نفيلة وأعلمه بما جرى بينه وبين الملك كسرى فسر بذلك سرورا عظيما وكتب من ساعته الى الملك المنذر يأمره بالقدوم واعلمه بما جرى بين كسرى والبضرموت فارس الروم وأنه ضمن عن عنتر قتل هذا البطريق المشئوم ثم انفذ الكتاب مع نجاب وأقام ينتظر الجواب. وأما ما كان من البطريق فانه نزل مبكرا الى الميدان وبرزت اليه الرجال وأخذت معه فى المجال وكان افرس الجماعة لا يثبت قدامه أكثر من ساعة وما زال كذلك الى آخر النهار فعاد وقد نال الشرف والافتخار ولما كان فى الغد برز اليه مقدم من مرازبة العجم يقال له بهرام بن بهران وكان من أعظم الأبطال والفرسان فنازل البطريق طول ذلك النهار وانفصلا على غير نهاية ولا قرار . قال الراوى ولما انفصلا عن بعضهما عاد كل منهما الى مكانه فسألت الأعجام مقدمها بهرام فقال ان هذا الرجل فارس جبار وبطل مغوار ولكن غدا يصير الانفصال لأن قتالى اليوم كان معه على سبيل الاختبار ولا بد أن اقتله ببركة النار قبل أن يتعالى النهار وكان مع البطريق جماعة من الأروام فسألوه عن خصمه بهرام فقال لهم لو كنت أريد قتله لقتلته عندما برز الى ولكننى اطلب أسره لأننى محرم دمهم على وان شاء الله غدا لا بد أن آخذه أسيرا وأقوده ذليلا حقيرا ولما أصبح الصباح برز كلاهما للكفاح فالتحق بهرام بمن سبق وزاد عند الملك كسرى الجزع والقلق وتأخرت الفرس عن نزال البطريق وصارت انفسهم فى غاية الكرب والضيق وما زالوا كذلك وهم ينظرون

الى ناحية العراق حتى رأوا الغبار قد طبق الآفاق ثم انكشف عن الملك المنذر ومعه مائة فارس يتقدمهم حية بطر الواد الأمير عنتر بن شداد كأنه ارم ذات العماد فلما عرفوهم خرجوا الى ملتقاهم وأدخلوهم بفرح عظيم الى الملك كسرى وهو لا يصدق أن يراهم ففرح الملك بحسن طاعة المنذر وتلقاه بالابتسام وأكثر له من الاعتزاز والاكرام ثم أخبره عن ذلك البطريق وما كابدوا لأجله من الضيق . فقال عنتر للمربذان يا مولاى اضمن أنت عنى للملك الأكبر قتل هذا البطريق ولو كان من عفاريت منفر . قال له كسرى وقد تبسم فى وجهه وان لم تقم بضمانك فماذا نصنع فى شأنك . قال اجعل غلمانك يسحبونى الى بيوت النيران ويجعلونى كالقربان فضحك كسرى من كلامه وأمل أن يحصل منه على مرامه قال وبعد ذلك أمر لهم بالراحة الى ثانى الأيام فقال عنتر لا وحق البيت الحرام لا أكلت لكم طعاما ولا ذقت مناماحتى أقتل هذا الطنجير وأريح منه الضمير . فاعجب الملك هذا الكلام وقال انزل اليه عسى أن تنال منه المرام . قال الراوى وكان البطريق حينئذ فى الميدان وهو بطل براز الفرسان وقد استوى على جواده كأنه قصر عمدان أو جبل من جبال نعمان ومنظره يرعب سائر الأقران والناس قد تأخروا عن نزاله فانكسرت عزائمهم لما رأوا من أهواله فما درى الا وعنتر قد وثب اليه وزعق عليه فارتاع من هول زعقته ومهابة خلقته غير أنه ثبت عزمه وحمل وهو يهدر كالجمل فالتقاه عنتر وهو ينادى ياكلب الروم قد أتاك سبع العرب فودع اصحابك هذا النهار وأيقن بالعطب وحينئذ أطبق كل واحد على صاحبه والناس قد شخصوا اليهما بالأبصار وخافوا على عنتر لما يعهدون من اهوال هذا الجبار ودام القتال بينهما ساعة من الزمان ثم تأخر عنتر الى ورائه فارتعد قلب كسرى وأصحابه خوفا من الخذلان وصاروا يتعوذون بالنيران من شر هذا الشيطان وأما البطريق فطمع فى عنتر لما رآه قد تأخر فحمل عليه وزعق وطعنه طعنة الحنق فصبر حتى قاربه الرمح فتناوله بيده واستلبه بقوة ساعده وطعنه بعقبه فكاد يخرج روحه من جسده وغاص معه فى الطراد وكسرى يتبسم سرورا وقد طمع فى نيل المراد . قال الراوى ونظر بهرام فارس الديلم الى فعال عنتر فحسده على ما بدا منه وظهر وعول على قتله حتى لايبقى له ذكر يذكر . هذا وعنتر والبطريق يلتقيان ويفترقان وينفصلان وينطبقان

حتى مضى نصف النهار وملت الناس من الانتظار ورأى بهرام فرصة عند اشتغال عنتر بالطريق فانقض عليه حتى صار بين يديه وهز حربته وصوبها اليه وقال له خذها يا أبن اللئام من يد المقدم بهرام وزجها اليه فخرجت من يده كصاعقة الغمام فانحرف عنها عنتر حتى مرت به فخطفها أسرع من لمح البصر وأطلقها الى صدر البطريق فطلعت من ظهره ولها زفير وشهيق أقوى من حجر المنجنيق وكان البطريق قد تلهى ببهرام لما خرج الى عنترة فما شعر الا والحربة وقعت فى صدره أرسلته الى قبره فعندها نادى عنتر يالعبس لاشقيت أنا عبد الملك كسرى ما بقيت ثم استل الحسام وعاد يطلب المقدم بهرام هذا وقد ضجت مواكب العجم وقالت وحق النار ان هذا جبارا من الجبابرة فى جميع الأمم ورفعوا أصوات التهانى والسرور وضربوا الطبول والزمور واخرجت المخدرات من داخل الخدور وتهتكت الحجب والستور وقالوا يعيش الأمير عنترة ابن شداد الذى رفع العار عن هذه البلاد ولما عاد عنترة الى المقدم بهرام نادى كسرى ياويلكم ردوه عنه وابشروه بالغنى والانعام والا سقاه كأس الحمام فعندها تبادرت النقباء وحالوا بينهما وأتوا بعنتر الى قدام الملك كسرى وهو كأنه من مردة الجان أو من عفاريت سيدنا سليمان ولما صار قدام كسرى قبل الارض بين يديه فقبله كسرى بين عينيه وقال حيتك النار ياسبع الفلا بمثلك تكون الرجال والا فلا ثم خلع عليه خلعة كسروية من الديباج المدثر مزركشة بالذهب الأحمر وقال للموبذان قدم للامير عنتر جميع ما أتى مع البطريق من الأموال والجوارى والخيل الروميات والحلل والتحف القيصريات وأنزله فى أفخر المنازل حتى تحضره معنا على الطعام وتغمره بالانعام وندخره لطوارق الليالى وحوادث الايام فتولى الموبذان أمر عنتر وقدم له كل ما أتى من عند الملك قيصر وأنزله فى أعز مكان مع المنذر ملك العربان ثم قام الموبذان وفتح الصناديق التى جاءت من عند قيصر وعرضها على عنتر وكانت مشحونة بالأموال والتحف التى تدهش البصر وقال له هذه كلها لك وسيزيدك

فوقها الملك الأكبر ثم احضر الجوارى التى حضرت من هناك وكانت أحسن من كواكب الأفلاك وقال هذه أيضا جواريك ولا يستحقها أحد سواك فلم يلتفت اليهن لأن حب عبلة قد غلب عليه وملأ قلبه حتى سد الطريق على غيرها فلا يصل أحد اليه ولكنه قال أين عينك يا عبلة ترى ما يساق اليك من الأموال التى تساوى نظرة من وجهك الجميل والجوارى التى تقوم بخدمتك وترفع شأنك الجليل ثم أمر الموبذان باحضار الطعام وأوانى المدام فحضرت أطعمة شتى من لحوم الغزلان والطياهيج والقبج والدراريج وحضرت بعدها الحلويات كالفالوذج والقطائف واللوزنج وقال عنترة للمنذر يامولاى مالى لا أرى شيئا من لحوم الجمال والنمر وحليب النياق وهل هذه الأطعمة طيبة المذاق قال يا أبا الفوارس هذه أطيب من تلك ولكن لا تعرفها العرب فى الحجاز والعراق فتقدم عنتر الى السماط وهم أن يتناول بيده كما جرت عادة أهله وبلده فقال له المنذر الا تفعل ياأبا الفوارس فانهم يضحكون عليك فى هذا الأمر كما ضحكوا على فى أكل التمر وذلك ما أحدث هذه الفتنة ورمانا فى هذه المحنة ولكن كل مثل ما آكل انا فاننى عاشرتهم وعرفت كيف العادة هنا قال جزاك الله خيرا يا أبا النعمان فانى جاهل عادة هذا المكان وبعد ما شبعا من الطعام وارتويا من المدام حضرت آلات الطرب ورنت الألحان فكانت ليلة من ليالى الزمان وأقامها تلك الليلة على مهد السرور والأفراح والفرس يدعون لعنتر ويفدونه بالأرواح حتى أصبح الصباح فأرسل كسرى يدعوهما للخروج الى الصيد فى تلك المروج فركب عنتر والملك المنذر ومن معه من الفرسان وركب معه جماعة من الفرس حتى لحقوا بكسرى أنوشروان وبين يديه السعاة والجنود والبزاة والشواهين والصقور والكلاب والفهود فترجلوا وسعوا اليه وهم عنترة أن يقبل رجله فى الركاب فمنعه من ذلك وحلف عليه وأمر الحجاب فقدموا له فرسا من جنايبه وأخذه الى جانبه وسار معه وهو يحدثه ويباسطه بالكلام وعنترة يدعو له وللدولة الكسروية بالدوام حتى

وصلوا الى مكان الصيد فتنافرت من بين أيديهم الغزلان ووقع الصياح من كل جانب ومكان ووثبت الفهود والكلاب فى تلك السهول وتجارت الرجال على سوابق الخيول ووقف كسرى يتفرج والصيد يأتى اليه ويوضع بين يديه وكان عنتر قد تبع عانة من الوحش وأبعد بها فى الارض وأوسع فى ذلك البر بالطول والعرض فبينما هو كذلك اذا بفارس قد انقض عليه وضربه بعمود حديدى من ساعد شديد فوقع من بين أكتافه فزعزعه وكاد أن يصرعه ونادى خذها من بهرام الديلمى ياكلب الحجاز وان كان قد بقى فيك رمق فدونك البراز ولا بد لى من قتلك كماقتلت ابن عمى خسروان وافتخرت علينا بقتل البطريق فى الميدان وكان ذلك لما دخل فى قلبه من الحسد لعنترة ولانه قتل ابن عمه الخسروان كماذكر وكان لما نهاه كسرى عن معارضته لعنترة قال لاصحابه ان مضى هذا العبد سالما من هذه الديار لا تبقى لى قيمة ولا مقدار ثم ترك عليه العيون والارصاد حتى خلا به فى الصيد والقنص فقال فى نفسه هذا وقت انتهاز الفرص وتقدم الى عنترة على غفلة منه وضربه واذا به رآه ثابتا على جواده وسل سيفه واستقبله عنترة وهو يهمهم من شدة الغيظ والحرد كما يهمهم الاسد وقال له خاب والله أملك ياعابد النار أتريد أن تقتلنى باغدار ولكن أبشر بعدها بالويل والدمار وخراب الديار ثم أطبق عليه وقلب سنان الرمح وطعنه بعقبه فألقاه عن مركبه ولولا حرمة الملك كسرى كان أرحله الى الدار الأخرى فحملت الديلم على عنتر من كل جانب وقد سلوا السيوف القواضب وصار عنترة يدافع عن نفسه حتى كلت يداه وخدر ساعداه وبينما هو كذلك أقبل الملك كسرى بجنوده وهم يصيحون على الديلم ويهزون لهم الصوارم وهم يقولون قد أتاكم كسرى ياكلاب الأعاجم وكان قد وصل اليه الخبر بما فعل بهرام مع عنتر ولما رأوا الملك تفرقوا وهم يقولون هذا العبد قد قتل بهرام كما قتل الخسروان ولا بد لنا من قتله على أى وجه كان فقال لهم الموبذان تكذبون يا أنذال الديلم فان هذا الرجل يجب أن يكرم لانه فعل فى حقنا

ما لا تقدر عليه العرب والعجم ثم أحضره عنترة الى حضرة الملك كسرى وسأله الملك عن ذلك فحدثه بما جرى فغضب الملك وأمر بقتل الذين أرادوا قتل عنترة وقال هذا يفدى بألوف من البشر ويستحق أن يكرم ويعتبر فعند ذلك ترجل عنترة وخضع بين يديه وقال له يامولاى بالله لا تفعل فان احسانك قد سبق والعفو بك أليق وأنا فى هذه الايام قد عزمت على الرحيل وما أشتهى أن أحدا يذكرنى الا بالجميل قال الراوى فتعجب كسرى من حسن أدبه وكان قد غضب فتبسم بعد غضبه وقبل فيهم سؤاله وعفا عنهم وأطلقهم لأجل ما قاله ورفعوا بهرام وهو من طعنة عنترة قد صار مرضوض العظام وعاد كسرى من صيده ودخل بستانا كان خلف الايوان حافلا بالاشجار والازهار المختلفة الالوان وفيه قصر رفيع مشيد الاركان كأنه بقعة من بقع الجنان ونصبوا لكسرى فيه سريرا من الذهب الوهاج وحوله كراسى من الابنوس والعاج فجلس وأمر المنذر وعنترة بالجلوس وحضرت الاطعمة التى روائحها تنعش النفوس والخمرة التى تشرق بنورها الكؤوس فأكلوا جميعا وشربوا حتى اكتفوا من الطعام والمدام ثم شكر المنذر الملك كسرى على هذا الاحسان وقال لعنترة أنشدنا يا أبا الفوارس شيئا من الشعر فى مديح ملك الملوك مولانا كسرى انوشروان فانك شاعر العرب كما أنت فارسها فى هذا الزمان فقال اللهم نعم فأنشد يقول: صلوا على المكمل طه الرسول:

يا ايها الملك الذى راحاته ... قامت مقام الغيث فى ازمانه
ياقبلة القصاد ياتاج العلا ... يا بدر هذا العصر فى كيوانه
يا مخجلا نوء السماء بجوده ... يا منقذ المحزون من أحزانه
واذا سطا خاف الأنام جمعهم ... سطواته والليث عند عيانه
المظهر الانصاف فى أيامه ... بخصاله والعدل فى بلدانه
يا ساكنين ديار عبس اننى ... لاقيت من كسرى ومن احسانه
ما ليس يوصف او يقدر أو يفى ... أوصافه أحد بوصف لسانه
ملك جوى رتب المعالى كلها ... بسمو مجد حل فى ايوانه
مولى به شرف الزمان واهله ... والدهر نال الفخر من تيجانه
فغدوت فى ربع خصيب عنده ... متنزها فيه وفى بستانه

ونظرت بركته تفيض وماؤها ... يحكى مواهبه وجود بنانه
فى مربع جمع الربيع بربعه ... فى كل فن لاح فى أفنانه
وطيوره من كل نوع أنشدت ... جهرا بأن الدهر طوع عنانه
ملك اذا ما جال فى يوم اللقا ... وقف العدو محيرا فى شانه
والنصر من جلسائه دون الورى ... والسعد والاقبال من أعوانه
فلأشكرن صنيعه بين الملا ... وأطاعن الفرسان فى ميدانه

قال الراوى فطرب كسرى ومن حضر فى ذلك المكان وقال له المنذر حياك الله يا شاعر الزمان الذى لا يقاس به امرء القيس ولا نابغة بنى ذبيان وبعد ذلك دارت الالحان على العيدان حتى كاد يرقص ذلك البستان لان الفرس هم الذين وضعوا هذه الصناعة ولهم فيها المهارة والبراعة وباصطلاحهم تسمى أصول النغمات فى أكثر اللغات كالرصد والدوكاه وغيرهما كالجهاركاه هذا وعنتر عن كل ذلك فى غفلة لان قلبه عند عبلة فكان يشرب ولا يطرب ولسانه يتكلم وقلبه يتألم ثم غلبت عليه الأشواق وتذكر ما قاساه من لوعة الفراق فأنشد يقول ، صلوا على الحبيب المكمل طه الرسول :

فؤاد لا يسليه المدام ... وجسم لا يفارقه السقام
وأجفان تبيت مقرحات ... تفيض دما اذا جن الظلام
وهاتفة شجت قلبى بصوت ... يلذ به الفؤاد المستهام
شغلت بذكر عبلة عن غناها ... وقلت لصاحبى هذا المرام
وفى أرض الحجاز خيام قوم ... حلال الوصل عندهم حرام
وبين قباب ذاك الحى خود ... رداح لا يحل لها لثام
لها من تحت برقعها عيون ... صحاح حشو جفنيها سقام
وبين شفافها مسك فتيك ... وكافور يمازجه مدام
فما البدر ان سفرت جمال ... ولا الغصن ان خطرت قوام
يلذ غرامها والوجد عندى ... ومن يعشق يلذ له الغرام
ألا يا عبل قد شمت الأعادى ... بابعادى وقد أمنوا وناموا
وقد لاقيت فى سفرى أمورا ... تشيب من له فى المهد عام
وبعد العسر لاقيت يسرا ... وملكا لا يحيط به الكلام
وسلطانا له كل البرايا ... عبيد والزمان له غلام
يفيض عطاؤه من راحتيه ... فما ندرى أبحر أم غمام
وقد خلعت عليه الشمس تاجا ... فلا يغشى معالمه ظلام

جواهره النجـــوم وفيه بدر ... اقل صفات صـــورته التمام
واولا خـــوفه فى كل قطـــر ... من الأقطـــار ما قر الحسام
وكل النـــاس جسم وهو روح ... بها تحيا المفاصـــل والعظام
تصـــلى نحوه من كل فـــج ... ملوك الأرض وهو لهـــا امـــام
بنـــو نعش لمجلسه ســـرير ... عـــلا والسـماوات الخيـــام
فـدم ياسـيد الثقلين وابقى ... مـدى الأيام ما ناح الحمـــام

قال الراوى وكان كسرى خبيرا بلغة العرب فكان كلما انشد عنتر بيتا يهزه الطرب ولما فرغ من هذه الابيات قال له كسرى يا أبا الفوارس وحق النار لو أعطيتك على كل بيت الف دينار لكان قليـلا فى مقابلة أبياتك الحسان لأن عطايانا تنفد ومدحك لنا يبقى على طول الزمـان فاطلب منا ما تريد وأطلق فى ميدان الطلب لسانك كما أطلقت فى ميدان الحرب عنانك . قال وحق ذمة العرب انى قـد بلغت يامولاى آمالى بكرمك لا بفعالى وقد اكتفيت بجودك عن طلبى وسؤالى ولكن اذاكان الملك قد تلطف بذلك وتكرم انطلق لسان العبد وتكلم فانى قد بلغت من احسانك هذه الرتب العليا ولا أعود الا بما افتخر به على أهل الدنيا لأننى متى أخذت بنت عمى لا بد أن أعمل لها وليمة تفتخر بها على أهل الآفاق ويسمع بها أهل الشام والعراق وقداشتهيت ان يكون مثل هذا التاج على جبينها ليلة زفافها تفتخر به على نساء ملوك العرب واشرافها وا نا طلبت الطلب وقدعلمت انى اسأت الأدب ولكن بحر حلمك يغرق فيه جهل جاهلية العرب فتبسم وقال وحق النار ياعبسى لقد تلطفت وماأسرفت ثم كلم بعض الاعوان فمضى ثم عاد ومعه أربعة غلمان يحملون قبة من الفضة على رأسها باز من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصـفر ورجلاه من الزمرد الاخضر وذيل القبة مكلل بالجواهر ومعها تاج مرصع بالحجارة الكريمة لا يعرف له ثمن ولا تقدر له قيمة فقال كسرى ياعنتر هذه القبة تكون لابنة عمك تجلس تحتها ليلة تزيينها وهذا التاج تلبسه على جبينها وان كان قد بقى لك حاجة فاطلبها منى ولا تكتمها عنى فقبل الارض عنتر مرارا بين يديه وانعكف على تقبيل قدميه ودعا لدولتـه بالدوام على ممر الايام وقال له يامولاى أنا قصير اللسان عن شـكر

هذا الاحسان ثم ان عنترا قال له يامولاى لقد غمرتنى بالاحسان وما بقى لى حاجة غير سرعة العودة الى الاوطان فقال كسرى قد اذنت لك بالرحيل بعد ثلاثة ايام ولـــكن على شرط ان تزورنا فى كل عام . قال الراوى وكان عند كسرى مصارع من جبابرة العجم اسمه رستم وكان هائل المنظر طويل الباع لايثبت قدامه احد فى الصراع وكان له عند الملك كسرى جملة اعوام يصارع بين يديه وهو يهبه ويخلع عليه وقد صار له غلمان واقطاع واملاك وضياع فبلغه ذلك اليوم ما قد اخذه عنترة من التحف والاموال وما نال من الرفعة والاجلال وقيـــل له يا رستم ان من اعظم العار ان يعود عبد من ارضنا بهذه الاموال والنعم ويقول انا قهرت فرسان العجم وجبابرة الديلم وما زالوا يحرضونه حتى اشتعلت فى قلبه نار الحسد فوثب وثبة البعير اذا شرد وسار الى ذلك البستان ودخل على الملك كسرى بغير استئذان وقال يا مولاى كيف رفعت قدر هذا العبد وجعلته لك من الجلاس وجعلت ذلك عارا علينا بين الناس لانهم يقولون انه قهر جبابرة الاعجام واستحق من هذا الملك الانعام وانا اشتهى ان تأمره ينهض الى حتى اكسر رأسه واخمد انفاسه ولا ادعه يعود الى اجلاف العرب ويقول اخذت تاج كسرى واملاكه وقهرت فرسانه ورجاله قال فلما سمع كسرى هذا الكلام علم ان ذلك من شدة الحسد الذى قطع منه الكبد وقال له اسمع منى ولا تتعرض لهذه الأمور فتقع فى المحذور فان هذا الرجل ليس كمن تعـــرف من الرجال ولا مثل من تعهد من الابطال هذا وحق النار انه جبل من الجبال وليس له نظير بين الناس فى قوة العزم وشدة البأس وانت تعرف كيف كسر عساكرنا فى العراق وقتل الخسروان وكيف قهر البطريق الذى قهر جميع ابطال خراسان وانا أعلم انك لا تجول معه جولة الا القـــاك على الارض وان شاء الله يدخل طولك فى العرض فيكون ذلك عارا علينا فوق عار وفضيحة فى جميع الاقطار فاقبل منى النصيحة ولا تعرض نفسك للفضيحة قال رستم وحق نور الشمس المشرق وشعاع النـــار

المحرق لابد لى من صراع هذا الاسود حتى اريك من انفاسه تخمد ومن يذم ومن يحمد والا فلا اقيم بهذه البلد ولو فارقت روحى الجسد قال كسرى لعنترة بالعربية يا ابا الفوارس اتدرى فى اى شىء نحن وماذا يقول هذا الرجل العابس قال عنتر لا وذمة العرب لأنه يتكلم بالفارسية وانا لا اعرف غير العربية ولكننى ارى رجلا كالغول ولا ادرى هل هو من الخصيان ام من الفحول قال كسرى صدقت فيما نطقت وطلب ان يصارعك ويجرب نفسه معك قال عنتر يامولاى انى اخاف ان احتاج معه الى قتله بحضرتك فيكون ذلك سببا لازعاج سرك وخراق هيبتك فقال له كسرى اذا صارعته اتقتله ام تذله وتخذله قال يا مولاى ان قدرت ان اصرعه سالما صرعته واذللته وان تعاصى على قتلته فضحك كسرى وعاد الى رستم وقال له اقبل منى واقطع من صراع هذا الرجل آمالك فاننى خائف عليك ان تغضبه فيقتلك قال رستم وحق النار يامالك لابد لى من صراعه وان لم تفعل دنوت اليه ولطمته على وجهه وفقأت عينيه وان تطاول على قتلته لا محال ولو قتلتنى بعده فى ساعة الحال قال له كسرى اخلع ثيابك وثبت قدمك وانا اقول له ان يصرعك وابيح له دمك قال فعندها خلع رستم ثيابه فبانت عن اكتاف كحجارة المنجنيق وصدر كأنه كركرة الجمل الفنيق وحينئذ اقبل كسرى على عنتر وقال له يا ابا الفوارس اريد ان تصارع هذا الرجل المعجب بنفسه الذى تسوقه قدمه الى رمسه فانه قد طمع فيك واستهواه الغرور الى الوقوع فى هذا المحذور فصارعه وان احتجت الى عدمه فاقتله فانت برىء من دمه قال فعند ذلك قام عنترة وهو يقول والله يامولاى انه يشق على هذا العمل ولكن العبد اذا امره سيده اطاع وامتثل ثم قام وتمشى وفى يده باقة من الريحان وهو يتمايل كأنه نشوان غير مفتكر فى هذا الشأن فتهيأ له رستم واستعد وتقبض وتمدد وعيناه تتوقد فتقدم عنتر اليه ورمى زهرة الريحان من يديه وشمر عن ذراعيه وقال

لرستم تقدم ايها الجبار لـكى تنال الفخار وتلبسنى ثوب العار وكان رستم قد انحنى كأنه قنطرة وهو يضرب بيديه على افخاذه فيسمع لها اصوات مذعرة فتطاولت من الاعجام كل رقبة واملوا بالفوز والغلبة هذا وقد تلاحم الرجلان فى الصراع واعتركا كالفحول فى القراع وطمع رستم فى عنترة وهو يظنه مثـل غيره من البشر فهجم عليـه واراد ان يزعزعه فرآه مثل البرج المشيد والسد من حديد وعنترة ثابت قدامه ينظر اليه ويضحك عليه ثم عاد ثانية الى عنتر وظن انه استرخى وفتر فوجده لم يزل كطود الاطواد او قصر عاد بن شداد فانثنى عنه الى الوراء هم ان يعود اليه مرة اخرى فكره عنتر معه تطويل المجال فاقتحم عليه كأنه الاسد الرئبال وزعق فيه زعقة ارعدت جميع حواسه ومكن يده من منطقته ورفعه فوق رأسه واراد ان يحمله الى الملك كسرى سالما ويضعه قدامه بحضرة القوم لكى لا ينزعج قلبه وينهى المصـارع عن التعرض لأحد بعد هذا اليوم واما ذلك اللعين فانه رفع يده وضرب عنترة على رأسه كاد يذهله عن حواسه فخنق عنترة وجلد به الارض فادخل بعضه فى البعض وارقده رقدة لا يقوم منها الى يوم العرض فلما رأت اصحابه ذلك هجموا على عنترة ليقتلوه فصاح الموبذان ودفعتهم عنه الخدم والغلمان وحملوا هم رستم واخرجوهم من البستان وعـاد عنترة الى مكانه وقبل الارض قدام كسرى ودعا له بدوام عزه وارتفاع شأنه قال ففرح به كسرى وهنأه بالسلامة وقال له انا اعلم ان خصمك قد بغى عليك وما عاقبة البغى الا ندامة فنعم ما فعلت به وجازيته على جهله وسوء ادبه قال عنتر والله يامولاى لو اردت قتله من قبل ان ارفعه من الأرض لقتلته فى ساعة الحال وانما اردت ان احمله الى بين يديك سالما حتى تزجره عن التعرض لصراع الابطال قال كسرى لقد ازدجرته فما ازدجر وانذرته فما اعتبر فعلمت ان اجله قد حضر ثم عادوا الى ما كانوا عليه من الطرب والسرور وشرب كاسات الخمور حتى جن الظلام وغلبهم سلطان المنام وتفرق اكثر الناس وانصرفت الجـلاس

فأشار الملك المنذر الى عنترة فقام ودعا للدولة الكسروية بالدوام وانصرف وبين يديه الغلمان والخدم حتى دخل الى مضجعه ونام فلما اصبح الصباح اتى الموبذان الى باب الدار ودعا الملك المنذر وعنترة فخرجا اليه وركب كل منهما وسار وفى أثناء ذلك قال عنترة للموبذان يامولاى اشتهى ان ادخل بيوت النار لانظر ما فيها من الأنوار واحدث به قومى متى رجعت الى الديار قال الموبذان ياوجه العرب لايسوغ ذلك لأنك تدخل اليها على سبيل الاستهزاء لا على سبيل الاحترام والاعتبار وانى اخشى عليك منها لهذا السبب ان يهيج فيها الغضب فتلقى عليك اللهب وترميك فى العطب ولكن اذا قابلتها بالوقار والسجود كما يليق بالاله المعبود فانا ادخلك اليها وهى تلقى بركاتها عليك اذا القيت سلامك عليها قال عنتر والله يامولاى لا ادخل اليها الا بقلب سليم لأنى اعلم انها من آلات الرب العظيم وافعل كل ما تأمرنى به من السجود والتسليم قال فلما سمع الموبذان هذا الكلام من عنتر سار الى المعبد الاكبر فرأى رجالا قياما عراة الابدان وفى ايديهم المدارى ومقامع الحديد يقلبون بها النيران ويدمدم من حولها بكلام المجوس ويتلونه باصوات خاشعة تسلب النفوس وشيخهم الكبير جالس على وسادة من جلود الاسود وهو يهمهم وينود ويومى اليها بالسجود فلما دخل عليه الموبذان بادأه بالسلام فرد عليه بالاجلال والاكرام ثم كشف رأسه وسجد للنار ودار حولها سبعة ادوار فرآه عنتر فعل ما فعل فجاراه فى ذلك العمل فسر الموبذان بذلك فقال له الآن قد افلحت وتيسرت امورك ونجحت وقد حلت عليك بركة هذه الربة المعظمة وصارت انوارها تهديك فى الدياجى المظلمة فدم على تعظيمها فى كل مكان تأمن من اهوال الزمان وطوارق الحدثان قال عنترة يامولاى ومن اين لنا نار مثل ناركم هذه التى تضرمونها بالعود وافاوية الطيب فيظهر لها هذا النور واللهيب ويفوح منها هذا النعيم الذى ينعش القلوب ويفرج الكروب ونحن نضر معهما فى بلادنا ببعر الجمال وذبل البقر وجراثيم الشجر الاخضر فيفوح منها

دخان يخبل الدماغ ويعمى البصر قال فضحك الموبذان من هذا الكلام وعلم ان العرب لا تحول عن عبادة الاصنام ثم دار بعنتر حواليها سبع مرات وهو يسجد لها ويقول سبحانك لا اله الا انت فاشملينا بالرضا والبركات وبعد ذلك مضى الموبذان الى بين يدى الملك كسرى واخبره عن تعبد عنترة للنار وكيف سجد لها ودار حولها بالخشوع والوقار ثم قال ان هذا الرجل قد غلب عليه الشوق الى بلاده وصارت اقامته هنا على خلاف مراده لان الغريب لا يطيب له غير اوطانه ولا سيما اذا كان الهوى قد تملك فؤاده فان شاء الملك فليأذن له بالرحيل وهذا عنده اعظم الاحسان والجميل قال الملك ذلك مفوض اليه وأنا قد أمرت له بكل ما اريد ان انعم به عليه . قال الراوى وبعد ذلك خرج الموبذان من عند كسرى وجمع كل ما امر به لعنتر فكان لا يحصى ولا يقدر ثم دعا عنترة اليه واخبره بما انعم الملك عليه وانه قد اذن له بالمسير الى الديار على بركة النار فحمد عنتر وشكر ودعا للدولة الكسروية بالنصر والظفر وقال والله يامولاى ان بلادكم افضل البلاد كما انتم افضل العباد والذى رأيته عندكم ما رأيته فى مكان ولا اراه طول الزمان ولكن انت تعلم ان الغريب تغلبه الاشواق وتقف فى لهواته غصة الفراق ثم تنفس الصعداء وتنهد واشار الى الموبذان وتشد صلوا على باهى الجمال محمد :

هاج الغرام قدر بكأس مدام ... حتى تغيب الشمس تحت ظلام
ودع العواذل يطنبون بعذلهم ... فانا صديق اللوم واللوام
يدنو الحبيب وان تناءت داره ... عنى بطيف زار فى الأحلام
فكأن من قد جاء مواصلى ... وكأننى أومى له بسلام
طال البعاد واطنب الهجر الذى ... ما زال يلبسنى ثياب سقام
ولقد لقيت شدايدا واوابدا ... حتى ارتقيت الى أعز مقامى
وقهرت أبطال الوغى حتى غدوا ... جرحى وقتلى من ضراب حسامى
ما راعنى الا الفراق وجوره ... فاطعته والدهر طوع زمامى

قال الأصمعى ولما فرغ من انشاده رق له قلب الموبذان وقبل عذره فى ما هو عليه من شدة الهيمان فاخذه ودخل به على الملك كسرى وكان

جالسا فى الايوان فرحب به وادناه وقربه وحياه وبش فى وجهه واحسن ملتقاه وبعد ذلك قام عنتر على قدميه واستأذن الملك بالرحيل فاذن له وعاهده بان لا يزال يتردد اليه ثم عاد عنترة الى مضجعه والخدم والمماليك بين يديه واخذ يتجهز للمسير وفى قلبه من الاشواق نار السعير فجاش الغرام فى نفسه فانشد يقول : صلوا على الحبيب الرسول :

ماعبل عد سلب انفرام منامى ... والشوق أصبح فى فؤادى نامى
يا عبل هل من نظرة تطفى بها ... نارى ويشفى باللقاء سقامى
يا عبل ماشىء يروق لناظرى ... فى الأرض غير جمالك البسام
يا عبل قد طال الفراق فما الذى ... يرضاه منى غاصب الأيام
ياعبل هل تدرين ما أنا واجد ... من مدمعى يهمى كصوب غمام
انى لأصفيك المودة ناصحا ... وأصد عن عذل وقول ملام

قال فلما فرغ عنترة من هذه الابيات الا وقد وصلت اليه الانعامات وكانت مبلغا عظيما من الاموال والملابس والتحف النفائس والحلى والجواهر والخيول الضوامر والاسلحة الفارسية والخلع الكسروية فصار أغنى من ملوك الزمن واعظم من مناذرة العراق وتبابعة اليمن وافتخر بنفسه على ابناء جنسه حتى صار يظن انه يتناول الثريا بيديه ويسحق الحصى بقدميه هذا وان الموبذان قال له يا ابا الفوارس قد بقى لنا منك ثلاثة ايام لكى نستوفى حق الوداع وبعد ذلك تمضى بالسلام قال يامولاى ليكن كما تريد فانا لك من جملة العبيد قال وقام عنتر مع الموبذان ذلك اليوم بأوفى السرور واطيب الحبور وبات عنده تلك الليلة كأنه فى جنان الحور وكان عند كسرى مرزبان يقال له مهران وهو اخو خسروان الذى قتله عنترة فى العراق كما تقدم السياق فلما رأى عنترة قد نال هذه النعم والاموال وعزم على الارتحال تقدم بين ايادى كسرى وقال له ايها الملك ماذا تقول عنك ملوك الزمان اذا اتحفت هذا العبد الكشحان بهذه النعم التى لا يستحقها الا سيد عظيم الشأن وقد قتل حاجبك خسروان وكسر جيشك الذى كان عشرين الف عنان وما تقول الملوك الا انك خفت من سعيه والسنان وربما يطمع فيك قيصر ملك الروم فيجرى معك على غير اسلوبه المعلوم والرأى عندى انك تأخذ

ما اعطيته من الاموال وتجازيه على ما فعله مع حاجبك ومن معه من الرجال فقال له ويلك يامهران وما الذى يكون عذرى بين ملوك الزمان اذا قالوا ان الملك كسرى لحقه الندم ورجع فيما اعطاه من النعم مع أن هذا الرجل وحرمة النار يستحق اكثر مما أعطيناه لأنه رفع عنا العار وأزال عنا طمع القياصرة وأهل تلك الديار وهو لعمرى فارس الفرسان وجبار الجبابرة لانظير له فى مملكة لااكاسرة ولا فى جزائر القياصرة قال مهران اشتهى ان تحضره الان وتطلب منه ان يقتل الاسد الذى عندك كما يقولون انه قتل الاسد فى ارض خفان وهو مقيد الرجلين مطلق البنان فان اجاب وقتله يكون قد استحق هذا الانعام وان قتله الاسد لا تكون اموالك قد ضاعت ولا عتب عليك ولا ملام فلما سمع كسرى كلام المرزبان افتكر فى نفسه حصة من الزمان وقد علم ان كلامه حسد وطغيان ولكن اراد ان يظهر ذلك للعيان فامر الموبذان ان يردعنتر ويأمره بالحضور الى بين يديه لا لحمل امر قد عرض لديه فعندها عاد الموبذان الى عنترة وامره بالحضور الى ديوان الملك فى تلك الساعة فقال عنترة سمعا وطاعة وسار مع الموبذان حتى حضر بين يدى كسرى فى الايوان فقال له يا ابا الفوارس اننى سمعت من الملك المنذر انك قتلت قدامه اسدا فى ارض خفان وانت مقيد الرجلين مطلق البنان وعندى اسد ربيته شبلا صغيرا والان صار اسدا كبيرا وقد طغى وتمرد حتى لا يقدر ان يقابله احد لأنه يقطع السلاسل والقيود ويهجم على المرازبة والجنود فاريد ان تصرم عمره وتكفينا شره قال عنترة يامولاى قد سهلت على الامر ودفعت الشر لأننى احسب السباع من كلاب البر وكنت قد ظننت انك رددتنى اليك لاجل امر عظيم او خطب جسيم والان فاحضر لى هذا الاسد الكرار وانا استعين عليه بسعادتك وقدرة النار فأمر الملك باحضار الاسد الى بين يديه وكان ذلك الاسد كبير الجثة هائل المنظر من رآه يتعوذ بالاله الاكبر فاقبلوا به وكانوا عشرين نفرا من الصناديد

ماسكين كل عشرة بنانجير من الحديد وبأيديهم دبابيس حديدية تسحق ضربتها الجلاميد وهم يقودون اسدا عظيم الهامة طويل القامة عريض الصدر احمر الوبر غابر المحجر افطس المنخر يطير من عينيه الشرر وله انياب كأنها الحراب ومخالب مثل الكلاليب وكبد مثل كركرة الجمل وشدق يسع الحمل وهو يمشى فيكاد يخسف الطريق ويزمجر فيهدر صوته كالجمل الفنيق ولما وصلوا به الى قدام الايوان ارتعدت منه فرائص الشجعان وتعوذت بالنار من هول منظره الذى يرجف القلوب والابدان فلما رآه كسرى اشار الى عنترة وقال له ياشيرسان اشتهى ان ترينى قتلك لهذا الاسد الغضبان ولا تخلى فى قلبى هاجسا مما ذكرت عنك العربان قال عنترة سمعا وطاعة وعسى ان تنشرح انت والجماعة ثم نهض غير محتفل كأنه قائم لمبارزة ثعلب أو لاقتناص أرنب واستقبل الاسد والابتسام يلوح من جبينه واخذ الدرقة بيده اليسرى والسيف فى يمينه وتقدم الى ذلك الاسد المهول وهو ينشد ويقول صلوا على سيد الشجعان طه الرسول :

يا ليث أحذر أن تكون جزوعا ... وأحمل على فلست منك مروعا
أقبل الى فاننى لا أنثنى ... عن قتل مثلك أو أكون هلوطا
ان كنت تزعم أن وجهك عابس ... فأنا العبوس ولا أكون شنيعا
اليوم تفحى فى الفلاة مجندلا ... وتخر فى هذا المكان صريعا

قال فلما سمع كسرى من عنترة هذه الابيات ورأى منه ذلك الثبات علم انه لايبالى بالسباع ولا يهال قلبه ولا يراع فأمر الغلمان ان يطلقوا الأسد من السلاسل لينظروا من يكون القاتل فعندها اطلقوه من تلك الزناجير وهو فى قدر الفيل الكبير فعندما اطلقوه دنا اليه الامير عنترة وزعق عليه زعقة تفلق الحجر فاجتمع الاسد ووثب اليه واراد ان يلقى بنفسه عليه فالتقاه عنترة وفى يده سيفه الابتر وجاوله حتى استمكن من ضربه واهوى بسيفه عليه فوقعت الضربة بين عينيه فطلع السيف من بين فخذيه فصاح كسرى احسنت ياشيرسان وحق النور

والنيران انك جبار الانس والجان ثم طلبه اليه وقبله بين عينيه وقال له أنت فى الحقيقة أسد الغاب والاسود قدامك كلاب وكان المرزبان مهران حاضرا فى الايوان وكان قد تحقق عنده الامل لما رأى ذلك الاسد قد اقبل ان عنترة لابد ان يقتل فلما ظفر عنترة بالاسد تمزقت احشاؤه من الكيد وتمنى انه لم يولد وحينئذ قال له كسرى خسئت ايها اللعين وامر بضرب عنقه من ذلك الحين فضربوا عنقه قدام الايوان وامر بضبط كل ما فى داره من الاموال والتحف الحسان وقال لعنترة ان هذا الخبيث اشار على باسترجاع ما اعطيتك من الاموال ومبارزتك للاسد وذلك كله لما فى قلبه من الطغيان والحسد فاردت ان اظهر شجاعتك على رؤوس الاشهاد واخذل الاعادى والحساد وهذا اللعين قد لقى عاقبة بغيه واجتنى ثمرة سعيه وقد اضفت اليك ما عنده من الاموال فخذها فوق ما اعطيتك من الانعام وارحل الى ديارك بالسلام فقبل الارض بين يديه وشكره واثنى عليه وامر الملك اجناده بالركوب لوداع عنترة وخرج هو والمربذان والحجاب وجماعة من العسكر وانتشروا فى تلك الارض حتى ملأوها بالطول والعرض وبعد ذلك ترجل عنترة وقبل رجل الملك فى الركاب وودع المربذان والوزراء والحجاب فقبله كسرى بين عينيه وامره ان يتردد اليه فى كل عام ووعده بمواصلة الهبات وسار فى ذلك الموكب الامير عنتر كأنه الملك قيصر او احد ملوك بنى الاصفر والى جانبه الملك المنذر وهو مسرور بتلك النعم التى اظهرت فضل العرب على العجم وكان عنترة حينئذ هو الملك فى الحقيقة والمنذر عنده كبعض الخدم وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الحيرة وقد انتشرت قدامهم الاحمال والخيول فملأت تلك الفلوات والسهول وخرجت اولاد الملك المنذر لاستقبالهم فى جنودهم ورجالهم وانبهرت العرب من ذلك الموكب العظيم ونظرت من تلك الهدايا والتحف مالم تنظره فى الزمان القديم ولما استقر الملك المنذر فى اوطانه اخلى لعنتر مكانا يليق بشأنه فقال ياملك وحياتك لا اقدر على المقام اكثر من ثلاثة

ايام فضربوا له الخيام بظاهر الحيرة وصنع الملك المنذر وليمة كبيرة واخذ الناس فى اكل الطعام وشرب المدام ثلاثة يام وفى اليوم الرابع طلب عنترة الاذن بالمسير فاجابه الملك المنذر بذلك وامر له بالف ناقة من النوق العصافير محملة من هدايا العراق وطرائف تلك الافاق وقال له يا ابا الفوارس خذ من عساكرى ولو مائة خيال حتى يوصلوك الى اهلك باليمن والأقبال فقال عنترة ياملك انا لا احتاج الى غفير وباسمى ينادى كل كبير وصغير واذا كان معى فرسان فانا غفيرها وحاميها وحافظها وراعيها ثم ودعه وشكر فضله وقل له والله يامولاى ما اعد هذا الذى وصل الى الا من نعمك ولا انا ايها الملك من اليوم فصاعدا الا من عبيدك وخدمك لانك اطلقت لما اسرت وعفوت لما قدرت وجدت وما قصرت فلازالت سيوفك على اعدائك مسلولة واموالك للقاصدين مبذولة وسار عنترة وهو يقطع المراحل ويشتهى ان ينهب الطريق ليقرب وصوله الى المنازل

قال الراوى ومازال عنترة يقطع القفار ويواصل سير الليل بالنهار ويطلب المنازل والديار حتى توسط الطريق فوصل الى ارض يقال لها ذات المناهل وكان عنترة قد سبق العبيد وتركها تسوق الجمال وتقدم لينظر لها المراتع والمياه فلما وصل الى تلك الارض رأى خمسة عبيد فى ذلك المكان ومعهم هودج على رأسه هلال من الذهب الاحمر ومن داخله شخص ينادى من فؤادى مفروح وقلب مجروح واذلاه من بعدك يا عنتر اين عينك تنظر ابنة عمك مسبية فى هذا البر الافقر لعنة الله على ابى مالك ولا نجاة من المهالك وشل الله اليد التى ارتفعت عليك ويا ليت عينى تغمضت قبل عينيك ثم اخذت فى البكاء والشهيق وتارة يغشى عليها وتارة تفيق وهى تنشد وتقول :

صلوا على المكمل طه الرسول

أين عيناك يا أبا الفرسان ... لترانى فى ذلة وهوان
مع أناس لايحفظون ذماما ... لا ولا يرجون للرحمان
ليت ما كنت فى زمان خؤون ... غادر فى منلة قد رمانى

قصر الله مدتى بعد ليث كان حامى الحريم والاوطان
فسقى الله قبره وبل غيث ها ظل دائم مدى الأزمان
فلقد كان فارسا يقهر الأسد ويغزو الأبطال فى الميدان

قال الراوى فوقف عنتر وبقى فى جوار ذلك الهودج وقد خفق قلبه وانزعج واراد ان يعلم من هو هذا المنادى باسمه وقد قلق لما سمعه من كلامه ونظمه فتقدم حتى قرب من العبيد ونادى ويلكم لمن هذه الخيام ومن هو الذى يريد النزول فى هذا المقام ومن هذه الجارية التى تبكى وتنحسر وتنادى باسم عنتر فاقبل عليه بعض العبيد وقال له اذهب ياوجه العرب ودع عنك الفضول قبل ما يشرف عليك طارقة الليالى فيأسرك ويضيفك الى من معه من الفرسان قال فعندها خفق قلب عنتر من هذا الخبر ووقف وقد انذهل وتحير واذا بسجف الهودج قد ارتفع وظهرت منه جارية نحيلة صفراء نحيفة غبراء قد ذبلت من الهزال وذابت حتى صارت كالخلال فلما رأته شهقت شهقة كادت تقضى عليها وصفقت بيديها وقالت يا ابن العم وانت فى عدد الاحياء اكون وانا فى ايادى الاعداء ثم رمت بنفسها الى الارض وهمت ان تقوم وتتعلق بركابه فلم تقدر على لقيام وطفح السرور على قلبها فاغمى علبها وانعقد لسانها عن الكلام فتفرس فيها عنتر واذا هى بنت عمه عبلة التى لاجلها كانت هذه الرحلة فصاح بملء رأسه صيحة تصدع الحجر وقال الله اكبر ما هذا يا ابنة العم الكريمة وماذا القاك فى البلية العظيمة . ثم هم ان يترجل اليها واذا بالعبيد قد ركبوا وصاحوا به ويلك يا عبد السوء لا تتعرض لنساء الموالى هذه زوجة سيدنا طارقة الليالى وحق ذمة العرب لقد ساقتك الى منيتك قدمك وستندم حيث لا ينفعك ندمك خل يا ويلك عن الجارية وانج بنفسك والا فابشر بحلول رمسك فعندها تقدم اليهم وهمهم وزعق ودمدم واطلق نحوهم العنان وقوم السنان واستقبل الاول منهم بالطعنة فى صدره اطلع الرمح من ظهره واعترض الاخر وضربه بالسيف على عاتقه فاطلعه يلمع من علائقه فلما رأى اصحابه ذلك عادوا على الاعقاب وطلبوا رؤوس الروابى والعشاب ورجع عنتر كأنه الاسد

اذا خرج من الغاب او الصاعقة اذا شقت اذيال السحاب

قال الراوى كان السبب فى ذلك أنه لما وصل شيبوب ونعى أخاه عنتر كما تقدم الايراد ضج الحى بالبكاء والعويل وقامت الأفراح عند بنى بنى زياد ودارت البشائر عند بنى قراد ومن يجاريهم من الأعداء والحساد وكان ذلك اليوم كيوم البعث الموعود أو يوم أخذ الصيحة لقوم عاد وثمود حتى زهقت من القوم الأرواح وكادت الأرض تتزلزل من شدة الصياح . وكانت أشد الناس لوعة بنت عمه عبلة فانها خرجت من خدرها وهى تلطم على وجهها وصدرها وقد تهتكت ونشرت ذوائب شعرها فكانت كأنه أصابها مس من الجنون وصارت تهزى بما يكون وما لا يكون ولا سيما ان ذلك قد اصابه من اجلها فكانت تشتهى لو أن ما أصابه جرى عليها وعلى اهلها . ولما شاع الخبر بقتل عنتر استدعى الملك زهير اخاه فأخبره بما جرى وقال قد قتل حامية بنى عبس وتمدد على ذلك الثرى فقل لعمارة بن زياد يحمى بعده الحى كما حماه فى وقعة بنى طى . فتأسف الملك زهير كما تأسف الناس وكذلك ولده مالك بخلاف أخيه شاس واما ابو عبلة وأخوها فانهما كانا غائبين فى ذلك الحين وكثر فى نسائهما التعنيف والملام من بنى عبس المحبين فارتحلن ومعهن خمسة عشر فارسا من بنى عبس حتى وصلوا الى بنى كنانة وهم بحالة الذل والنكس وكان مالك وولده عمر قد وصلا ذلك الحى بالامس وكان فارس بنى كنانة واقد بن مسعر غضبان على قومه ومنفردا وحده فوقع ببنى عبس وقاتلهم فقتل منهم خمسة رجال وأسر الباقين وطالبهم بالفدى وأكثر عليهم فى طلب الأموال وكانت احدى العجائز قد رأت عبلة بنت مالك بن قراد عند وصولهم الى تلك البلاد فقالت له ان لهذا الشيخ الذى يسمى مالك بن قراد بنت ما لها نظير بين العباد أطلبها منه فداء وفداء أبناء عمه فانها افضل من ملك فرعون ذى الاوتاد فطلبها منه فاجاب وسلمه اياها وخلص بنى عمه من الاسر والعذاب هذا وعبلة تصيح وتنادى وليس لها مجير ولا فادى وسار بها طالبا ديار وهو مسرور بذلك التوفيق لانه ابتهج بمنظرها الجميل وقوامها الرشيق فالتقاه طارقة الليالى فى الطريق ولما رأى عبلة وقعت من قلبه موقعا عظيما وحلت منه محلا كريما فحمل على واقد وقد انتشب بينهما

القتال فما جال معه جولة حتى ألقاه قتيلا على الرمال وأخذ عبلة وارسلها مع عبيده الى المنهل حتى أوصلوها اليه ووجدها عنترة عليه وكان العبيد الثلاثة الذين سلموا من سيف عنتر انطلقوا الى سيدهم طارقة الليالى واخبروه بالخبر لأنه ارسلها مع العبيد ونزل يستريح فى مكان بعيد وكان عمارة بن زياد وعروة بن الورد فى بلاد اليمن وقد أغاروا على قوم من تلك الدين فأخذ بعض نياقهم وسارا بها فى ذلك القفر فمرا فى طريقهما من هذا المكان ورأيا طارقة الليالى قد اسرا اباعبلة واخاها عمر فعند ذلك تقدم عروة بن الورد اليه وأراد قتله وخلاص عبلة وأبيها واخيها من يديه فأسره طارقة الليالى وأمرا بشد وثاقه وحمل عمارة ليقاتل قدام عبلة فاسره ايضا واضافه الى رفاقه وارسله مع عبلة الى الغدير وترجل لكى يستريح من حر الهجير . وفى ذلك الوقت وصل عنترة وقتل العبدين كما سبق الخبر وأما عبلة فلما نظرت عنتر انتعشت روحها بعد الممات وعادت اليها الحياة وحدثته بما جرى عليها . كما حدثها بما جرى عليه وهو يتأسف ودموعه تسيل من عينيه ثم اخبرها بما اتاها به من الاموال والتحف وما تنال به بين النساء من الفخر والشرف . فقالت له يا ابن العم بالله عليك خذنى وخذ هذه الأموال وارجع بنا الى الملوك الذين نلت منهم هذا النوال ودعنا نعيش عندهم باقى عمرنا ونستريح من هذا العناء فتبسم عنتر من كلامها وقال لها والله لا أخرج من هذه البلاد حتى آخذك رغما عن الاعادى والحساد واشفى قلبى وقلبك من اهل البغى والفساد وأجعل تحت قدميك رءوس بنى زياد وبنى قراد وفى اثناء ذلك أقبلت العبيد والابطال ومعهم الاموال والرجال فامرهم عنتر بالنزول فى ذلك الصعيد واوصى بعبلة بعض السادات والعبيد وتقدم لكى يلتقى طارقة الليالى بقلب لا يهاب ولا يبالى . وكان طارقة الليالى سائرا على أثر أصحابه واذا بالعبيد يتراكضون اليه وهم يصرخون عليه فقال لهم يا ويلكم ما وراءكم وماذا دعاكم قالوا ان شملنا قد تبدد والجارية قد أخذها عبد اسود فلما سمع هذا الكلام هدر وزمجر وطار من عينيه الشرر وانعطف راكضا نحو الغدير حتى التقى بعنتر فصاح فيه ويلك يا ابن الامة المقذرة أنت الذى قتلت عبيدى وأخذت جاريتى المخدرة فقال له عنتر بل الويل لك يا ابن الزانية ويلك متى صارت عبلة بنت مالك العبسية لك جارية وأنا قد قاسيت الأهوال لاجلها ولولا غربتى فى

طلب مهرها لما قدرت أن تنظر الى نعلها فدع ما أنت فيه من الهـذيان ودونك الضرب والطعان . قال جهينة اليمانى وعندها انطبق عنتر على خصمه كصاعقة الغمام وأخذ معه فى الصدام حتى لاحت له فرصة فضربه بالسيف على رأسه فظل السيف يهوى الى تكة لباسه فاقشعرت من تلك الضربة الأبدان ونادت عبلة لاشلت يداك يا فارس الفرسان ثم ركض عنتر الى الاسارى العبسيين فحلهم من وثاقهم وسلم على عمه وقال له ابشر يا عماه بالخلاص من الهلاك وأعلم ان جميع ما اصابك جزاء ما قدمت يداك لانك زوجتنى ابنتك وارسلتنى فى طلب الصداق وارميتنى الى بحر المنايا بارض العراق لأجل طلب النياق ونكثت العهد والميثاق وزوجتها بفارس بنى كنانة وضيعت المروءة والأمانة فلقاك الله عاقبة الخيانة . فقال ياولدى لا تعتب على فانى معذورا فانه لما اتى أخوك شيبوب ونعاك وقطع رجانا من بقاك اتفق اننى وقعت انا وولدى عمر ومعى جماعة من اخوانى فى قبضة يد واقد بن مسعر الكنانى وكنا قد اشرفنا على ضرب الأعناق حتى وصفت له امرأة عجوز ابنتى فطلبها منى فدى ارواحنا فأعطيناه اياها ومن علينا بالاطلاق ثم اخذها وطلب دياره فوقع مع طارقة الليالى فقتله واخمد ناره واسرنا واخذ عبلة حتى أتيت وعجلت دماره والان نحمد الله على سلامتك ورجوعك الى الاوطان وجبر ابنة عمك التى لا يليق لها غيرك يافارس غطفان قال عمارة اى والله يا ابا الفوارس انه قد رجع الحق الى اصحابه والسيف الى قرابه فالحمد لله الذى اعادك اليها سالما من كيد اعداك والويل لمن يطلبها سواك وقال عروة صدقت يا وهاب انه لا يليق لعبلة الا عنتر ولو كان من تبايعة بنى حمير لأن الله قد قسم له بها فلا يليق ان يتعرض لها احد من البشر واما عنتر فكان يعلم ان ذلك منهما على سبيل المكر والمحال ولكنه شكرهما وعاد بهما الى محط الرحال قال صاحب الحديث فلما رأوا تلك التحف والاحمال اخذهم الانذهال فقال مالك لعنتر يا ابن أخى لمن هذه الاموال والنعم لعل احدا نزل فى هذا المكان من ملوك العجم قال عنتر لا وذمة العرب يا عماه هذا جميعه لعبدك عنتر الذى أرسلته لياتيك بالنوق العصافير وهذه هى النوق ومعها هذه الاموال التى توزن بالقناطير ثم نزل بهم فى بعض الخيام وامر العبيد أن تذبح النوق والأغنام وأخذ يقص على عمه ما جرى له مع الملك المنذر وكسرى

وفارس الأروام وما أعطاه الله من الرفعة وعلو المقام هذا وعمارة بن زياد يسمع وقلبه يذوب وينقطع وما انتهى عنتر من الكلام حتى راج الطعام وتقدمت به العبيد والخدام وكان عنتر كلما تقدم اليه احد من الغلمان حتى يخدمه يقول له اخدم هؤلاء السادات الأماجيد لأنهم الموالى ونحن العبيد وكان عمارة واصحابه كأنهم يأكلون من شجرة الزقوم ويشربون من ماء الصديد لشدة ما نابهم من الغم والكمد وما لذع أكبادهم من نيران الحسد وبعد ذلك دخل عنتر على عبلة وقال لها ابشرى يا بنت العم بالسعادة والاقبال وفى خدمتك جميع هذه الجوارى والأموال وهذه الملابس والتحف الفاخرة وهذا التاج الذى هو من ذخائر الاكاسرة . قالت عبلة والله يا ابن العم ان سلامتك عندى أحب الى من كل ما ذكرت وما ارانى بعز الا اذا حضرت فان عوذتك الى تقدر بالدنيا وما فيها وبدونك لا خير فيها ولا فى اهاليها . قال الراوى ثم ان عنتر ركب بعض الجنائب وخرج للحرس خوفا من طوارق الظلام وكان عمه مالك قد استحى منه فقام هو وولده عمر وعروة بن الورد وارادوا ان يتولوا الحرس فردهم واقسم عليهم باعظم الأقسام وقال لا وذمة العرب الأماجيد لا يمكن ان الموالى تخدم العبيد لا سيما وانتم لكم عدة ليال ما تلذذتم بطعام ولا تهنأتم بمنام وهذا كله يجرى من عنتر وهو ليس له عندهم قدر ولا قيمة لأن البغضة فى قلوبهم قديمة . ثم انهم باتوا تلك الليلة على مقالى الجمر ولا سيما مالك وولده عمر لأنهم كانوا قد اطمأنوا على هلاك عنتر فرجع سالما وهو صديق الملك المنذر والملك الأكبر ونال منهما تلك النعم التى لا تحصى ولا تقدر هذا وعمر اخو عبلة يقول والله يا ابتاه ما بقى لى اقامة فى هذه البلاد لان عينى لا تقدر ان تطبق ان عبد اختى قد ملك زمامها ونال منها المراد فقال له أبوه يا ولدى لا يقدر الانسان ان يعاند اله البرايا فاننا احتلنا عليه وانقذناه الى بحار المنايا فسلم منها واتى ومعه هذه الأموال والهدايا فعند ذلك قال عروة بن لورد وذمة العرب يا عمر لئن وصل عنتر الى بنى عبس ومعه هذه الاموال وفرقها على الرجال ملك المملكة قهرا وعزل زهيرا عنها جزرا فلما سمع عمارة هذا الكلام بقى مما حل فى قلبه فى جيش من الآلام وقال واذلاه يابنى الأعمام . لقد انقطرت مرارة الأمير عمارة من هذا العبد السوء الذى

اسعده الزمان بعدما كان يرعى النوق والفصلان فوالله لو ان طارقة الليالى ذبح عمارة لكان أهون عليه من ان يسمع ان عنترا عاد وهو سالم ومعه هذه الأموال والغنائم قال ومازالوا على مثل ذلك حتى اصبح الصباح وما فيهم من نام ولا استراح ولماطلعت الشمس اتى عنترة وشاور عمه فى الرحيل الى ديار بنى عبس فقال ذلك اليك ونحن كلنا فى يديك فعندها صاح عنترة فى العبيد وامرهم بالارتحال ففوضوا الخيام ورفعوا صناديق الأموال وسائر الأحمال على ظهور النياق والجمال وقدموا عمارية الفضة الى عبلة وهى مرصعة بالجوهر واخرج لها حلة من حلل الملك الاكبر ما لبس مثلها نساء الملك قيصر . ولابنات ملوك بنى الاصفر ثم وضع على راسها ذلك التاج وهو بلمع كالكوكب الوهاج فزادت جمالا على جمال وزاد عمارة خبالا على خبال وقال فى نفسه ويلك يا عمارة انت من الساعة قد وقعت فى هذا الحال فكيف اذا رأيت قد خلى عليها راعى الجمال هذا وعنترة قد سلم عبلة الى ابيها وقال له يا عم تسلم ابنتك وهذه الأموال وافعل معى ما انت له أهل من الأعمال فدعا له عمه وشكره وقد اظهر له خلاف ما اضمره وقال له يا ابن اخى ما عبلة من اليوم غير امتك ونحن عبيدك وفى خدمتك فعندها اشار عنترة اليه وانشد صلوا على النبى الممجد محمد

ان لم تكن لى مسعفا من مسعفى ... أو لم تكن لى منصفا من منصفى

أو لم تكن توفى بوعدك الذى ... خاض البلاء والمنايا فمن يفى

يا مقصد القصاد يا كهف الرجا ... يا جابر القلب الكسير المدنف

كن لى بحقك مسعدا ومساعدا ... فعسى أرى نيران قلبى تنطفى

قال فشكره عمه ووعده بكل جميل وزاد له فى الاكرام والتبجيل ولم يزالوا سائرين فى تلك الفدافد حتى ما بقى بينهم وبين بنى عبس الا يوم واحد فطلبوا عماره فما وجدوه ولم يكن عند احد عنه خبر ولا ظهر له عين ولا أثر فقال مالك ابو عبلة يا ابا الفوارس ما اقول الا ان عمارة قد سبق الى اهلنا يبشرهم بسلامتك ويعلمهم باقبالك وسعادتك قال عنترة يا عماه مالى عند عمارة وهذه المنزلة الجليلة ولو كان كذلك لكان خرج الملك زهير وأولاده الى لقائنا وجميع القبيلة قال يا ابن الأخ أنا اشتهى ان أمضى الآن وأشرف على العشائر والقى فى الحى البشائر

قال له يا عماه افعل ما تريد فأنا لك من جملة العبيد وان شئت فخذ ابنتك معك فان الاولى بها ان تتبعك قال لا والله يا اباالفوارس ما تكون الا عندك فذلك احفظ لها وانت اشفق منى عليها لانك قد صرت بعلها ثم سار هو وولده عمر وعروة بن الورد وزوجه شريحه وقد ركبوا من خيل عنترة المستريحة وتقدموا وهم يتشاورون فى هلاك عنتر ولا يدرون بأى حيلة يتيسر هذا وعمر اخو عبلة يقول والله ما هذا الا غبن عظيم من هذا العبد الاثيم لان عمارة ما هام على وجهه الا من اجله فياليتنى كنت فعلت مثل فعله وكنت اصحب الوحش بقية عمرى واموت وانزل فى قبرى ولا ارى هذا العبد صهرى فقال له ابوه مالك يا ولدى لا تضيق صدرك ولا تزعج فكرك فانا اذا عجزت عن هلاكه اقتل اختك بيدى فى الليل واريح نفسى من هذا العناء والويل لأن العرب قد فعلوا ذلك قبلى فى جميع الاعصار وقتلوا النساء والبنات واستراحوا من العار ثم انهم جدوا فى مسيرهم حتى اصبحوا فى ديار بنى عبس عند طلوع الشمس فعندها قصد مالك بيوت بنى قراد حتى انتهى الى اخيه شداد وهو يقول والله العظيم ان موتى أهون على من قدومى مبشرا بسلامة هذا العبد الزنيم ثم انه دخل على اخيه شداد وقال له قم ياأخى الى استقبال ولدك الذى عاديتنى من اجله وقلت انى كنت السبب فى قتله فانه قد رجع وهو سالم ومعه اموال وغنائم . فقال شداد حقا تقول يا مالك قال نعم وحق مالك الممالك فعند ذلك نهض شداد وركب متن الجواد وليس لباس الافراح بعد لبس الحداد ولم يبق فى البيوت امة ولا حرة مكرمة الا وخرجت وهى تنادى بالافراح بعد الاتراح وضربت الدفوف والمزامر وقامت فى جميع الحى البشائر وبلغ الخبر الى الملك زهير فقال للعبيد انظروا ما الخبر قالوا جاءت البشائر بقدوم عنتر فانه اتى ومعه غنائم واموال قد ملأت السهول والجبال قال الملك زهير والله ان هذا من اعجب العجب لانه ما سمع بمثله بين العجم والعرب ثم نهض من ساعته ومعه اولاده وعشيرته وأجناده وكان مالك افرح الجميع وساروا وتركوا البيوت خالية ولم يبق فى الحى الا شيخ كبير ضعيف عن القيام أو طفل صغير لايعى حوادث الأيام قال وكان عنترة بعد مسير عمه أقام الى نصف الليل ورحل على الأثر وهو يحادث عبلة ويلتذ منها بالحديث والنظر وما زال كذلك الى وقت السحر وعند ذلك قال

لعبلة اعلمى يابنت العم ان أباك يكون قد وصل الأحياء وأعلم اهلنا بقدومنا فخرج لملقانا اهل الحى من الرجال والنساء ولابد ان يكون معهم الملك زهير وأولاده وعشيرته وأجناده لااريد أن أكلفهم المسير الى مسافة طويلة والرأى عندى أن أتقدم والتقيهم قريبا من الحى على مسافة قليلة وبعد ذلك تقبلون علينا لأنى قد أمنت عليكم من حوادث الزمان فان هذه ارضنا ومنازل ابى عدنان ومن هناك سار عنترة والبر لايسعه من شدة الفرح الى أن تضاحى النهار واذ بالغبار بين يديه قد ثار ثم انكشف فظهرت من تحته بنو عبس وبين أيديهم الاماء والحرائر وهن يضربن بالدفوف والمزامر وقد لمعت على اكتافهم اسنة الرماح والرايات على رءوسهم تخفق مع هبوب الرياح والملك زهير بين أيديهم وعلى رأسه راية العقاب وأولاده من حوله كأنهم الأسود الخارجة من الغاب فلما رآه عنترة ترجل عن جواده الابجر ولما قربوا منه وعرفوه صاحوا بأصوات الأفراح حتى أزعجوا البر بالصياح وتجارت اليه الفرسان كأنهم أسود البطاح هذا وعنتر يقبل الأرض الى أن صار بين يدى الملك زهير فترجل وعانقه وقال الحمد لله الذى أرانا وجهك بسلامة وخير وسار هو والملك زهير وأولاده وهم يقولون يا أبا الفوارس لا أذاقنا الله فقدك فلا خير فى الدنيا بعدك وصار الملك زهير يسأله عن سفره وهو يحدثه عما جرى له مع الملك المنذر والملك الأكبر والبصرموت الذى أرسله الملك قيصر قال وكانت أمه زبيبة قد خرجت مع النساء وهى قد ذابت حتى صارت كالشبح وصارت تقبله وتحمد الله وهى لاتدرى ما تقول وهو لا يفهم ما تقول لان لسانها من شدة الفرح واخواه جرير وشبوب يصفقان ويدوران حوله ويرقصان وما فرغ عنتره من حديثه مع الملك زهير حتى اقبلت عبيده تسوق النوق العصافير وقدامهم الاحمال على متون الجمال كأنها بعض الجبال وقد لبست المماليك افخر الملابس كأنهم العرائس وبين أيديهم الجوارى الروميات والسرارى الفارسيات وأقبلت عمارية الفضة المرصعة بالجواهر المثمنات وقدامها الجنائب القيصريات والخيول الكسروية ولما قربوا من مولاهم عنترة داروا به من اليمين والشمال وانتشرت حولهم الجمال وعليها صناديق التحف والاموال ثم ان عنترة قاد الى الملك زهير عشرة جنائب بمراكبها وجلالها

وخمسة جمال بصناديقها واموالها وفرق التحف والاموال على جميع أهل الحى فكان أكرم من حاتم طى ولم يبق احد من النساء والرجال الا غمره بالعطاء والنوال ومازال يبذل العطاء الكثير حتى لم يبق له الا النوق العصافير فسلمها الى عمه مع ما كان له من التحف والملابس والاسلحة والدنانير فكان حمده على السنة الجميع يتلى ، وكادوا يسجدون له كما يسجدون للاله الاعلى ، هكذا والملك زهير قد انذهل من كثرة ما رأى من الاموال تدهش الابصار وتحير الافكار وأمر الناس بالعودة فعادوا طالبين الاوطان وعنترة الى جانب الملك زهير يحادثه كانهما اخوان ولما وصلوا الى الحى طلب كل واحد منهم منزله وعاد عمر أخو عبلة يتقود العماريات التى فيها أخته الى مضارب بنى قراد وقد كاد من الغم ان يقضى اجله ثم تقدم وكشف سجف العمارية لكى ينزل أخته وقال لها انزلى يا عبلة فقد زالت عنك الذبلة فلم يجبه احد بكلمة ولا جملة فرفع الستر ونظر فلم يجد احدا فعندها طاش عقله وكاد يموت كمدا وانطلق من ساعته الى عنترة وسأله عنها فقال والله يا ابن العم فارقتها وهى فى العمارية من السحر ثم اخبر عمه بالخبر فقال له لك الرأى والنظر فلما سمع ذلك الكلام عنتر اصفر لونه وتغير وصرخ بصوت أرعب به قلب كل من حضر وقال ويلك انا من السحر تركتها فى العمارية ووكلت بها العبيد وسبقت حتى ازعج خاطر الملك زهير بسفر بعيد ، فماذا جرى عليها ومن قدر ان يصل اليها فقال والله لا أدرى أنا كنت معكم وقد حرت فى امرى فتحير عنتر وعظم ذلك لديه وخيل له ان الأرض انطبقت جميعها عليه فجمع اليه العبيد وسألهم عنها فما وقف احد على خبرها ولا وقع على أثرها فانذهل لذلك وتحير وفاض دمعه على خديه وانحدر واحس بان قلبه قد انفطر وشاع الخبر فى الحى فانقلبت تلك الافراح الى الغموم والاتراح وسرت الاعداء والحساد

انتهى الجزء الخامس من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء السادس

الجزء السادس

من سيرة
عنتر بن شداد

وقالوا جعل الله طريقها سهلا وجمع له بها شملا وسمع الملك زهير بذلك فركب ومعه ولده مالك وتجارت خلفهم الفرسان وطافوا تلك الارض فى الطول والعرض فلم يقعوا لها على أثر ، ولا وقفوا على خبر وعاد عند المساء بالخيبة عنتر فطار من عينيه الشرر وفاض دمعه وانحدر مثل سح المطر فقال له الملك زهير لا تضيق صدرك يا ابا الفوارس فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لابد لى من كشف اخبارها ولو انها خلف سد الاسكندر فقال عنترة ، يامولاى والله قد كان الخطأ منى أول الحال لأننى تركتها وسعيت الى ملتقاك لئلا يبعد عليك المحال ثم انه طلب بيت أمه زبيبة وهى فى الانتظار وفى قلبها من أجله لواعج النار وكان عروة بن الورد قد حدث بنى زياد بحديث اخيهم عمارة كيف خلصه عنترة من الاسر والوثاق لما كان عائدا من ارض العراق وجاد عليه بالاطلاق وكيف فقد منهم فى الليل ولم يعلموا اين ذهب من بين فى تلك الخيل فقال الربيع وحق ذمة العرب ان اخى قد شرب كأس العطب وما قتله الى هذا العبد الذميم والوغد اللئيم وانا لا اطلب ثارى منه ولا اطلبه الا من الملك زهير فان سلمه الينا والا رجلناه عن جواده واخذنا ثار اخينا بيدينا قال فباتوا تلك الليلة ينتظرون السحر ولما اصبحوا دخل الربيع واخوته على الملك زهير واخبروه بامر عمارة وطلبوا منه عنترة فقال لهم بالله عليكم يا بنى زياد اتركوا هذا الرجل ودعوا عنكم البغى والعناد ولا سيما انه اليوم غارق فى بحار الوسواس وعنده شغل شاغله عنكم وعن جميع الناس ولو كان يريد ان يقتله كان قبل الان اهلكه لانه ظفر به مرارا وتركه ولكن اذا ثبت انه قتل اخاكم فانا اسلمكهم اياه واعينكم عليه حتى تعدموه الحياة قال الربيع يا ملك انه يشق علينا ان يكون دم عبد شداد ابن الأمة لقاء دم اخينا ابن الحرة المكرمة ، ثم خرج هو واخوته من عند الملك زهير بحالة الكمد وقد

اشتد بهم الغضب والحرد قال وكان السبب فى فقد عبلة امرا من اعجب العجب وحديثا من أطرف الاحاديث التى جرت فى أيام الجاهلية للعرب وذلك ان عنترة لما فارق عبلة فى الليل واوصى عليها العبيد وبقية القوم حتى يلتقى الملك زهير وبنى عبس اخذها النوم فنامت فى العمارية والعبيد تسوق الجمال وسارت الاماء بجانبها عن اليمين والشمال وقد أخذهن الكرى من طول السرى فسارت المطايا تقصر عن المسير وصار بينهم وبين السابقين بعد كثير ومازالت كذلك الى ان ابيض مفرق الشمس وبدأ الصبح ينشق فانتبهت عبلة ونظرت الى ما حولها من الجهات فلم تجد احدا فى تلك الفلوات فقالت للأمة ويلك اين الطعان فانى لا أرى احدا فى هذا المكان فطار النوم من رأس الأمة وقالت يامولاتى ما عندى منه علم ولا خبر لأن النعس قد أعمى منى البصر ولكن ما عليك خوف ولا حذر لأننا ما ضللنا عن الطريق ونحن سائرون على الأثر وحس العبيد بين يدينا واصواتهم الينا قال فلما سمعت عبلة طاب قلبها ونزلت من العمارية لتقضى حاجة لها وقالت للامة سوقى فها أنا على أثرك فساقت الامة وسارت قبلها قال فبينما عبلة كذلك اذا هى بفارس قد أقبل من جانب القفر وكان قد انشق ذيل الفجر فلما رآها صاح وافرحاه بعد ترحاه وحق ذمة العرب لقد انتبه الزمان من رقدته وافاق من غفلته وقد ظفرت يا عمارة بالبدر المنير ، واشتفى فؤادى من ذلك العبد الطنجير قال وكان هذا الفارس عمارة ابن زياد لاننا ذكرنا ما جرى له مع عنترة بن شداد وما اصطابه من نار الحسد ومرض الفؤاد لما رآه قد عاد وهو سالم ومعه تلك الاموال والغنائم وانه قد تمكن من الدخول والخروج على عبلة وهو مطرود عنها فى حال اهلوان والمذلة فلم يقدر على المقام فخرج فى الليل من الخيام وهام على وجهه بين الربى والاكام واستمر ليلته لا ينام ونهاره لا يذوق الطعام وكان يسير تارة ذات اليمين وتارة ذات الشمال ويتتبع آثار النوق والجمال ولما تمادى به السير انشد وقال :صلوا على المبعوث بالكمال .

اسير وقلبى فى البلاد اسير ... وارجو يسير الوصل وهو عسير
وابكى على ذلى وقد كنت سيدا ... الى صناديد الرجال تشير
واولا صروف الدهر ما انحط ماجد ... ونال العلا عبد وذل أمير

اهيم وأشكو فى الفلا حرقة الجوا ... وبين ضلوعى للغرام زفير
وتجذبنى الأشواق يا بنت مالك ... اليك على رغمى فأين أسير

قال الاصمعى فبينما عمارة ينشد هذه الابيات اذ نظر الى عبلة فى تلك الجهات فلما عرفها غاب عن رشده من شدة السرور وانقض عليها انقضاض النسور وأخذ بيدها ورفعها وراءه وأغار بها فى أقطار الفلاة وهى تصيح ويلك ياعمارة تسبينى وأنا بنت عمك وقطعة من لحمك ودمك فقال لها أى والله اسيبك ولا اموت قتيل هواك وما دمت فى الحياة لا أترك عنترة يراك فقالت له والله عمرك ما تنال منى غرضا ولا تزيل من قلبك غصة ولا مرضا وبعد ذلك ان كنت لا اقدر ان امنع مثلك عن مثلى فلا سلمت ولا رجعت الى أهلى فقال عمارة الامر اليك يابنت الكرام وليس هذا موضع الكلام ثم اركض فرسه وهى وراءه طالبا أرض بنى طى وعول أن يستجير بملجم ابن حنظلة الطائى ويقيم عنده فى ذلك الحى وما زال يقطع الفلاة حتى وصل الى بعض المياه فنزل هناك واذا بغبار بين يديه قد علا وثار ، حتى سد منافس الانظار ثم انكشف ذلك الغبار عن ثلاثمائة فارس كأنهم الاسود العوابس وهم يطلبون ذلك الماء وبينهم فارس كأنه العمود أو من بقايا قوم وثمود وعلى رأسه عمامة خضراء وعليه حلة حمراء وهو متقلد بسيف ابتر وعلى عاتقه رمح من أعمال سمهر وكانت هذه الخيل من بنى طى والمقدم عليها مفرج بن همام وكان من أبطال العرب العظام وانه نظر الى عبلة وما عليها من الحلى والحلل فقال لقومه ابشروا فقد أتانا التوفيق من أقرب طريق فان هذه الجارية لا شك من بنات الملوك وقد وقع بها هذا الفارس الصعلوك فدونكم اياه خلصوها منه وان مانع عنها فاقطعوا رأسه واخمدوا أنفاسه فعندها تجارت الفرسان الى عمارة ودار واحواليه بالخيل والمهارة وقالوا له قم ياكشحان الى خدمة الفارس الهمام الامير مفرج بن همام فلما سمع منه عمارة هذا الكلام زهقت روحه حتى كادت تخرج من جسده وتقطعت علائق قلبه وكبده وعرف أنه ان مانع خذل وان قاتل قتل وأراد أن يسلم نفسه للعدا ويضمن لهم الفدا فمنعه الحيا وحمله الهوى على أن يرمى نفسه فى البلا وخاف أن تراه عبلة بعين النقصان فيكون عندها بمنزلة المهان فقال لها لا تجزعى يابنت العم فانى مانع عنك الأعداء بالسيف والسنان وأبذل نفسى دون محبتك وأفديك من طول رق الزمان

وان كانت قد حانت منيتى على يديك ورجعت الى أحيـاء بنى عبس وعدنان فأنا استحلفك باللات والعزى والهبل الكبير الأعلى أن لاتمكنى ذلك العبد من نفسك ولا تتزوجى منه الا من أبناء جنسك فلما سمعت عبلة من عمارة ذلك الكلام صـارت تعض على بنانها وزنودها وفاضت دموعها على خدها وقالت ياعمارة لا عمر الله بك الأوطان ولا نجد من نوائب الحدثان كما أوليتنى الخوف بعد الأمان وأذقتنى بعد العز الذل والهوان وما أتمت عبلة كلامها حتى دارت بها الفرسان من كل جانب ومكان وحملوها الى قدام مفرج بن همام وهى تلوح كالبدر التمام ولما رأى مفرج حسن صورتها خفق فؤاده وهام بمحبتها وتألم لبكائها وذلتها فقال لها لا تخافى ياغزالة عفان فقد وقعت فى يد من يعرف قدرك وتكونين عنده عزيزة مرفوعة الشأن ثم ضربوا له خيمة كأنها من مقاصير الجنان وعول أن يبيت فى ذلك المكان . وأما عمارة فانه مازال يمانع عن نفسه حتى انجرح وقتل جواده فسقط على الارض وانطرح فاخذوه أسيرا الى الامير مفرج فلما مثل بين يديه سل سيفه وقام على قدميه وهم أن يأخذروحه من بين جنبيه فصاح عمارة وقال له لا تفعل ياوجه العرب واطلب منى الفدا مهما أردت فانا أحمله اليك لانى امير ذو حسـب ونسب وان كنت لا تعرفنى فانا عمارة بن زياد العبسى أخو الربيع شيخ بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان فقال مفرج خسئت ياقرنان بما ذكر ولا فخر فيما به افتخرت وحق ذمة العرب لا تخلص من يدى بجميـع ما تملكه من النوق والجمال والخيل والاموال والا والله قطعت كل يوم عضوا من أعضاءك وأبصرت منى عذابا ما أبصرته قط عيناك ثم شده الى عمود الخيمة وهو يئن من ألم الجراح وكان الليل قد بسط عليهم الجناح فأكلوا الزاد ولم يطعموه وصاروا يهينوه ويشتموه وكلمـا اشتكى اليهم لطموه وأقاموا ينتظرون الصباح وعبلة طول الليل لا تفتر عن البكاء والنواح وكان مفرج قد أمر أن يحمل اليها شىء من الطعام فأبت ولم تأكل شيئا ولا عرفت عينها المنام بل باتت تندب المنازل وتنوح نوح الثواكل وتدعو على عمارة بالقتل والعذاب وطرح لحمه للكلاب وتقول أين عيناك ياعنترة الفرسان ترى عبلة فى السبى والهوان قـد ضاع التعب الذى تعبته لأجلها والهدايا التى جلبتها لها ولأهلها ومن ترى يبلغك الخبر قبل أن تقتل نفسها وتسكن رمسها قال الراوى هذا ومفرج يسمع كلامها ولا ينكر عليها بل يزيد اكرامها وقد أوجع قلبه

بكاها ورق لشكواها وظن أنها تستأنس به اذا طالت الصحبة وتنقلب بغضتها الى المحبة فلما طلع الصباح رحل يطلب دياره والاطلال وقد عارض عمارة على بعض الخيل ورفع عبلة على بازل من الجمال وسار من أول النهار يقطع الارض والقفار وقال لأصحابه يابنى عمى قدجعلت لكم جميع ما يأتى من هذا العبسى من الأموال والنوق والجمال وأنا أرضى بهذه الجارية التى ملكت فؤادى ونفت عنى رقادى قالوا له نحن ما نزاحمك عليها ولا ننظر اليها لأننا جميعا نعيش فى أنعامك ونعتز بجاهك وارتفاع مقامك ثم ساروا يقطعون القفار الى أن وصلوا الى الديار فامر مفرج العبد أن يضربوا لعمارة أربع سكك من حديد ويجعلوا فى عنقه أثقل زنجير ويربطوه مثل الخنزير ويصلبوه بين تلك السكك ويعذبوه العذاب الثقيل حتى يفدى نفسه بالمال الجزيل قال فعند ذلك ندم عمارة غاية الندم وقال هذه عاقبة من بغى وظلم وعسى ان تكون هذه الجارية مشئومة على ذلك العبد كما هى مشئومة على ياحبذا اذا حرم منها ولو خرجت من يدى ولما لم يعد له طاقة فدى نفسه بخمس مائة ناقة وخمسين رأسا من الخيل بعددها ولامتها والفين رأس من الخيل يرعانها وقال له ايها الامير انعم على بعبد من عبيدك يسير الى اخوتى بعلامة منى لهم ليأتوا بالمال وأخلص من الاعتقال وان لم يكن لك أرب فى هذه الجارية وطيبت الفدا فانا انفذ الى قومها يفدونها بالوف من الأموال وقطعان من النوق والجمال وكان كلام عمارة معه على سبيل الاختبار ليعلم ما عنده من نحوها من الاعتبار قال فلما سمع مفرج كلامه وقال وذمة العرب ياحمارة بنى عبس لم تخلص هذه الجارية من يدى ولو فدوها باموال قارون أو كنوز سليمان وكل من جاءنى فى طلبها شككت قلبه بهذا السنان لأنها قد سلبت عقلى وفؤادى وسكنت جوارحى وملكت قيادى وقد اشتريت قسم أصحابى بألف ناقة وجمل وما انصفتهم فى العمل وهبتك لهم يأخذون منك ما تفدى به نفسك اللئيمة ورضيت بهذه الجارية وحدها من الغنيمة ولولا ذلك حملتك الى من يضرب عنقك ويشرب دمك كزلال الماء وهو ملحم بن حنظلة سيد بنى طى الملقب بشارب الدماء الذى قتل عنترة صهره ناقد بن الجلاح وسبى بنته أميمه وهى الآن لم تزل فى البكاء عليه والنواح وهى تتمنى ان يقع فى يدها رجل من بنى عبس حتى تشفى

منه غليلها وتشرب من دمه الأقداح وأنا ما طرقت دياركم فى هذه النوبة الا فى طلب عنترة بن شداد وأردت أن أسوقه اليهم فى القيود والأغلال لكى يعذبوه أشد العذاب ثم يقطعوا رأسه ويرموه للكلاب فوقعت بك وبهذه الجارية البديعة التى أشغلتنى عن تلك الصنيعة قال الراوى وبعد ذلك أمر مفرج بن همام بعض عبيده أن يمضى الى بنى عبس فشد على ناقة من النوق وركبها وسار عند طلوع الشمس وأوصاه عمارة أن يدخل على فريق بنى زياد ويعلم اخوته بما جرى عليه سرا عن جميع العباد وأعطاه علامة لهم لكى يصدقوا كلامه ويعطوه مرامه وبعد ذلك الفت مفرج الى عبلة وأخذ فى محادثتها وملاطفتها وملاقاتها وصار كلما تقرب اليها ولاطفها فى الكلام ضجرت وكلما أمرها بالجلوس نفرت وكلما قدم لها الطعام تأخرت وكلما ضحك فى وجهها عبست وقطبت وكلما اجتهد فى مرضاتها غضبت فقال لها فى بعض الأيام ويلك الى كم هذا النفار أتظنين أن لك سراح من هذه الديار أو خلاص من مفرج الجبار قالت له والله لو اننى تحت الأرض السابعة أو فوق السماء الرابعة لا بد أن يأتيك من لا ينام عن كشف أخبارى ولا بد له ان يقتفى آثارى وترى والله فارسا لا يلين له فى الحرب جانب ، ولا يسلم من يديه محارب ، ولو كان من مردة الجان أو من عفاريت سليمان قال فلما سمع مفرج من عبلة ذلك الكلام دب الغضب فى وجهه كدبيب النمل فى حنادس الظلام وقام اليها ضاربا بالسوط على جسدها الرطيب فصاحت وأخذت فى البكاء والنحيب وهى تقول أين عيناك ترانى يا حامية عبس الذى كنت تغار على من حرارة الشمس وتخاف على بدنى من النسيم أن يزعجه باللمس فأتت أمه على صياحها ودخلت عليه وخلصتها من يديه وقالت له بعد ما سكنت غضبه ياولدى لقد عذبت قلبك من هذه الجارية التى أشابت منك الناصية وأذابت العافية وقد سلمت قيادك الى من لا يحفظ ودادك فاشتغل ياولدى عنها بغيرها من بنات عمك الأبكار فان فيهن من تكون هذه فى مقابلتها كالليل فى مقابلة النهار والرأى أن تتركها عندك خدامة وتذلها لأنها لا تعرف الكرامة لأن من النساء من لا تلين الا اذا رأت الهوان وفيهن من تستعبد بالاحسان . فلما سمع مفرج ذلك الخطاب علم أن امه أشارت عليه بالصواب فخلع جميع ما كان على عبلة من الحلى والحلل وألبسها جلبابا من الصوف وقابلها بالمنكر بعد المعروف وصارت أمه تستخدمها فى حلب اللبن

والأعمال التى تضنى البدن وكانت عبلة تقضى النهار فى الخدمة والعذاب والليل فى البكاء والانتحاب وهى تنوح على الوطن وتدعو على عمارة بالبلاء والمحن وعمارة يسمع كلامها ولا ينكر ملامها وصار خائفا من عنتر اذا وصل الخبر اليه فيأتى ويخلصها ويقضى عليه هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الذى أرسله عمارة الى بنى عبس ليأتى بالأموال فداء عن النفس فانه سار طالبا ديار بنى عبس حتى وصل اليها واستدل على بيوت بنى زياد فدلوه عليها وكان الربيع قد نزل بواد قريب من بنى عبس يقال له وادى الثقلين وتبعه من فرسان العشيرة نحو مائتين لأنه لما طلب من الملك زهير أن يسلمه عنترة ليقتله بدعواه أنه قتل أخاه ولم يقبل أن يسلمه اياه خرج من عنده غضبان وفى قلبه لهيب النيران ومن هناك رحل باخوته الى ذلك الوادى وقال والله لا رجعت وجاورت عبسا طول الزمان ما دام ملكهم قد فضل هذا العبد الكشحان ولم يزل الربيع هناك الى أن قدم عليه العبد الذى انفذه عمارة من عند مفرج ابن همام وطلب منه فداء نفسه من الحمام وحدثه بحديث عمارة ومافعل بعبلة ووقوعه فى الوثاق وطلب منه الفداء من الخيل والغنم والنياق فقامت عليه القيامة وأنفذ الى جميع اخوته وقص عليهم ما سمعه من الكلام وأعلمهم أنه فى أسر مفرج بن همام وقال والله لقد افتضحنا فى جميع الأقطار بسبى أخينا لبنت عمه عبلة والله أن هذا شىء ما فعله أحد أصلا وقد تركنا بين العرب مثلا وان فديناه بالمال يكون عارا علينا لأن يقال أن بنى زياد فدوا أخاهم بالنوق والجمال وعجزوا عن خلاصه بالقتال فقال له اخوته فما الرأى عندك يا ربيع وكيف تعمل فى هذا الأمر الشنيع فقال لهم الربيع يا اخوتى الصواب اننا نسير فى مائتى فارس ونلقى رماحنا فى بنى طى ونبذل المجهود فى ذلك الحى واذا وصلنا الى فريق مفرج بن همام ورأينا فيه مطمعا كسبناه وخلصنا أخانا من أسره وبلاده والا أكملنا له فى تلك الجهات يوما بعد يوم حتى نراه أو يقع فى أيدينا أحد من قومه فنفدى به أخانا ويكون قد مضى وهو مكتوم وحالنا غير معلوم لأن الملك زهيرا أن علم بهذا الأمر تصير له الحجة علينا حتما وتقول لنا ان أخاكم عمارة سبى زوجة الرجل وأنتم تطالبونه بدمه ظلما ولاسيما اذا علم عنترة بن شداد بذلك فانه يلقينا فى أكبر المهالك فقالوا صدقت فافعل ما بدا لك وبادر قبل أن يكشف الحال وتصير حديثا للنساء والرجال ثم قبضوا على العبد الذى أتاهم بالخبر من عند

مفرج بن همام لأجل قبض المال وساروا بقية يومهم يطلبون الجبلين آجا وسلمى ومعهم مائتان من الأبطال وكان عروة بن الورد من الجملة، وهو متعجب من قصة عمارة وعبلة ، هذا وعنتر باكى العين فى الليل والنهار ومن عظم وجده ما يقر له قرار وأرسل آخاه شيبوبا يدور الحلل وسائر القبائل ويأخذ الأخبار من أهل المياه والمناهل وأقام عنترة ينتظر قدومه وهو كالمجنون لا يفكر فى نفسه ولا ما كان ولا ما يكون ولازم الخباء كالمخدرات والنوح والبكاء كالثاكلات وهو لا يتلذ بطعام ولا يذوق المنام وصار نحيلا كالخيال حتى لو التقاه أقل صعلوك من الرجال لاستطاع قتله بلا محال وهو يقول كلما قعد وقام ياليت شعرى كان ملتقاها فى المنام أم أضغاث أحلام ياليت شعرى من هو الذى أخذها فى ذلك النهار هل جنى خطفها وسار ، أم طائر حملها وطار أم وحش افترسها فى القفار ماذا أصابك يامهجة الفؤاد وأين أنت من البلاد وآسفا على ذلك الجمال وياضيعة ذاك الدلال واحسرتاه ما قد قاسيت لاجلك من الاهوال وما جلبت لك من التحف والأموال . ياليتنى كنت أعرف موضعها لأقصده ونعيش أو اموت معها ثم شب فى قلبه الأشتعال فانشد وقال صلوا على المبعوث بالكمال :

دموع فى الخدود لها مسيل ... وعين يومها أبدا قليل
وصبر لايقر له قرار ... ولا يسلو اذا جد الرحيل
فكم أبلى بأبعاد وبين ... وتشجينى المنازل والطلول
وكم أبكى على الف شجانى ... وما يغنى البكاء عن العويل
تلاقينا فما أطفى التلاقى ... لنا لهبا ولا برد الغليل
طلبت من الزمان صفاء عيش ... وحسبك قدر ما يعطى البخيل
وها أنا ميت ان لم يعنى ... على جور الهوى الصبر الجميل

قال وبقى عنتر على ذلك الحال والتعب يقاسى من الأهوال كل شدة ونصب وهو لا يأكل ولا يشرب أن لم يحضره الملك زهير ويحلف عليه ويطعمه ويسقيه بيديه ولم يزل فى تلك الهموم والكروب الى أن قدم عليه آخوه شيبوب فوجده فى بلاء أيوب وفى حزن يعقوب فلما دخل عليه خفق فؤاده وقال له ويلك يا ابن آمى هل وقعت لعبلة على

آثر آم الخيبة بلا خبر قال له شيبوب لا والله يا ابن الأم بل آتيتك بالخبر اليقين متوكلا على رب العالمين فعندها صحا من سكر الغرام وقال هات ما معك من الكلام فقال شيبوب ياآخى اننى درت كثيرا من البلاد الى آن دخل أرض اليمن ولقيت ما ينسى الاطفال رضاع اللبن فرأيت عبلة فى قبضة مفرج بن همام وقد جعلها من آقل الخدام وخلع ما عليها من ثياب الحرير للطاف وألبسها الجافى من الاوبار والأصواف وهى فى الخدمة الليل والنهار والشتايم عليها مثل سيل الأمطار وتنادى باسمك كلما زاد عليها العذاب فلما سمع عنترة ذلك آخذته الرعدة والخفقان غيرة عليها وقال ويلك ياشيبوب ماذا القاها فى قبضة مفرج بن همام وكيف وصل اليها فقال شيبوب كان السبب فى ذلك الفساد عمارة ابن زياد ثم قص عليه القصة بالتمام وأخبره بجميع الظروف والاحكام فقال عنترة وكيف اطلعت أنت على هذا الخبر قال ياآخى لما وصلت الى الجبلين بت فى كل فريق ليلة وليلتين وآخر ليلة كان رقادى فى ابيات مفرج بن همام عند عبد يقال له مبشر ابن خزام فآضافنى واكرمنى وسألنى عن نسبى فانتسبت الى جلهمة وهى قبيلة سعد بن ابى حاتم الطائى فقال لى اكرمت انه نعم النسب العربى ولما كان نصف الليل وقع فى اذنى صوت عبلة وهى تقول واحسرتاه من قلة المنام وفراق الأحبة واشوقاه الى العلم السعدى وآرض الشربة وفى اثناء ذلك تنادى باسم عنترة بن شداد وتدعو على عمارة بن زياد : ثم انشدت تقول :

شوقى شديد ووجدى زايد المدد ... فخففوا الم التعذيب عن جسدى
وسايلوا حسرة بالقلب كامنة ... تخبركم عن لهيب النار فى كبدى
حملتونى على ضعفى بقوتكم ... ماليس يحمله صبرى ولاجلدى
يا طائرا بات طول الليل منتحبا ... على الحبيب الذى ولى ولم يعد
هذا بكاء وقد أمسيت منطلقا ... فكيف حال أسير الشوق والكمد
ويا نسيم الصبا مرى على وطنى ... وبلغى خبرى للضيغم الأسد
لآل عبس وحاميها اذا طلعت ... مواكب الخيل بالأبطال والعدد
وها أنا أرتجى من خالقى فرجا ... على يديه ولا أشكو الى أحد

فقلت للعبد الذى آنا فى ضيافته يا آبن الخالة ما لهذه المرآة لا تنام فى هذا الليل وهى باكية بحال الذل والويل فقال لى يافتى هى جارية

يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد وقع بها أميرنا مفرج بن همام مع عمارة بن زياد ولما سألها الاقتران به أغلظت له فى الكلام وهددته بابن عم لها يقال له عنترة بن شداد ولما سمع منها ذلك كبرت عليه نفسه فخلع عنها جميع ما كان عليها من الجواهر والحلل وجعلها من أدنى الخدام وانى يا ابن الأم لما سمعت هذا الكلام طار من عينى المنام فما صدقت بالصباح أن يصبح حتى أعود اليك وأقص القصة عليك وانى فى عودتى رأيت بنى زياد سائرين الى ديار القوم يريدون الغارة طالبين خلاص عمارة وكنت متجنيا عن الطريق فما نظرونى ولا التفتوا الى ولا عرفونى . هذه جملة ما عندى من الخبر وعليك التدبير والنظر قال فلما سمع ذلك عنترة غاب عن الوجود وبقى حاضرا فى صفة معقود وقال والله لابد ولى ان اكافى بنى زياد واحرمهم كما حرمونى لذيذ الرقاد وأرمل النساء وأيتم الاولاد ثم انه انفذ خلف مالك أبى عبلة وولده عمرو وأطلعهما على هذا الأمر وشاع الخبر فى أبيات بنى قراد فعلا الصياح وازداد وكثر النوح والتعداد وقام عنتر الى مضارب الأمير مالك وأخبره بذلك فلما سمع مالك تلك القصة من عنتر مضى به الى ابيه زهير واعلمه بالخبر فقال له عنترة يامالك أنت تعلم أن الربيع بن زياد اتهمنى بقتل أخيه عمارة الذى ارتكب معى هذه الشنعة بعد ما خلصته من الأسر والوثاق لما قدمت من أرض العراق ومننت عليه بالاطلاق قال الراوى فلما سمع الملك زهير هذا الكلام قال لعنة الله على بنى زياد اللئام فان أخاهم سبى عبلة وهى ابنة عمه وهرب وكنا انا العار بين قبائل العرب والآن يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فاننا نسير معك الى تلك البلاد ونجتهد فى خلاص عبلة ونحازى عمارة بن زياد على هذه الوقاحة والفساد وخرج عنترة والأمير مالك بعد هذا الكلام فقال له عنترة والله يامولاى لا أقدر على المقام بعد ما شاع خبر مفرج بن همام وأخاف أن يبطش بها يوما من الأيام فيبقى علينا العار بين الأنام ولا بد لى أن أتسبب فى خلاصها ولو سقيت من أجلها كأس الحمام وربما أسير هذه الليلة تحت غياهب الظلام واصطلى هذه النوبة بنفسى ولا أتعب أباك ولا أكلفه المسير الى هناك قال لا والله لا تذهب الا وانا امامك ومعى جماعة يسيرن خلفك وقدامك فقبل يديه وشكره وأثنى عليه ومن ساعته أنفذ أخاه شيبوبا الى الأبيات يعلم الفرسان وأباه شداد وعمه مالك بن قراد

وأخذ عنتر أهبته ولبس لأمته وأمر عبيده ان تنادى فى جميع فرسانه وعشيرته بالركوب فما تضاحى النهار حتى صار ظاهر الخيام موكب من الفرسان كاطباق الغمام وساروا وعنترة بين أيديهم على جواده الأبجر وقدامهم شيبوب دليل على الطرق فى عرض البر الأقفر والى جانبه مالك بن زهير وقد استبشروا بالنجاح والخير وكان عنترة قد سمع من أخاه شيبوب أن عبلة تنادى باسمه الليل والنهار فصار كلما تذكر يقول لبيك يابنت العم قد سمعت نداك على بعد الدار صلواعلى سيد الابرار قال الراوى وكانوا قد قطعوا بعض الطريق فقال لمالك والله يامولاى ما هذه الا غبينة عظيمة انى سائر الى أعدائى أعينهم على خلاص أخيهم وقد علمت أنهم لو قدروا على لحمى لأكلوه أو على دمى لشربوه لولا اكرامى لعين لاوقعت على رؤوس الجميع غراب البين . قال يا أبا الفوارس أنت ورأيك فى ما تختار فما عليك ملام . ولكن سوف ترى ما يجرى لبنى زياد مع مفرج ابن همام . ثم ساروا يقطعون الجبال والوهاد وهم لا يصدقون أن يصلوا الى تلك البلاد . هذا ماكان من هؤلاء . وأما ماكان من عبلة ومفرج بن همام فان مفرجا أقام ينظر المال والفدا ويداور عبلة ويقول لعلها تطاوعنى اليوم أو غدا . وشاع هذا الحديث فى بنى طى فسمعت بذلك أم ناقد بن الجلاح الذى قتل عنتر ولدها وكانت لم تزل مداومة عليه النوح والتعداد ولابسة السواد وهاجرة الرقاد فلما سمعت بأسر عبلة بنك مالك بن قراد وعمارة بن زياد ركبت ناقتها وسارت فى جماعة من عبيدها تطلب أنها تأخذ منهم بالثأر وتكشف عنها الذل والعار فلما وصلت دخلت على مفرج بن همام وبكت فى وجهه بدموع سجام وطالبته بأخذ ثأرها وكشف عارها. فقال والله ياخالتاه أنا ما أقنع من بنى عبس بهؤلاء الرعاة ولا أنثنى عنهم حتى أفنيهم وأترك ديارهم فلاه واذبح ساداتهم على قبر ولدك حتى يروى ظمأه وأقود اليك أسودهم اللعين وتحكمين فيه بما تريدين . وهذا عمارة طالبته بالفداء الا وأنا أعلم أن المال يجىء مع ساداتهم فاقبض على الجميع وأصنع بهم أقبح صنيع . وانا اعلم انه لا بد ما يسمع أسودهم ببنت عمه عبلة فيسوقه أجله الى خلاصها واسلمه اليك فنكون نحن قد ربحنا المال وأنت قد بلغت الآمال . فلما سمعت أم ناقد ذلك طاب قلبها وزال عنها كربها وقالت ياولدى أريد أن اعذب هذا الأسير

اللعين الى أن يقع لنا غيره من قومه القادمين فقال لها افعلى ما بدالك فانى لا أرد سؤالك فنهضت أم ناقد فى ساعة الحال مثل اللبوة الفاقدة الاشبال وأخذت سوطا بيدها من السياط وأتت من خلف عمارة وضربته به فنزل عليه مثل صاعقة الغمام فصاح ياسيدتى لا تفعلى فانا الامير عمارة بن زياد وقد فديت نفسى من الامير مفرج بن همام وهى ترفع السوط وتضربه على رأسه وعلى جسده أينما اتفق حتى ساح الدم من بدنه واندفق وهو مشدود الى الاوتاد ولا يقدر أن يميل الى اليمين والشمال وفى عنقه ذلك الزنجير وفى رجليه القيود والاغلال ولم تزل تضربه حتى كلت يدها وخدر ساعداها فالقت السوط من يدها وبركت عليه كالبعير وجعلت تنهش لحمه باسنانها وتمزق جلده بالاظافير وهو يستغيث فلا يجاب ويخاطب ولا يرد له جواب بل تقول له ويلك يا ابن الف قرنان انت تفدى نفسك بالاموال والنوق والجمال اتظن انك تسلم من الانتقام لا وحق البيت الحرام لو اتيت بجميع اموال بنى عبس وجمال كل من طلعت عليه الشمس ما خلصت من الردى ولا قبلنا لك فدا ولأذبحنك ذبح الأغنام واشرب من دمك مثل شرب المدام ولابد ان يقع فى يدنا عبدكم الطنجير فاقطعه الف قطعة واشرب من دمه الف جرعة ثم انها عرفته بنفسها وبما حدثها مفرج ان الرسول الذى انفذه ليأتى بالأموال ما كان الا على سبيل الزور والمحال حتى تأتى من بنى عبس الرجال ويسقيهم كأس الوبال . قال فلما سمع عمارة ذلك تقطعت منه الأوصال وندم على ما صدر منه من الأعمال وقال وحق البيت الحرام وما فيه من الآلهة والأصنام ما بقى لى فرج الى ان يأتى لنا ذلك الرجل المظلوم الذى جنيت عليه بسببى عبلة ويخلصنى معها فى الجملة والا ليس لى نجاة من هذه الكربة والذلة وانى والله استحق اكثر من هذا العذاب لانى ظلمته وفعلت ما الام عليه وأعاب ، ويعد ذلك اعاهد نفسى اننى لا ارجع اتعرض له ابدا ولو مت من العشق كمدا قال واقام عمارة يقاسى تلك المرارة ومفرج بن همام ينتظر عودة عبده بالأموال والأنعام هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الربيع بن زياد فانه سار كما ذكرنا ومعه جماعة من فرسان الحى يقطع الأرض نهبا حتى قارب ديار بنى طى وقال لمن معه اعلموا يابنى عمى اننا حصلنا ديار الأعداء وما بقى فى الأمر الا حسن التدبير قبل ان تعلم بنا هذه القبيلة وتنهض علينا الجماهير ونحتاج ان نقاتل حتى يقتل منا الصغير والكبير

فقال له اخوته ياربيع انت اخبر منا بهذه الأمور وابصر بعواقب الدهور وقال لهم الربيع سيروا وطيبوا قلوبكم فانى ما رحلت من بنى عبس الا وقد دبرت امرا لا يخطر لكم على بآل وبه نخلص اخانا من الاسر والاعتقال ونعود كلنا سالمين غانمين بلا حرب ولا قتال فقالوا انت نعم المشير يا ربيع فماذا يكون الصنيع قال لهم ننزل هذه الليلة على غدير ذات الجرعى ونريح خيلنا ونتركها ترعى حتى اذا لاح الصباح نرسل منا فارسا الى مفرج بن همام يقول له أركب ايها الامير واستقبل بنى عبس فقد اتى منهم عشرة فرسان ومعهم النوق والاغنام وقد التقاهم فى ارضكم رجال اخذوا ما معهم وساروا وهم من ذلك قد احتاروا لأنهم لم يريدوا ان يقاتلوا قوما تحت زمامك لئلا يقعوا تحت ملامك وانا اعلم انه يركب الينا فى نفر قليل لأجل شجاعته وجهله ونكون نحن مفترقين فى موضعين أو أكثر فتنطبق عليه وعلى من معه فتأخذهم اسارى ونعود الى الديار ونفدى بهم اخانا ونكشف عنا العار قال الراوى فلما سمعوا من الربيع هذا المقال عجبوا من دهائه وعلموا ان اخاهم يخلص ان تم هذا الحال وقالوا لله درك يا ربيع ما اعقلك واحكم رأيك واحيلك وساروا ذلك اليوم الى المساء ونزلوا على ذلك الغدير وهم قد اطمأنوا على ذلك التدبير ولما اصبح الصباح ارسل الربيع اخاه انسا الى مفرج ابن همام فسار انس الى حى مفرج همام وسأل عن ابياته فدلوه عليها وتقدم حتى وصل اليها وكان مفرج مع ام ناقد فى الحديث وهى قد دخلت عليه تستأذنه فى ضرب عمارة بن زياد كما جرى لها كالمعتاد لأنها كانت كل يوم تدخل اليه وترفسه برجلها وتضربه بالسوط وتارة بنعلها واذا ببعض المولدات دخلت عليه وقالت له يامولاى على الباب فارس صعلوك وهو يناديك ويدعوك فنهض كأنه الأسد الخادر واذا انس اخو الربيع على صهوة جواده وهو منكسر الخاطر فقال له حياك الله ياوجه العرب هل لك حاجة او طلب فاعاد اليه انس القصة التى جرت والحيلة التى تدبرت فلما سمع مفرج ذلك الخبر ثار وهو يهمهم همهمة الاسد وافرغ على جسده الزرد وقال لبعض العبيد ويلك شد على الجواد الادهم ولا تدع احد يعلم فو الله لاسرت الا وحدى بغير صاحب ولو ان الرجال بعدد الكواكب قالت أم ناقد يا ابن العم اخبرنى بما انتهى اليك وما

سمعت من هذا الفارس الوارد عليك فاخبره بما سمعه من الاخبار وعيناه تشتعل فى ام رأسه مثل النار قال وكانت هذه سلمى من ادهى نساء العرب وافضلهن فى العقل والادب وقد لاقت الاهوال وعركت الامور والأحوال فلما سمعت كلام مفرج بن همام استغرقت فى الضحك حتى خرجت عن الاحتشام وقالت له لله درك ايها الامير صاحب الرأى والتدبير مثلك من يكون اميرا على العشائر ويدبر الامور ويصلح السرائر وحق الكعبة والبيت الحرام وما عليها من الآلهة والاصنام ان جميع ما سمعته من هذا الفارس زور ومحال ومكر واحتيال وان سرت معه وصدقت المقال وقعت فى الذل والوبال ويخلص هذا العبس بلا مال ولا نوق ولا جمال وكذلك عبلة التى تقيدت فى هواها بقيد لا تحمله الجبال

قال الراوى فلما سمع مفرج ذلك الكلام انحلت عزيمته وقلت همته وقال لها يا خالتاه كيف خطر لك هذا الخاطر الذى لا يخطر لى ببال فاعادت عليه جميع ما دبره الربيع بن زياد من المحال حتى كأنها كانت حاضرة عنده تسمع جميع ما قال ثم قالت والله يا ولدى وما اتى اليك اقل من مائتين من الفرسان وهم يكمنون لك كل فرقة فى مكان حتى تصل اليهم فيصطادونك صيد الغزلان والدليل على ذلك ان عبدك الذى انقذته يأتيك بالفدا ما عاد وما هم الا قد امسكوه عندهم وحضروا الى هذه البلاد ومتى قبضوا عليك ذهبوا بك الى تلك الناحية يتهددونك بالقتل او تفدى نفسك بهذا الرجل وهذه الجارية ويعذبونك فتحتاج ان تفدى نفسك وتصير انت من الخاسرين وهم من الرابحين وربما طمعوا فيك فيطالبونك فوق ذلك بمال ونوق وجمال فاعرف على اى شىء تكون وامسك العقل واترك الجنون فرأى مفرج كلامها عين الصواب وقال يا خالتاه كيف يكون الجواب قالت اشير عليك ان تقبض على هذا الفارس الذى اتاك بهذه العبارة وتتركه مقيدا عند ابن عمه عمارة وتركب بعد ذلك فى ابطال قومك الذين تعتمد عليهم فى الشدائد وتسيرون كلكم فى موكب وحين تشرفون عليهم ابذلوا فيهم سيوفكم واستأسروا من قدرتم عليه والذى يدافع عن نفسه خذوا روحه من بين جنبيه فلما سمع مفرج خرج من ساعته الى انس ابن زياد ورجلوه عن الجواد وقال للعبيد احملوا هذا الشيطان الى المضرب الذى فيه بن عمه

عمارة الخوان واتركوه عنده فى العذاب حتى نأتى ببعض رفقاه الكلاب ونضرب من جميعهم الرقاب وصاح بعد ذلك فى رجاله وانتخب ثلثمائة فارس من كل مدرع ولابس وسار بهم يقطع البر وهو متأهب للكر والفر قال الراوى وكان عمارة فى ذلك الوقت قد نام لأن ام واقد كانت قد اطارت نومه فى ذلك الليل من كثرة العذاب والآلام فانتبه واذا اخوه انس الى جانبه ممدود فى أثقل القيود فلما عرفه شهق شهقة كادت روحه تخرج من بين جنبيه واحس ان الدنيا انطبقت عليه وقال له ويلك يا اخى ما الذى اوقعك فى الاعتقال وانا منتظر منك حمل المال فاخبره عما دبره الربيع من الاحتيال وكيف عرفت العجوز ذلك المحال فقال عمارة وهو يبكى والله لقد كانت نوبة مشئومة وسفرة مذمومة تقع الجمرة بها فى رءوس بنى زياد وتشمت بنا الاعداء والحساد وما نلت من عبلة المراد ولا اخمدت بوصلها نار الفؤاد فقال له انس ويلك يا حمارة بنى زياد لم نهيناك عنها فما انتهيت ولازلت فى لجاجك حتى ابكيتنا وبكيت وان قتلت فى هذه النوبة فرسان بنى زياد او قتل الربيع ماذا يكون الصنيع فقال عمارة والله لقد صدقت يا اخى ولكن اذا زلت القدم لا ينفع الندم على انه يهون على كل هذه المحنة اذا خرجت من هذا الأسر وحظيت بعبلة فقال انس لعنة الله وعليها والله ان سلمنا من هذه النوبة لابد ان نخصيك ونطردك عنا ونقصيك حتى نستريح من بلاياك ودواهيك .

هذا ما كان من هؤلاء . واما ما كان من الربيع فانه بعد ما ارسل اخاه الى مفرج بن همام قسم الفرسان الذين معه ثلاثة اقسام واخفى كل فرقة منهم فى مكان وترك منهم عشرة ظاهرين للعيان وقال لهم اذا رأيتم مفرج ابن همام اتى مع اخى فنادوا ايها السيد قد اتيناك بالمال لتفدى به ابن عمنا من الاعتقال وفى هذه الأرض التقتنا جماعة من الرجال واخذوا منا جميع ما صحبنا من النوق والجمال وها نحن نهديك على الطريق فسر معنا وبالله التوفيق ثم سيروا بين يديه وادخلوا بين هذه الاودية والتلال حتى نخرج عليه الرجال من المكان ونأخذه بلا تعب ولا قتال قال فبينما هم فى الكلام اذا وفد مفرج ابن همام ومعه اصحابه وقد جردوا الصفاح وهزوا الرماح وقد عج الصهيل فى تلك البطاح فلم يمهل عليهم ان يسمع منهم خطابا ولا يرد لهم جوابا بل شن عليهم الغارة فجرح منهم سبعة رجال وانهزم من بين يديه ثلاثة الى مكان اصحابهم فى تلك القفار فلما

دنوا منهم ظنوا انهم من اصحاب مفرج فخرجت اليهم الفرسان من كل جانب ومكان وتصايحت يا لعبس يالعدنان واطلقوا عليهم النبال فسقطوا عن خيلهم فى الحال وسمع مفرج الصياح فتحقق عنده كلام ام واقد بن الجلاح فحمل على القوم وهو مثل الاسد الغضبان وصار ينشر الفرسان ويجندل الاقران والربيع ابن زياد ينادى فى طائفة بنى عبس ويحضها على القتال ويقول والله يابنى عمى لقد كانت الحيلة محكمة لا يخطر مثلها لأحد على بال ولكن اكثر ظنى انه قبض على اخى انس وعاقبه فاقر علينا وعرفه جلية الحال والآن لا ينجينا الا ضرب السيوف والصبر على شرب كاسات الحتوف والاشمتت بنا الأعادى والاضداد ولا سيما عبد شداد ثم حمل واقتحم الغبار ودام عمل الحسام البتار حتى طار الشرر من حوافر الخيل على الاحجار وبكت الارواح على فراق الاجساد وطارت الجماجم بشفارة السيوف الحداد ومازالوا على ذلك المرام حتى ولى النهار واقبل الظلام فافترقوا وقدخسرت بنو زيادفى القتال والتجأت الى احاقيف الرمال وقتل منهم خمسون فارسا فى ذلك النهار وانجرح اكثر من ذلك المقدار وبات مفرج وهو يقول لأصحابه والله ان هذه العجوز حاذقة البصيرة ولولاها لكنا وقعنا فى خسارة كبيرة وفى غداة غد ابرز الى هؤلاء الانذال وانزل بهم الذل والخبال وان اتى عبدهم عنترة كان لنا السرور الاعم والفرح الاكبر لأنى اريد آن آهبه الى هذه العجوز واهبها اياه تحكم فيه بما تريد وتهواه وتآخذ منه ثآر ولدها وتطفى غلة كبدها ثم اقام ينتظر الصباح وبات الربيع واصحابه فى البكاء والنواح وما رآى على نفسه العودة والهرب لأنه خاف من معيرة العرب ولما طلعت غرة الصباح ثارت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وقد اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف ووقف مفرج الى مابين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى برفيع صوته ويلكم يابنى زياد ان شرف الرجال بالحرب والقتال لا بالغدر والاحتيال فابرزوا الينا ان كنتم من الابطال واتركوا الزور المحال فنزل اخو الربيع بن زياد وكان يقال له قيس الجواد فحمل عليه واخذ معه فى الطراد وخيم عليهما الغبار حتى حجبهما عن الأبصار فخرج مفرج من ساحة الميدان وهو ينادى يابنى قحطان واذا به قد اسر قيس الجواد وسلمه الى عبيدة فربطوا يديه ورجليه وارسلوه الى جانب اخويه ثم ان مفرجا طلب البراز فبرز اليه طالب الدراك وكان فارس

بنى زياد فى القتال والعراك فصدم مفرج بن همام صدمة الأسد الضرغام واخذ فى الافتراق والالتزام حتى خيم عليهما القتام هذا والربيع قد ارتبك فى هذا الشأن وهو لا يدرى ما يفعل به الزمام فقال لقومه لقد وقعنا فى امر منكر وذلك كله لأجل معادتنا لعنتر وعسى ان يكون علم بمكان عبلة فيأتى يخلصها ويخلصنا معها لأنه رجل سليم القلب سهل المراس وهو افضل منا عند الناس ولكن لعنة الله على عمارة الذى رمانى فى هذه الخسارة وعادى هذا الرجل الذى ليس كفؤا المعاداة مثله ولا يساوى قطعة من نعله ولا سمعنا ان الكلاب تقاوم اسود الغاب قال وما أتم الربيع كلامه الا ومفرج قد اخذ طالب الدراك اسيرا بعد ما جرحه جرحا كبيرا ثم سلمه الى بعض العبيد فشده شدا وثيقا والقاه مجتمعا على الصعيد كالكلب الباسط ذراعيه بالوصيد وعول على الخروج اليه فعض الربيع على كفيه واسودت الدنيا فى عينيه فسبقه عروة بن الورد وزعق بصوت كالرعد وكان عروة من الفرسان المعدودين فى الحرب وله بصيرة بمواقع الطعن والضرب فحمل على مفرج والتحما فى الميدان واخذا فى الجولان وقد سمحا بفراق الأرواح للابدان وطلع عليهما الغبار وجرت بينهما معارك تذهل الابصار وسطا مفرج على عروة سطوة جبار وهجم عليه هجمة الأسد الكرار وقبض على أطواق درعه واجتذبه وضرب به الأرض فكاد يدخل بعضه فى البعض فهجمت العبيد عليه وأوثقوه واضافوه الى صاحبه وعلت على بنى زياد الصيحات وطلبتهم فرسان بنى طى من سائر الجهات وحمل الربيع بن زياد واشتد بينهم الكر والطراد وكان خير تلك الوقعة قد شاع فى تلك القبائل فقصدتها العرب من كل فارس وراجل وكثر على بنى زياد العدد وزاد المدد الى ان خيم عليهم الليل فانفصلوا وقد وقع الربيع وأصحابه فى الذل والويل فالتجأ بهم الى جبل هناك وقد بقى معه نحو سبعين من أصحابه والباقون منهم من وقع فى الأسر والباقى فى الهلاك وصاروا يتندمون على حضورهم مع الربيع ويلعنون عمارة على ذلك الصنيع فقال الربيع هذا ما جرت به المقادير حتى وقعنا فى هذا الأمر العسير ومالنا الا اننى أرسل الى مفرج ابن همام واطلب منه الاجارة والذمام وتقيم عنده فى الاعتقال الا ان نشترى أرواحنا منه بالمال ثم باتوا تلك الليلة وهم يتمنون من شدة الظمأ أن يبلوا حلوقهم بجرعة من الماء ولما اصبح الصباح أنفذ الربيع

ابن زياد الى مفرج بن همام يقول له أعلم أن العرب الكرام يفتخرون على الأعجام بالوفاء وحفظ الذمام ونحن قد اعترفنا بالخطأ وسمحنا بالعطاء وقد عجزنا عن القتال وعدمنا التدبير وهلكنا من العطش فى هذا الحر والهجير فنريد منك الذمام على دمائنا حتى نسلم انفسنا اليك ونأتيك من الغد بما يقر عينيك واذ لم تفعل فمكنا من ورود الماء وانصفنا فى اللقاء ان كنت من العرب الذين يخشون على انفسهم العار ويطلبون العز والفخار حتى اننا نبذل المجهود ونموت تحت ظل الرايات والبنود او ننال المقصود . قال فلما وصل الرسول الى مفرج بن همام قال ويلكم يابنى زياد ما بقى لكم ذمام بعد ما كذبتم فى الكلام فوحق زمزم والمقام لا ينجيكم من ضرب الحسام الا ان كنتم ترمون سلاحكم وتترجلون عن خيولكم وتأتون الى وبين يدى حتى اجز نواصيكم واحلق آذانكم واجدع انوفكم واحلق لحاكم وبعد ذلك امكنكم من ورود الماء واطلق سبيلكم لوجه الآلهة والأصنام فقال له الرجل العبسى الذى اتاه رسولا وكان اسمه جميلا يامولاى افعل ذلك بى فخذ فرسى وجد ناصيتى واجدع انفى واحلق لحيتى ودعنى أبل من الماء غلتى فعندها ضحك مفرج ووهبه نفسه واعطاه امانة وسمح له أن يشرب ويسقى حصانه وقال له أعلم أنك صرت فى ذمامى دون اصحابك لكن على شرط أن لا تقاتل بل تمضى الى ديارك والمنازل واما بقية اصحابك فان قاتلونا بذلنا فيهم السيوف والقنا والا طاولناهم بالجوع والعطش حتى يدركهم الفنا وتأخذهم وتضيفهم الى اصحابكم الاسارى الذين عندنا واصلبهم كلهم فى يوم واحد حتى تشتفى بهم قلوب الذين لهم عليهم الثأر وتنطفى من قلوبهم النار فعندها عاد الرسول الى الربيع بن زياد واخبره بذلك المقال فتقطعت قلوب الرجال ووقع فيهم الانذهال فقال الربيع ماذا لنا يا بنى الاعمام الا ان تموتوا كراما ولا تعيشوا لئاما لأن قطع النواصى والآذان عار لا يمحى مدى الزمان قال جميل والله يارييع ان سلامة الانسان وعيشه بلا اذان احسن من أن تأكل لحمه الوحوش والعقبان ولا سيما فى هذا المكان ثم حدثه ان مفرج بن همام اعطاه الأمان وأنه معول على المسير الى الأوطان وبعد ذلك سار جميل وهو لا يصدق بالنجاة اما الربيع واصحابه فانهم برزوا يطلبون القتال وهانت عليهم الآجال فصحبتهم الأبطال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وماتنصف

بنى زياد فى القتال والعراك فصدم مفرج بن همام صدمة الأسد الضرغام واخذ فى الافتراق والالتزام حتى خيم عليهما القتام هذا والربيع قد ارتبك فى هذا الشأن وهو لا يدرى ما يفعل به الزمام فقال لقومه لقد وقعنا فى امر منكر وذلك كله لأجل معادتنا لعنتر وعسى ان يكون علم بمكان عبلة فيأتى يخلصها ويخلصنا معها لأنه رجل سليم القلب سهل المراس وهو افضل منا عند الناس ولكن لعنة الله على عمارة الذى رمانى فى هذه الخسارة وعادى هذا الرجل الذى ليس كفؤا المعاداة مثله ولا يساوى قطعة من نعله ولا سمعنا ان الكلاب تقاوم اسود الغاب قال وما أتم الربيع كلامه الا ومفرج قد اخذ طالب الدراك اسيرا بعد ما جرحه جرحا كبيرا ثم سلمه الى بعض العبيد فشده شدا وثيقا والقاه مجتمعا على الصعيد كالكلب الباسط ذراعيه بالوصيد وعول على الخروج اليه فعض الربيع على كفيه واسودت الدنيا فى عينيه فسبقه عروة بن الورد وزعق بصوت كالرعد وكان عروة من الفرسان المعدودين فى الحرب وله بصيرة بمواقع الطعن والضرب فحمل على مفرج والتحما فى الميدان واخذا فى الجولان وقد سمحا بفراق الأرواح للابدان وطلع عليهما الغبار وجرت بينهما معارك تذهل الابصار وسطا مفرج على عروة سطوة جبار وهجم عليه هجمة الأسد الكرار وقبض على أطواق درعه واجتذبه وضرب به الأرض فكاد يدخل بعضه فى البعض فهجمت العبيد عليه وأوثقوه واضافوه الى صاحبه وعلت على بنى زياد الصيحات وطلبتهم فرسان بنى طى من سائر الجهات وحمل الربيع بن زياد واشتد بينهم الكر والطراد وكان خير تلك الوقعة قد شاع فى تلك القبائل فقصدتها العرب من كل فارس وراجل وكثر على بنى زياد العدد وزاد المدد الى ان خيم عليهم الليل فانفصلوا وقد وقع الربيع وأصحابه فى الذل والويل فالتجأ بهم الى جبل هناك وقد بقى معه نحو سبعين من أصحابه والباقون منهم من وقع فى الأسر والباقى فى الهلاك وصاروا يتندمون على حضورهم مع الربيع ويلعنون عمارة على ذلك الصنيع فقال الربيع هذا ما جرت به المقادير حتى وقعنا فى هذا الأمر العسير ومالنا الا اننى أرسل الى مفرج ابن همام واطلب منه الاجارة والذمام وتقيم عنده فى الاعتقال الا ان نشترى أرواحنا منه بالمال ثم باتوا تلك الليلة وهم يتمنون من شدة الظمأ أن يبلوا حلوقهم بجرعة من الماء ولما اصبح الصباح أنفذ الربيع

ابن زياد الى مفرج بن همام يقول له أعلم أن العرب الكرام يفتخرون على الأعجام بالوفاء وحفظ الذمام ونحن قد اعترفنا بالخطأ وسمحنا بالعطاء وقد عجزنا عن القتال وعدمنا التدبير وهلكنا من العطش فى هذا الحر والهجير فنريد منك الذمام على دمائنا حتى نسلم انفسنا اليك ونأتيك من الغد بما يقر عينيك وان لم تفعل فمكنا من ورود الماء وانصفنا فى اللقاء ان كنت من العرب الذين يخشون على انفسهم العار ويطلبون العز والفخار حتى اننا نبذل المجهود ونموت تحت ظل الرايات والبنود او ننال المقصود . قال فلما وصل الرسول الى مفرج بن همام قال ويلكم يابنى زياد ما بقى لكم ذمام بعد ما كذبتم فى الكلام فوحق زمزم والمقام لا ينجيكم من ضرب الحسام الا ان كنتم ترمون سلاحكم وتترجلون عن خيولكم وتأتون الى وبين يدى حتى اجز نواصيكم واحلق آذانكم واجدع انوفكم واحلق لحاكم وبعد ذلك امكنكم من ورود الماء واطلق سبيلكم لوجه الآلهة والأصنام فقال له الرجل العبسى الذى اتاه رسولا وكان اسمه جميلا يامولاى افعل ذلك بى فخذ فرسى وجد ناصيتى واجدع انفى واحلق لحيتى ودعنى أبل من الماء غلتى فعندها ضحك مفرج ووهبه نفسه واعطاه امانة وسمح له أن يشرب ويسقى حصانه وقال له أعلم أنك صرت فى ذمامى دون اصحابك لكن على شرط أن لا تقاتل بل تمضى الى ديارك والمنازل واما بقية اصحابك فان قاتلونا بذلنا فيهم السيوف والقنا والا طاولناهم بالجوع والعطش حتى يدركهم الفنا وتأخذهم وتضيفهم الى اصحابكم الاسارى الذين عندنا واصلبهم كلهم فى يوم واحد حتى تشتفى بهم قلوب الذين لهم عليهم الثأر وتنطفى من قلوبهم النار فعندها عاد الرسول الى الربيع بن زياد واخبره بذلك المقال فتقطعت قلوب الرجال ووقع فيهم الانذهال فقال الربيع ماذا لنا يا بنى الاعمام الا ان تموتوا كراما ولا نبعشوا لئاما لأن قطع النواصى والآذان عار لا يمحى مدى الزمان قال جميل والله يارربيع ان سلامة الانسان وعيشه بلا اذان احسن من أن تأكل لحمه الوحوش والعقبان ولا سيما فى هذا المكان ثم حدثه ان مفرج بن همام اعطاه الأمان وأنه معول على المسير الى الأوطان وبعد ذلك سار جميل وهو لا يصدق بالنجاة اما الربيع واصحابه فانهم برزوا يطلبون القتال وهانت عليهم الآجال فصحبتهم الأبطال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وماتنصف

النهار حتى اخذوا الجميع وقتل منهم جمع كثير وقبضوا على الربيع واقرنوهم فى القيود والاصفاد وعادوا بهم الى حى بنى طى وقد سبقتهم البشائر والتقتهم وجوه العشائر وبين ايديهم الاماء بالدفوف والمزاهر وكان اعظم الناس فرحا سلمى ام ناقد بن الجلاح لأنها صارت تلطم وجوه السادات من بنى زياد وتقول لهم وحق رب السماء لابد ان اشرب دماءكم فى قحوف جماجمكم كما يشرب الظمآن بارد الماء ولابد لى ان افنى بنى زياد وبنى عبس مادامت الآلهة تحفظ الى الأمير مفرج بن همام .

قال الراوى وانفذ مفرج بن همام الى قبائل بنى طى يبشرهم بما فعل وبما عليه قد حصل ومن شدة فرحه نحر النوق والأغنام واحضر المدام واخذوا فى اللهو والطرب وبنو زياد تفتت أكبادهم وقد أشرفوا على العطب ومازالوا يبكون على أنفسهم ويلومون عمارة وهو لا يبدى خطابا ولا يرد جوابا هذا وعبلة قد خف كربها وذهب عنها بعض همها وما برحت منتظرة قدوم عنتر ابن عمها ولما مضى اكثر الظلام وسكر مفرج بن همام وتفرقت الناس الى الخيام دخل الى مضربه وقال لأمه وحق ذمة العرب لا انام الليلة ولا يقر لى قرار حتى ابلغ من جاريتى العبسية ما احب واختار والا قتلتها بعد ما اذبح بين يديها خمسين رجلا من بنى عمها الأجواد واكملهم بعمارة والربيع ابن زياد فعندها خرجت امه الى مضرب المولدات ونادت بعبلة الى بين يديها وقالت لها اعلمى ان مولاك الليلة قد غرق فى سكرة المدام وقد اقسم بالبيت الحرام انه لا ينام الا وانت ضجيعته عند المنام والا ذبحك وذبح من بنى عمك خمسين رجلا من السادات الكرام فاقبلى منى واجيبيه وقد نلت منه كل ما يشتهيه ولعلك اذا نزلت فى قلبه فى المكان الرفيع تتشفعين فى قومك وتخلصين الجميع فقالت عبلة وحق من رفع السموات لو قطعنى الف قطعة وسقانى من كؤوس الموت الف جرعة وذبح اهل الدنيا ما رآنى له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة فلما سمعت ام مفرج ذلك من عبلة شتمتها ودار بها الغيظ فلطمتها وقالت لمن حولها من العبيد اسحبوها على وجهها حتى توصلوها الى سيدها يفعل بها ما يريد فداروا بها وصاروا يجرونها وهى تصيح يالعبس يالعدنان اما معين اما من مجير اما من نصير على العدا . آما لهذا الاسر من فداء اما من رجل كريم يكون له

نخوة وغيرة على الحريم ولم تزل كذلك حتى سمع اسارى بنو عبس فقالوا للموكلين عليهم ياوجوه العرب ما بال بنت عمنا عبلة تصيح فى هذا الليل فقد سمعناها تنادى بالحرب والويل فقال لهم بعض العبيد ان سيدنا مفرج بن همام قد اقسم بحق الكعبة والحرام انه لا ينام هذه الليلة الا ان يبلغ من عبلة المرام وان لم تطعه على مرامه لا يبقى منكم شيخ ولا غلام فقال عروة بن الورد انا اسأل رب السماء ان عبلة تزيد عليه فى تغليظ الجواب حتى يغضب ويضرب منا الرقاب ويريحنا من العذاب والله لو قبل منى ما تعرض لها لأنها وحق ذمة العرب مشئومة على كل من خطبها ونحس على كل من طلبها قال الأصمعى وما فرغ عروة من كلامه حتى سمع صوتا يصدع الحجر ويصم آذان الدب الذكر والصياح من جوانب الحلة قد علا حتى زلزل الجبال والسيف قد عمل فى اطراف الحى فتهاربت الرجال فاصغوا الى تلك الاصوات واذا بها تنادى يالعبس يالعدنان وزعقات عنترة ابن شداد قد اقبلت من الجبال والوديان واذا الرجال تتنافر بين الخيام والاطناب وتصادم بعضها وتطلب الهرب والذهاب

قال الراوى وكان عنترة لما سار من الديار ومعه مالك بن الملك زهير وهم يقصدون ديار مفرج بن همام ساروا ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع ثار من بين ايديهم غبار وانكشف عن خمسمائة فارس كرار يقدمهم فارس كان قلة من القلل او قطعت فصلت من جبل يقال له مسعود بن الغيداق من بنى بارق وكان صاعقة من الصواعق وكان السبب فى قدومه ان عنترة كان قد قتل اباه قديما وربى هذا الغلام يتيما فلما كبر طلع آفة من الآفات وبلية من البليات فعيرته العرب بترك ثاره فاتى بهذه الفرسان طالبا ارض بنى عبس وعدنان ليقتل عنترة بثأر الفيداق فصادفه على سبيل الاتفاق ولم يكن يعرفه فارسل فارسا من قومه فعاد عليه على الاثر واعلمه ان هذا عنتر ففرح واستبشر وحمل عليه كالاسد القسور فحمل عليه عنتر وقال ياويلكم من تكونون من انذال العربان فقال انا مسعود الغيداق البارقى الذى قتلته فى سالف الزمان وانا سائر اليك حتى اقتلك وآخذ ثارى واكشف ذلتى وعارى ففال عنترة مرحبا بك يا ابن الكرام فابشر بكشف العار ورفع الملام وهاقد دفعت نفسى

اليك ولا ابخل بها عليك ثم تقدم عنترة واخترط الضامى الابتر وما تركه يجول حتى ضربه على وريديه فاطار رأسه من بين كتفيه وحمل على اصحابه فهربوا وكان معهم غنيمة من اموال بنى غطفان ومعهم جملة أسارى من العبيد والفرسان فردهم سالمين الى ديارهم بالامان واخذ فى مسيره الى ديار بنى قحطان . قال الراوى ولم يزل عنترة والفرسان سائرين حتى قربوا من الديار فاراد عنترة ان يرسل اخاه شيبوب يكشف له الاخبار واذا هو بجميل العبسى الذى اخذ الذمام من مفرج ابن همام قد التقى بهم فى تلك القيعان وكان سائرا يطلب الاوطان فرمى نفسه الى الارض وصار يحثو التراب على رأسه وينوح على اهله وناسه فتقدم اليه عنترة وسأله عما جرى للربيع واخوته مع مفرج بن همام وعشيرته فقال جميل والله ياحامية عبس لقد اسرت رجال بنى زياد وعن قريب يصلبون كلهم على الاعواد فقال عنترة والله لقد عوقبوا باعمالهم وجازاهم الله على سوء افعالهم وانا قد عزمت ان اباغت القوم فى الظلام واروى من دمائهم هذا الحسام واقيم فى ديارهم المناحة والصياح واخلص عبلة قبل الصباح ثم ساروا يطوون الارض حتى وصلوا الى ديار بنى طى فمد عنترة نظره فرأى النيران قد خمدت بعد الوقيد ونامت السادات والعبيد فقال لمالك بن زهير خذ يامولاى عن يسار القوم واتركنى وحدى لميمنتهم وانظر ما يجرى عليهم بعد غفلتهم ثم اعطاه مائة وخمسين فارسا واخذ معه خمسين وهجموا على المضارب من الشمال واليمين وبذلوا السيوف فى الشيخ والشاب ورووا من دمائهم التراب ونعق فيهم الغراب ونادى على ديارهم بالخراب قال وكان مفرج فى انتظار امه حتى تقدم عليه بعبلة فلما سمع الصياح طار السكر من رأسه وانتبه بعد الغفلة وقال لعبيده ياويلكم قدموا الى الجواد وآتونى بعدة الحرب والجلاد عسى ان تكون المقادير قد اتتنى بعنترة ابن الشداد وزين له الجهل وجه المحال لاجل وقوعه فى الهلاك والوبال قال وسمعت عبلة صوت عنترة يدوى مثل الرعد القاصف فسكن قلبها وانجلت عنها المخاوف ونادت باعلى صوتها اتاك يا ابن همام البطل الهمام ، وفاتك ما كنت ترجوه من طيب الوصال بوصول قاطع الاوصال والليلة ترى بعينيك ما كنت تسمعه باذنيك ولابد له ان يطير رأسك

من بين كتفيك قال فلما تكلمت بهذا الكلام لطمتها ام مفرج على وجهها وقالت لها اسكتى يابنت اللئام تظنين ان مفرج بن همام مثل سائر الرجال الذين لاقاهم هذا العبد الطنجير فسوف ترين امعاء عبدك تندلق ورأسه يطير ثم وثبت الى ولدها فرأته قد ركب الجواد وهو لا يقدر على الثبات من خمار الشراب فخافت عليه من غوائل الطعان والضرب وردته عن الركوب فانثنى الى خيمته ورأى ان ذلك منها بالصواب . هذا والسيف يعمل والصياح قد زعزع السهل والجبل وشيبوب يضرم النار فى الخيام ويرمى من صادمه بالسهام فنفرت النوق والجمال من شدة الزعقات والاهوال وداست فى بطون النساء والرجال وتفرقت بين الروابى والتلال ومازال الامر كذلك حتى ذهب الليل واقبل الصباح فانقطع الصراخ والصياح لأن رجال الحى تركوا الديار وطلبوا النجاة والفرار واسرع شيبوب الى اسارى بنى عبس فرآهم فى القيود الثقال وقد هلك منهم عشرة رجال تحت دوس الجمال وكانت ام ناقد قد نظرت الى ما حل بقومها من البلاء فركبت جوادا من خيول القتلى واخذت سيفا من العدد المطروحة على وجه الفلاة وقالت وحق اللات والعزى لا اخرجن من هنا حتى اشفى فؤادى من هؤلاء الاسارى أولاد الزنا ثم هجمت عليهم وكان شيبوب عندهم قد حل منهم عشرة فرسان فلما رآها طالبة قتلهم صرخ فيها ونادى يالعبس يالعدنان فعندها هربت العجوز فى جملة من هرب وكاد فؤادها ان يطير من شدة الغضب وما اصبح المنير وبقى فى حى بنى طى الا قتيل او اسير وكان شيبوب قد عاد الى عبلة فنظرها تخوض فى بطون القتلى وهى تنشد وتقول صلوا على المحبوب طه الرسول :

انعشوا روحى وداووا كمدى ... وخذوا نحو ابن عمى بيدى
قل صبرى وتشفى حاسدى ... ولقيت الذل بعد الاسود
جسدى يضعفه ريح الصبا ... كيف يقوى للعذاب المجهد
قربونى من حمى عنترة ... ليس يحمى الظبى غير الاسد
وأخبروه اننى من بعده ... لم أزل فى حيرة لا أهتدى
ورد خدى الذى تعهده ... غيرته أدمع كالبرد

وجفونى زال عنها حسنها وشكت طول البكا والرمد
غربة دائمة عند الصدا وعناب فاق طور الجلد
لو لقى بعض الذى لاقيته جلمد ذاب فؤاد الجلمد

قال الراوى فوثب شيبوب اليها كالذئب الاغبر واوصلها الى اخيه فوجد درعه مغرقا بالدماء واكمامه تقطر مثل قطر الماء ولما نظرها عنتر تقدم اليها وهناها بالسلامة مما جرى عليها وقال لها يا ابنة العم يعز على ان تقاسى هذه المقاساة وانا فى قيد الحياة ثم قال لأخيه شيبوب خذ عبلة وادخل بها الى بيت مفرج واجلسها على سريره كما كان يشتهى فى ضميره وابق عنده حتى التقى انا بمالك بن زهير ورجاله واقف على جلية حاله فاخذها شيبوب وادخلها الى بيت مفرج فرآه خاليا من النساء والرجال فنظر فيه الى اليمين والشمال فرأى الثياب التى كانت على عبلة والتاج الكسروى والحلى فسلم ذلك جميعه اليها وقال لها البسى فان الله قد دفع عنك البلاء وسار عنترة طالبا مكان مالك واصحابه واذا هم يركضون بين الخيام والمضارب ويهزون الرماح والقواضب ومالك فى اوائلهم مثل العقاب وقد انزل على الاعداء صواعق العذاب ورجع وهو ينشد ويقول : صلوا على حامى الاسلام طه الرسول :

شكا صارمى فى غمده شدة الظما فقلت اصطبر حتى أرويك بالدما
فجردته بالكف أسود عابسا وقد عاد نحوى أحمرا متبسما

فقال له عنترة والله يامولاى انك لصادق فى مقالك وهذا اقل فعالك ثم قبل قدميه فى الركاب وهنأه بسلامته وشكره على علو همته وسأله عن ليلته فقال مالك والله يا ابا الفوارس انها ليلة تعد بليال لانها كانت عظيمة الاهوال ولكن بهيبتك انتصرنا وبلغنا الامال ثم تفقد من معه من الفرسان فوجد انه قد فقد ثلاثة ابطال ومن اصحاب مالك خمسة رجال واما ارض الحى فكانت مفروشة بالقتلى فى جميع الجوانب والحى منقلب من انين المجروحين واصوات النوادب وعدة فرسان عنترة بعد القتال اربعمائة فارس وقد عزموا على الارتحال فتلقاهم الربيع بن زيادواخوته ومن معه من الرجال وكان قد بقى منهم نحو مائة وعشرين فركبوا من

الخيول الشاردة وأخذوا السلاح من بيوت المنهزمين وتقدم الربيع بخبثه ومكره وبكى امام عنترة وقال يا ابا الفوارس والله ما فينا من له وجه يقابلك به لأجل فعالنا الذميمة ولاجل ما قد اوليتنا من الايادى الجسيمة ولكن يا ابن العم الخطأ من شيم الانسان وكل يطلب لنفسه شملك وها نحن بين يديك مثل العبيد فافعل بنا ما تريد لاننا بهيبتك الزيادة ويكره النقصان والآن فقد بين الله فضلك وجمع ببنت عمك نجونا من الاتلاف وبهمتك فرج الله عنا الوثاق والكتاف ففرج الله عنك الشدائد وجعل تحت اقدامك كل عدو وحاسد قال الراوى ثم ان عنترة عاد الى عمارة وحياه بالسلام وهنأه بالخلاص من اسر مفرج بن همام ثم نزلوا فى الخيام يطلبون الراحة وعنترة يقول لهم يابنى عمى لولا هذا الخلف الذى اشمتت العدا ما كان ذل عبسى ابدا والآن قد رزقنا الله وخلصناكم من الاسر ونحن اليوم فى بلاد بنى قحطان وقد عادينا جميع ما فيها من العربان وان هؤلاء القوم الذين هربوا من بين ايدينا لابد ان ينفروا الينا الفرسان والصواب اننا نأخذ الراحة ونأكل الزاد ونرحل من هذه البلاد ومن لحقنا منهم كان له ما يدبره رب العباد ثم ذبحوا الاغنام واضرموا النيران وانضجوا الطعام . قال الراوى وكان الذين سلموا من بنى طى قد تعلقوا فى رؤوس الجبال ومعهم النساء والاطفال وصار مفرج يأكل كفيه ندما على ما جرى عليه وكان قد وعى على نفسه عند اقبال النهار وصحا من سكرة العقار ونظر الى اصحابه والفرسان ممددين على تلك القيعان واما بنو عبس فاخذوا لهم راحة واكلوا الطعام ثم رحلوا قبل انقضاء النهار وساروا طالبين الأهل والديار وهم يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار وفى تلك الوقت وصلت بنو جديلة قبيلة حاتم الطائى فى خمسمائة فارس تطلب الفرجة على بنى عبس فرأت الديار فى حالة التعس والنكس والتقاهم مفرج بن همام بالبكاء والنحيب واخبرهم بما جرى عليه من البلاء والتعذيب فلما سمعوا كلامه قالوا لابد ان نلحق الاعداء ولو وصلوا الى آخر البيداء ولا نعود حتى نخرب ديارهم ونقلع آثارهم وبينما هم كذلك اقبل بنو نبهان فى الف وخمسمائة فارس كأنهم الاسود العوابس يتقدمهم المهلهل ابن فياض وفارسهم جابر بن غلاءه الطامة الكبرى والمصيبة العظمى

فاشتد قلب مفرج بذلك الشأن وانجلت عن قلبه الاحزان واخبرهم بما جرى عليه من الحال فنالهم اشد منال وقال جابر لمفرج وكم كان مع عنترة بن شداد حتى فعل بكم هذه الفعال الشداد فقال مفرج وذمة العرب ما كان معه اكثر من مايتى فارس ولكن باغتونا تحت الليل الدامس وكنت انا والفرسان الذى اعتمد عليهم سكارى نياما فبلغ مناما اختار ومن ساعته هرب يطلب اهله والديار قبل ان نفيق من الخمار فقال جابر واذل بنى طى بين العربان واحرباه من هذه المصيبة التى ما سمع بمثلها فى سالف الزمان والله لانزلت عن ظهر الحصان حتى اقتل هذا العبد الكشحان واقلع منه الاثر ومن قبيلته الاشرار وانفى عن بنى طى العار ثم سار من وقته يقطع القفار وعينه تقدح مثل الشرار واخذ بنى عمه واصحابه وقد اصابهم مثل ما اصابه وجمع بقية قومه والتجأ الى بنى جديلة وساروا جميعا على آثار بنى عبس وهم فى الفين وثلاثمائة فارس فادركوا عنترة ورجاله قبل غياب الشمس فقال مفرج لجابر يا ابن العم الرأى عندى ان نهجم عليهم قبل الصباح ونتبهم باسنة الرماح فقال جابر ما هذا صواب لأنهم عصابة يسيرة ونحن طائفة كثيرة وان اختلطوا بنا ضاعوا فى ظلام الليل فيقتل بعضنا بعضا ويلعب السيف فى اصحابنا طولا وعرضا ونكون قدطلبنا الربح فنقع فى الخسران وتقودنا العجلة الى طريق الذل والهوان والرأى عندى ان تأخذ الف فارس وتطلب المقدمة وتمسك على القوم طريق ديارهم وابقى انا فى الف وثلاثمائة فارس على اثارهم واذا اصبح الصباح انطبقنا عليهم وبذلنا فيهم السيوف وسقيناهم كاسات الحتوف ونكون قد عرفنا الاصحاب من العدا وبان لنا الضلال من الهدى فقال مفرج هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وكان جابر رجلا خبيرا وبامور الدهر بصيرا وهو ابو وزر الملقب بالاسد الرهيج الذى يجرى له مع عنترة حادث يذكر.

قال الراوى ثم ان مفرج بن همام اخذ معه الف فارس وتقدم يطلب المقدمة اعتمادا على ذلك الكلام واما بنو عبس فسمعوا الصياح وابصروا لمعان آسنة الرماح وبريق الصفاح فقال مالك لعنتر ماعندك من الرأى

يا ابا الفوارس فقد ادركتنا قبائل بنى طى فى هذا الليل الدامس وربما حملوا علينا فى ظلام الليل واذاقونا الحرب والويل فقال عنترة يامولاى لا تخف من هـذا الأمر لأنهم لو فعلوا ذلك خسروا وربحنا وفسد أمرهم واصطلحنا لان العصابة القليلة يسترها ظلام الليل الاسود ولا سيما اذا اختلطت بكثرة العدد وهذا لا يفعلونه انكان فيهم رجل خبير بالحرب وبصير بابواب الطعن والضرب فقال مالك اراهم قد انقسموا علينا قسمين وافترقوا فرقتين والفرقة الواحدة تقدمت لتملك علينا رأس المضيق وتقف لنا فى الطريق فقال نعم خافوا ان نهرب منهم فى الليل اذا رأينا كثرة الرجال والخيل وانا وحق من نور الهلال وارسى شوامخ الجبال لا اترك الصباح يصبح حتى آكون فصلت النوبة وعرفتهم الحق من المحال فقل لأصحابك يأخذون الاهبة للقتال ولا ينزلون عن مهور الخيل حتى اريك ما افعل بهؤلاء الانذال فقال الربيع بن زياد على ماذا عولت يا فارس عدنان قال عنتر عولت ان اترك القوم حتى ينزلوا ويأمنوا على انفسهم واحمل بكم على الفرقة التى بين ايدينا واخوضها كما يخوض الفارس فى الميدان وانا اعلم ان الصياح يقع علينا وتطمع فينا الفرقة التى ورانا وتأتى الينا ولكن انتم تفرقوا وقت الحملة فى الحرب واطلبوا المقدمة وبادروها بالطعن والضرب ثم تفرقوا فى الارض واتركوا بعضهم يفتك بالبعض واول حملتكم نادوا بانسابكم وافتخروا باحسابكم واذا اختلطنا بهم فاضمنوا حتى لا يعرف العبسى العدنانى من الطائى القحطانى . قال فلما سمع الربيع كلامه رآه عين الصواب واوصى به رجاله والاصحاب فقال عمارة لعروة بن الورد يا ابن العم والله هذه ليلة عظيمة الخطر واريد ان اغتنم فيها قتل عنترة واذا قتلته يقال فى الحال انه قتل من بنى طى فقال عروة والله يا عمارة ما هذا الرأى الا فاسد وكلام جاهل حاسد فوالله لو قتل فى هذه النوبة عنترة ما سلم منا نفر ولا من يخبر بخبر فدعنا بالله عليك من هذا الهذيان الذى لا يسمعه انسان ثم اخذوا الاهبة فى انفسهم للحرب واستعدوا للطعن والضرب فصبر عنترة حتى نزلت الطوائف وآمن قلب كل خايف ونام منهم الاكثرون واظلم الليل واعتكر فقال لشيبوب كن انت الليلة محافظا على عبلة ولا تبرح بها على اثرى عند الحملة وكان قد

اركبها على جواد سايق والبسها صدرية من الزرد مضاعفة العيون كثيرة العدد خوفا عليها من غائلة تصيبها فى المجال عند اشتغاله عنها بالقتال ثم نبه مالكا بن زهير ورجاله وايقظ الربيع وابطاله فانضم بعضهم الى بعض وحملوا حملة تزلزل الارض وهزوا بايديهم الرماح وانتشروا فى تلك البطاح وانطبقوا على مفرج بن همام انطباق الغمام وسمع جابر فارس بنى نبهان فزعق على الابطال والفرسان وقال للمهلهل لقد اصاب عنتر واصحابه فى هذه الفعال وعملوا عمل الرجال وما هى الا خبرة بامور القتال فان حملنا لمعونة اصحابنا ضاع القوم بيننا فكنا نحن الخاسرين وان تركناهم كسروهم وخرجوا من هذه الديار سالمين فقال المهلهل ما هذا الكلام يا جابر كيف يخفى العبسى العدنانى من الطائى القحطانى فاحمل بالناس ودع عنك التوانى ثم حمل جابر والمهلهل وعلا الصياح وحملت الرجال من خلفهما وقد هزوا فى ايديهم الرماح واختلطت الجموع تحت غياهب الظلام وقام الحرب على ساق وهمهم الشجاع وتقدم وجار السيف لما حكم وانهل الدمع وانسجم وتغبرت الاحوال والشيم وعمل عنتر فى تلك الليلة عملا اعمى النواظر واذهل الخواطر وقاتل فى تلك الليلة قتال من كره دنياه ورمى نفسه الى الاعداء وطلب الوفاة لما علم ان عبلة وراه وفرق الكتائب ونكس المواكب واظهر الاهوال والعجائب وطعن فى الصدور والترائب ونكس من الاعداء جانبا بعد جانب ثم انسل بجواده بين الاعداء واتسع فى البيدا وكذا فعلت اصحابه وانتشروا فى تلك الارض وتركوا القوم يفتك بعضهم بالبعض ومازالوا كذلك الى وقت الصباح فعرفوا بعضهم وتركوا الكفاح وقتل من بنى طى وبنى قحطان فى تلك الليلة سبعمائة فارس او اكثر واكثرها من سيف عنترة وقد قتل من بنى عبس ثلاثون فارسا وانجرح الامير عمارة جرحا اشرف منه على الخطر ولما انفصل الناس بعضهم عن بعض وعولوا ان ينزلوا على الارض خرجت سلمى ام ناقد بن الجلاح الى مواكب بنى قحطان وعليها ثياب السواد كانها بعض الغربان وزعقت واذل بنى طل الى الابد من فعل هذا العبد الأسود للعرب أما فيكم فارس يأخذ لى بالثار من هذا العبد ويطعمى قطعة من لحمه ويسقينى جرعة من دمه ثم انها بكت حتى ابكت العيون وهمت ان ترمى نفسها على بنى عبس مثل الهائم المجنون فقفز

اليها مفرج وقال لها ارجعى ياخالتاه واقلى من النوح والتعداد فانا ابلغك المراد وأقود اليك عنترة ابن شداد بعد ما أفنى بنى عبس وبنى زياد واجعلهم مثلا بين العباد لأن ثارنا اليوم اعظم من ثارك وعارنا اشد من عارك ثم انه صال وجال وطلب الحرب والنزال ونادى ويلكم يابنى عبس قد صار بيننا وبينكم فى هاتين الليتين ما صار والآن قد بان النهار الذى تظهر فيه منازل العلو والافتخار وشيمة العرب الانصاف وهى من شيم الاشراف فابرزوا الينا فارسا لفارس وشجاعا لشجاع حتى نتلاطم فى مقام القراع ولكن لا يبرز لى الا من نسبه مثل نسبى وحسبه مثل حسبى حتى اذا اخذنا بالثأر من السوادات الأماجد عدنا الى قتال العبيد ولما فرغ مفرج من هذا الكلام خرج الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين فخرج اليه عنترة مثل الاسد الغضنفر وهو يقول له ثكلتك امك ياكلب العرب من هو انت حتى تطلب براز السادات وتعد نفسك من اولاد الحرائر العربيات ها انا اقل العبيد لبنى عبس اقلع آثارك واخرب ديارك واخمد بين العرب نارك ويلك يامفرج لا فرج الله لك غلة سبيت بنت عمى عبلة واوقعتنى فى الهم والذلة وما انا راض بمن قتلت لكم من الابطال ومن يتمت من الاطفال فوالله لاخرجت من هذه الديار حتى أحصد كباركم والصغار وافنى العبيد والاحرار ثم انشد يقول : صلوا على اكرم رسول

اذا خصمى تقاضانى بدين ... قضيت الدين بالرمح الرديني
وحد السيف يرضينا جميعا ... ويحكم بيننا طورا وبيني
جهلتم يابنى الانذال قدرى ... وقد عرفوه أهل الخافقين
علوت بصارمى وبسعد جدى ... الى أعلى السهى والفرقدين
وكم من فارس خليت ملقى ... عفير الخد مخضوب اليدين
وآخر هاربا من هول شخصى ... وقد أجرى دموع المقلتين
وما هدمت يد الحدثان ركنى ... ولا مدت الى بنان بيني
وكيف أخاف من خصمى وسيفى ... صقيل المتن دامى الشفرتين
فسوف أبيدكم جميعا ... وتخمد اوعتى وتقر عيني

قال ولما فرغ عنتر من شعره التحما فى المجال وانتشب بينهما القتال وجرى بينهما عجائب واهوال تحير صناديد الرجال ومازالوا كذلك الى ان كل مفرج ومل وهان بعد عزه وذل واراد ان يشير الى قومه ويطلب منهم نجدة فما امهله عنترة بل اطبق عليه اطباق الغمام وضربه بالحسام فوقع السيف على رأسه شقه الى تكة لباسه ووقع الى الارض يتخبط بدمه ويفحص بقدمه فعندها صاحت فرسان بنى عبس من شدة الفرح ووقع فى بنى طى الحزن والترح وعولت بنو طى ان تحمل مرة واحدة فمنعهم جابر فارس بنى نبهان وقال لهم ان حملتم خسرتم مع هذا الشيطان وان لم يقتل ما تنالون غرضا ولا تشفون مرضا لأنه قد داخله فيكم الطمع ووقع فى قلوبكم منه الفزع واناقد بان لى منه عند قتاله امر ما بان قبلى لطالب وعرفت من اين تنزل عليه المصائب واريد ان أكفيكم شره واصرم لكم عمره ثم انه قام يطلب عنتر وهو مثل الاسد القسور وجال معه ساعة حتى عرف مقدار ما فيه من الشجاعة وكان جابر مزدريا بعنتر حتى وقف معه فى الميدان فرآه جيد النظر فى مواقف الطعن والضراب فعند ذلك ضاق صدره وندم على نزوله عنتر وصار يريد ان يتقهقر ولكنه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد الى ان اختلف بينهما طعنتان وكان الاسبق فيها عنترة فوقع سنانه بين صدر جابر وتحره فطلع يلمع من قفار ظهره فوقع قتيلا وصار على الأرض جديلا فعندها صاح المهلهل فى بنى نبهان وقال ويلكم دونكم هذا الشيطان فعندها تصايحت الفرسان وتبادرت الشجعان وطلبوا عنتر من كل جانب ومكان وحمل الأمير مالك فى طائفة بنى عبس والقى نفسه فى الميدان وكثر الصياح والضجيج فى الاقطار وطلع القتام والغبار وعمل الصارم البتار وقصرت الرجال طوال الاعمار وتصادمت الابطال مثل موجات البحار واندهل الجبان وحار وتساوت العبيد والاحرار وطلب عنترة قوم بنى نبهان فنشر الفرسان الشجعان بيواتر الضرب والطعان ورأى المهلهل بن فياض حملاته على المواكب وتفريقه لها من كل جانب فخاف ان يلحقه بجابر بن غلاثة ومفرج بن همام ويسقيه كأس الحمام فولى وطلب الانهزام وتبعته فرسانه من كل جانب ومكان وطارت فى أثرها بنو عبس كالعقبان وهم

ينادون يالعبس يالعدنان وما زالوا وراءهم حتى طردهم من تلك الارض المقفرة وساقوهم خمسة خمسة وعشرة عشرة ثم عادوا عنهم وعنترة فى اوائلهم مثل شقيقه الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان ولما قرب من عبلة رآها متبسمة من افعاله ومبتهجة باعماله فجاش الشعر فى خاطره وانشأ يقول : صلوا على المبعوث بالامن والامان :

ياعبل ان كان ظل القسطل احلك	أخفى عليك قتالى يوم معتركى
فسائلى ابجرى هل كنت أطلقه	الا على موكب كالليل محتبك
وسائلى الرمح عنى هل طعنت به	الا المدرع بين النحر والحنك
وسائلى السيف عنى هل ضربت به	يوم الكريهة الاهامة الملك
اسقى الحسام وعطى السيف نهلته	واضرب القرن لاأخشى من الدرك
لى همة عند وقع السيف عالية	وعفة عند وقع الطير فى الشرك
ياعبل ان تجهلى حربى وما فعلت	يدى قفى وانظرينى كى يبين لك
كم ضربة لى بحد السيف قاطعة	وطعنة شكت القربوس بالكرك
لولا الذى ترهب الافلاك سطوته	جعلت ظهر جوادى قبة الفلك

قال الراوى فلما انشد عنترة هذه الأبيات صفقت عبلة طربا وتمايلت على جوادها عجبا وقالت صدقت يا ابن العم انك فوق ذلك وهكذا فعل الامير مالك واما ابو عبلة وبنو زياد فذابت منهم الاكباد وشكروه فى الظاهر وفى الباطن انشقت منهم المرائر قال ولما نزلوا فى الخيام اكلوا ما راج لهم من الطعام قال لهم عنترة يابنى عمى خذوا الراحة الى نصف الليل واركبوا بعد ذلك على صهوات الخيل واقطعوا بنا هذا الطريق قبل ان يلحقنا لاحق او يعيقنا عائق ثم قام يريد ان يتولى الحرس الى الغلس فقال الامير مالك والله يا ابا الفوارس ما ادعك تتكلف هذا الامر وحدك لأنك لقيت من الحرب فى هذا النهار ما كفى وقد تعبت جهدك فاستحر الربيع وركب بجماعة من بنى زياد وركب عروة بن قراد وما فيهم الا من هو محترق بنار الحسد ذابت الروح والجسد وكل منهم يتمنى قتل عنترة ولا سيما عمارة فانه العدو الاكبر ولما خلوا

بأنفسهم صاروا يشتمون عنترة بكل شفة ولسان ويتشاورون فيما يفعلون بعد وصولهم الى الأوطان فقال مالك ابو عبلة والله يابنى عمى ما لى عين تقدر ان تراه ولا اقدر ان اجاوره ما دمت فى قيد الحياة واريد ان اسير بابنتى فى الليالى الى مكان يقينى من هذا الحال واعيش عزيزا عند الغرباء ولا اكون ذليلا بين الاقرباء فقال له الربيع بن زياد والله يا ابن العم ما نمكنك من هذا الأمر الذى يشمت بنا الاعداء والحساد ولكن انا اشير عليك بامر ان فعلته تبلغ المراد ولا تبالى بعنترة ابن شداد ولا بأحد من العباد قال مالك وبماذا تشير يا أيها الأمير قال الربيع هو انك تصبر حتى نصل الى الديار فادخل على الامير شاس مسلما عليه وامسك بذيله واطلب منه الذمام وسلم ابنتك اليه وقل هذه ابنتى امتك واريد أن تجعلها تحت يدك وتزوجها بمن تريد حتى لا يطمع فيها احدا من العبيد واذا صارت ابنتك عند الامير شاس امنت عليها من جميع الناس وبعد ذلك ننتظر لعنتر الفرص حتى نظفر به فى بعض الاوقات ونطرحه فى لهوات الآفات قال ولم يزالوا على مثل ذلك حتى نصف الليل فاجتمعوا ورحلوا يطلبون الديار وفى قلوبهم من عنترة شعل النار ومازالوا سائرين الى ان تنصف النهار وبينما هم كذلك التفتوا الى خلفهم فرأوا الوحوش جافلة فى الاقطار وظهر لهم من خلفها غبار قد سد منافس الاقطار فقال بعضهم لبعض هذه خيول بنى طى تفرت الينا واقبلت علينا فردوا رؤوس الخيول وتأهبوا للقتال واصبروا على ملاقاة الاحوال فقال لهم عنترة لا تخافوا يابنى عمى فلا يقتل الا من دنا اجله وحان مرتحله ثم ان عنتر حرك الجواد وتبعه ابوه شداد ومالك بن زهير وتمام العشرة من ابطاله الشداد واسرعوا يكشفون الاخبار فلم تكن الا ساعة حتى ظهر من تحت ذلك الغبار جيش جرار قد ملا تلك القفار وماجت الخيل من تحته كما يموج البحر اذا لعبت فيه عواصف الرياح وانقلبت الارض بالضجيج والصياح ونشرت رايات الحرب وبنوده وهمت اسوده وكثرت بروقه ورعوده وتزاحمت جنوده وكان المقدم على ذلك الجيش العديد ملجم بن حنظلة واخوه يزيد لان مفرج بن همام كان قد ارسل يخبرهم باسر بنى زياد وانه يريد قتلهم وصلبهم على الجزوع والاعواد ففرحوا بذلك لانه كان

عندهم غاية المراد ومن الغد وصلت اليهم اخبار المباغتة التى جرت فى الحى وماف عل عنترة بن شداد فى بنى طى فقال ملجم لاخيه يزيد ويلك كيف نخلى بنى عبس يدخلون الديار ويفعلون هذه الفعال ويرجعون سالمين من الدمار ونحن ملوك الزمان وسادات بنى قحطان ثم ان الملك ملجما ارسل الرسل الى جميع حلله تنذر الرجال فعند ذلك ركبت الابطال وركب كل واحد منهما فى الين من الفرسان وساروا يقطعون الفيافى والقيعان حتى وصلوا الى ديار مفرج بن همام وراوا القتلى مثل قطعان الاغنام فزاد بهم الغيظ والغضب واستمروا فى سيرهم وقد خافوا من معيرة العرب ولم يزالوا مجدين يقطعون الفيافى والقيعان الى ان التقوا بالمنهزمين من الواقعة التى قتل فيها مفرج بن همام وجابر بن غلاثة فارس بنى نبهان فجمع ملجم ساداتهم وسألهم عن الخبر فحدثه المهلهل عما فعل بهم عنترة فصار الملك ملجم يطيب خاطره وهو يقول له الويل لك يا ملجم لقد عوقتنى عن المسير وسرعة التشمير والساعة يأتينا عنترة فيهلكنى أنا واياك ولا تظن أنه يعفو عنك اذا لاقاك فليس لحصد الرؤوس عنده قيمة ولا تنجى من بين يديه الهزيمة قال ملجم ذل هذا الكلب الأسود والله ان لقيته لاطيرن رأسه بهذا المهند ولا اتركه يجول معى حتى اطرحه على الأرض كالجذع الممدد وأنا اشتهى ان ابارزه لتعلم الناس الشجعان من الجبان ولكن اخاف ان لا يتجاسر على مبارزتى فى الميدان فلا اشفى قلبى وقلوب بنى قحطان ثم ساروا من أول الليل فالتقوا ببنى عبس ضحى النهار وكانوا قد اكتملوا عشرة آلاف فارس كرار وابصر بنو عبس كثرة العدد ولمعان البيض والزرد فحاروا فى أمورهم وتقطعت سلاسل ظهورهم فقال عمارة لمالك ابى عبلة جاءك والله يا مالك ما كنت تؤمله واليوم يقتل عنترة ويقضى أجله فقال عروة بن الورد وذمة العرب يا عمارة ان قتل عنترة ما يسلم منا من يخبر بخبر فقال له مالك صدقت يا عروة والرأى أننا نرد رؤوس خيولنا ونطلب الهرب فذلك خير لنا من ان نشرب كؤوس العطب فقال عروة ويلك يا مالك اتريد ان تسبى ابنك ويملكها بنو قحطان قال دعهم يملكوها ولا يملكها هذا الشيطان قال الربيع يا بنى عمى لولا ان مالك بن زهير

تقدم حتى يكشف الخبر كنا فعلنا ذلك ونجونا بانفسنا من المهالك ولكن فخاف من عتب الملك زهير ان يقول لنا انتم من بغضكم لعنترة تركتم ولدى فى مقام الخطر والرأى عندى ان تثبت الى ان تدور بنا المواكب وتقصدنا من كل جانب فنقاتل ساعة ونصيح الهرب ونخلى عنترة يلاقى وحده القوم ويلقى نفسه فى العطب وانا أعلم انه لا يخلى عبلة ويطلب الهزيمة فلا بد ان يقتل ونستريح من تلك الصورة الرجيمة وربما يتبعنا مالك بن زهير فيكون لنا فى ذلك تمام الخير وبينما هم كذلك غشاهم الغبار الحالك ورأوا عنترة وهو قد تلقى الجيش مثل الاسد الفاتك وتبعه أبوه شداد وعمه مالك والتهب الطعن المتدارك وانتشر الجيش حتى سد المسالك وحمل الربيع واصحابه بنية فاترة وعزيمة قاصرة ثم عادوا الى الاعقاب وطلبوا رؤوس الروابى والشعاب وتبعهم من كان عرف ذلك الحال ووقف سائر الرجال وبذلوا نفوسهم لأسنة الرماح الطوال وبقيت عبلة حيرانة قلقة ودموعها مندفقة وهى تنادى عنترة باعلى صوتها وترتعد من شدة الفزع وهو يحمل ويعود ويلقى الفرسان قطعا على قطع واما مالك بن زهير فانه ذلك اليوم استقبل فقاتل قتال من أيقن بحلول الأجل وفعلت رجاله مثل ما فعل . قال الراوى وكان الربيع وعمارة وعروة ابن الورد قد نجوا بأنفسهم فى خمسين فارسا وطلبوا الهرب وتركوا بقية قومهم تحت العطب الاان بنى زياد ما ابعدوا مكان الحرب وخلصوا من غاية الطعن والضرب حتى ثار من بين ايديهم غبار قد اقبل عليهم وتقدم اليهم فقال عروة هذا جيش من الاعداء قد مسكوا علينا الطرقات وضيقوا علينا من سائر الجهات والصواب اننا نميل على اليسار ونبالغ فى الفرار . ثم انهم لووا رؤوس خيالهم وطلبوا الفلاة وهم لا يصدقون بالنجاة وبينما هم كذلك اذ بغبار آخر طلع من قدامهم فجعل ضوء النهار مثل الليل وقام من تحته صهيل الخيل فقال عروة الى اين نهرب يا ربيع ان الطرق قد انسدت علينا من كل جانب ولقينا شؤم نياتنا فى جميع المذاهب ومن طاوعك ومشى معك وقع فى المصائب ثم انهم وقفوا حتى انقشع الغبار وظهر للابصار فرأوا من تحته جماعة من الفرسان على خيول اخف من الغزلان وعليها رجال مثل السباع الجياع لا تفزع من الموت ولا ترتاع وكلهم ينادون يالسان يالعبس يالعدنان

ثم انهم أطلقوا الأعنة وفوهوا الأسنة وطلبوا معمعة الحرب واستعدوا للطعن والضرب ولما أبصر الربيع واصحابه ذلك انتعشت أرواحهم وبدأ صلاحهم وتلقوا الفرسان المقبلين وأخبروهم بما فعلوا فى ديار بنى طى وكيف يتموا البنات والبنين وقالوا لهم أدركوا مالك بن زهير ومن معه من الرجال فما هذا وقت شرح الحال فعندها حملت الفرسان وتبادرت الشجعان واقتحموا الغبار وطعنوا فى صدور الرجال وكشفوا بنى طى عن ساحة المجال وكان عنترة فى تلك الساعة قد أيقن بالهلاك لأن الأسنة قد أثخنته بالجراح وقلت قواه من شدة الكفاح . قال الراوى وبينما كان عنترة قد أشرف على الهلاك أقبلت بنو عبس ودارت بالفرسان من كل مكان فانفرجت عن عنترة المواكب وخفت عنه المصائب قال وكان مع هذه النجدة قيس بن الملك زهير وأخوه شاس بألفين من الفرسان ذوى الصولة والبأس لأننا ذكرنا أنه لما سار عنترة ومالك فى تلك الغارة كان الملك زهير فى دعوة بدر بن عمه سيد بنى فزارة وما عاد الملك زهير الا بعد ثلاثة أيام فأخبروه بالخبر عن مسير ولده مالك مع عنترة فلما سمع بذلك خاف على ولده مالك فقال لولديه قيس وشاس انى أخاف على أخيكما مالك من سطوات ملجم بن حنظلة وأخيه شارب الدماء وعلى فارسنا عنترة بن شداد قاهر الأعداء فخذا ألفين من الفرسان وانظروا ما جرى لهما فى ذلك المكان ففعلا كما أمرهما أبوهما فى الحال وساروا من يومهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولما قربوا من ديار بنى طى قال قيس لأخيه شاس أعلم يا أخى ان قدامنا الربيع ابن زياد وأخى مالك وعنترة ابن شداد وأخاف ان سرنا على طريق واحد أن يتخالف الطريق فنعدم التوفيق والصواب أن تسير أنت بألف فارس شمالا وأنا أسير بألف فارس يمينا ونجعل ملتقانا فى مروج الفصلان لأنها أول ديار بنى قحطان فقال شاس افعل ما بدالك فانا اتبع أقوالك ومن هناك انقسموا فرقتين حتى التقوا بالربيع بن زياد وأصحابه وأبصروا غبار الحرب والجلاد فعند ذلك حملوا وكشفوا الخيل عن عنترة بن شداد واعملوا السيوف الحداد فى الهامات والأجساد وافتخر الشجاع وساد وامتلأت الأرض بالأبراق والأرعاد واتسع المجال على عنترة بن شداد وركب غير الابجر وكر على الخيل وسقى الرجال كاسات الويل قال الراوى وكان ملجم بن حنظلة وأخوه شارب الدماء واقفين تحت الاعلام وما فيهم من

قاتل ولا خاض القتال حتى رأوا طوائفهم تبددت ورأوا بنى عبس قد طمعت فيهم وتشددت فعند ذلك حمل ملجم وأخوه وباشرا القتال وأخذا يجولان فى معمعة النزال وطال معهما الكر والفر حتى غطى غبارهما جوانب البر والتقى عنترة بشارب الدماء وهو يشجع الأبطال ويردها الى حومة القتال فصاح فيه عنترة صيحة تفلق الحجر وانقض عليه كالعقاب وطعنه طعنة لو لم يردها الدرع لأسكنته التراب وكان ملجم قد رأى من عنتر أهوالا لم تخطر له على بال فعلم أن ظنه كان فاسدا لانه رأى منه ما لم يكن رآه من غيره من الرجال فانهزم وتبعه أخوه يزيد وبنو طى وقحطان ونفروا كما تنفر الغزلان وما زالت بنو عبس تضرب فى أقفية الأبطال حتى أقبل الليل ونشر أجنحته على الروابى والتلال فعادت وقد نالت الافتخار وبلغت من أعدائها ما تختار وهنأ بعضهم البعض بالسلامة ونيل العز والكرامة وافتقد عنترة صديقه مالكا فرآه مجروحا جراحات بالغة فصعب عليه ذلك ثم عدل الى قيس وشاس وترجل لهما عن الجواد وشكرهما على قدومهما ودعا بعد ذلك لأبيهما فتبسم قيس من عذوبة كلامه وشكره على اهتمامه وأما شاس فانه قال له أهلا يابن زبيبة ولك الهنا بالسلامة من هذه المصيبه لأنه كان عظيم التكبير كثير التجبر فما احتفل عنترة بخطابه ولا أعتنى برد جوابه . قال ثم نزلوا جميعهم للأكل وطال بينهم الكلام وحدثهم شاس عن سبب قدومه وكيف كان وهناهم بالسلامة من ذلك الهوان وباتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد اشتفت قلوبهم من بنى قحطان ولما كان الغد ساروا يطلبون الأوطان ولم يزالوا سائرين ثلاثة أيام فى تلك القفار وفى اليوم الرابع وصلوا الى أرضهم وامنوا على أنفسهم فى الديار فنزلوا للمبيت ودخل مالك أبو عبلة على شاس بن زهير وقبل يديه ورجليه وبكى وانتحب بين يديه وقال له يامولاى انك قد أوليتنا من الاحسان ما يقصر عن وصفه اللسان لأنك خاطرت بنفسك لأجلنا وارجعتنا سالمين الى أهلنا وأريد منك أن تتم هذا الشأن وتمنع عن ابنتى هذا الأسود الكشحان وتأخذها الى بيتك عند وصولنا الى الأحياء وتستخدمها كما تستخدم الاءماء لأنه قد عظم شأنه وكثرت أعوانه وأنا عجزت عن دفع هذا العار ومالى اقامة فى هذه الديار وها أنا قد فوضت أمرى اليك وجعلت اعتمادى عليك فان قدرت على نصرتى فافعل والا فقل لى حتى آخذ ابنتى وارحل وانزل على بعض ملوك العربان واطلب الحماية

والامان وأقول له ان ملك بنى عبس قد عجز عن عبده ولأجل ذلك رحلت من عنده قال له شاس وقد رق قلبه عليه مما نذلل وتواضع بين يديه يامالك طب نفسا وقر عينا هذا أمر لا أتركه يتم عليك أبدا ولا أدعك تحتاج أحدا ولا بد لى ان اهلك هذا العبد وأسفيه كأس الردى وبعد انصراف مالك من عنده أنفذ خلف عنترة واحضره الى بين يديه وقال له ياعنتر ان البغى يورث الندم ومن طلب ما ليس له فقد ظلم وأثم وأعلم ان مالكا أبا عبلة كان الساعة عندى وشكالى حاله وقد أعطيته أمانى وذمامى ورهنت عنده كلامى وقد صارت ابنته عبلة من جملة حريمى وصار غريمه غريمى وأنا أشير عليك أن لا تذكر عبلة لا سرا ولا جهرا ولا تقل فيها لا شعرا ولا نثرا والا أكون أنا خصمك من دون الناس وأنت تعلم ما عندى من شدة البأس ونحن أولاد الملك زهير أحد ملوك الزمان وسيد بنى عبس وغطفان لو طلبنا ابنة أقل رجال القبيلة وأبى ما تعرضنا له ولا اغتصبناه ولا نقدر أن نأخذها الا برضاه وهذا الرجل ما يريدك لابنته فاتركه يمضى لحال سبيله ويفعل ما يريد فى ذريمته وأنت تقول انك لا تقبل الذلة فكيف تدل لأجل هذه الجارية وتقع فى هذه العلة فقال له عنترة أيها الملك أنت تعلم أن اباها اطمعنى فيها ووعدنى بها وتعلم كم مرة خلصتها من السبى وألقيت نفسى فى المخاطر بسببها ولما طلب منى النوق العصافير أتيته بها محملة جواهر ودنانير وزد على ذلك ما أتيته به من انعام الملك الأكبر وتحف الملك قيصر والى الآن أنا مخاطر بنفسى لأجل هذه الجارية وهذه جراحى لم تزل دامية ولا سيما أن هذا الخبر شاع بين جميع العربان واشتهر فى كل مكان فلا يمكننى أن أتركها مادام لى رأس على جسد وأترك نفسى معيرة عند كل من قام وقعد وأنا أعلم انه ما فعل هذا العناد الا بتدبير الربيع بن زياد حتى يأخذها لاخيه عمارة وأنا والله لا بد أن اترك ربحه خسارة واجعلها عليه أنحس تجارة وان تزوج بها أو ذكرها بكلام قتلته ولو كان ...

انتهى الجزء السادس من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء السابع .

الجزء السابع

من سيرة

عنترة بن شداد

فى البيت الحرام آو اجتمعت له ملوك العرب والأعجام واضع السيف فى سائر بنى زياد وآجعلهم مثلا بين العباد ثم انه قام من فدام شاس وهو شاهق الأنفاس متكدر الحواس ثم دخل على آخيه مالك وآخبره بذلك فصعب ذلك عليه وقال له يا آبا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فآنا آعرف سماجة شاس والربيع واذا وصلنا الى الحى آرغم آنوف الجميع حتى يبذل كلهم ويطيع فدعا له عنترة وقبل يديه وآثنى عليه وحمده ولما جن الليل وآقبل الظلام وطلبت العيون المنام قال عنترة لأخيه شيبوب قم سير الأبجر واوسع به فى البر الأقفر فانه قد استراح وخف عنه بعض آلم الجراح فامتثل شيبوب آمر اخيه واخذ الجواد وهو يلاطفه ويداويه وبعد ساعة اقبل عنترة وقد ركب جنيبا من جنايب الأمير مالك وخرج للحرس الى ان آبعد فى البر واجتمع بآخيه شيبوب هنالك فركب جواده وقال له سر بنا الى ابن الآم وابعد عن هؤلاء القوم اللئام واطلب بنا البيت الحرام لأننى ما بقى لى عندهم مقام فقال له شيبوب وكيف ذلك يا ابن الأم فقال آنا آعلم اننا اذا وصلنا الى الحلة يلح شاس فى معاندتى واخوه مالك لا يتخلى عن نصرتى فتقع فى الحى الفتن ويتشتتون عن الوطن وانا لا آريد آن احمل احدا ما لا يطيق بل ادارى مرضى بصبرى فى كل شدة وضيق وآقيم فى البيت الحرام ولا ابرح من هناك حتى يدركنى الحمام آو تساعدنى على مرادى الليالى والآيام فقال له شيبوب وهل لك صبر عن عبلة قال نعم ما دامت فى بيت آمها مخبآة وان بلغنى ان احدا تعرض لها سقيته كآس المنية ولو كان تبع صاحب قصر غمدان آو كسرى صاحب التاج والايوان ثم استمر عنترة فى مسيره يطلب البيت الحرام وهو يشكو من شدة الوجد والغرام ولما تمادى به المسير تذكر ما جرى عليه من الأمر العسير فانشد يقول صلوا على الحبيب الرسول :

اذا كنت فى الاحزان يادمع مسعدى ... أعنى عسى تطفى لهيب توقدى
يا قلب ان لم تصطبر يوم بينهم ... فمت كمدا موت الغريب المشرد
الى كم أرد الحادثات والتقى ... صروف الرزايا بالحسام المهند
وأخدم أقواما تكن صدورهم ... خلاف الذى يبدونه من تودد
أنا عندهم فى الحرب سيد قومهم ... وفى السلم لا أعدو قلامة أسود
عدمت هوى العينين كيف اذلنى ... وهد قوى صبرى واوهى تجلدى
ساطلب بيت الله اشكو ظلامتى ... الى حاكم فى حكمه غير معتد
رحلت وقلبى فى هواك مقيد ... سالتك رفقا بالاسير المقيد
ستذكرنى قومى اذا الخيل اقبلت ... يخب بها يوم اللقا كل سيد
هنالك يبدو الفخر يابنت مالك ... صريحا اذا عض الجبان على اليد

قال الراوى وما زال عنترة سائرا على حاله يقطع القفار ويسلى نفسه بنشيد الأشعار ويلهى قلبه بتمويه الكلام مدة سبعة ايام وفى تلك المدة كلها ما نظرا فى طريقهما لا سارحة ولا بارحة ولا غادية ولا رائحة فقال شيبوب يا أخى اننا قد سرنا كل هذه الأيام فما رأينا لا راجلا ولا راكبا ولا قادما ولا ذاهبا قال عنترة ياأخى لا بأس فاننى لا أريد أن نلقى احدا من الناس لأننا والله يا أخى لا نلقى من يحسن الينا بل من يطرح شره علينا وأنا والله قد ضجرت من مقاسات الحرب ومل قلبى من هذه الأيام التى لا يطيب فيها قلب ثم أشار اليه وأنشد : صلوا على محمود الخصال محمد:

أخلو لنفسك واستأنس بوحدتها ... تلقى الرشاد اذا ماكنت منفردا
ليت السباع لنا كانت مجاورة ... وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا
ان الاسود لتهدى فى مرابضها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدا

فقال له شيبوب يا أخى لماذا لا تسير الى أرض العراق وتقيم عند الملك المنذر ملك العربان أو تقطن المدائن فتدخل على كسرى أنوشروان وتشكو الى احدهما فهو يبلغك الأرب وتخلص من التعب قال له عنترة

ويلك ياشيبوب كانى لا أقدر أن ابلغ مرادى من العدا وأضع فيها السيف حتى لا أبقى منهم احدا الا بمساعدة المنذر أو كسرى أو اصحاب الدول الأخرى حاشا ولكننى أخاف على قلب عبلة لأننى لو قتلت أباها أو أخاها تكدرت معيشتها بعد صفاها ولو قتلت أحدا من بنى زياد تكدر الملك زهير ووقع فى العشيرة الفساد وأما مسيرى الى الملك المنذر أو كسرى فاننى جئت من عندهما فى رتبة الملوك والآن أرجع اليهما فى حالة صعلوك وأشكو لهما جور هؤلاء اللئام والعجز عن بلوغ مثل هذا المرام فهذا لا يكون أبدا ولو مت من ظلامتى كمدا قال وما فرغ عنترة من هذا المقال حتى سمع مناديا ينادى فى ذلك الليل الهادى وقائلة تقول يا للعرب أما فى هذا البر من يسمع ندانا ويرحم ذلنا وشكوانا ويجير قوما قد هلكوا فى القفار ويخلص البنات الأبكار من غايات الأشرار واذلاه واقلة ناصراه ثم أخذت تنوح بهذه الأبيات : صلوا على النبى محمد صاحب المعجزات :

ياعين جودى واهملى بدمعك المنهمل
على بنات ما لها من ناصر ولا ولى
متهتكات فى الفلا فوق الجمال البزل
يبكين من فرط الجوى على ربوع المنزل
والشيخ من جراحه فى غاية التململ
وقد غدت أولاده طعم الرماح الذبل
والأم من أحزانها أنفاسها فى شغل
ومن لهيب نارها تطلب قرب الاجل
يا سائرين فى الدجى تحت ظلام المسبل
لعل فيكم بطلا من نسل ليث بطل
مجرب يوم اللقا تحت غبار القسطل
يسعدنا على العدا قبل انقطاع الامل
ويربح الشكر من ال رب القديم الازل

قال فلما سمع عنترة هذه الأبيات قال لأخيه شيبوب هذه والله امرأة مظلومة قد قتلت الأعداء رجالها وسبوا بناتها وتركوها تتقلب بحسراتها وأنا أريد من اليوم ان اعين كل مظلوم عسى أن ينتقم من ظالمى مسير النجوم ثم انه حرك جواده نحو ذلك الصياح وهو متألم مما به من الجراح ونادى ما حالك ايتها المرأة الصايحة الباكية النائحة اخبرينى ان كان احد عليك اعتدى حتى انتصف لك من العدا فقالت الامرأة وقد تحول بكاؤها فرحا بمن اجاب نداءها وقالت اى والله يافتى قد اعتدى على الزمان ورمى قلبى بسهام الاحزان وقد افقدنى اولادى وتمكنت منى اعدائى وسبوا بناتى واحرقوا فؤادى وانجرح شيخ عشيرتى وبعلى وبقيت فريدة فى هذا المكان ونازحة عن اهلى ولى ثلاثة ايام انادى فى هذا المكان ولا اجد احدا يجيبنى سواك ياسيد الفتيان فبالله عليك ان كنت من اهل المروءة والنجدة والفتوة فخلصنا من هذا البلاء واريح الشكر والثنا ثم انها بكت واشتكت وانشدت تقول صلوا على طه الرسول :

أعطاك ربك ما ترجوه من أمل ... وجاد رضك صوب العارض الهطل
يا فارس الخيل يامن لا شبيه له ... عند اشتباك القنا والطعن بالاسل
أعداك كل صباح منك واجفة ... تخاف أرواحها من سرعة الأجل
وحاسدوك لهم فى كل ناحية ... قلب يقلب بين النار والشعل
وأنت تزداد سعدا كلما حسدوا ... وحد سيفك فى الهامات والقلل

فقال لها عنتر من اى ناس انتم ومن سباكم من العربان . وماذا اتى بكم الى هذا المكان قالت يامولاى نحن من بنى كندة وقد قحطت ارضنا وخفنا من الهلاك . فرحل بنا الشيخ الذى لنا يطلب منى الحارث لأن لنا ابنة متزوجة هناك فقلنا نقيم عند القوم فى ديارهم ونقضى هذا العام فى جوارهم فعارضنا فى الطريق شيطان من شياطين العرب يقال له الصدام ابن سهلب ومعه عشرة فوارس فقتلوا لى ثلاثة أولاد وجرحوا شيخنا الأشعث بن عباد وسبوا البنات وهن ثلاثة ابكار كانهن الاقمار وهم سائرون بنا الى جبال بنى طى يفرقوننا على الحى فعندها قال عنترة لاخيه شيبوب خذ انت هؤلاء حتى اتقدم انا وابصر من يكون هؤلاء الانذال الذين فعلوا هذه الفعال ثم انه حرك جواده الابجر وكان الفجر قد انفجر

فماغاب شيبوب غير قليل حتى ابصر الفرسان وهى مقبلة مثل الاسود وفى اوائلهم الصدام كأنه العمود فلما رآه عنترة اطلق نحوه العنان وقوم السنان بين آذان الحصان وهو يقول الى ابن تذهبون يا اوغاد وقد اتاكم عنتر بن شداد ثم صرخ فيهم صرخة دوت لها البطاح فوقفوا وهزوا الرماح وزعق الصدام الا ما ابركه من صباح هذا والله رزق هنى وافانا من اول النهار وساقته الينا الاقدار فليخرج واحد منكم يسأله عن حسبه ونسبه ويقتله ويأتينا بجواده وسلبه فما أتم كلامه حتى قفز الى عنتر فارس يقال له الهجام وكان الفارس المقدام فلما قرب الى عنتر قال له ويلك أنت من أى العرب تنتسب ان كان لك نسب والا فسلم جوادك والسلب قبل أن يحل بك العطب . قال الراوى فبينما هو مع عنترة بالكلام ما شعر الا والرمح قد وقع فى صدره فطلع يلمع من قفارة ظهره وقال له هذا حسبى ونسبى وهذا امى وابى فلما رآه أصحابه انطبقوا على عنترة من كل جانب وتبادروا اليه مثل السواهب وبقى الصدام ينظر اليهم وهو واقف من بعيد لأنه كان قد احتقر عنتر وكبرت نفسه أن يقاتل العبيد وصار ينتظر أصحابه أن يأتوا به أسيرا ويتركوه فى دمه عفيرا فطال بينهم القتال ورأوا من عنترة الأهوال فطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن الأبصار وجال عنترة فيهم بالطول والعرض ومدد اكثرهم على وجه الارض وصار يلتقط منهم الفارس بعد الفارس كما يلتقط الصقر الخجال فما تضاحى النهار الا وقد قتل العشرة الرجال ولما رأى الصدام ذلك علم أنه بعد هلاك اصحابه لا بد له من طلابه فعند ذلك طلبه الصدام وناداه يا وجه العرب من تكون من الفرسان والى من تنتسب من قبائل العربان فانا وذمة العرب اعجبنى قتالك وادهشتنى افعالك فاحببت ان اصاحبك ونكون انا وانت ننهب الاموال ونسبى ربات الحجال ونتمتع بالبنات الأبكار وتحمل الينا الغفارة من جميع الاقطار واول ما اساويك بهذه الغنيمة التى بين يدى لأن فيها ثلاث جوارى كأنهن الاقمار والذين كانوا شركائى قد اهلكهم الزمان على يديك يا فارس الفرسان وما بقى لى ولك معاند ولا مدافع ولا مطارد فقال له عنترة دع عنك هذا الهذيان يا اخس العربان ودونك الضرب والطعان واقطع طمعك من هذه الغنيمة فان الله ارسلنى لآخذ لهم ومنك بالثار واطفى ما فى قلوبهم من النار

ثم حمل عليه عنترة حملة الاسد الغضنفر فعند ذلك زعق الصدام زعقة الصدام زعقة الحنق وصدم عنترة صدمة السيل اذا اندفق واخذ فى الجولان واتتهاز فرص الضرب والطعان فضاق منهما لنفس وصار النهار فى اعينهما مثل الغلس ورأى عنترة خصمه منيع الجانب خبيرا بالنوائب فجال معه حتى اتعبه وهجم عليه واكربه وطعنه بالرمح فقلبه والى نار الجحيم اذهبه وبعد ذلك عاد الى اخيه شيبوب والشيخ المجروح والبنات وضمد له الجراحات فصاروا جميعهم يشكرونه ويثنون عليه ويقبلون يديه وقدميه ولما ستقر بهم القرار فى تلك الساحة واخذ عنترة الراحة اتت العجوز اليه ومعها شيء من الزاد فوضعته بين يديه ثم وقفت هى والبنات فى خدمته وزادت فى كرامته وشكر نعمته وكان عنترة من حين فارق عبلة ما شبع من الطعام ولا امتلأت أجفانه من المنام فأكل ذلك اليوم حياء من القوم ثم قال للشيخ اين تقصدون والى اين تذهبون فقال الشيخ الى بنى الحارث يا مولاى لأن لنا ابنة هناك وقد أجدبت ارضنا فرحلنا خوفا من الهلاك فقال له عنترة اما من قتل فلم يبق فيه حيلة واما انتم فما بقى عليكم بأس ولكم الأمان من جميع الناس وأنا أسير معكم الى قرب تلك البلاد واحميكم من جميع العباد ثم أنه أمر القوم بان يركبوا مطاياهم وامر شيبوب ان يرفق بهم ويتلافاهم وساروا والشيخ يسأل عنترة عن حاله وعنترة يحدثه بما جرى له وحدثه بحديث عبلة وما اصابه من أجلها وما ناله وكيف رحل عن بنى عبس وهو غضبان وانه يريد ان يجعل مقامه فى مكة ولا يرجع الى الأوطان فقال له الشيخ وقد تألم قلبه والله ان قصتك قد احرقت فؤادى وقد انستنى ما جرى على من فقد أولادى وقد فعلت معى من الجميل ما لا يفعله خليل مع خليله ومالى شيء اكافئك به غير هذه البنات فان رأيت أن تقنع باحداهن وتجعل مقامك عندنا حتى اخدمك انا وهذه العجوز الى الممات فقال عنترة ومن لى بذلك لو امكننى فان قيد الهوى شديد وسلطانه عنيد ولو قدرت على السلوان لكنت فعلت ذلك من اول الزمان ودفعت عن نفسى هذا العذاب والهوان

قال الراوى ومازالوا يقطعون الارض فى الطول والعرض حتى قربوا من ديار بنى الحارث وامنوا على انفسهم من الحوادث فعند ذلك ودعهم

عنترة وساروا والعجوز تقول يامولاى وهذه الخيول والاسلاب التى اخذتها بسيفك قد قسمها لك العزيز الجبار فقال لا والله لا آخذ منها مثقال حبة بل هى لكم تستعينون بها على الغربة هذا ما كان من عنترة وما جرى له من هذه السفرة . واما ما كان من بنى عبس فانهم باتوا فى تلك الليلة التى فارقهم فيها عنتر وعند الصباح افتقدوه فما وجدوه وسألوا عنه فما وقعوا له على خبر فجرى على قلب مالك بن زهير من فقده مالم يجر على قلب بشر واحس ان قلبه قد انفطر وكذلك اصاب اباه شداد واما عمه مالك وعمارة وشاس والربيع بن زياد فانهم كانوا افرح العباد . هذا وشاس يقول لعمارة هاقد اتاك الامر كما تريد وما بقى لك فى عبلة معاند بعد ذلك الشيطان المارد والرأى عندى اننا متى وصلنا الى الحى تحمل المهر الى ابيها وتأخذ زوجتك وتبلغ نفسك امانيها ثم ان شاسا دعا بمالك ابى عبلة وقال له يا ابن العم عاهد عمارة واخلص معه نيتك واقطع عليه المهر وزوجه ابنتك حتى تقطع عنها الأطماع ونستريح من التعب والصداع فقال مالك ياسيدى وكيف لى بذلك والله انى اشتهى ان تكون ابنتى امة فى بنى زياد ولا تكون ملكة فى بيت هذا الطنجير عبد شداد ثم بعد ذلك اعتنقه وعاهده واعطاه يده وعاقده ثم ذهبوا وعروة يقول لعمارة على سبيل المزاح بارك الله لك فى هذا وارجو ان تكون العاقبة الى خير وصلاح فقال الربيع يا ابا الابيض مابقى عليه حذر ولا بأس مادام قد تولى الأمر الملك شاس فقال عروة انا ما ارى الا أن شؤم عبلة قد عم جميع الناس ومادام راس عنترة على بدنه كل من طلبها يصبح بدنا بلا رأس فضحك قيس من هذا المقال وعلم أن كلام عروة صحيح ليس فيه محال قال وبلغ مالك بن زهير ذلك الخبر وهو سائر فى أوائل الجيش والى جانبه شداد فقال شداد والله انى خائف على اخى مالك ان تعود عليه عاقبة هذا البغى والعناد فقال له مالك انى احلف لك باعظم الأقسام انى لا اترك عمارة ينهنى بعبلة ابدا ولو شربت كاس الحمام وبعد ذلك انا متعجب منك كيف رأيت ان الرجل زوج ابنته بعمارة وتركته ولم تطالبه بمال ولدك وما انجر عليه من الخسارة فانه لما جاء أرض العراق اتى باموال ثلاثة ملوك من الاكاسرة والقياصرة والمناذرة واتى بالف ناقة من النوق العصافير

محملة جواهر ودنانير ودفع ذلك كله الى اخيك وقال له انى أقدم لك أضعاف هذا ان كان لا يكفيك وبعد ذلك عاقده وعاهده واعطاه يده وزوجه بحضرة انى واشهده فياشداد لو ان ولدك اراد ان يتزوج بهذه الأموال من بنات اكبر ما يوجد فى ملوك البدو والحضر كان تزوج مائة بنت واكثر وانا اقسم بالله العظيم رب موسى وابراهيم ان هذه الجوارى التى اتى بها عنتر من بلاد العراق والمدائن كل واحدة منها تفوق على عبلة فى الجمال والمحاسن ولكن الهوى غلب على عقله وقيده بسلاسل جهله هذا فضلا عن كونه خلصها مرارا من السبى ولولاه ربما كانت جارية لبعض الانذال او رعاة الجمال وكان ابوها فى الاسر والاعتقال فقال شداد يامولاى طب نفسا وقرعينا فانى اعلم ان اباها وعمارة فى غرور وكل ما يتعاهد ان عليه يذهب كالهباء المنثور لان عنتر ما دام حيا لايمكن ان يأخذها أحد فى الدنيا ومازال القوم سائرين من مكان الى مكان حتى وصلوا الى غدير يقال له رمال الغزلان وكان شاس مغرما بالصيد فرأى الغزلان فى تلك الارض تمرح فى الطول والعرض فقال لأخيه قيس يا اخى سر بمن معك نحو الاحياء حتى اتصيد انا فى هذه الارض واعود اليكم فى وقت المساء ثم اخذ معه عشرة فرسان وعدل عن الطريق يطارد الوحوش والغزلان والخيل تردها عليه من كل مكان الى ان تعب هو والخيل التى معه من شدة الطراد وكانوا قد اصطادوا شيئا من الغزلان فنزلوا عن الخيل ليأكلوا الزاد وبينما هم يأكلون اجتاز بهم صاحب تلك الارض وكان اسمه ميسور بن هلال فحمل عليهم وحملوا عليه فقتل من بنى عبس سبعة رجال لانه كان فارسا شديد البأس وكان معه أخ له فقتله شاسا فلما رأى ميسور اخاه قتيلا هجم وقتل الثلاثة الباقين من الفرسان واسر شاسا ورجع به فى الذل والهوان طالبا دياره والاوطان وقال له ويلك يا كلب العرب من تكون من الفرسان والى من تنتسب من العربان فقال له ويلك أنا شاس ابن الملك زهير بن جذيمة بن رواحة بن الوضاح بن العبسى سيد بنى عبس وغطفان وفزارة وذبيان وقد قتلت من بنى عمك جماعة فافعل بى ما تختار وخذ لبنى عمك بالثار وان طلبت الفداء بالمال فعلى اضعاف ما تطلبه من نوق وجمال وان اخترت قتلى فانت تعرف كم خلفى من القبائل والابطال

فقال ميسور والله يافتى ما بقيت ترى اهلك ولا تنظر الاوطان لانك فجعتنى باخى شيبان وتركتنى ابكى عليه طول الزمان ثم ان ميسورا قال لمن بقى معه سيروا بنا نطلب الديار فساروا وشاس معهم يتقلب على مقالى النار هذا ماجرى لشاس . واما ما كان من بنى عبس فانهم وصلوا الى لحى وهم مسرورون بالظفر والغلبة على بنى طى وما منهم من نزل عن جواده ولا خلع عدة جلاده بل حضروا جميعا قدام الملك زهير فسلموا عليه وقبلوا يديه وحدثوه بما جرى لهم فى ذلك السفر فقال لهم واين شاس وعنترة فاخبروه بقصة عنترة مع شاس ومسيره فى القفار وان شاسا فارقهم فى طلب الصيد ومعه عشرة فوارس على انه يعود آخر النهار فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تأسف على ذهاب عنترة على تلك الحال ونظر الى ولده مالك فاذا هو مجروح وقد بقى كانه جسد بلا روح وهو يريد ان يتكلم والدموع تذرف من عينيه وعلامات الغضب لائحة عليه فقال له ابوه ما بالك يا ولدى تكلم واظهر ما تخفيه وانا اقابل الظالم على افعاله واجازيه فقال مالك ماذا أقول يا أبى لعن الله الظلم ومن تبعه ، ومن رأى الحق ولم يكن معه ، ثم حدثه بما فعل عنترة مع بنى زياد وكيف بذل نفسه دونهم وخلصهم من الاصفاد وقص عليه القصة التى جرت من اولها الى آخرها واطلعه على ما فى باطنها وظاهرها فعند ذلك احضر الملك زهير عمارة وقد صعب عليه فقد عنترة وقال والله يا كلب العرب وقليل المروءة والادب كل ما جرى على عنترة وعلى ولدى شاس عاقبه بغيك يامشئوم الناصية فلا اعطاك الله عافية ولا ابقى لك باقية ولا حيى الله عنترة الذى خلصك من الاسر والعذاب وكان ينبغى أن يقطع رأسك ويطرحه للكلاب ولكن هذه مروءة السادات اصحاب الانساب والاحساب وانا قلبى يحدثنى ان ولدى شاسا وقع فى مصيبة من تعصبه لك يا اشر الناس وانت لاترجع عن هذا البغى والعناد وسوف انك تكون سببا لقلع آثار بنى زياد فقال عمارة وانا يامالك ما ذنبى حتى نسبتنى الى هذا الكلام والله لقد جرى عليه فى هذه النوبة مالا يحتمله احد من الانام والله سلمنى من شرب كاس الحمام فقال الملك زهير ياليتها كانت القاضية وليت المنية كانت

اليك ساعية ولا كنا نرى هذا الوجه المنحوس الذى هو اشأم من ناقة البسوس فوحق من رفع الخضراء وسطح الغبراء ان هلاكك كان افضل من نجاتك وموتك احسن من حياتك ويلك متى سمعت ان احدا من العربان سبى ابنة عمه التى يلزمه عارها وابعدها الى اقصى مكان ويلك يانذل العرب اهذا جزاء عنترة منك وقد خلصك من الاسر عند عودته من ديار كسرى بعد ما جرى لك معه ما جرى ثم ان الملك زهيرا امر عبيده بالقبض على عمارة فقبضوا عليه وامرهم بتكتيفه فكتفوه وقال للعبيد ابطحوه ونهض قائما واخذ السوط بيده وسقط بالضرب عليه حتى كلت سواعد يديه فالقى السوط من يده وامر العبيد ان يضربوه ضربا أليما حتى يتركوه هشيما فصار يعوى مثل الكلب ويستغيث ولا يجاب ومازالت السياط تقع عليه مثل المطر الوابل حتى تخدشت اعضاؤه وسال الدم منها وانفجر الناس يقولون هذا العريس قد برز باللباس الاحمر وكان اخوه الربيع حاضرا فكان واقفا يتألم ولكن لا يجسر ان يتكلم وكان عروة ينظر ويتبسم وهو يقول هذه اول بركات زواج عبلة فتلذذ ياوهاب وتنعم ولما رأى الملك زهير ان عمارة قد اشرف على التلف من شدة الالم امر العبيد ان يشدوا كتافه ويلقوه فى بعض الخيام فتقدم بعد ذلك شداد الى الملك زهير وقال له يامولاى اريد من اخى مالك الاموال التى ساقها اليه ولدى عنترة لأنه زوج ابنته بعمارة وترك ولدى عليها يتحسر فلما سمع عمارة من شداد هذا الاحتجاج ناداه بأعلى صوته العاقبة لك ياشداد أن تتزوج مثل هذا الزواج فتبسم الملك زهير من كلام عمارة وقال الاولى بهذا اللئيم أن يتزوج بحمارة قال الراوى وجاء بعد ذلك عروة بن الورد يمازح عمارة ويقول له زفاف مبارك ايها الامير والله ان هذه الانعام التى حزتها تشترى حمارة من احسن الحمير ولكن هذا قليل لأننى اعلم ان زوج عبلة لابد ان يصبح وهو قتيل وعمارة يسمع هذا الكلام ويحسبه امر عن ضرب الحسام ثم ان الملك زهيرا أحضر مالك بن قراد وقال له ويلك ياشيخ السوء انت صرت شيخا من مشايخ العشيرة وجميع بنى عبس يقتدون برأيك لانهم يظنون انك من اصحاب البصيرة فكيف تستطيع الغدر

وتأخذ من ابن اخيل المهر ثم تزوج ابنتك لغيره بعد ما القيته الى الهوان والمنايا ورميته فى المخاطر والبلايا وخلصك انت واياها من الاسر والهوان وجازاك على قبح فعلك بالجميل والاحسان ولولاه لكانت ابنتك مسبية مع اوباش العربان ويبقى ذلك عارا عليك طول الزمان وياترى من يفضل عمارة على عنترة الذى له ذكر فى بلاط الملوك يذكر من يعرف عمارة من الناس وأى كلب الأسد بالأسد يقاس وماذا ينفعك عمارة اذا شنت عليك الغارة ولو لم يكن عمارة من نسل قوم كرام من كان يرد عليه السلام ولعمرى ان عنترة اشرف منه عند العرب لأن عمارة ورث النسب من أجداده وعنتر انشأ لنفسه الحسب والنسب وصار من أرباب المناصب والرتب . فوالله انك تستحق الرجم بالحجارة او ان نفعل بك كما فعلنا بعمارة . فقال مالك يامولاى انا ما غدرت ولا عوجت سبلى ولكن قلت فى نفسى ان ولدك شاسا ملك وابن ملك والذى يعرفه شاس لا يعرفه من هو مثلى . فسلمته ابنتى وقلت له أنت ملكنا وابن ملكنا وأصوب منا قولا وفعلا فهذه ابنتى مسلمة لك فزوجها بمن تراه لها اهلا . فقال شاس هذه ابنتك لا تصلح الا للامير عمارة بن زياد زوجه بها فيصلح الفساد فقلت له وكيف ذلك يامولاى وابن أخى قد حمل الى مهرها وقد زوجته وفوضت اليه امرها وابوك عون له على ذلك ومحبه وصديقه أخوك مالك . فقال شاس انا اكفيك مؤنة الجميع وامنعهم عنك وعنها اكراما للربيع . ثم ان ولدك شاسا احضر ابن اخى عنتر وكلمه بما شق عليه وقام وهو غضبان من بين يديه وفارقنا وكان نصف الليل قد انقضى ولا ندرى الى اين مضى وقلبى من اجله على جمر الغضا وها ابنتى فى بيتها فزوجها ايها الملك بمن تريد واحسب انها من بعض امائك وانا لك من جملة العبيد .

فلما سمع الملك زهير ذلك المقال قال هذه قضية لا يفصل فيها حتى يحضر عنترة واقف على حقيقة حاله واقابل المعتدى على قبيح فعاله وكذلك ان اتى ولدى ولم يعترف بمقالك فانى اقابلك على كذبك ومحالك ثم بعد ذلك افترق الناس وامسى المساء وما عاد شاس فضاق صدر الملك زهير واقام الى الصباح فرق الخيل فى الروابى والبطاح . قال الأصمعى ودارت الخيل فى البرارى والقفار تفتش على شاس الى آخر النهار . ثم عادوا عند المساء وقالوا ايها الملك ماوقعنا له على خبر ولا وقفنا له

على أثر فزادت بالملك زهير الهموم والفكر وقال هلك ولدى واندثر واهلكه بغية على عنتر فان صح هلاكه ضربت رقبة عمارة بن زياد وصلبت مالكا ابن قراد . ولا ازال بجميع بنى زياد حتى أهلك شيخهم الربيع . لأنه هو الذى كان السبب فى هذا الصنيع . ثم ان الملك زهيرا انفذ العبيد ثانى مرة الى احياء العرب تقتفى الآثار واقام منتظرا ما يجد من الاخبار وهو يتقلب فى الغموم والاكدار وزوجته تماضر تبكى الليل والنهار ! وكذلك بقية اولاده لا يطيب لهم عيش ولا يقر لهم قرار . هذا ما جرى لهؤلاء الناس واما ما كان من حديث شاس فان الرجل الذى أسره سار به حتى وصل الى بنى الحارث وقد جرعه فى الطريق غصص البلايا والكوارث فكان تارة يضربه وطورا يلطمه ويعذبه ولما وصل الى قومه قال لهم يابنى عمى انتم تعلمون ان هذا العبسى قتل اخى شيبان وانا لا بد لى من قتله لأطفى من قلبى لهيب النيران فخذوا أنتم جواده واسلابه ودعونى اشتفى منه كما اريد ومن ساعته ضرب له اربع سكك من الحديد وربطه بها الرباط الشديد وقال له وذمة العرب انا لا أقتلك حتى أعذبك بانواع العذاب واجعلك عبرة لمن حضر أو غاب وصار ميسور ان خرج يرفسه وان دخل يلطمه وان اكل لا يطعمه ولا يترك احدا يخدمه او يرحمه . وشاع حديث شاس فى الحلة عند جميع الناس وصارت تتهدده جميع النساء والرجال بالقتل والصلب على رؤوس الجبال وبلغ خبره سيد العشيرة وكان يقال له موهوب بن يزيد وكان صاحب رأى سديد فدعا ميسورا اليه ولامه وعنب عليه وقال له يا ابن العم هذا الذى تفعله بأسيرك ليس بصواب ولا بستحسنه احد من ذوى الألباب لأنه من ارباب المناصب والرتب وابوه ملك من ملوك العرب وانا لا امكنك من قتله حتى نمضى الى ملكنا عبد المدان ونشاوره فى امره ونعلمه بانه قتل اخاك شيبان فان اذن لك بقتله فقد بلغت الارب والا فكف عنه لأنك تعلم ان قومه من بنى عبس يعدون من جمرات العرب ولابد لأبيه من كشف خبره والوقوف على اثره واذا سمع بقتله اتانا ببنى عبس وغطفان وفزارة وذبيان وان انفذنا الى الملك وطلبنا منه نجدة يقول لنا انتم لما قتلتم ابن هذا الرجل ما اعلمتمونى ولا التفتم الى ولا شاورتمونى فافعلوا بانفسكم ماتريدون ودبروا برأيكم ماتشتهون وانا الرأى عندى ان تخفف عذاب هذا الانسان وتمضى وتشاور الملك عبد المدان والا فتحت علينا بابا لا يغلق والحقتنا بمن سبق . قال فلما

سمع ميسور هذا المقال عظم عليه وهاج فى قلبه البلبال الا انه احتاج ان يفعل هذا خوفامن حلول العاقبة وخاف ان يقع من اجله فى نائبة . فدعا شاسا وحل يديه ورجليه ووطأ تحته واحسن اليه واراحه من ثقل الحديد واوصى عليه عشرة عبيد وركب بعشرين من الفرسان وسار يطلب الملك عبد المدان فعند ذلك قال شاس لزوجة ميسور يامولاتى هل يكون لى من هذا الاسر فرج او يأتينى من هذا الضيق مخرج . قالت لا والله الا آن يكون فى الأجل تأخير أو ترزق بد غالبة تخلصك حسب المقادير او تبذل المال الوفير الكثير . فعند ذلك قال لها شاس ياحرة العرب ان لى اليد الطولى والا يسار ولكن من يوصل خبرى الى اهلى على بعد الديار قال وبينما هما فى هذا الكلام دخلت عليه جماعة من النساء كبدور التمام وكان معهن امرأة كبيرة كأنها الناقة الوجناء فسلمت على صاحبة الخباء وقالت لها يابنت العم من يكون هذا الفتى ومن اين اتى قالت لها هذا ابن الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان وفزارة وذبيان فلما سمعت المرأة ذلك نظرت الى شاس وقالت له انت ابن زهير ابن جذيمة قال نعم أيتها الحرة الكريمة قالت لله درك ما انجبها فاتتم عشرة اخوة اشقاء . قال شاس نعم ياسيدة النساء قالت له وكيف وصل القوم اليك وقدروا عليك ورأى الشجاعة لائحة بين عينيك قال لها شاس والله ما قدروا على الا وانا تعبان وما كان معى غير عشرة من الفرسان فاخذونى بعد ان قتلت منهم عشرة شجعان . قالت الله يسبب لك الخلاص ياوجه العرب لانكم قوم موصوفون فى الشجاعة وعلوا النسب الا انه ليس عندكم شىء من الفصاحة وفن الادب . قال لها شاس ياحرة العرب وانتم من عندكم من بنى قحطان حتى تعيرى بذلك بنى عبس وعدنان قالت نحن عندنا امرء القيس الذى قصيدته على البيت الحرام يسجد لها كل من يدعى النثر والنظم وفصيح الكلام . وهى التى فى مطلعها الأول ، وقف واستوقف ، وذكر الحبيب والمنزل ، حيث يقول : صلوا على سيد الفصحاء طه الرسول :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوا بين الدخول فحومل

وله بعدها أفصح منها التى فى أولها :

خليل مربى على أم جنـــدب لنقضى لبانات الفؤاد المعـذب
ألم تريانى كلمـا جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقال لها شاس ياخالتاه نحن لنا عبد يرعى الجمال وهو فصيح اللسان قد الحقناه بأنسابنا وشاركناه فى احسابنا يقول من الشعر مالم يسبقه اليه احد من ارباب هذه الصناعة ولا يقـدر ان يضاهيه فى الفصـاحة والبراعة ولو كنا نعرف قدره ونضعه فى مكانه لكان ساد وافتخر على جميع العرب بفصاحة لسانه وقوة جنانه وكان يصير اوحد زمانه قالت وقد اظهرت الفرح من كلامه وما الذى قاله عبدكم من نظامه انشدنى منه شيئا حتى اقابله بشعر غيره من العرب وارى هل يستحق ماادعيت له من الرتب فأنشد . صلوا على الحبيب افصح العجم والعرب :

لعوب بالبـاب الرجال كأنهـا اذا أسفرت بدر بدا فى المحاشد
شكت سقما كيما تعاد وما بهـا سوى فترة العينين سقما لعائد
من البيض لا تلقاك الا مصـونة وتمشى كغصن البان بين الولائد
كان الثريا حين لاحت عشـية على نحرها منظومة فى القـلائد
منعمـة الاطراف خود كأنهـا هلال على غصن من البان مائد
حوى كل حسن فى الكواعب شخصها فليس بها الا عيوب الحواسـد

قال الأصـمعى فلما أنشـد شاس هذه الأبيات تمايلت النسا طربا وتبسمت العجوز عجبا وقالت ان هذا من كلام ظرفاء العشاق . ولقـد جمع هذا العبد بين الألفاظ الفصيحة والمعانى الرقاق فلعل هذا الكلام من شعر عنتر بن شداد الذى يحب عبلة بنت مالك بن قراد قال شاس اى والله ياخالة واراك به عارفة قالت نعم لأنى سمعت به فى هـذه المدة وانا عند قومى فى بنى كندة فهل تزوج بعبلة ام لا . قال شاس لا والله انا منعته منها وبغيت عليه. فوقعت فى هذه النكبة جزاء ما أسأت به اليه وقد عاهدت الله انى ان سلمت من هذه النوبة كنت عونا له على

ما يشاء واقبل يديه ورجليه فى الصباح والمساء

قالت العجوز قاتل الله الظلم ما اسرع مجازاته واعظم مكافأته واذا كنت على هذه النية فلا تيأس من الحياة ولا تفزع من حلول الوفاة ثم خرجت العجوز من عنده بعدما أوصلت زوجة ميسور عليه وقام يعلل نفسه بلعل وعسى الى ان مضى النهار وامسى المسا

وكانت هذه العجوز هى العجوز الكندية التى خلصها عنترة هى وبناتها الثلاث من سبى الصدام حينما كان سائرا الى البيت الحرام وكان الحى الذى اوصلهم اليه هو حى الفتى ميسور الذى عبده شاس مأسور وكانت العجوز قد سمعت بحديث شاس فدخلت عليه وتحدثت معه بذلك الكلام الرقيق وعادت وفى قلبها من اجله نار الحريق لأنها سمعت منه كل ما كان عنتر حدثها به فى الطريق فدخلت الى مضربها ودعت زوجها الأشعث بن عباد واخبرته بالخبر وقالت له قد وجدنا شيئا نكافىء به عنترة لأن هذا الرجل العبسى ان تخلص على ايدينا اعانه على زواج بنت عمه عبلة وكشف عنه ما شكاه الينا من الهم والذبلة فقال الأشعث شدقت فانك نعم المشير ولكن كيف يكون التدبير فقالت تركب ناقتك وتطلب مكة وتعلم بهذا عنترة بن شداد واتركه يدبر بعقله كيفما اراد قال الشيخ لقد قلت الصواب واحسنت الجواب ثم ان الشيخ ركب ناقته وسار من أول الليل فاندفقت به مثل السيل وبقيت العجوز بعده خائفة يجول فى قلبها الوسواس من ان يعود ميسور من عند الملك عبد المدان ومعه الاذن بقتل شاس قال وبعد ثلاثة ايام قدم ميسور ومن معه من الفرسان وحضر معه عشرة فوارس ايضا من خواص الملك عبد المدان وكان ميسور بغاية الفرح والسرور لأنه لما وصل اليه وشاوره على قتل شاس قال اقتله وخذ منه بالثار واذا قدرت على سائر بنى عبس لاتبق منهم من ينفخ النار فعند ذلك عاد ميسور وقد زال عن قلبه اليأس ومعه عشرة فوارس وقد اتوا معه يتفرجون على قتل شاس ولما نزل ميسورى فى ابياته امر عبيده بذبح النوق والاغنام وتصفيف اوانى المدام واخذ فى طعامه وشرابه مع خلانه واصحابه ودعا سيد الحلة موهوب بن يزيد

وجمع السادة والعبيد وقدم شاس الى بين يديه وصار ميسور يشرب ويصب الفضلة عليه وشاس يبكى من شدة الذل والهوان لأنه ملك من ملوك الزمان وكان ميسور كلما رآه يبكى يقول له ويلك لما طعنت أخى فى صدره فاطلعت سنان رمحك من ظهره ما رحمت بكاء عياله ولا تشفقت على تيتم اطفاله والله لأتركنك تمام الاسبوع وانت مصلوب على الخشب تتفرج عليك جميع العرب والاماء حولك تضرب بالدفوف والمزاهر حتى يعتبر فيك كل غائب وحاضر هذا والعجوز الكندية تسمع وقلبها يتقطع ودام الامر كذلك حتى اظلم الظلام وتحكمت فى القوم كؤوس المدام وتفرق اكثرهم الى المضارب والخيام وذهب موهوب سيد العشيرة الى ابياته وبين له جماعة من عبيده وامائه ونام ميسور بعد ما شرب حتى انقلب وكذلك الذين معه من رجال العرب وانطرحت العبيد من شدة التعب وبقى شاس وهو فريد وحيد وقد ذاب قلبه من الذل والغم الشديد فاخذ فى التعديد والنواح لأنه ايقن بالقتل عند الصباح فأنشد يقول صلوا على المحمود طه الرسول

ترى فى الظلام الليل مثلى محير ... غريب على أوطانه يتحسر
وعند ضياء الفجر تنهبه العدا ... ببيض حداد أو يقاد فينحر
فيا نسمات الريح بالله عرجى ... على العلم السعدى عسى منك مخبر
يخبر قيسا والربيع ومالكا ... بحالى فلى عهد مع القوم يذكر
لعلى أرى منهم معينا وناصرا ... يخلصنى ان كان قتلى يؤخر
ظلمت بجهلى ابن عمى ففادنى ... الى الظلم جبارا الى الظلم أقدر
فان كان لى عمر غسلت بأدمعى ... أسافل رجليه ولا أتكبر
ترى يابنى الاعمام اسمع فى الدجى ... مناد ينادى أو بشير يبشر
بأن غبار الخيل قد ثار نقعه ... عجاجا ومن تحت العجاجة عنتر
وتصبح أرض القوم ترجف خيفة ... لهيبته والجو اقتم أغبر
علالة قلبى لا تصح وانما ... أعلل نفسى بالمحال وأصبر

قال جهينة ياسادة بقى شاس يحن حنين الثكلى وينتظر الفرج من الرب الأعلى فبينما هو يحدث نفسه وقد انقطر وذاب اذا هو بشخص قد

اقبل وهو يحبو على يديه ورجليه وعليه ثياب سود مثل لون الغراب وهو يقول ابشر بالخلاص من هذا العذاب ثم تقدم اليه وفك القيود من رجليه وقال قم واتبعنى ياعبسى فانى اليوم افديك بنفسى . قال الراوى فلما سمع شاس هذا الكلام ظن انه فى المنام ومن ساعته ثبت نفسه وقام وصار يتبع الشخص الذى قدامه وقد ستره الليل بالظلام حتى وصل الى اطراف البيوت وهو حائر مبهوت فادخله الى بيت كبير هناك فاحله فيه وقال له ابشر بالسلامة من الهلاك هذا وشاس قد بقى حائرا من هذا الحال لا يدرى من فعل معه هذه الفعال ولما سكن روعه تفرس فى ذلك الشخص فاذا هو العجوز الكندية التى دخلت عليه وناشدته الاشعار فقال لها شاس وقد حار واخذه الانبهار ياحرة العرب جزاك الله خيرا ولا اراك سوء ولا ضيرا وانا اشتهى ان ارجع سالما الى الأوطان حتى اكافئك على بعض هذا الاحسان فقالت له اما انت ياشاس فما بقى عليك من خوف ولاباس واما الجميل الذى تريد ان تعمله معى فاعمله مع ابن عمك عنترة بن شداد وساعده حتى يملك عبلة بنت مالك بن قراد وهذا عهد عندك من الله رب العباد انك اذا اجتمعت به تقبل عنى جبينه ويديه وتجازيه الجميل الذى تقدر عليه ثم حدثته بما أصابها مع الصدام بن سلهب فى تلك القفار وما فعل عنترة معها ومع زوجها من الجميل وكيف خلصها هى وبناتها من السى والاسار ثم اعلمته انها ارسلت زوجها الى مكة يعلم عنترة بما هو فيه حتى يدبر على خلاصه من الدمار لكن لما علمت انه سيقتل من الغد لم يعد لها اصطبار فاحتالت هذه الحيلة وسرقته قبل ان يطلع النهار . قال فلما سمع شاس ذلك الكلام بكى ندما على فعله مع عنتر وهو قد فرح بالخلاص واستبشر . وقال فى نفسه انظر ياشاس هذا صنيع عنترة وهو ابن امة معنا ومع العرب ونحن نفعل معه هذه الافعال وندعى الحسب والنسب فما هذا الا رأى فاسد وعمل ظالم وحاسد والآن أحسب ان أمى ولدتنى من جديد واترك ذاك الرأى الباغى العنيد ويلك ياشاس هل يوجد رجل مثل عنتر لقد نظر ابوك وهو بعيد النظر بأنه يستاهل ان يأخذ عبلة واختى المتجردة ولا تعظم عليه ملكة ولا سيدة ولو رضى بالمتجردة عوض عبلة لخاطبت ابى فى ذاك واعطيت مهرها من مالى وعملت

له وليمة من نوقى وجمالى ولكن ان ساعدتنى الأقدار لابد لى ان ابذل فى قضاء حاجته المجهود وارغم كل انف مبغض وحسود . قال الراوى ومن ذلك الوقت زالت بغضة عنترة من قلب شاس وصار عنده اعز الناس ثم ان العجوز اتته بشىء من الزاد فاكل وطاب قلبه وخف كربه والبسته بعد ذلك ثياب النساء وبرقعته واجلسته بين بناتها فى داخل الخباء قال الراوى ولما انشق الفجر انتبه ميسور وهو مخمور وقام من منامه وعاد الى مقامه ودعا من عنده من المولدات وامرهن بنقر الدفوف والمزاهر ورخامة الاصوات وطلب من العبيد احضار شاس حتى يعذبه قبل قطع الرأس فتبادروا الى المكان الذى كان فيه شاس موثوقا فما وجدوه ثم عادوا الى سيدهم ميسور واخبروه فلما سمع ميسور ذلك تنغص عليه صبوحه وكادت ان تخرج روحه وانقلت مقل عينيه وكاد ان يغشى عليه ثم انه ركب وصاح فى الرجال فتفرقوا فى جميع الطرق بين السهول والجبال وغاصوا فى اقطار القفار ثم عادوا فى آخر النهار وما فيهم من وجد المفقود ولا نال شيئا من المقصود فلطم ميسور على وجهه حتى ادماه وصاح من شدة حرقته وادم اخاه . قال وكان فى الفرسان الذين اتوا معه من عند عبد المدان رجل شيطان فى صورة انسان خبير بنوائب الزمان يقال له الشريد بن هامان فقال له يا ميسور قم فتش على غريمك فى هذا اليوم فانه مازال فى هذا الحى بين أبيات القوم ومن الصواب انك تفتش العشيرة ولا ندع فى جميع بنات الحى لا صغيرة ولا كبيرة فتكون أنت مفتش الرجال ونساؤك تفتش النساء والبنات وتكشف براقع المخدرات فلابد ان تجد الغريم بين الرجال والحريم أو الابكار بهذه التدابير فى جميع الاقطار وتؤرخها فى الكتب والأسفار فاستصوب ميسور هذا الرأى السديد واستأذن مقدم العشيرة موهوبا بن يزيد واقام بعد ان اصبح الصباح فبدأ التفتيش فى البيوت والمنازل وقال له الشريد فتش انت ودعنى آخذ اصحابى واقف بهم على الطرقات واجعل عينى لكل خارج وداخل فقال له ميسور افعل مابدا لك وتمم احسانك وافضالك ثم ان الشريد اخذ فى مكان قد عزم عليه من ربط الطريق وأخذ اصحابه وأوصاهم باليقظة وحسن الملاحظة

بالتدقيق فعلمت العجوز بما فعل فالتهب قلبها واشتعل ودخلت على شاس واعلمته بذلك فارتجفت اعضاؤه وايقن انه هالك وقال كيف يكون التدبير يا خالتاه قالت اصبر ياشاس لترى العجب ولا تيأس من السلامة ولا تخف من العطب ثم ان العجوز جاءت بمرجل كبير وغلت فيه شيئا من العقاقير وعرت شاسا من لباسه ولطخته من قدمه الى رأسه فاذا هو أسود غريب بصاص كأنه عمود من الرصاص والبسته زى العبيد واخرجته معهم امامها وامرتهم بسوق المواشى قدامها وسارت بهم كأنها طالبة المراعى وهى تجد كالساعى وكان أول من التقاها فى الطريق الشريد ابن هامان فلما رآها عدل اليها وهو يسعى على قدميه كالغزلان فالتقته العجوز وهى تقول لله درك ايها السيد وحق ذمة العرب لقد احسنت التدبير وعملت عملا ما سبقك اليه احد من الحكماء والمشاهير وانا ارجو أن الله يظفرك بهذا العبسى الملعون حتى أشفى منه غليل قلبى المحزون لأنه ما ألبسنى السواد الا بنى عبس الأوغاد ثم ان العجوز مرت على حالها طالبة المرعى والابل قدامها تسعى وقالت لشاس يافتى ان الحرس الذى كنت تخاف منه قد ذهب ونجوت من المخاوف والعطب فانج الساعة بنفسك واطلب البيت الحرام واذا اجتمعت بعنتر فاقرأ منى عليه السلام قال الراوى فعند ذلك ودع شاس العجوز وسار هايما على وجهه فى الفلاة وهولا يصدق بالنجاة وجد فى المسير وقد امسى عليه الليل وقد تعب مما قاساه وقلت منه القوى والحيل فقعد ساعة وقام عدل عن الطريق ونام حتى مضى اكثر الظلام فقام يسعى يطلب البيت الحرام الى ان تضاحى النهار وقد أمن على نفسه من الاخطار واذا بعشرة فوارس قد اعترضته وتفرقت حواليه وتقدم المقدم على القوم اليه وتفرس فى وجهه وقال يابنى عمى هذا هو السلال الذى كان يدور حول الأطناب وسرق جوادى سكاب ثم ان المقدم قبض على شاس وترك الحبل فى عنقه كالأسير وسار يقوده كالبعير ويقول له ويلك يا عبد السوء ما قنعت بالذى سرقته اول مرة حتى كررت ثانى كرة وحق الكعبة الغراء وابى قبيس وحراء لانحرنك من قفاك ولا طيلن اليوم عذابك وبلاءك ويلك اين مضيت بالفرس التى سرقتها تحت الغلس فقال له شاس ياوجه العرب والله ما انا سلال ولا عبد ولا محتال ولا اعرف هذا المقال

انا شاس ابن الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان وقد وقعت هذه الارض ولاقيت مالقيت مما لا يوصف بلسان وبهذه الحيلة تخلصت من نوائب الزمان ثم انه حدث القوم بما تم عليه فى تلك السفرة وكيف تخلص من القتل بحيلة العجوز وعناية القدرة قال وما أتم شاس كلامه حتى وثب اليه فارس يقال له غابق بن كليب ولطمه على وجهه فكاد ان يطير مقل عينيه او يعمى ناظريه وقال لأصحابه يا ابنى عمى هذا ابوه زهير قد قتل ابى وتركنى يتيما وانا صبى وقد سهل الله على اخذ ثارى وانا قريب من ديارى فخذوا كل ما تملكه يدى وسلمونى العبسى لكى اكشف بقتله عارى . فبينما القوم فى الكلام اذا بالغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الأقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن رجل يجرى كأنه السحاب المرسل والقضاء المنزل وظهر من بعده فارس بالحديد غاطس كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل والى جانبه شيخ كبير راكب على مطية تسبق الرياح الغربية فلما نظروا القوم ذلك تأهبوا للقتال ووقفوا ينظرون الى الرجل وهم يتعجبون من خفة جريه الذى لا يقدر عليه الغزال فلما قرب منهم تفرس فيه شاس فعرفه انه شيبوب والفارس الذى وراءه أخوه عنتر البلاء المصبوب وذلك الشيخ هو زوج المرأة الكندية التى خلصت شاس من قبضة المنية فلما رأى شاس هذا المنظر فرح واستبشر وأيقن بالسلامة من الخطر ونادى ويلك ياشيبوب ادركنى فانا ابن ملككم شاس وقد ضاقت منى الأنفاس . فلما سمع شيبوب صياح شاس صاح على اولئك الرجال ورماهم بالنبال وناداهم ويلكم يا اولاد اللئام الانجاس خلوا عن الملك شاس قبل ان يدور عليكم ملك الموت بالكاس ولا يبقى منكم ذنب ولا رأس ثم نادى اخاه عنترة وقال له يا اخى الحقنى فقد قرب الله علينا الطريق واراحنا من التعب والتعويق . قال وكان السبب فى مجىء عنتر هو الأشعث بن عباد الكندى زوج العجوز الكندية التى دبرت لشاس هذا التدبير وخلصته من البلية وذلك ان الشيخ لما قصد عنترة بقى سائرا حتى وصل الى البيت الحرام وأخذ يسأل عن عنترة فارشده الناس اليه فلما اجتمع به قص قصة شاس عليه وكان عنتر قد نزل بوادى الحرم وقطع رجاه من بنى عبس ومن سائر الامم وسار يتسلى فى الليل بأخيه شيبوب وفى النهار بالصيد والقنص ويخفف ما بقلبه من الهموم والغصص وما زال كذلك حتى وصل اليه الشيخ

واخبره بما جرى لشاس وانه خلاه على حالة اليأس فقال شيبوب الى حيث القت رحلها ام فشعم . فانه لأخى عنتر العدو الاعظم فلا خلصه الله من هذه الضربة ولا فرج له كربة قال عنترة لا تقل هكذا ياشيبوب فان شر الناس من حقد وكتم والظلم آخره الندم فلا يأمن عواقبه احد قال فلما سمع شيبوب من عنتر هذا المقال قال لله درك ما اطول هذا البال كم تحمل هذه الأحمال الثقال وتدوخ نفسك فى تخليص اعداك احبهم اليك يتمنى لك الهلاك فاقعد وارح نفسك من هذا التعب فقد كفاك مالقيت من الأهوال وما حصلت الا على كثرة الاعداء ولا سيما من هؤلاء القوم الانذال والى كم تذل نفسك هذا الاذلال والى كم تحمل هذا الاحتمال ويلك اليس لك قلب ولا مرارة وليس فى بدنك حمية ولا حرارة كم هذه المفاسات التى تذيب الحديد وتفلق الجلاميد فعندها ضحك عنتر من شيبوب فقال يا اخى الامال لا تنال الا بالصبر لأن من صبر قدر ومن لح عثر اذهب قدامى وانظر ما افعل فوحياتك لاتركن كل اعدائى اصدقائى بفعالى وادع صغيرهم وكبيرهم يقبل برغم انفه تعالى فتعجب الشيخ من سعة صدره وايقن بنجاح أمره سار الشيخ وعنترة وشيبوب يقطعون الارض حتى التقوا بشاس على تلك الحالة فى ذلك المكان وقد وقع مع اولئك القوم وكانوا من بنى الريان ولما رآهم شيبوب رماهم بالنبال فمالوا اليه بالرماح الطوال وقصدوه من اليمين والشمال فصاح عند ذلك على اخيه عنترة واعلمه بالخبر فحرك جواده الابجر وقوم بين اذنيه الرمح الاسمر وصرخ صرخة تفلق الحجر وحمل مثل الاسد الغضنفر وما وصل اليهم حتى كان شيبوب رمى منهم ثلاثة بالنبال وطرح عنتر فى طرفة عين ستة رجال ولم يسلم من القوم سوى فارس واحد لأنه كان تحته حجرة سابقة ففرت به كالغزال الشارد واشتغل عنترة بشاس وترجل اليه وحل كتافه ونزع الحبل من عنقه وانكب على قدميه هذا وشاس مطأطىء الرأس من شدة الحيا وقد غلبه البكا ولايدرى هل كان فى ارض ام فى السماء فقال له عنترة مابالك يامولاى لااشغل الله لك سرا ولاضيق لك صدرا فماخلقت الرجال الا لمقاسات الاهوال قال شاس لا والله يا ابا الفوارس ما انا منزعج من اجل هذا الحال ولكن من ما قابلتك به من قبيح الفعال فوحق

البيت والاركان ان قتلى كان اهون على من هذا البغى والطغيان ولكن اقسم باللات والعزى والهبل الاعلى ان لم تمكنى مما اريد قتلت نفسى بيدى وانهب بالحسام جسدى قال عنترة قل يامولاى مابدالك حتى ابلغك آمالك قال شاس اريد ان اقبل قدميك حتى اكون قد وفيت نذرى الذى نذرته ان اوصلنى الله اليك ثم انه انكب على اقدام عنترة يقبلها ويتذلل وعنترة يقسم عليه ان لا يفعل وينهاه فلا يقبل وشيبوب يقول له يا شاس نحن مانريدك ان تقبل قدميه بل نريدك ان تزف عبلة عليه قال شاس اذا وصلنا الى الحى سالمين فعلت مافدرنى عليه رب العالمين ثم ان شيبوبا مال به الى بعض الغدران واغتسل به من ذلك السواد وعاد به فالبسه عنتر من بعض ثيابه وقدم له جوادا من خيول بنى الريان ومشى فى ركابه كما يمشى الجندى فى ركاب السلطان ثم اقبل عنترة على الشيخ وقال له يامولاى خذ انت بقية هذه الخيول والاسلاب وعد الى اهلك جزاك الله خيرا على جميل فعلك ولا بد ان تقرأ سلامى على تلك العجوز التى ليس لها نظير وتقدم لها الشكر على ما صنعته مع مولاى شاس من حسن التدبير فذكر الشيخ افضاله وودعه ودعا له ومضى طالبا عياله وعاد عنتر وشاس يطلبان الديار وشيبوب يدلهما على الطريق وهو منطلق قدامهما كالحجر المنطلق من المنجنيق وعنتر يحدث شاسا ويسليه وشاس يحدث عنتر بما كان يقاسيه قال ولم يزالوا يقطعون الارض حتى تنصف النهار واذا الغبار من خلفهم قد ثار ثم انكشف عن خيل بنى الريان يقدمهم اميرهم حسان وكان سبب قدومهم الفارس الذى سلم على حجرته ونجا من دون رفقته فانه وصل الى بنى الريان وهو خافق الفؤاد واخبرهم بما جرى على اصحابه من سيف عنترة بن شداد فعند ذلك صاح حسان بالرجال فركبوا وغاصوا فى القفار واقتفوا خلف بنى عبس الآثار حتى ادركوا شاسا وعنترة فاستبشروا بنوال الظفر ولما وقعت العين على العين صاح حسان وطلبهم بمن معه من الفرسان ونظر شاس الى تلك الكتائب فايقن بحلول النوائب وقال فى لهفة كم اهرب من الموت وهو لى طالب فلما سمع عنتر كلامه تبسم وقال يامولاى لاتزعج سرك ولا تضيق صدرك فلو كانوا الفين او اكثر فرقهم عبدك عنتر ثم ان عنترا اشار الى شاس وهو ينشد

ويقول صلوا على صاحب الجاه العريض طه الرسول :

دع الخوف يامولاى عنك وطب قلبا ... فدونك عبدا أسودا يقحم الحربا
وحقك لو كانوا ألوفا لقيتهم ... وفرقتهم شرقا وبددتهم غربا
أنا صورة الموت التى لو بدت له ... ولو فى منام مات من خوفه رعبا
تطيع سيوف الهند كفى لأننى ... اذا اشتد يوم الروع اشبعتها ضربا
وسمر القنا عند العدا تشكى الظما ... وعندى تروى حين أغشى الوغى شربا
علام أقول السيف يثقل عاتقى ... اذا أنا لم أركب به مركبا صعبا
سأحميكم حتى أموت ومن يمت ... كريما فلا لوما عليه ولا عتب
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... اذا انتضت الفرسان أسيافها الحدبا
أكر على الأبطال فى حومة الوغى ... أهز بكفى الرمح والصارم العضبا
حصانى وقلبى كالجبال كلاهما ... وسيفى ورمحى ينهبان العدا نهبا

فلما فرغ عنترة من هذه الابيات اطلق عنانه وقوم سنانه واستقبل الخيل بطعن خارق وضرب اشد من نزول الصواعق رصار والفرسان تتبع بعضها البعض وعنترة يفرقها فى الطول والعرض ويتكسها على ظهور الخيل الى وجه الارض هذا وشيبوب من ورائه يرمى بالنبال ويكفكف الابطال وفى اثناء ذلك وقع عنترة بحسان ابن صفوان مقدم بنى الريان وهو يحث الابطال ويصيح فى الرجال ويقول ويلكم ماهذه البلية التى طرقتكم من فارس واحد والعار الذى لبستموه عند كل قائم وقاعد وبينما حسان يقول لرجاله هذا المقال لم يشعر الا وعنتر قد ادركه مثل القضاء النازل وصوت فيه صوتا كأنه الرعد القاصف فارتجت منه المفاصل فلم يلتفت الى الصابح حتى كان عنترة طعنه فى صدره اطلع السنان من ظهره وقال لشيبوب خذ هذا الجواد لمولاك شاس وبشره بالنصر وزوال البأس ولما نظرت فوارس بنى الريان الى الطعنة التى طعنها لفارسهم حسان تطابقوا عليه من كل جانب وقصدوه بالسيوف البارقة والرماح الخارقة وهو يبرى بسيفه الرماح ويلقى بقوسه ضربات الصفاح ويخطف الارواح ويبدد الاشباح وشاس ينظر الى فعاله ويتعجب من شدة قتاله فوصل اليه شيبوب بالجواد وبشره

ببلوغ المراد فركبه وابتدر الحرب وباشر الضرب والطعن وكان شاس من الفرسان المعدودة فاقتحم الغبار وخاض فى الاعداء خوض البطل الجبار هذا وعنتر قد اقام الحرب على قدم وساق وطوق بالدماء الاعناق ولم يزل كذلك حتى اظلمت الدنيا واسودت الآفاق وعاد وقد اهلك منهم مائة بطل وشتت الباقين بين السهل والجبل وقال لشاس يامولاى ما كان هنا امر تتعب به نفسك وتتعرض للخطر فوحياة رأسك لو طال النهار ساعة أخرى ما تركت منهم من يخبر بخبر فتبسم شاس من كلام عنتر وعلم أنه يقدر على مايقول وأكثر وكان عنتر قد عول على النزول فى تلك الساحة للمبيت واخذ الراحة فقال شيبوب لاخيه عنتر لاتنزل هنا يا اخى لانى خبير بهذه البلاد ومنها سبانا ابوك شداد وقدامنا اذا طلبنا اهلنا على هذا الطريق تعب شديد وضيق وانا خايف من بنى الريان الذين سلموا ان ينفروا علينا القبائل ويدركونا بالجحافل وربما سبقونا الى باب المضيق ويبلونا بما لا نطيق والصواب ان تتبعنى حتى اسير بك فى عرض البر ونطلب بلاد اليمن ونسلم من البلايا والمحن ونعود الى ديار بنى زبيد ونكمن فى شعابها ونقضى الليل فى رمالها وهضابها الى ان نخرج من أطراف ارض غباغب ثم نركب الطريق الاعظم ونعبر بين جبل الخشاخش والتناصب وننحدر الى ديار بنى ربيعة ومن هناك الى ديار بنى عبس وعدنان ونستريح من حوادث الزمان فلما سمع عنترة هذا الخطاب سمعوا جاب وكانت الخيل معهم كثيرة فصاروا يغيرون الخيل ويقطعون الارض فى ظلام الليل فما اصبح عليهم الصباح الا وهم قد ابعدوا عن بنى الريان ولاح لهم وجه الامان وصار شيبوب يسير بهم فى عرض السير على غير الطريق الى ان عبر المضيق فركبوا الطريق الواضحة وجدوا فى المسير وامعنوا فى الجد والتشمير هذا وعنتر متعجب من معرفة شيبوب بالبلاد وخبرته بالشعاب والوهاد فلما كان فى الليلة السادسة نزلوا على مياه بنى غباغب واكلوا الزاد ولذ لهم الرقاد ولما كان السحر افاق عنتر وهو يتنهد ويتحسر فسأله شاس عن حاله وما سبب انزعاج باله فقال يا مولاى قد زارنى طيف عبلة فى الظلام فنفى عنى لذيذ المنام ثم عبثت به بلابل الغرام وجاش الشعر فى خاطره فانشد يقول صلوا على المجد اشرف رسول :

زار الخيال خيال عبلة فى الكرى ... لتميم نشوان محلول العرى

فنهضت أشكو ما ليقت لبعدها ... فتنفست مسكا يخالط عنبرا

فضممتها كيما أقبل ثغرها ... والدمع من جفنى قد بل الثرى

وكشفت برقعها فأشرق وجهها ... حتى أعاد الليل صبحا مسفرا

عربية يهتز لين قوامها ... فتخاله العشاق رمحا أسمرا

محجوبة بصوارم وذوابل ... سمر ودون خبائها أسد الشرى

يا عبل ان هواك قد جاز المدى ... وأنا العنى فيك من دون الورى

يا عبل حبك فى عظامى مع دمى ... لما جرت روحى بجسمى قد جرى

ولقد علقت بذيل من فخرت به ... عبس وسيف أبيه أفنى حميرا

يا شاس جرنى من غرام قاتل ... أبدا أزيد به غرا مسعرا

يا شاس لولا أن سلطان الهوى ... ماضى العزيمة ما نملك عنترا

فلما سمع شاس هذه الابيات جالت فى عينيه العبرات وندم على ما فات وقال له يا ابا الفوارس طب نفسا وقر عينا فوحق البيت الحرام وما فيه من الآلهة العظام لآخذن لك عبلة ولو انها تحت الأرض السابعة او فوق السماء الرابعة وبعد ذلك ركبوا وساروا يقطعون الروابى والآكام مدة عشرة ايام فوقعوا فى ارض يقال لها ذات الاعلام فرأوا بها ستة هوادج على ستة جمال وفوق كل هودج منها هلال وعليه ثياب الديباج مرصعة بالذهب الوهاج وحولها زمرة من العبيد وكلهم بالدرق والسيوف الصقيلة وعليهم الثياب الجميلة وقدام الجميع فارس عظيم الهيكل كأنه قطعة من جبل وهو يختال على فرسه كأنه احد الاكاسرة او بعض القياصرة فقال عنترة لشاس ناظر يامولاى الى هذا الفارس العابر فى هذه الارض وهو يقطعها فى الطول والعرض وليس معه غير عبد واحد فما هو الا فارس مارد قال شاس والله يا ابا الفوارس لا يخلو هذا الفارس اما ان يكون عالى النسب من ارباب المناصب والرتب او جبارا من جبابرة العرب الذين لا يخافون من العطب ولو انه مقدم على عظائم الاهوال ما سار وحيدا فى هذه الرمال احتقارا منه للرجال وثقة بنفسه عند لقاء الابطال والرأى عندى انك ترسل اخاك شيبوب يسأله عن حاله ويسمع ما يبدى من مقاله هذا وعنتر قد تطلع الى جنبات

البر فرأى تلك الهوادج ترفل من خلفه ويلتفت اليها ويهتز عجبا من عطفه فقال لشاس يامولاى ان هذا الفارس قد ركبه الغرور والجهل قد اعماه حتى اطفأ من عينيه النور فان مسيره فريدا يدل على احتقاره الرجال واستخفافه بالابطال وهذا مما لا تقبله انفس الجبابرة ولو كان صاحبه من ملوك المناذرة ولابد لى ان اتعرض له وارغم انفه وان تمرد اهلكته واخذت هذه الهوادج التى خلفه ثم قال لشيبوب تقدم اليه بالانذار وقل له يسلم نفسه قبل الهلاك والدمار فعند ذلك اطلق شيبوب ساقيه للريح وطلب عرض البر الفسيح وكان هذا الفارس قد نظر الى شاس وعنتر وانكر مسيرهما وحدهما فى البر الافقر ورأى شيبوب لما انفرد عنهما فى طلبه علم انه قادم اليه ليسأله عن حسبه ونسبه فقال لبعض عبيده ويلك انطلق الى هذا العبد المقبل الينا واعلمه من أنا من فرسان العرب ولا تتركه يدنو الى الهلاك والعطب واستخبر منه ان كانت اصحابه من فقراء العرب يحضر بهم الى حتى اهبهم شيئا من الفضة والذهب وان كانوا من أهل البغى والطمع فقل له يردهم الى الوراء ولا يعرضوا أنفسهم لسوء المصرع فعند ذلك تقدم العبد حتى قارب شيبوب وصاح عليه الى اين أيها الساعى الى حتفه برجليه والطامع فى مالا يصل اليه فقال له شيبوب أرجع الى من أرسلك وقل له يسلم مافى يديه قبل ان يتمكن الحسام من وريديه ويرى اسهم المنايا نافذة من أسرع الذى عليه فقال له ويلك يا عبد اللئام لقد أسأت الأدب فى الكلام واليوم تشرب كأس الحمام من يد هذا الفارس الذى تضرب به الأمثال وترتعد من هيبته فرائص الرجال فقال له شيبوب ويلك والى من تنسب هذا الغلام ومن يقال له من السادة الكرام والى اين انتم سائرون بهذه الهوادج العظام فقال العبيد أما نسب فارسنا فرفيع وجانبه منيع واسمه روضة بن منيع واما قصده يا ابن الخالة فانه طالب ديار بنى عبس يريد ان يخطب عبلة بنت مالك بن قراد ويقتل ابن عمها عنترة بن شداد ويغمر قومها بالنعم والأموال لكثرة ما وصف له فيها من الحسن والجمال .

قال الراوى وكان هذا الفارس شجاعا وقرما مناعا وكان ابوه منيع لما مات خلفه صغيرا وترك له من المال شيئا كثيرا فربى فيه الى ان بلغ مبالغ الرجال وضيع اكثر امواله على الابطال وكان له ابن عم يقال له الأسموع بن دراع وكان يبغضه لأنه كلما رآه يطلب الفروسية يحسده

ويشتهى أن يقتل فى بعض الوقائع وكان روضة كلما ذكروا له الامارة بعد أبيه يقول أنا ما أريد الا ان القى فارسا يقهرنى فى الميدان حتى أكون عبدا له على طول الزمان فسمعه ابن عمه الأسموع فصار يعرض له بذكر حديث الفرسان حتى أوصله الى حديث عنترة بن شداد وعشقه عبلة بنت مالك بن قراد وما قال فيها من الأشعار التى سارت بها الركبان الى جميع الأقطار وما فى هذه الجارية من الحسن والجمال الذى يسبى عقول النساء فضلا عن الرجال ويقول له من قهر عنترة وأخذ عبلة فقد أفتخر وساد على جميع العباد فوطن نفسه وشدد عزمه على ذلك واتى بأمه واخوته حتى يخطب عبلة بنت مالك وأخذ معه كثيرا من الأموال والهدايا والتحف الغوال ولما نظره عنترة أنفذ له أخاه كما ذكرنا ليستقصى منه الخبر فعاد شيبوب وهو ضاحك يصفق بيديه ويفحص فى الأرض برجليه وأعاد ما سمعه من العبد عليه فضحك عنترة حتى أستغرب وقال يا للعجب وحق ذمة العرب ان هذا الحديث يستحق ان يؤرخ ويكتب على صفائح الفضة بماء الذهب فقال شاس والله يا ابا الفوارس ان لكل منية سببا ومنية هذا الغلام سببا الجهل الذى قاده الى العطب ثم ان عنتر قفز بالجواد حتى قاربه وناداه ياوجه العرب ان الله قد قرب عليك الطريق واعطاك السعادة والتوفيق فلما سمع روضة كلام عنترة تبسم وحرك الجواد نحوه وتقدم ولما صار بازائه رأى الشجاعة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه فقال له أيها لفارس من تكون من فرسان القبائل فانى أرى للشجاعة عليك دلائل قال عنترة انا الفقير عنترة ابن شداد الذى تريد ان تقتلنى وتأخذ ابنة عمى مالك بن قراد فلما سمع روضة كلام عنترة عاد نحو الهوادج وهو يقول يا اماه ابشرى فقد بلغت المآرب وتيسرى على المطالب هذا عنترة ابن عم عبلة قد لقيته هنا وببركة دعاك قد بلغت المنى فما اتم الكلام حتى رفع سجف الهودج الاكبر وأخرجت أمه رأسها ونظرت الى عنترة فقالت من يكون هذا العبد الطنجير حتى يتعرض لبنات الحرير العربيات وهل يستطيع ان يلقى مثلك من كرام السادات فارجع اليه واقطع رأسه بضربة واحدة والحقه بدوارس العرب البايدة قال نعم اننى أعجل اليه أقدامى قبل ان يفر من امامى فى الحال رجع الى عنترة وحمل عليه وهو ينشد ويقول صلوا على المكمل طه الرسول

لما رآنى زمانى لان جانبه ... وذل وانصرفت على نوائبه
ولو يعاندنى عممتا مفرقه ... بمرهف الحد لا تنبو مضاربه
أنا الذى سجدت سمر الرماح له ... وسابقته الى جيش يحاربه
وصاحبته سيوف الهندجاهدة ... كأنهن بنوه أو أقاربه
كم جحفل من حسامى فر منهزما ... وحار فى سعة الارضين ماربه
وكم قتيل تركت الطير عاكفة ... على دماه ووحش البر طالبه
ياعبل سعدك وافى فابشرى بفتى ... يفنى الزمان ولا تفنى مناقبه
يا عبل عبدك قد حانت منيته ... على يدى وقد قامت نوادبه
فليفرحن أبوك اليوم مبتهجا ... ويرقد الليل ما سارت كواكبه

قال الراوى فلما سمع عنترة شعر روضة زاد به الغيظ والحرد حتى كاد يفتق ما عليه من الزرد وقال له قاتلك الله ما اجهلك وما ابعد املك لعن الله بطنا حملك ثم قفز بالحصان اليه وصمم بالحملة عليه وأجابه على شعره يقول . وأنشد صلوا على النبى محمد

كم يبعد الدهر من أرجو أقاربه ... على ويبعث شيطانا أحاربه
فيا له من زمان كلما انصرفت ... صروفته فتكت فينا عواقبه
دهر يرى الغدر من احدى طبائعه ... فكيف يهنأ به حرا يصاحبه
جزيته وأنا غر فهذبنى ... من بعد ما شيبت رأسى تجاربه
كم ليلة سرت فى البيداء منفردا ... والليل للغرب قد مالت كواكبه
سيفى أنيسى ومهرى كلما نهمت ... أسد الدحال اليها مال جانبه
وكم غدير مزقت الماء فيه دما ... فجاء وحش البرارى وهو طالبه
يا طامعا فى هلاكى رح بلا طمع ... ولا ترد كأس حتف أنت شاربه

قال الراوى وما اتمم عنترة كلامه حتى صدمه روضة وصال معه وجال فاستقبله عنترة احسن استقبال وقال اهلا بخاطب البنات وقاتل الرجال وطاوله ساعة واظهر قدامه الكسل تطمع فيه روضة وظن ان ذلك من باب الضعف والفشل فمد الرمح اليه وحمل وهو يقول انزل عن

الجواد يا عبد السوء وترجل قبل أن تشرب شراب الأجل هذا وعنترة قد وقف بعيدا حتى قاربه فالقى الرمح من يده وجذب سيفه من غمده ولما رآه روضة قد رمى الرمح ظن أنه يريد ان يسلم نفسه فتلقاه بطعنة ظن أنها تسكنه رمسه وقال خذها من يد روضة الفرسان والآن قد ظهر الشجاع من الجبان فجذب عنترة السيف أسرع من ارتداد طرفه وضرب به رمح روضة فبراه من نصفه وانقض عليه حتى حك الركاب بالركاب وقال عيب على ان أشهر سلاحى على الكلاب ثم لطمه بقفا يده على صدره فألقاه عن جواده على ظهره فغاب من تلك اللطمة وما أفاق على نفسه حتى كان شيبوب قد شد كتافه وأوثق سواعده وأطرافه وساقه الى بين يدى أخيه عنترة كالثعلب قدام الأسد الغضنفر فقال بارك الله لك فى هذا الزفاف يا روضة الزمان ويهنيك قتل عبد بنى عبس وعدنان والله لأقتلك الا بهذه العصا فانك لست أهلا للسيف والسنان فعند ذلك رمت اخواته الخمس وامه انفسهن من الهوادج وكشفن البراقع عن وجوه مثل البدور الطوالع وأكثرن من الصياح والبكاء والنواح وقلن لعنتر يافارس الزمان بحرمة جدك عدنان ارحم تذللنا ووقوفنا فى هذا المكان وان أردت ان تقتل هذا الفتى فاقتلنا قبله حتى لا ترى عيوننا قتله ثم تقدمت أم روضة اليه وجعلت تقبل يديه ورجليه وانشدت تقول صلوا على الرءوف الرحيم طه الرسول :

يا فارس الخيل بالله ارحم الحر	وكن لنا من تصاريف الزمان حمى
وان عزمت على ما أنت فاعله	من قتله فاسقنا قبله العدما
حاشاك تفجعنا فى فارس سمحت	به الليالى وتبكينا عليه دما
لاقاك ظلما فعاد الظلم يتبعه	فارحم صباه وسامحه بما اجترما
أنت الشجاع الذى ان سل صارمه	يوم الوغى نثر الاعناق والقمما
يا فارس الخيل يا من لا نظير له	ارحم مذلتنا يا خير من رحما
ولو تفاخر أهل الارض كلهم	كانوا جميعهم أرضا وأنت سما

ثم انعكفت اخوته الخمس على أقدام عنترة وهن منشورات الشعر ينادين بالويل والثبور ويلطمن الوجوه ويقرعن الصدور وينشدن الأشعار المبكية ويقدمن له الأستعطاف والترضية فذرفت من عينيه

العبرات وأستحى من العجوز والبنات لأنه كان مع شدة بأسه رقيق الفؤاد وكان حليما لا يصر على الغضب والعناد فأمر باطلاق روضة وقال له من الآن أعرف مقدار نفسك بين الرجال ولا تظن عنترة بن شداد مثل من تعرفهم من الأبطال . قال الراوى هذا كله يجرى وشاس قد أذهله حسن تلك البنات الابكار وتعجب من مروءة عنترة وقال فى نفسه والله ان هذه مروءة السادات الأماجيد وحرام على عنترة ان يدعى من العبيد هذا وروضة قد تقدم الى عنترة وقبل يديه وتآخر وهو من ذنبه قد استحى واعتذر وقال له ياحامية بنى عبس وعدنان ان الزمان يعطى الانسان كل يوم عقلا جديدا ويردعه عن الطغيان وانا كنت بجهلى سائر الى خطبة بنت عمك الكريمة لأنى لم أعرف مقدار سطوتك العظيمة والآن وقد أتضح البرهان وعرفت أنك فارس لا تقاس بالفرسان ولا يثبت قدامك مردة الجان وقد عولت اننى اعود الى الأوطان وأبث مكارمك فى كل مكان وانا اريد ان تقبل منى ما احضرته معى هدية على أسم عبلة وأنا احسب قبوله منة لك على من الجملة ثم ان روضة قام الى بعض الجمال فابركه وأنزل عن ظهره حقيبة وأخرج منها ثلاث حلل من الديباج وفى كل حلة عقد من الجوهر يضىء كالكوكب الوهاج فقال شاس يا ابا الفوارس أقبل منه هذه الهدية وخذها لمن اتت برسمها فانها لا تليق الا لعبلة التى حضرت على اسمها فقبلها منه وشكره واثنى عليه وقبله بين عينيه وبعد ذلك ودع كل واحد منهم صاحبه وعاد راجعا الى بلاده وقد أرغم عنترة انوف جميع اعدائه وحساده ولما ابعدوا فى البرارى والقفار اقبل عنترة على شاس وقال له الا ترى يامولاى ما قد شاع لعبلة من الاخبار وكيف تكار عليها الخطاب وتواردت اليها الطلاب وذلك كله من البغى والعناد الذى وقع على من بنى زياد فلو كانت دخلت فى يدى لم يتعرض لها احد من العباد وكنا استرحنا جميعنا من هذا التعب والجهاد فقال له شاس ابشر يا ابن العم بقرب الاجتماع وزوال الهم والصداع فقبل عنترة يده واثنى عليه وحمده وساروا بقية يومهم وليلتهم الى طلوع الشمس فاشرفوا على حمى بنى عبس فقال شاس لعنترة يا ابا الفوارس انفذ أخاك شيبوبا يبشر أهلنا بقدمنا جميعا وأنا أعلم انه لابد ان يركب أبى وبقية اخوتى والعشيرة ويخرجون للقائنا سريعا ولا بد ان ينشروا بالدراهم والدنانير عليك واذا علموا ان

خلاصى كان على يديك ويعلو قدرك عند العشيرة ويكون لك بذلك المنزلة الخطيرة فأجابه عنترة الى ذلك الخطاب وقد علم ان رأيه صواب وامر أخاه شيبوب بذلك فصار حتى أشرف على الديار ونادى بأعلى صوته بين الناس وبشرهم بقدوم أخيه والأمير شاس وطلب مكان الملك زهير والعرب خلفه متبادرة وعلى آثاره سائرة وكان الملك زهير قد لحقه على ولده شاس الوجد العظيم وحرم على نفسه اللذات والنعيم وكذلك ولده مالك فانه حزن على فقده عنترة اكثر من فقد شاس أخيه الأكبر وكان اذا خلا بنفسه عند المساء يعدد على عنترة كما تعدد النساء قال وكان الربيع قد توسل الى الملك زهير لأجل أخيه عمارة وتردد عليه مرارا عديدة حتى أطلقه مما كان فيه من الحبس والضيقة الشديدة وصار عمارة يقول وحق ذمة العرب لولا فقد شاس من الحلة كنت بلغت ما أريد من عبلة وفى اثناء ذلك قدم شيبوب على الملك زهير وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له يامولاى قد وصل اخى عنترة ومعه سيدى الملك شاس وقد خلص من القتل والأسر بعد الاياس فلما سمع الملك زهير هذا الكلام طار فؤاده من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وقال أحق ما تقول ياشيبوب قال أى وحق علام الغيوب قال فعند ذلك ركب الملك زهير وأولاده وحاشيته واجناده بعدما خلع على شيبوب خلعة فاخرة وأعطاه العطية الوافرة وسار وهو يقول وحق البيت والاستار من خرج اليوم بلا نثار قابلته بما لا يختار فان اليوم قد عاد ملك بنى عبس من جديد وقرت عيون الموالى والعبيد ولولا حرمة الملك التى تجلت على ما كنت التقيتهما الا ماشيا على قدمى قال وشاع ذكر شاس وعنترة بين الخيام والمضارب وانقلب الحى من كل جانب وخرجت الحرايز والأموات ورقصت الوصايف والمولدات وقامت الافراح فى أبيات شداد ونزلت الخمدة على بنى زياد ومالك بن قراد هذا وعمارة يقول لا مرحبا بالقادمين ولا أهلا بالراجعين عاد والله هذا العبد الطنجير سالما من الاخطار وأتى بوجهها لكالح الى الديار وما يقنع زهير بعودته حتى يأمرنا ان ننثر عليه النثار . ثم ان عمارة ركب خوفا من الملك زهير وهو يقول لا بشرك الله ياشيبوب بخير وما أبعد القوم عن الحى حتى أقبل شاس والى جانبه عنترة كأنه أحد تبابعة بنى حمير وكان أول من

تقدم اليهما مالك بن زهير وهو يقول ياقوم هنونى بهذا اليوم ثم اعتنق أخاه شاسا وعاد الى عنترة فسلم عليه وصافحه وقبل رأسه وبين عينيه وهو يقول مرحبا بك يا ابا الفوارس وصدر المحافل والمجالس لا عاشت الدنيا بعدك ولا ذاقت بنو عبس فقدك هذا وعنترة يقبل يد مالك وقد تزاحمت الناس عليه وعلى شاس ونثرت الدراهم والدنانير من الأردان والأكياس وكان عمارة لما ركب أخذ معه شيئا من الذهب وأوصى عبيده ان يكونوا كلهم بين يديه ولا يفارقوه وقال لهم اذا رايتمونى قد نثرت المال عليه فاسبقوا أنتم اليه وخذوه فأجابوه وامتثلوا وكما أمرهم فعلوا ثم ان عمارة تقدم الى شاس وعانقه واظهر انه فرح بعددتهما واستبشر ثم ان عمارة تقدم الى شاس وعانقه واظهر انه فرح بعودتهما واستبشر من حوادث الزمان ثم ان عمارة بعد هذا الكلام نفض كمه من الذهب وكان فيه فضلة باقية فالتقاها بيده الثانية وكان شيبوب ملاحظا له فصار يقول لله درك ياوهاب مثلك من ينثر المال على الأقارب والاحباب فقال له عمارة هذا قليل من حقك وحق أخيك عنترة ولو بذلنا لكل مال كسرى وقيصر ثم ان عمارة قال فى نفسه كلما كسرنا انفسنا لهؤلاء العبيد كنا نحن الخاسرين وكانوا علينا رابحين ولكن لابد ماندبر حيلة أنا وأخى الربيع ونسعى فى هلاك الجميع قال وبعد ذلك تقدم مالك ابو عبلة الى شاس وصافحه وحياه بالسلامة وهناه فقال له شاس ان كنت يامالك مسرورا بخلاصى كما تقول تزف عبلة على عنترة والا وحياة الملك زهير افلق رأسك بهذا الحسام الابتر وتركك موعظة للبشر فتبسم مالك تبسم الخجل وقال يامولاى لا تحتاج الى هذا العمل لأنه ما بقى له فى قلبى بغضة ولا عناد ولا يرى منى الا المحبة والوداد فانى من بعده مارتفع لى رأس ولاصار لى قدر بين الناس فابنتى له أمة على حسب مايريد وانا له من جملة العبيد وان شئت فى هذه الليلة زففتها عليه وسلمتها اليه ثم ان مالكا ترجل بعدما انتهى من مقاله وسعى الى عنترة بخبثه ومحاله فلما رآه عنترة رمى نفسه عن الجواد اليه وضمه الى صدره وقبل يديه فقال له مالك يا ابن أخى انت اليوم باعنا الطويل وسيفنا الصقيل وما كنت أفعل فى حقك ذلك العناد الا من وساس الأعداء والحساد وسعى أرباب الفساد واما الآن فقد

مضى ما مضى وان شاء الله نبدل الغضب بالرضى وكان مالك فى الكلام يظهر الوفاء والوداد ويخفى الغدر والاحقاد وكذلك الربيع واخوه عمارة بن زياد هذا وزبيبة أم عنترة تعدو بين يديه وتتعثر وهى تقول ما أريد لك يا ولدى هذا الحال ولا أريد الا نصب عينى ترعى النوق والجمال فان ذلك اهنأ على قلبى من هذه الفروسية التى ترميك كل يوم فى المخاطر والاهوال ولما عادت الناس الى الخيام وأمر الملك زهير بنحر الجمال والاغنام وترويج الطعام وصنع الملك زهير وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وجمع اليها الحى من الخاص والعام وأشبعهم من الاطعمة والمدام ومازالوا على ذلك مدة ثلاثة ايام ولما كانت الليلة الرابعة كان مالك أبو عبلة عند شاس فقام شاس على قدميه قبل انصراف الناس وقال يابنى عمى أعلموا انى من غداة غد أريد ان اهتم فى عرس عنترة فمن كان له قرابة أو صديق يدعوه ليحضر وانا شاس ابن الملك زهير عتيق سيفه وأمين خوفه وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لاتركت شيئا من مالى ألا واحضره بين يديه وما هو الا بعض احسانه الينا ولا نمن به عليه . قال فلما سمعت اهل العشيرة من شاس هذا المقال قالوا كلهم مثلما قال فقال عنترة يامولاى هذا لا يسرنى لأنى لا أريد ان أكلف عشيرتى فان عندى من انعامكم ما يقوم بحاجتى وقد بقى تحت يدى من انعام الأكاسرة والمناذرة ما يقوم بعرس احد القياصرة قال الراوى ولما انقضت الوليمة عاد عنترة مع ابيه وأعمامه وقد ألبسه شاس حلة جهرمية وأركبه على فرس من جياد خيله العربية وتفرق الناس الى المضارب والخيام وكل منهم قد هان عليه بذل مافى يده من الأموال حتى يبلغ عنترة مايريد من المرام قال وكان عمارة كلما سمع هذا الكلام يذوب من قهره وتشتد به الآلام وزاد بعبلة غرامه فصار يهذى بذكرها الليل والنهار ولا يقر له من أجلها قرار وكان اذا دخل عليه اخوه الربيع يشكو اليه حاله وبلواه ويتنهد متحسرا فى شكواه فيقول له الربيع والله ياعمارة مالك فى الفرج على يدى أمل الا ان كان فى التدبير والحيل وهذا العبد وحق ذمة العرب أبغض الناس الى وأود أن اشوى على النار لحمه وأشرب عوض الماء دمه ولكن أعيتنى فيه الحيل والتدابير وليس لى قدرة عليه الا ان كانت تساعدنى المقادير على أنى لاأزال اراقب الفرصة

فى انقطاع أجله ولا أدعه يبلغ ما يروم من أمله ولما كان عند الصباح ركب الملك زهير واولاده ليتفقدوا المراعى والغدران ولما صار بظاهر الخيام تجارت خلفه الفرسان فافتقدوا عنترة فما وجدوا له خبرا ولا وقفوا له على أثر فقالوا لاشك انهم مالوا عليه بشرب العقار وقد اصابه من ذلك خمار ثم انهم ساروا الى ان حمى الحر وتهجر البر فعندها عاد الملك زهير الى المضارب والخيام وتفرقت الناس لاجل الراحة وأكل الطعام وكان شاس وأخوه مالك قد اشتعلت قلوبهما بغيبة عنترة ولم ياخذهما قرار حتى انفذوا الى ابياته بعض العبيد لكى يكشف الخبر فعاد الرسول وهو يقول والله يامولاى ما اصبح الرجل فى الحى لا عين ولا اثر وقد سألت عمه عنه فقال انه مضى من عندى الى ابياته بقرب السحر وعند الصباح طلبته آنا وآخوتى للركوب فما وجدناه لا هو ولا آخاه شيبوبا وسألنا عنه أمه فقالت آتى الى بيتى فجلس حتى خمدت النيران ونام كل نعسان فنهض ونادى باخيه شيبوب فشد له على الجواد وركب وأخذ اخاه وسار ولا ادرى الى اى بلاد قر له القرار وسألته الى اين يريد الذهاب فما رد على ولا اجاب قال فلما سمع شاس من عبده ذلك الكلام قال لعنك الله يامالك ما اكثر محالك وما اخبث أعمالك فلا بلغك الله آمالك فقال اخوه مالك يا اخى ماذا تقول فى ذلك قال اظن ان عمه اظهر لنا خلاف ما اضمر حتى اغتر به عنترة ولما رآه قد اطمأن اليه وجعل انكاله عليه انفذه الى بعض الاقطار وسلكه مسالك الاخطار حتى ابعده عن الديار فقال مالك لعله مضى لكى يأتى بما يتقوى به على وليمة عرسه لانك تعلم شرف نفسه فلا يريد ان يكلف احدا من عشيرته وابناء جنسه قال شاس وانت تعلم شهامة عنترة فانه لا يبغى على أحد الا ان يكون مالك قد كلفه ما لا يتيسر عنده ولا يوجد أو يكون قد عيره واطغاه حتى غير عادته وهواه والصواب اننا نعلم ابانا بمسيرة وننظر ما يكون من تدبيره قال وشاع الخبر فى الحى ، فشمتت الاعداء والحساد واشتفت بذلك قلوب بنى زياد .

قال الرواى وكان السبب فى غياب عنترة من الحلة عمه مالك ابو عبلة لأنه من حين ما وصل عنترة مع شاس صارت اصدقاؤه جميع الناس فما

امكنه ان يعصى أمر الملك زهير وأولاده ويخالف بقية اعوانه واجناده فأظهر الفرح والسرور واضمر المكر والتغرير ثم قال لابنته عبلة البسى بعض الذى اتى به ابن عمك عنتر وتزينى بعقود الجوهر فانك تزفين عليه فى هذه الايام لأن الأمر قد بلغ المنتهى وما بقى لنا حجة ولا كلام ففعلت ما امرها به ابوها وصارت كلما دخل عليها عنتر تقوم اليه وترحب به وتقبل بكليتها عليها وتضحك فى وجهه وتلاعبه بنية صادقة لانها فى محبته غارقة وكان عنتر اذا أتاها وهو سكران من المدام تزيده سكرا بطيب الحديث والكلام ودام الأمر كذلك الى الليلة التى عاد فيها من عند شاس فجاء الى بيت عمه واتته عبلة بالكأس والطاس ولما خلا بعنترة أبوها وأمها واخوها شرعوا فى ذكر عرسها ومتى يكون الزفاف وماذا يصنعون فيه ومن يدعون من الاصحاب والأحلاف فقال مالك لعنترة يا ابا الفوارس اننى قد بلغت بك المنازل العالية وما بقيت اكتم عليك سرا ولا علانية فانا قد أوجع قلبى كلام الملك شاس بحضرة القيام والجلاس وقوله أعمل الوليمة من أموالنا وانحر فيها من نوقنا وجمالنا وأنالا اريد هذه السمعة والرنة ولا اشتهى أن يكون لاحد عليك فضل ولا منة فأنا أنحر جمالى وجمال اخوتى حتى لا نبقى لنا من ناقة ولا بعير ونزيد على ذلك النوق العصافير ولا نقف تحت جميل احد من آهل الزمان ولا يقال ان عنتر جابوا له وليمة عرسه من العربان فقال له عنترة ياعماه قد سمعت منى جواب شاس فان عندى ما يغنينى عن مساعدة الناس قال يا ولدى لا تغتر بما عندك من الأموال فأنك لا تدرى كم تحتاج من المواشى والجمال وكم يجتمع عندك من أحياء العربان الذين تدعوهم والذين يأتون يهنوك من كل جانب ومكان فوالله انهم يحتاجون ذبائح تملأ الجبال والوديان وخمرا يملا الصهاريج والغدران فلا يكفيهم ما عندك وما عندنا ونحتاج الى منة العشيرة والجيران وقد سمعت بعضهم يقول ان الاجدر بعنترة ان يذهب ويأتى بغنيمة تكفى فى هذه الوليمة العظيمة ولكن نخاف عليه من سوء العاقبة الذميمة لان الانسان لا يستوثق كل مرة ان تكون عاقبته سليمة وانا حين كانت نيتى خبيثة عليك كنت اريد ان القيك فى مهالك الاسفار واما الان فانى صرت اخاف عليك من ركوب الاخطار.

قال فلما سمع عنترة هذا الكلام انقلبت عيناه فى أم رأسه وتكدرت جميع حواسه وقال ياعماه لو كان لعنترة قلب يعرف الفزع لما كان يرمى نفسه بين الالوف ويتلقى بصدره الرماح والسيوف وأنا والله لو كانت الرجال مثل الجبال واجتمعت معها الجن والأغوال لاقتحمت الجميع بسيفى الأبتر ودستهم بحوافر حصانى الأبجر واذا كان هذا الظن قد وقع على فلا بد أن أخوض بحار المنايا بقدمى لكى أنفى عنى هذه الظنون أو أشرب كأس المنون قال عمه ياولدى قد أعجزتنى عن الكلام فلك الخيرة فى ما تفعل والسلام قال وكان عمه قد علم عبلة كلاما تقوله لعنتر فقالت له يا ابن العم لا أجتمع بك الا أن تقضى اربى وتبلغنى طلبى . قال عنتر ما الذى تريدين وماذا تطلبين قالت أريد أن تفعل معى من المفاخر كما فعل خالد بن محارب مع بنت عمه الجيداء بنت زاهر فقال لها أبوها بمكره وخبثه دعى عنك هذا الهذيان وشقشقه اللسان من أين سمعت بهذه الخرافات التى تتحدث بها العربان . قالت سمعت هذا الخبر من النساء التى جاءت تهنينى بقدوم ابن عمى عنتر . قال لها وقد تبسم وما الذى سمعت ياقرة العين والروح التى بين الجنبين قالت ياابن العم لما حضرت النساء عندى جرى بينهن ذكر الأعراس والولائم التى تصنعها الناس قالت احدى النساء ما عمل احد وليمة وافتخر بها على البوادى والحواضر الا فارس بنى زيد خالد بن محارب لما زفت عليه الجيداء ابنة زاهر لأنها نحر فى عرسها الف ناقة ومائة سبع ومائة لبوة اصطادها بيده من الأغوار والأنجاد ودعى لذلك بنى زبيد وبنى خثعم ومراد وأقاموا ثلاثة أيام يأكلون الطعام ويشربون المدام وما فيهم من حضر قدامه شىء من لحم النوق والجمال الا وبينه قطعة من لحم الاسود بين مشوى ومسلوق وكانت النوق والجمال كلها من مال غشم بن مالك ابن همام الملقب بملاعب الأسنة العامرى ولما زفت عليه الجيداء كان القائد لزمام ناقتها ليلة عرسها بنت معاوية بن النزال صاحب بلاد اليمن الحميرى . فقال عنتر ياعبلة ان كان هذا يحسب عندك أمر عظيم فوحق زمزم والحطيم ورب الخليل ابراهيم لا جعلت القائد بزمام ناقتك ليلة عرسك الا الجيداء بنت زاهر ورأس خالد بن محارب معلق فى عنقها كقلادة الجواهر حتى لا يبقى أحد فى العرب يعادلك ولا يفتخر عليك ولا يناضلك . قال له أبوها يا أبا الفوارس والله لا طاوعتك على هذا

الحال ومن هو هذا الخبيث المحتال الذى نطق بهذا المقال دعها تهذى ولا تحرك ساكنا حتى ينجز أمرك ويتم عرسك وينشرح صدرك لانى ما بقى لى طاقة بالملك زهير وأولاده واذا غبت عن الحى ساعة طالبونى بغيبك وعاد أمرى بعد صلاحه الى فساد ثم ان مالكا مال على عنتر يشرب المدام وما زال يسقيه حتى انقضى أكثر الظلام ورقد كل من فى الحى ونام وقبل الصباح سار عنتر الى بيت أمه زبيبة فما قر له قرار لان ذلك أضرم فى قلبه شعل النار فأيقظ .

انتهى الجزء السابع من سيرة عنترة بن شداد العبسى ويليه الجزء الثامن .

الجزء الثامن

من سيرة
عنترة بن شداد

دعا آخاه شيبوبا وآمره آن يشد الأبجر فشده وقدمه الى بين يديه فركب وسار وشيبوب فى ركابه وهو لا يعلم بما قد عول عليه ولما خرج من الحى وآبعد عن الخيام طارت من رآسه كؤوس المدام فقال له آخوه شيبوب الى آين عولت آن تقصد يا آخى فى هذا الصعيد فقال له آقصد بنا جبال طويلع ومنازل بنى زبيد وخذ بنا فى آقرب طريق ليكون وصولنا غير بعيد فقال شيبوب يا آخى وماذا تحدد فى هذا الليل حتى خرجت اليوم وماذا تريد من اولئك القوم فحدثه عنتر بما سمع من الكلام وشرح له القصة بالتمام فلما سمع شيبوب هذا المقال قال له قاتل الله عمك وآخزاه ولا حفظه ولا رعاه والله ما علم عبلة هذا الكلام الا هذا الخبيث والا فمن آين لعبلة معرفة هذا الحديث قال الراوى وكان السبب فى هذا التدبير مالك بن قراد والربيع بن زياد لأنهما كانا يتراسلان فى هلاك عنتر الليل والنهار ويعملان التدابير والأسرار فعلم الربيع آبا عبلة هذا المقال وآبو عبلة حدث ابنته وآغراها بالمكر والمحال لأنه آظهر ذلك رفعة لشآنها وشرف لمكانها وهو على عنتر آهون من صيد الأرانب وآيسر من اقتناص الثعالب هذا وان عنترا صار فى ركابه شيبوب وهو مستبشر بقضاء المطلوب ولا يعلم بما حكم به علام الغيوب ولما ابعدوا فى البيداء قاصدين بنى زبيد والجيداء طاب لهم المسير فى تلك الصحارى فى جوانب تلك البرارى وتذكر عنتر عبلة فهاجت بلابل آفكاره وصار يتنشق رائحة النسيم التى تهب عليه من دياره فجاش الشعر فى خاطره وباح بما انطوى فى ضمائره فآنشد يقول : صلوا على صاحب المعجزات طه الرسول :

أطوى فيافى الفلا والليل معتكر وآقطع البيد الرمضاء تستعر
ولا أرى مؤنسا غير الحسام وان قل الاعادى غداة الروع أو كثروا

فحاذرى يا سباع البر من رجل ... اذا انتضى سيفه لا ينفع الحذر
ورافقينى ترى هاما مفلقة ... والطير عاكفة تمسى وتبتكر
ما خالد بعد ما قد سرت أطلبه ... بخالد لا ولا الجيداء تفتخر
ولا ديارهم بالاهل آنسة ... يأوى الغراب بها والذئب والنمر
يا عبل يهنيك ما يأتيك من نعم ... اذا رمانى على أعدائك القدر
يا من رمت مهجتى من نبل مقلتها ... بأسهم قاتلات برؤها عسر
نعيم وصلك جنات مزخرفة ... ونار هجرك لا تبقى ولا تذر
سقتك يا علم السعد غادية ... من السحاب وروى ربعك المطر
كم ليلة قد قطعنا فيك صالحة ... رغيدة صفوها ما شابه الكدر
مع فتية تتعاطى الكأس مفرعة ... من خمرة كلهيب النار تزدهر
تديرها من بنات العرب جارية ... رشيقة القد فى أجفانها حور
أن عشت فهى التى ماعشت مالكتى ... وان أمت فالليالى شأنها العبر

قال الراوى ولم يزل عنتر سائرا حتى وصل الى ديار بنى زبيد وكمن فى بعض الأودية وأنفذ أخاه شيبوبا يكشف له الأخبار ويرى من هو حاضر فى الحى من العبيد والأحرار فمضى شيبوب وعاد عند المساء اليه وهو يقول له يهديك يا ابن الأم فقد تيسر ما أنت طالب لأن خالد بن محارب غائب ومعه أكثر فرسان العشائر وما فى الحى أكثر من مائة فارس مع الجيداء بنت زاهر فقال كفى يا أخى فانها هى المطلوب وغاية المقصود والمرغوب ولكن أما علمت أين سار خالد والى أين هو قاصد قال بلى سألت عنه بعض العبيد فاخبرونى أنه سار الى بنى عامر ومعه معدى كرب فارس بنى زبيد وقد صحبهم قيس المكشوح المرادى فى بنى مراد وخلفوا الجيداء فى مائة فارس حامية الحريم والأولاد وهى تركب كل ليلة فى عشرين فارسا وتفتقد الطرقات وتدور حول الحى من جميع الجهات وما تعود الى الصباح خوفا على المكان أن يدركه طارق من العربان فلما سمع عنتر كلام شيبوب انجلت عن قلبه الكروب وقال بلغت وذمة العرب غاية المطلوب وفى هذه الليلة آخذ الجيداء ان خرجت كما ذكرت الى البيداء وما أريد منك ياشيبوب الا اذا وقعت بها ورأيتنى

حملت عليها أن تمسك الطريق على فرسانها حتى لا يهرب منهم أحد ويخبر بخبرها ويدل أهل الحى على أثرها وان قدم عليك أحد من الفرسان فاضربه بنبلة فى فؤاده نكسه عن ظهر جواده وان فاتك أحد وأخبر أهل الحى بواقعة الحال قطعت يمينك بعد الشمال فتبسم شيبوب من ذلك المقال وقال أبشر يا ابن السوداء فانك تعلم ما عند أخيك من كيد الرجال ثم أقام فى ذلك المكان حتى مضى النهار وأظلمت أنواره فخرجا من ذلك المضيق وسار على غير طريق حتى قاربا الحلة واذا بخيل الجيداء قد قلب ركضها تلك البيداء والجيداء قدام الخيل وهى تذكر فعلها وافتخارها على أبناء جنسها وتنشد فى مديح نفسها وتقول صلوا على المحبوب أحمد الرسول :

غبار الخيل فى البيداء كحلى ... وطعن صدورها فى الحرب شغلى
وصيد الاسد فى الغابات فخر ... وتعظيم لغيرى لا لمثلى
لأنى كل يوم فى فلاها ... أروع ابوة بفراق شبل
وقد علمت جميع العرب أنى ... ألاقى فى الكريهة ألف فحل
وقد شهدت رماح الخط انى ... أفوق بها على من كان قبلى
ومن قوى على اذ رآنى ... أخوض الليل فى وعر وسهل
حويت الفخر دون الناس ... وحدى باقدامى وأفعالى وبعلى

فلما سمع عنتر كلامها عرفها فقال لأخيه شيبوب هذا وقتك يا ابن السوداء خذ أنت عرض البيداء حتى أهجم أنا على الجيداء فعندها أطلق شيبوب قدميه وسعى فى عرضهم حتى فاتهم وصار من جانب أرضهم وركض عنترة بالجواد حتى أدرك الفرسان وزعق فيهم زعقة أدوت لها الوديان وصمم على الجيداء وكانت قد سمعت صوته فاستعدت وطلبت مكان الصوت وجدت فما شعرت الا وهو قد عارضها وقابل جوادها وحاذاها ثم طعنه وترك الرمح مصلبا فى حشاه وتركها مشغولة بنفسها وسل سيفه وأنصب على أصحابها انصباب السيل ومال عليهم كل الميل وفى دون ساعة قتل منهم اثنى عشر وعولت الثمانية على الهرب فتلقاهم شيبوب بالنبال ونادى الى أين تذهبون يا أنذال العرب ثم رمى الأول فى فؤاده فنكسه عن جواده وعارض الثانى فجندله والثالث فكبكبه والرابع فاعطيه وما زال يدور حولهم كاللولب حتى أهلك

الثمانية ولم يترك لهم بقية . وأما ما كان من الجيداء فانها وقعت الى الأرض لما سقط جوادها وبقيت ساعة مغشيا عليها وقد انصدع فؤادها ولما أفاقت الى نفسها قامت على أقدامها وسلت قائم حسامها وقوت جنانها وهرولت تطلب أوطانها وهى من أثر الموقعة مخبلة الأوصال وتشتهى أن تعرف من فعل بها تلك الفعال وما أبعدت عن موضع الموقعة حتى نظرت خيل أصحابها شاردة فعلمت أنهم هلكوا وما حصل لهم فائدة فركبت بعض تلك الخيل وعادت تطلب الحى تحت ظلام الليل ولم تزل كذلك فى هربها حتى أدركت عنتر وهو عائد فى طلبها وهو يقول لأخيه شيبوب ادرك الجيداء قبل ان تقوم وتركب من الخيل الشاردة وترجع الى القتال والمجاهدة فلما سمعت الجيداء هذا المقال علمت أنه هو الذى فعل بها تلك الفعال فقالت هيهات يا كلب البيداء خابت والله آمالك من الجيداء وهاهى قد تسقيك كأس الحمام وتجعلك عبرة للانام ثم نهمت كما تنهم اللبوة الفاقدة أشبالها وصرخت صرخة الأسود فى دحالها وهجمت عليه تحت الظلام وأشهرت فى يدها الحسام وتضاربا أشد ضراب وتصادما أعظم صدام واشتد بينهما القتال وتزلزلت الأرض بالزلزال وتفصلت منهما الأوصال وكل عما جرى بينهما وصف الوصاف وخدرت منهما المناكب والأكتاف وأيقن كل واحد منهما بالانخساف وجاوز بالطعن والضرب حد الاسراف هذا وشيبوب يدور حول أخيه وعينه من ناحية الحلة خوفا من خيل تفاجيه وما زال عنترة والجيداء فى حرب وكفاح الى أن أشرق الصباح وكلت الجيداء وملت وقلت قوتها واضمحلت غير أنها أظهرت الجلد وأخفت الكمد وهى ترى انها تقتل ولا تسلم نفسها من شدة عزيمتها وقوة همتها ولم يزل عنتر يقاتلها ويراوغها ويحاولها حتى هجم عليها هجوم الفضاء وقبض على أطواقها وجذبها عن الجواد فالقاها على وجه القضاء وضربها بالسيف صفحا فأدارت يديها الى الاكتاف وقد استرخت منها المفاصل والاطراف فقال شيبوب لعنترة سر بنا يا أخى قبل أن يتعالى النهار ويصل الخبر الى المنازل فيتبعنا الفارس والراجل قال عنترة ويلك ياشيبوب أين أغدو وأنا فارس السهل والجبل وكيف أعود الى بنى عبس ولا ناقة معى ولا جمل فاصبر حتى تسرح أموال القوم ونأخذ حاجتنا ونعود ونكون قد بلغنا المقصود ثم انه صبر حتى انبست الشمس على المراعى وخرجت

المواشى تسعى فدخل عنترة فى وسط المال وساق منه الف ناقة وقطيع من الجمال وصاح فى رعاتها وطرح السيف فى اقفية حماتها وآمر شيبوبا ان يسوقها فى الفلاة ووقف عنترة حاميا لها وراءه فال وعادت العبيد تصيح فى جنبات القبائل فركبت الفرسان على الخيول الصواهل ونفر منهم الفارس والراجل وقالوا ياويلكم أين الجيداء قالت العبيد آما الجيداء فما يعلم لها خبر وآما الأموال فقد ساقها فارس آسود اللون اغبر كأنه من عفاريت منفر بعد ما قتل جماعة من الرجال ووقف ينتظر من يقبل اليه من الابطال وتقول انه أهلك الجيداء وتركها طريحة فى البيداء فقال لهم فارس من بنى زبيد يقال له جابر بن المحتال ويلكم ما هذا المقال ومن يقدر آن يقاوم الجيداء فى القتال وحق البيت الحرام لو وقعت الجيداء بالف فارس ما رد ما تركت ان يصل الينا منهم فارس واحد وما هى الا قد آوسعت فى البرارى تطلب صيد الغزلان وتقنص الاسود من الجبال والوديان والصواب آننا نكفيها مؤنة هذا الشآن وتتركها تتنزه فى المروج والغدران ثم أطلقوا الاعنة متتابعين فاشرفوا على عنترة من عشرة وعشرين فرآوه متكئا على رمحه الاسمر يحدق اليهم النظر وهو ينتظرهم كما تنتظر الارض العطشانة وابل المطر فصاحوا به ويلك من آنت أيها الساعى الى الهلاك برجليه والطامع فى ما لا يصل اليه ويلك هذه آموال الشجاع الغالب والليث الواثب الامير خالد ابن محارب فارس المشارق والمغارب الذى آذل بسيفه فرسان الاعاجم والاعارب سلم نفسك قبل آن تسمع بك الجيداء فتتركك طريحا فى البيداء فلم يرد عنتر عليهم جوابا ولا ابدى خطابا لكنه قلب الرمح بيديه وتلقى به صدورهم وطعن بسنانه نحورهم وكانوا ثمانين فارسا صناديد ومعهم جماعة من العبيد فما تعالى النهار حتى بدد عنترة آكبرهم وسقاهم من المنايا كآسا فاسكرهم وانهزم الباقون فى تلك القيعان وهم يقولون لا شك ان هذا ما ورد من الجان وعاد يركض على آثر آخيه شيبوب خوفا عليه والدماء تسيل من منكبيه فبينما هو كذلك اذا بغبار قد ثار من بين يديه حتى حجب بصر عينيه فقال فى نفسه جاءت والله العساكر التى للقوم وستظهر مراتب الفرسان فى هذا اليوم ثم اطلق عنان الابجر وخرج يكشف الخبر واذا بشيبوب من قدامه يجرى كأنه السهم اذا انطلق

أو البرق اذا برق فارتاع من ذلك المنظر واستهال وصبر حتى قاربه فقال له ويلك أين الجيداء والاموال فقال يا ابن أمي أشغلني عن ذلك هذا الغبار الذي تراه قد ثار والعبيد الذين كانوا معي لما أبصروا هذا القتال وقفوا عن السوق وصاحوا وطلبوني وهم يقولون الى أين تأخذها يا ابن اللئام وقد جاءتك فرسان بني زبيد وخالد بن محارب الصنديد وأرادوا القبض على فنفرت منهم ورميت منهم ثلاثة بعد ما ابعدت عنهم ولاشك أن الغبار يدل على جيش عديد وانت في هذه البلاد رجل وحيد ولقد كنت عن هذا التعب كله في غنى لان قصدك الجيداء وقد حصلت لك ولو طاوعتني ما كنا وقعنا في هذا الغنى وأنا أعلم ان طمعك لا بد يرميك في بحر ما له قرار وابقى انا متحسرا عليك الليل والنهار والآن قد ظهر لنا الغبار الذي تحته فرسان بني زبيد وخالد بن محارب الذي اسرت زوجته وأحرقت مهجته وان انفلتت الجيداء وملكت السلاح واجتمعت مع قومها في الكفاح فماذا تقول هل تطير مع الطيور في السحاب أم تغوص تحت الأرض في التراب فقال له عنترة ويلك يا ابن الانذال وانت من هذا الحساب خليت الجيداء والاموال والله لارينك في هذا اليوم حربا تذكر الى يوم المحشر ثم أركض حصانه الابجر بقلب أقوى من الحجر وسل في يده سيفه الابتر وسار الى ان أشرف على المال والجيداء فرأى العبيد قد حلوا كتافهم وتبددوا في أقطار البيداء وهم ينادون يا آل زبيد ادركونا وخلصونا من هؤلاء العبيد هذا والجيداء قائمة على ظهر الجواد . وهي خالية من السلاح موثقة بالجراح فلما رأى عنترة ذلك صرخ في العبيد ويلكم يا أولاد الانذال مالكم والقتال ها قد أتاكم قابض الارواح الذي لا يحمى منه السلاح ثم ادركهم فطعن واحداً منهم في صدره والثاني في نحره والثالث القاه على ظهره فلما نظرت بقية العبيد هذا الحال اجتمعوا وساقوا الجمال وهم ينادون الامان يا فارس الزمان ولما رأت الجيداء ذلك اطلقت العنان وطلبت ذلك الغبار تروم منه المعونة والانتصار وتبعها عنترة كالعقاب وعزم أن يخوض ذلك البحر العباب واقتحم نحوه بقلب لا يخشى ولا يهاب هذا والجيداء قد قاربت ذلك الغبار وأملت منه الفرج لانها ظنت انه موكب من حيها قد خرج واذا هو ينادي من فرد لسان يا لعبس يا لعدنان

وكان هذا الجيش من بنى عبس والمقدم عليهم الملك زهير وأولاده وحوله سادات قومه واجناده وكان السبب فى ذلك الامير شاس واخوه مالك لانهما لما فقدا عنترة تنغص عيشهما وتمرر وسالا أبا عبلة عنه فما أعطاهما الخبر فدخلا على أبيهما وأعلماه بما جرى فضاق صدره غاية الضيق واشتد بقلبه اللهيب والحريق وفى الحال دعا بشداد سرا وسأله عنه فقال والله يامولاى ما عندى منه خبر ولا أقف على أحواله من أثر بل ملكه أخى لأجل محبته لابنته وأنا اعلم أنه لا يزال به حتى يسقيه كاس منيته وقد حرت والله فى أمرى وضاق لأجل ذلك صدرى فقال الملك زهير وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ان اصابه أمر لاصلبن أخاك وولده عمرا أو اشوى لحومهما على لظى الجمر فشكره شداد على ذلك الكلام وعاد من عنده طالبا المضارب والخيام ثم انفذ الى زبيبة أم عنتر وقال لها اذهبى الى بيت أخى مالك واكشفى لى الخبر واقام فى انتظارها بعد ذلك لترجع وتخبره بما تسمع فسارت زبيبة تطلب عبلة الى أن دخلت عليها وجلست بين يديها ثم سألتها عن عنتر فاعادت عليها القصة من أولها الى آخرها وأطلعتها على باطنها وظاهرها فلما رجعت زبيبة أعلمت شداد بذلك فاستشاط غضبا على أخيه مالك وقام من وقته ودخل على الملك زهير فرأى عنده أولاده الجميع وهم حواليه كأنهم زهر الربيع فأخبره بما سمع وبكى بين يديه وقال له ومة العرب يامولاى ما بقيت أرى ولدى على طول المدى وليس له خلاص من مخالب العدو قال شاس قاتل الله أخاك اللعين فانه أخبث من الشياطين وأنا وحق البيت الحرام ما تركته ينفذ له مرام ولا بد أن أسير خلف عنترة برجال لا يعرفون الموت ولا يخافون حلول الفوت وآخذ ثأره ان كان قد شرب كأس الردى وأجازى أخاك الخبيث على ما ظلم واعتدى وان كان فى الاسر كنت له الفدا فقال الملك زهير وأنا ايضا لا أسير الا فى جميع بنى عبس وغطفان وأعين ذلك الفارس الذى يدفع عنا البلايا طول الزمان ثم ان الملك زهير أمر العبيد أن ينبهوا على الفرسان باخذ الاهبة للمسير الى ديار بنى زبيد ففعلت العبيد كما أمر وأجابته الفرسان كلها الى ما ذكر فركب الملك زهير الى أرض البلقاء ونشرت على رأسه الرايات وتلاحقت به الأبطال والسادات قال الأصمعى وكانت

جريدة بنى عبس اذا طلبوا الغزوات أربعة آلاف فارس فركب معه الفان وترك مع ولده ورفاء الف فارس تحفظ النساء والصبيان وكان الألف الآخر غائبا عن الأوطان وكان لما هم الملك زهير بالمسير تقدم اليه مالك أبو عبلة وقال أيها الملك ما هذا النفير والى أين تقصد فى هذا المسير فقال له الملك زهير قد عولنا على المسير الى هذه العقدة التى عقدتها عسى أن نحلها ونخدمك ياشيخ النار الذى يستحق الصلب والرجم بالاحجار ويلك الى كم تحلف لنا وتكذب فى الاقسام وترمى هذا الرجل فى المخاطر العظام ولكن ان رجعت سالما فلا بد أن أجازيك على أعمالك وأقابلك على سوء افعالك ولا سيما ان كان قد قتل فانى أقطعك الف قطعة وأشرب من دمك الف جرعة قال مالك أيها الملك وأنا ما ذنبى وما كان منى وماذا بلغك عنى فان هذا الذى ذكرته له عبلة ما سمعت به أنا قبل الآن ولا فاه به لسانى ولكن النساء لعبن بعقلها حتى تكلمت بهذا الكلام وأنا من ذلك الوقت أضربها وأهددها بالعذاب والانتقام قال شاس وحق ذمة العرب يا مالك لقد كذبت فى ذلك وعبلة ماطلبت منه هذا الطلب الا بتدبيرك ياكلب العرب وأنا أقسم بالله العظيم رب زمزم والحطيم لولا هيبة ابى وقلب عنترة لكنت أخذت رأسك من بين كتفيك واعدت شؤم تدبيرك عليك ثم نهض شاس وأخذ السوط بيده ونزل على اكتاف مالك واجنابه حتى كاد يطحن عظامه ويقطع جميع اعصابه وعرف الملك زهير ان ذلك الصنيع كان بتدبير الربيع فنهض وأخذ السوط بيده وضرب الربيع حتى غاب عن رشده وسالت الدماء من خدوش جلده وكل من كان حاضرا من الجماعة خاف من غضب الملك فما تجاسر ان يقدم فيه شفاعة وكان بنو زياد قد تجهزوا للسفر ومعهم مالك بن قراد فردهم الملك زهير وقال اقيموا فى الحى لاجل المحافظة على النساء والأولاد : قال الراوى وبعد ذلك سار الملك زهير فيمن معه كما ذكرنا قبل الآن وعاد مالك والربيع الى الحلة وهما يبكيان وينتحبان وكان مالك يبكى مما جرى عليه ويلطم وجهه بيديه ويقول والله ما بقى لنا بين هؤلاء القوم مقام ولا بد لى من الرحيل الى بلاد الشام واسكن هناك عند من يكرمون الصلبان وأترك عبادة الاصنام والأوثان ولا أقيم عند قوم أذل عندهم وأهان قال عمارة والله ان اقامتنا فى القيود والأغلال أهون من اقامتنا هنا على هذا الحال قال الربيع هذا

كله فعله بنا زهير لأجل هذا العبد الادهم نرحل عنه ونترك له الحى ونريه كيف يندم اذا زلت به القدم ثم ان الربيع وآخاه عمارة ومالك ابن قراد وطائفة بنى زياد آجمعوا رأيهم على الارتحال فجهزوا الأحمال وجمعوا المواشى والأموال وأمروا العبيد أن تسوق الجمال فرحل مع القوم سبعمائة بيت بالأموال والرجال والنساء والأطفال لأن الربيع شيخ بنى عبس وكبيرهم ومدبرهم ومشيرهم كان يقارب الملك زهيرا فى الشرف وعلو الشأن وقضى زمانه محفوظ بالكرامة ولم يلحقه أدنى هوان ورحل مالك بابنته عبلة ومن يحالفه من أهل الحلة ورحل معهم عروة بن الورد فى فرسانه وأحلافه وخلانه وهم الذين كان يتلقى بهم المصائب ويرد بهم النوائب ومشى على أثر الجميع الربيع بن زياد وهو سخين العين منكسر الفؤاد وأما عمارة فلما رأى عبله قد خرجت فى الجملة تعلقت آماله بالنجاح ونسى الحى وكل ما فيه وشكر الله على نكبة أبيها وآخيه وما زال الربيع سائرا بهم تلك الليلة المقمرة حتى أصبح الصباح فنزلوا للراحة وأخذوا فى المشورة فقال مالك أبو عبلة الرأى عندى أننا ننزل فى ديار بنى عامر بجوار خالد بن جعفر لأن جيشه كبير العدد وأرضه خصيبة جميلة المنظر قال الربيع بل الصواب أن ننزل على بعض المياه حتى نسمع خبر عنترة وما جرى له مع الجيداء وابن عمها خالد بن محارب فان سلم كانت أحياء العرب قدامنا والطرق مفتوحة من كل جانب وان هلك فأنا أعلم أن زهيرا يندم علينا فيرسل يطلبنا لأنه لا بد أن يحتاج الينا ويقدم رسوله علينا وأكبر ظنى أن ذلك الأسود لا يسلم من تلك البلاد ولو كان معه الهبل الأعلى وجن الأرض السفلى قال عمارة بشرت بالخير يا ربيع وحق اللات والعزى ان أصابته مصيبة أو نكبة قدمت نصف مالى الى الكعبة قال الراوى ثم ان القوم ساروا الى أن دخلوا بين جبلين فى أرض تسميها العرب ذات الخرجين وكان ذلك المكان كثير المراعى والمياه فنزلوا فيه وسرحوا الأموال فى نواحيه هذا ما جرى لهؤلاء . وأما ما كان من الملك زهير فانه سار بذلك العسكر حتى أشرف على عنترة وكانت الجيداء قد هربت من قدامه لما رأت ذلك الغبار وهى تظنه من الأعوان والأنصار فلما سمعت نداء بنى عبس علمت أنهم قد حضروا لنجدة عنترة فى تلك الديار فعند ذلك سلمت اليه وطلبت منه الذمام فأذم لها على نفسها من القتل والاعدام وأسر شيبوبا فبادر

بالكتاف وشد منها السواعد والأطراف وبعد ذلك ترجل عنترة الى خدمة الملك زهير وأولاده وقبل الأرض أمامهم وشكر فضلهم وانعامهم وعنايتهم واهتمامهم وقال للملك يامولاى ما هذه المشقة الشديدة الى هذه البلاد البعيدة فان الملك يا أبا الفوارس قد دعانا اليها مسيرك وحدك الى بلاد العدا وخوفنا عليك من أسباب الردى ولو كنت اطلعتنا على هذا السبب ما كنا احوجناك الى هذا التعب بل كنا عكسنا على عمك حيلته وزففنا عليك ابنته وان ابى سلبنا مهجته وكان الواجب عليك ان تشاورنا ولا تشغل بغيبتك خواطرنا فقال أيها الملك ان ابنة عمى اقترحت على امرا هينا وقد قضيته وبلغت المراد واخذت الجيداء على رغم الاعادى والحساد وما هذه السفرة الا سفرة محمود العواقب ميسورة المطالب لأنى بسعادتكم اينما توجهت افلحت وكل امر سعيت فيه نجحت لأنى لما وصلت الى هذه البلاد رأيتها خالية من الرجال فبلغت الآمال وملكت الجيداء التى وعدت عبلة بها وسرت فى طلبها قال وبعد ذلك نزل الملك زهير فى تلك المروج وسرحوا خيولهم بها فأخذت كالبحور تهوج ثم ان الملك زهيرا مد بصره الى تلك النجوم فرأى الأبيات منتشرة كالنجوم والمواشى كأنها قطع الغيوم فقال يا ابا الفوارس حيث اتينا الى هذه الاقطار فلابد ان نلقى هيبتنا على اهل هذه الديار وقد خطر لى ان نسير الى هذه القبائل نغتنم اموالها ونسوق نوقها وجمالها لأن خالدا قد سار الى بنى عامر واتكل عند مسيره على الجيداء بنت زاهر وما علم انها تقع فى مخالب الاسد الكاسر فقال عنترة يا مولاى الأمر لك واليك وليس لأحد اعتراض عليك فأمر الملك زهير بالغارة وعند ذلك تبادرت الفرسان وانطلقت كالطيور الطيارة ولمعت الأسنة فى أيديهم كالكواكب السيارة فلم يتركوا فى تلك الديار غير التلول والآثار واخذوا الرجال اسارى والاماء والعبيد أذلاء حيارى وكان الملك زهير قد اوصاهم ان لايسبوا الحراير والبنات بل العبيد والقنات ولما رأى كيرة المال والاسرى مصفدة بالقيود تهلل وقال والله ما عنتر الا رجل مسعود وكل من يعاديه مكمود واقام الملك زهير فى تلك المنزلة ثلاثة ايام ينحر الابل والنياق وفى اليوم الرابع رحل طالبا

الديار والاموال ماشية بين يديه تنساق وقد سدت بكثرتها الآفاق وعنترة يحادث الملك زهيرا ويناشده الاشعار وهم يقطعون الروابى والقفار هذا والجيداء على جمل بازل وزمام جملها بيد شيبوب وهو يحدو لها حدو المتصبب الطروب ومازالوا سائرين على ذلك المرام حتى تبقى بينهم وبين آرضهم ثلاثة آيام فعندها آصبحوا فى بر واسع وقفر شاسع كثير الغدران والمنافع خصيب المراعى والمراتع فقال عنترة للملك زهير يامولاى ما احسن هذه المواضع للقتال وجولان الخيول تحت الرجال قال زهير يا ابا الفوارس هذا يصلح للمآكل والمشارب وصيد الغزلان والارانب قال عنترة يا مولاى انا ما الفت الا على القتال وملاقاة الابطال وصيد السباع من الدخال فلا يخطر لى غير هذا ببال ثم اشار اليه بهذه الابيات يقول : صلوا على الكامل المكمل طه الرسول

أسمعانى تحمم الصافنات ... وصرير الرماح فى اللبات
وحفيف النبال من كبد قوس ... تقذف الموت من أكف الرماة
كل من طاش عاش عمرا ذليلا ... تحت ظل الغبار والمرهفات
ليس من همتى المجالس القصـ ... ـف وليس الخمور من عاداتى
انما لذتى حسامى ورمحى ... وحصانى وخوذتى وقناتى
ولقاء الكماة فى كل حرب ... تصطلى نارها قلوب البنات
ليس يغنى لبس الرجال حريرا ... تنطوى تحته قلوب البنات
ان فخرى لبس الجديد الى أن ... يلبسونى الاكفان عند الممات

قال فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام أخذه الطرب والهيام وقاله لله درك يا فارس الخيل وخائض الليل ثم أنهم ساروا فى تلك القفار ساعة من النهار واذا هم بغبار من قدامهم قد ثار حتى سد الأفطار ولاحت من تحته أسنة الرماح وبريق الصفاح وبين ذلك عويل وصياح وبكاء ونواح فقال الملك زهير يا أبا الفوارس ها قد أتاك ما أنت طالب ولا شك ان هذا عسكر خالد بن محارب وهذا البكاء والنواح السائر هو من سبى

بنى عامر وما تبقى غير الصبر على ضرب السيوف البواتر والهجوم على هذه الأسود الكواسر التى أهلكت سادة بنى عامر وفيهم مثل ملاعب الأسنة والربيع بن عقيل وجندح بن البكا وغيره من حماة العشائر وقد نظرت فرسان بنى عبس الى هذه العساكر التى سدت الآفاق فأيقنوا ان لم يبق لهم من قيد الموت اصلاق فعندها قال عنترة للملك زهير أيها الملك لا تضيق صدرك ولا تظن الا الخير فسوف نأتيك بالفرسان بين يديك تساق وأعاديك فى ذلة الأسر والوثاق ونحن ما فينا من يتأخر عن طعن القنا وضرب البواتر ولو انقلبت الدنيا علينا بالخيول الصوامر . قال الراوى ثم أن بنى عبس كتفوا العبيد الغريا الذين سبوهم من ديار خالد ووكلوا بهم عشرين نفرا من الأبطال حتى لا يشغلوا قلوبهم وقت القتال وتقدم عنترة بين أيادى الفرسان وهو منتظر الضرب والطعان كأبطال الأسد الغضبان فقال له الملك زهير يا أبا الفوارس تسلم انت أمر القتال ورتب الرجال وكن من نحونا طيب القلب فما فينا من يتأخر عن الطعن والضرب ولو انقلبت علينا الجبال فى صور الرجال . قال الراوى فلما سمع عنترة ذلك المقال ورآه متأهبا للقتال تقدم اليه وقبل الأرض بين يديه وقال لا وحياة رأسك أيها الملك ما خليتك تباشر قتالا ولا حربا ولا نزالا ثم حلف عليه ورده ورد رءوس الخيل والجمال وصف الرجال عن اليمين والشمال وتقدم بين يدى الفرسان كأنه مارد من الجان وكان هذا الجيش المقدم ذكره جيش بنى زبيد والمقدم عليهم خالد بن محارب وهو فى جمع غفير من الأبطال والصناديد منهم قيس المكشوح المرادى ومعدى كرب فارس الخيل وخائض الليل فتحصن بنو عامر منه فى الجبال ورفعوا اليها المواشى والجمال وجمعوا النساء والأمتعة والهوادج فى رمال يقال لها رمال عالج وكان هذا من تدبير ملاعب الأسنة غشم بن مالك لأنه وقع فى قلبه من خالد هيبة عظيمة لما جرحه فى النوبة الأولى وجرى بينهما ما جرى هنالك فصار يترك عليه العيون والأرصاد وينفذ الجواسيس الى دياره ويتوقع استماع أخباره ويتحذر منه فى ليله

ونهاره ولما طرق خالد فى هذه النوبة ديارهم ورآهم على أنفسهم محترزين خشى أن يرمى نفسه أمامهم فينخذل ولا يكون من الظافرين فعند ذلك استشار بنى عمه فقال له بعض مشايخهم ياخالد ان أردت أن لاتقضى أيامك بالباطل ولا تعود بالحرمان فاطلب ديار بنى عبس وعدنان ولن تعود الا وقد أغنيت رجالك من النوق والجمال والأمتعه والأموال لأنهم أكثر العرب مالا وأحسنهم حالا قال فلما سمع خالد من ذلك الشيخ هذا الخطاب رآه عين الصواب فرحل من ساعته وسار طالبا ديار بنى عبس حتى وصل الى ذات الخرجين وهو المكان الذى نزل فيه الربيع بن زياد وعروة بن الورد ومالك بن قراد ومن تبعهم من أهل الحى الذين كانوا معهم فى الألفة والوداد وكان أشرف عليهم نصف النهار فرأى خالد تلك المضارب والخيول والجنايب فتعجب من ذلك غاية العجب وقال لمعدى كرب يا ابن العم وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب انى طرقت هذه الارض مرارا وما رأيت بها ديارا وقد اشتهيت ان اعلم من نزل فيها من العربان واتخذها له ديارا فبينما هم كذلك اذا بخيل بنى عبس قد ركبت وأطبقت من كل مكان وهى تنادى يا لعبس يا لعدنان وفى اوائلهم الربيع ابن زياد وأخوته ومالك بن قراد وعشيرته وعروة بن الورد وجماعته وكانوا جميعهم سبعمائة فارس من الأبطال الأشاوس وانبسطوا فى الصحراء ونادوا ذلك النداء فلما سمع خالد ذلك النداء مال بجيشه اليهم وكر بصولته عليهم وهو ينادى يا اولاد اللئام انتم القصد والمرام فهذا اليوم عليكم-آخر الأيام ثم انه بادرهم بالقتال ودارت بهم من اليمين والشمال وسالت عليهم الرجال مثل العارض الهطال وعملت الصوارم والصقال فى المناكب والاوصال ونفذت من الصدور الرماح الطوال وصال خالد عليهم واستطال وقاتل الربيع بن زياد اشد قتال لأنه كان من الفرسان الذين تضرب بهم الامثال وكذلك عروة ومن معه من الابطال وبذلوا أرواحهم للاسنة العوال وأيسوا من العودة الى الاطلال فما امسى المساء وغابت الشمس حتى ملك نحو ثلثمائة نفس من أصحاب الربيع وباقى بنى عبس وأخذوا الباقين اسارى فى القيود

والأغلال وسبيت النساء والبنات والأطفال وعلا منهم البكا وكثر الأنين والاشتكاء وكان العويل والتعداد عند عبلة بنت مالك بن قراد لأنها ندمت على فعلها وعلمت أن اباها اراد قتل عنترة لاجلها وبان لها ان اباها كان يحتال حتى القاها الى اتون الهلاك والوبال والقى عنترة فى المخاطر والأهوال قال الراوى وكانت عبلة من حين نزلوا فى ذلك المكان ما تناولت طعاما ولا تهنأ بمنام لأنها سمعت أن أباها يريد ان يزفها على عمارة بن زياد عن قريب فصارت تندب الليل والنهار وتقضى ايامها بالبكاء والنحيب هذا وخالد قد رأى عبلة وهى أعظم النساء حسرة وأشدهن بكاء وزفرة فسألها عن حالها فنادت باسم عنترة وهى تتلهف عليه وتنحسر فقال خالد من تكون هذه الجارية ومن هو ابن عمها عنترة الذى هى باسمه داعية فعند ذلك أطلعوه على جلية الخبر وقصوا عليه قصة مسير عنترة وقالوا انه ذهب ليأتى بالجيداء خادمة لعبلة ليلة زفافها عليه وقائدة بزمام ناقتها اليه ومن اجلها وقعنا فى هذه البلية واصابنا هذا العنا لأن الملك زهير أغضب على اخيها فطرده ونحن خرجنا معه ونزلناها هنا وسار الملك زهير وأولاده فى بنى عبس اليه خوفا منك ان تسطو عليه لأنهم يعلمون شدة باسك وكثرة أناسك قال فلما سمع خالد هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وقال ياويلكم وزهير الساعة فى ديارنا ونحن قد ابعدنا عن اقطارنا قال الربيع نعم قد مضى ليكشف عن عبده عنترة والقى بنفسه وأولاده لاجله فى الخطر قال خالد ومن فى دياركم من الرجال لاجل حماية العيال قال له هناك ورقاء بن زهير فى الف فارس قد قام بهم هناك كحارس فعند ذلك اشتعلت فى خالد نار الغيظ والغضب وقال وحق ذمة العرب ان هذا الحديث ينبغى ان يكتب بماء الذهب وما قدره الله الا ليكون لقلع بنى عبس أعظم سبب ثم انه استدعى معدى كرب فارس بنى زيد وضم اليه الف فارس صناديد وقال له يا ابن العم اقصد ديار بنى عبس واقتل فرسانها واجنادها واستأسر حريمها واولادها ولا تترك فى احيائهم من المضارب الا اوتادها حتى اسير أنا الى زهير بن جريمة واجعله مع اصحابه لوحش البر وليمة . قال الراوى فعند ذلك سار معد كرب طالبا ديار بنى عبس وعدنان وسار خالد طالبا للملك زهير ومن معه من الفرسان

قال وما زال خالد يجد السير فى الليل والنهار ولا يأخذه قرار ولا هدو ولا اصطبار وكلنا نذكر قول مالك بن قراد لعنترة بن شداد انه لا يزف ابنته على عبده الظنجير الا والجيداء قائدة بزمام البعير يضربه بالسوط على رأسه واكتافه وينثنى على ولده عمرو لأنه من احلافه وعمارة يرى ذلك المصاب ويحسب لنفسه الف حساب وكان الربيع قد انجرح ثلاثة جروح مشبعة لانه قاتل قتالا عظيما فى تلك المعمعة وكذلك عروة بن الورد كان مجروحا ودمه قد خضب سرج الجواد وحلف انه ان سلم لا يصاحب بنى زياد . قال وكان عروة كلما سمع مالك بن قراد يصيح من ألم الضرب يقول له تستاهل هذه الشدائد هذا جزاء من يزوج ابنته كل يوم بواحد لا فرج الله عنك واراح الدنيا منك فانك قد صرت سببا لخراب بنى عبس وعسى خالد ان يقطع رأسك قبل طلوع الشمس وكان خالد بن محارب كلما تذكر كلام مالك وسوء فعله يشتد غضبه فيضربه على رأسه تارة بالعصا وتارة بنعله واذا ترجل يلطمه بيده ويرفسه برجله حتى رض المفاصل منه والضلوع وتلبدت لحيته مما سال عليها من الدموع هذا ومالك يلتفت الى عبلة ويقول لها يالخناء هذا كله قد أصابنا لأجلك وقد جلبت العذاب على ابيك واهلك فقالت بل انت جلبت العذاب علينا وعليك بغدرك وخبثك ومكرك وخروجك عن سجايا الانسانية حتى كأنك من وحوش البرية وكيف تعاند من لا تساوى حصاة تحت رجله ولا قطعة فى نعله وله صيت يفلق الحجر عند كسرى وقيصر ولو التقاك انت وجميع بنى زياد بالعصا لكان يفتتكم بعصاه كالحصى ويأخذنى رغما عن انوفكم ولا يخاف من رماحكم وسيوفكم ولكن عزة نفسه تمنعه من ذلك فكان يلقى نفسه فى المهالك هذا ولما اشتفى قلب خالد من مالك سار طالبا ديار قومه يقطع البيداء وجد فى المسير وقلبه على الجيداء وكانت الأسارى والسبايا تساق بين يديه كقطعان الجمال فجاش الشعر فى خاطره وقال صلوا على المبعوث بالكمال

اذا ما النقع ثار على الجبال وأجفلت الكماة عن القتال

أبدت سراتها فى كل قفر وخلفت النواح على العيال

جلبت الحبل شعثا ثم غبرا ثقالا بالحديد وبالرجال
عليها كل جبار عنيد شديد البأس مفتول السبال
فولوا عند اقبالى وفروا فرار الوحش من أسد الدحال

قال الراوى وكانت عبلة اكثر السبايا حسرة واعظمهن بكاء وزفرة وهى تنادى واحسرتاه وابن عماه لا ابعد الله دارك ولا غيب عنا اثارك فصاح فيها خالد وقال ويلك ومن هو ابن عمك الذى باسمه تنادى وقد صدعت بصياحك فؤادى فلا كنت ولا كان ذلك العبد الطنجير الذى مشفره كمشفر البعير وانا اسأل الله ان يجمعنى بهذا الطنان حتى أضربه ضربة اطير رأسه الى ديار بنى عبس وعدنان واجعلك خادمة لابنة عمى الجيداء تسقينها الحليب فى الصباح وتقدمين لها الطعام فى المساء قالت عبلة سوف ترى من نخدم الاخرى اذا بقيت حيا بعد ان تلتقى بعنتر وسلمت من ضربة سيفه الأبتر قال فعند ذلك اعرض عنها ولم يلتفت بها وسار وهو يضحك عليها ومازال سائرا حتى اشرف على جماعة الملك زهير وعنترة وعندة ذلك اغفل الملك زهيرا فارسا من قومه يكشف لهم الخبر فاطلق ذاك الفارس العنان فى ذلك البر الاقفر ولما رأى خالد انفراد ذلك الفارس قال لبنى عمه يابنى عمى هافد انفذ الملك زهير يطلب منا الأمان ويسألنا فى اطلاق النساء والصبيان وانا وحق ذمة العرب الكرام ما اجيبه الى ما يريد ولابد لى افنى هذه القبيلة فى زمن غير بعيد ومن اسرته منهم تركته مع جملة العبيد الا ان يكون عنترة عبد شداد فانى اصلبه على رؤوس الاشهاد غير انى اخاف ان يهرب من أمامى فلا ابلغ فيه مرامى ولكن انتم لاتزالون تراقبونه اذا هرب حتى تسدوا عليه كل مذهب ولا تقتلوه فانى اريد ان اعذبه اشد العذاب ثم اصلبه على الاخشاب واطرح لحمه للكلاب ليكون عبرة للناس الى الى يوم العرض والحساب ثم قال لبعض فرسانه يابنى عمى ليتقدم منكم فارس الى هذا العبسى ويسمع ما يقول وان كان هو من الحى الينا رسول فاسألوه عن الجيداء ان كان عندهم عنها خبر لانى اعلم انهم لا يصلون الى الاموال والنعم الا والجيداء قد أصابها الضرر . قال ولما انتهى خالد من كلامه وثب واحد من فرسانه كحجر المنجنيق

حتى التقى بذاك العبسى فى نصف الطريق وقال له ما بالك ايها الجانى على نفسك والساعى الى حلول رمسك قل مابدا لك قبل ان اقطع اوصالك فقال العبسى ياوجه بنى زبيد ما الحاجة الى هذا التهديد والوعد الوعيد فانا ما اتيتكم الا مستخبرا ومبشرا ومحذراومنذرافقال له الزبيدى بماذا تبشرنا وتحذرنا قال العبسى أما بشارتى لكم فاننا غزونا دياركم وسبينا نساءكم وعيالكم واخذنا نوقكم وجمالكم واغتنمنا ذخائركم واموالكم واما تحذيرى لكم فمن سيوف لاتنبوا وخيول لاتكبوا ورجال لا يهابون الموت الاحمر منهم سلطان الفوارس عنتر الذى يقد سيفه سد الاسكندر واما استخبارى الذى انا من اجله انا حاضر فعن هذا السبى من اين وصل اليكم وأنتم كنتم فى بنى عامر فقال الزبيدى وصل الينا من توفيق الكريم الواهب وسعادة سيدنا خالد ابن محارب ثم ان الزبيدى حدث العبسى كيف انهم ساروا الى بنى عامر وكيف تحصنوا منهم فى الجبال والكثبان وكيف ساروا طالبين بنى عبس وغطفان وكيف وقعوا بالربيع بن زياد واخوته ومالك بن قراد وابنته وعروة بن الورد وجماعته ومن قتلوا ومن اسروا من الفرسان وكيف سار معدى كرب فى الف فارس الى ديار بنى عبس وعدنان ثم قال وبعد هذا اسألك هل عندك من الجيداءخبر وهل وقفت لها على اثر قال له العبسى هى اسيرة معنا تقاسى الذل والعنا وجراحها تذرف بالدماء قال الزبيدى ومن آسرها من الناس وهى تقارب ابن عمها فى شدة البأس قال العبسى اسرها حية بطن الواد عنترة بن شداد الذى لا يقطع سيفه ارم ذات العماد وتزلزل زعقاته السباع الشداد وتكون قدامه كالأرانب قدام سبع الغاب ولو اراد قتلها كان اهون عليه من جرعة كأس الشراب ولكنه قصد ان يأسرها لغاية فى نفسه ستعلمونها عند مباشرة عرسه وقد طرق دياركم وحده والجيداء كانت مراده وقصده ولما علمنا بمسيره لحقناه واسرعنا فى المسير حتى ادركناه وبسيفه نهبنا اموالكم وخربنا دياركم وسبينا حريمكم وقلعنا آثاركم وتركنا ارضكم خاوية تحرم فيها الذئاب الضارية واخذنا الجيداء بنت زاهر وسابقة بنت عبد اللات وكلثوم بنت عمير وخرجنا تحت ظل سيف الاميرعنترة

وراية الملك زهير فلما سمع الفارس الزبيدى ذلك المقال من الفارس العبسى وقعت عليه الخمدة والخبال ثم رجع كل منهم فى طريقه واخبر اصحابه بما سمع من رفيقه وكان السابق منهما العبسى فرفع صوته بالبكاء والاستحباب وحثا على رأسه التراب.

قال الراوى فلما سمع بنو عبس هذا الخبر ركبتهم الاهوال واخذوا فى البكاء والأعوال وكان اشدهم لوعة عنتر لما اصاب عبلة من الامر المنكر الا انه فرح بما جرى على ابيها وعلى عمارة واخيها هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من بنى زبيد فان فارسهم وصل اليهم وهو يلطم رأسه وقد مزق لباسه واخبرهم بما سمع من الأمر الشنيع وما اصاب حيهم من الامر الفظيع فضجوا فى البكاء والعويل وندموا على ذلك الرحيل واما خالد فانه هدر وزمجر ونهم وبربر وطار فى عينيه الشرر وصاح صيحة تصدع الحجر والتفت الى بنى زبيد وقال يا بنى عمى اريد اليوم ان افرغ من هؤلاء اللئام ولا ابقى منهم على شيخ ولا غلام فمن وقع منكم بعبسى لا يلبث ان يقتله ومن نهب منكم شيئا من اموالهم فهو له قال فعندها تقدم اليه رجل من مشايخ بنى زبيد وقال يا خالد الصواب انك تنفذ الى زهير رسولا ان يرد السبايا والاموال وينصرف بلا حرب ولا قتال فان اجابك الى ما تقول نسامحه بما فات لانه ماسبى احدا من الحرائر العربيات وان ابى علينا فالقتال قدامنا وبين يدينا قال فاستحسن خالد رأيه ودعا بشيخ عاقل من مشايخ بنى زبيد اسمه خالد ويلقب بمطارد الوحوش لأنه كان صاحب باس شديد وقال له يا خالد اذهب الى الملك زهير وقل له ان خالد بن محارب يسلم عليك ويقول لك انكم ظلمتم وما انصفتم وجرتم واسرفتم وقتلتم وما ابيقتم ونهبتم وما خليتم وسبيتم وما استحييتم والآن قد تعادلنا ورضينا أن نتساوى فى الميزان وتكونوا عونا لنا ونكون عونا لكم على نوائب الزمان ولكن على شرط ان تخلوا ما فى ايديكم من السبى والمال ونحن نطلق اموالكم ومن لكم فى الاعتقال وكل فريق منا يعود الى دياره والسلام ونكتفى شر النزاع والخصام وانظر يا خالد ما يبدى زهير من الكلام واسرع فى العودة لأنى من امرى على عجل ولاجل ابنة عمى الجيداء على وجل . قال فعندها ركب خالد جواده وجد السير

حتى وصل الى الملك فحياه وسلم واطلق لسانه برسالته وتكلم فعندها قال زهير يا بنى عمى اسمعوا واشيروا بالصواب فسكت القوم ولم يكن عند احد منهم جواب فعندها تقدم فارس بنى عبس الادهم وبطلها المعلم عنترة بن شداد نادرة الزمان الذى جمع بين السيف واللسان وقال للرسول عد الى صاحبك وقل له اننا قد اجبنا الى مراده كرما منا لا خوفا من عساكره وأجناده ولكن على شرط انى لا اطلق الجيداء حتى أدخل على بنت عمى عبلة وتقود بزمام ناقتها ليلة زفافها وبعد ذلك انفذها اليه عزيزة مكرمة مصحوبة ببعض سادات العشيرة واشرافها وان ابى فدونه الميدان حتى اصحبه معها اسيرا الى ديار بنى غطفان او اتركه طعاما للنسور والعقبان ثم أنشد يقول : صلوا على سيد الرجال طه الرسول :

ألا كن مبلغا أهل الجحود ... مقال فتى وفى بالعهود

أنا البطل الذى ترتج منى ... لدى الهيجاء أكباد الأسود

سأخرج للبراز خلى بال ... بقلب قد من زير الحديد

وأطعن بالقنا حتى يرانى ... عدوى كالشرارة من بعيد

اذا ما الحرب دارت فى رحاها ... وطاب الموت للرجل الشديد

ترى بيضا تشعشع فى لظاها ... موصلة بأعضاء الزنود

لاقتحمتها ومعى رجال ... كان قلوبهم صخر الصعيد

بخيل عودت خوض المنايا ... تشيب مفرق الطفل الوليد

ومملكة عليها تاج عز ... وقوم من بنى عبس شهود

يعادل مجدهم فلك الثريا ... ويحرق فعلهم قلب الحسود

قال الراوى فعاد الرسول الى خالد بن محارب وابلغه ذلك الجواب فغاب عن الصواب لما سمع عن الجيداء الذى لم يكن له فى حساب وعند ذلك نادى فى بنى زبيد بالحملة فحملت الفرسان وتناخت الشجعان وركب خالد جواده وهو يرغى ويزبد ويبرق ويرعد وقد تغيرت احواله وقد ركب جواده وركبت بنو زبيد لركوبه وقد تقلدوا بالصوارم الرقاق

واعتقلوا الرماح الدقاق وهدروا كالسباع وزلزل صياحهم البقاع وحينئذ التقتهم بنو عبس كأسود الغاب بقلوب لا تخاف ولا تهاب وفى مقدمتهم عنتر كأنه مارد من مردة الجان او من عفاريت سيدنا سليمان ومنظره ذلك انطبق الجيش على الجيش واخذ الجميع الدهش والطيش فعندها يرعب الأبدان ويجعل قلب الشجاع اضعف من قلب الجبان ثم بعد التفت شاس الى عنتر وقد ارتاع مما رأى وتحير وقال يا ابا الفوارس ما هذا الا يوم شديد تلين من هوله الجلاميد قال له يامولاى ان الاعمال لا تنقص ولا تزيد وانا لمثل هذا اليوم كنت أشتهى واريد فان يوم الحرب عندى ابهج من يوم النيروز وهجيره ابرد من ايام برد العجوز وان كان القوم قد اخذوا اموالنا فانها وديعة استردها منهم وانتزعها من ايديهم رغما عنهم ولو اجتمعت اليهم مشارف بنى قحطان وكتائب الملك النعمان ثم اشار الى الأمير شاس وهو يقول صلوا على والد الزهراء البتول :

اذا أقنع الفتى بذميم عيش	وكان وراء سقف كالبنات
ولم يهجم على أسد المنايا	ولم يطعن صدور الصافنات
ولم يقر الضيوف اذا أتوه	ولا يروى السيوف من الكماة
ولم يكسب بضرب السيف مجدا	ولم يك صابرا فى النائبات
فقل للناعيات اذا بكته	ألا فاقصرن ندب النادبات
ولا تندبن الا ليث غاب	شجاعا فى الحروب الثائرات
دعونى فى الحروب أمت عزيزا	فموت العز خير من حياتى
لعمرى ما الفخار بكسب مال	ولا يدعى الفتى من السراة
ستذكرنى المعامع كل وقت	على طول الحياة الى الممات
فذاك الذكر يبقى ليس يفنى	مدى الأيام فى ماض وآت
وانى اليوم أحمى عرض قومى	وأنصر آل عبس على البغاة
وآخذ ما لنا منهم بحرب	تخر لها متون الراسيات
وأترك كل نائحة تنادى	عليهم بالتفرق والشتات

قال الراوى فلما سمع شاس هذه الأبيات قال له لله درك يافارس الفرسان واشعر بنى قحطان وعدنان فحقا لقد فقت على ابناء هذا الزمان

بالشجاعة كما فقت عليهم بالفصاحة والبراعة هذا والقبيلتان تموجان كأنهما البحر العجاج اذا تلاطم بالامواج ونظر خالد بن محارب الى بنى عبس فرآهم كالأسود الكواسر وخيولهم كالنسور الطوائر واسنة رماحهم كالنجوم لزواهر وغاصوا فى الخلق حتى ما بان منهم غير الحدق فعند ذلك زعق فى بنى زبيد وقال دونكم يابنى عمى القتال وعليكم بالصبر على الاهوال وكل من وقع فى يده عبسى يقتله ولا يصبر عليه ولا يمهله والذى يأتى برأس عبدهم الاسود اعطيه ما يغنيه الى ولد الولد فانى لا اريد ان اضيع مقام نفسى بمبارزتى للعبيد واظن ان لا يجسر ان يبارزنى خوفا من بأسى الشديد ثم امر فرسانه بالحملة بعد ما حمل وكذلك امر عنتر وفعل فانتشب بين الفريقين القتال ودارت رحى المنايا والاهوال وفى دون ساعة صار النهار ضبابا والقتام حجابا واختلطت المواكب اختلاط البحر اذا كان عبابا ووقعت السيوف خطأ وصوآبا وامطرت السماء على القوم عدابا وانشبت الأسنة فى الارواح مخلبا ونابا وصارت الدماء لبيض اللحى خضابا وشابت الرجال من الأهوال بعدما كانت شبابا وسقاهم القضاء من المنية شرابا وخرست السن الفصحاء فلم ترد جوابا وقال الجبان ياليتنى كنت ترابا وما امسى المساء حتى اهلك عنتر جانبا من ابطال بنى زبيد وبنى مراد ومددهم على الوهاد وكان القتال من ناحية السبايا لأن عنتر طلب خلاص عبلة فلم يمكنه الوصول لما بينه وبينهما من الرجال والخيول واما خالد بن محارب فانه ادهش بقتاله النواظر وحير الخواطر وكان طلبه الجيداء بنت زاهر لانه كان يقول فى نفسه انه اذا حمل لا يثبت بين يديه العساكر وكان يظن ان اهل الارض فى قبضته وان الجبال تهتز من هيبته ولما وقع ذلك اليوم فى بنى عبس رأى منهم ما كان لا يعهده ، وما كان يقتل فارسا منهم الا يتعب معه ويرى منه ما يروعه ويجهده ، وعند المساء وقع فى موكب الملك زهير فاهلك منهم جماعة فى اقل من ساعة وانجرح شاس واخوه مالك من اولاده وخاض السيف فى بحور ابطاله واجناده ولما نظر الملك زهير الى فعاله حمل عليه وقاتله حتى تصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ثم عادت الجيوش عن القتال وقد جرت الدماء من الطائفتين

عن اليمين والشمال فلما استقرت النـاس فى الخيام وشرعوا فى اكل الطعام حدث الملك زهير عنتر بحديث خالد بن محارب وما جرى له هناك وكيف انجرح شاس واخوه مالك فقال عنتر لما سمع حقا يامولاى ما اشغلنى عنه الا طلبى خلاص عبلة ولولا ذلك ما غفلت عنه هـذه ما اشغلنى عنه الا طلبى خلاص عبلة ولولا ذلك ما غفلت عنه هـذه وادعوه الى النزال واجعله معه يوم الانفصال فان قتلنه أو اسرته بلغنا الآمال واما قومه فقد زال من رؤوسهم الطمع ودخل فى قلوبهم الخوف والجزع فانهم رأوا من حربنا ما لم يخطر لهم ببال لانهم كانوا يظنون اننا لا نثبت بين ايديهم ساعة واحدة فى المجال . فقال زهيروالله ياحامية عبس اننى غير خائف من هؤلاء المحاربين لأننى أعلم اننا نكون نحن الظافرين ولكننى خائف من معـدى كرب الزبيـدى الذى ذهب الى الأوطان وما فى الحلل غير ولدى ورقا فى نفر قليل من الفرسان واخاف ان ينتصر عليهم ويسبى الحريم والصبيان وان لم نصبح عند الصباح بالقتال خسرنا غاية الخسران قال نم انهم اخذوا فى الراحة من الـكفاح واقاموا ينتظرون الصباح وكان جواد عنتر قد امسى تعبان فتركه يستريح وركب بعض الخيل وخرج يطلب الحرس فى ظلام الليل واخره شيبوب فى ركابه وهو يتلهف كيف لم يظفر بخالد بن محارب ولا يخلص عبلة من أنياب النوائب وشق عليه كلام الملك زهير وخوفه على اهله واولاده واتباعه واجناده فتضجر عنتر من انزعاج الملك وهو شاكر لفضله لانه يعلم ان ذلك كله جرى من اجله فقال شيبوب يا اخى انا أسير وحـدى لقضاء الحاجات وارمى نفسى فى البلايا والآفات حتى لا يكون لأحـد على منة ولا جميل وفى الآخر لا اخلو من هذا الحمل الثقيل وانا قد فعلت اليوم هـذه الفعـال ولكن ما بلغت الآمال ولا خلصت عبلة من الاعتقال لأنها فى غاية الاذلال مما تحمل قلبها من الأثقال فقال شيبوب وذمة العرب لقد صدقت يا اخى وانا اليوم رأيتها فما كدت اعرفها من الضعف والهزال وهى تنادى باسمك وتتلفت الى اليمين والشمال قال عنترة واين رأيتها يا اخى قال رأيتها بين السبايا لانى لما رأيت القتـال قد اتصل وكل واحد بنفسه قد اشتغل اوسعت فى عرض البر من بعيد

وسرت فى اعرض جيش بنى زبيد ودخلت بينهم فى زى العبيد فرأيت الربيع واخوته ومالكا وولده وعروة بن الورد مشدودين على خيولهم بالعرض وهم ينظرون الى جوانب الارض عسى ان يأتيهم من يخلصهم من تلك الوثاقات والنسوان من حولهم نادبات باكيات وعبلة بينهن من جفونها سواكب العبرات وهى تنادى يا قوم اما فيكم من يقص على ابن عمى قصتى لعله يخلصنى من السبى ويذهب عنى غصتى ورأيت حولهم يا اخى مائة فارس كأنهم الاباسل يردونهم فى البر كلما شردوا مثل رد الغنم وانا يا ابن الامام لما رأيت ذلك زاد بقلبى الألم ومازلت من حولهم ارمى بالنبال حتى انفصل القتال وعدت وقد قتلت خمسة رجال عدا ما جرحت من الخيل والابطال وكانوا كلما طلبونى بالخيول اوسعت فى البر بالعرض والطول وكلما عادوا الى القتال عدت اليهم مثل الغزال واما قولك يا اخى عن مسيرك وحدك فان القوم والله قد نفعونا على كل حال وماذا تظن يا اخى هل تقدر ان تلقى اليمن بمافيها من الرجال وكيف تصنع بهذه المواكب والكتائب اذا انصبت عليك من كل جانب فاحسب حساب معاقل اللبيب ودير تدبير الراشد المصيب قال فلما سمع عنترة ذلك المقال من شيبوب هطلت الدموع من عينيه وهانت المنية عليه ولما اصبح الصباح ثارت الطائفتان للحرب والكفاح وصفت بنو عبس صفوفها ورتبت الوفها وجردت سيوفها وانتظر الملك زهير عنترة فما سمع له بخبر ولا وقف له على اثر فعند ذلك قلق الملك زهير واذعر وشاع الخبر فى بنى عبس فانهدم عزمهم وانكسر وقالوا فى أنفسهم اليوم يفتك فينا خالد بن محارب وتخطفنا الأسنة من كل جانب وعول الملك زهير ان ينفذ فارسا الى بنى زبيد ويسألهم عن عنترة عسى ان يكون له عندهم خبر فبينما القوم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف عن الف فارس كالاسود العوابس يتقدمهم فارس عظيم الهيكل كانه القضاء المنزل فتبينوه واذا هو معدى كرب الزبيدى فى سبايا بنى عبس وهم على اشد ما يكون من رداءة الحال وضيق النفس وكنا قد ذكرنا انه انفذه خالد بن محارب لاجل هذا السبب فى ألف فارس منتخب فلما وصل الى حى بنى عبس لم يجد غير ورقاء ابن الملك زهير فى نفر قليل فانقض عليهم واخذ الاموال

واستاق النوق والجمال فلما وقع الصباح فى الحلة ركب اليهم ورقاء بمن عنده من فرسان بنى عبس الاشاوس فارتد اليهم معدى كرب فقتل من الفرسان مائة فارس وانهزم الباقون وقد اسر منهم من اسر وساق ما تيسر من الخيل والمهار ومن وقع فى يده من البنات الأبكار وعاديقطع البر عدوا حتى اشرف على القوم وهم على تلك الحال وكان الفريقان قد عزما على الحرب والقتال وقد ابصر الملك زهير ذلك فضاقت فى وجهه المسالك وقال هذا والله ما كنت اتوقعه واخشاه واما الان فليس لنا الا الضرب بشفار الصفاح والطعن باسنة الرماح ومال ومعدى كرب الى بنى زبيد ففرحوا باقباله وسألوه عن حاله فحدثهم بما جرى له وسألهم عن خالد ابن محارب فقالوا له انه من نصف الليل غائب فقال لهم يابنى عمى اذا كان خالد غائبا فانا اكون فى غيابه نائبا وانا ما دبرت الا انى الحقكم بالمنازل والابيات وقد قضيتم ما فى انفسكم من الحاجات ثم انه بعد ذلك المقال حمل على الحرب والقتال واشتبك القوم بين طعان وضراب وثار الغبار حتى عاد كالسحاب وطاب كاس الموت للشجاع الابى فثبت فى الهيجاء وصبر ومرر للجبان الساقط فولى وادبر وما ارتفع النهار حتى تفرقت مياسر بنى عبس وعمل فيهم الحسام الفاصل وبقى الملك زهير فى الميمنة يدافع عن نفسه ويقاتل وحوله بنوه وجماعة من فرسان القبائل وبان لهم من الموت علائم ودلائل فانخلعت قلوبهم من شدة ذلك الهول وايقنوا بحلول العول وذهبوا فى تلك القفار هذا والملك زهير ينادى فيهم ولكن كان كأنه ينفخ فى رماد . قال الراوى وقد حلت فيهم المهالك وضاقت عليهم المسالك ودارت بهم المواكب وعمل السيف فيهم من كل جانب وضاقت فى وجوههم المذاهب وفى ذلك اليوم عزم الملك زهير ان يترجل ويقاتل عن نفسه الى ان يقتل . قال الراوى ومازال الملك زهير يقاتل الى ان استغلقت فى وجهه ابواب الحيل وظن أنه قد انقلب عليه السهل والجبل فبينما هو يحدث نفسه بالنزول كما قدمنا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف من خلف الاعداء عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان كأنهم العقبان على خيول اخف من الغزلان وجحفل كبير أوفى من الف وخمسمائة

فارس ابطال اشاوس كالاسود القناعس وهم ينادون بفرد لسان يالعبس يالعدنان يتقدمهم فارس فى الحديد غاطس كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل او سخط الله اذا انحدر ونزل وامام الخيل رجل قد طويل قد علق رأسا بسنانه وهو ينادى فى ذلك البر بملء لسانه ويصرخ انقض انقضاض العقبان وارتفع فوقه الغبار الى العنان وفى يده رمح من قلب قد أحرقه اللهب واستطاره الطرب ياويلكم يابنى زبيد قد جاءكم البلاء من كل جانب فاقطعوا آمالكم الكواذب واطلبوا اقرب الطرقات والمذاهب فان اسعدكم الهارب وهذا رأس سيدكم خالد ابن محارب ثم انه رفع بيده رمحا طويلا عالى السنان وعليه رأس ثعبان ورمى امام اولئك الفرسان فتبينوا ذلك الفارس واذا هو الصل الاغبر والحسام الابتر البطل المرهوب الامير شيبوب وذلك البطل القسور هو ابو الفوارس عنتر وانقضوا على بنى زبيد فاذاقوهم البلاء الشديد وعملوا فيهم بالغضب والسنان واشتد الضرب والطعان وادارواعليهم نوبة النحوس وجرعوهم امر الكؤوس وطلع بعد ذلك موكب من النساء والغلمان والاماء وقد اقبلوا على النجب والمهارى وضجت باصواتهم تلك البرارى هذا وعنتر يطعن فى الاعداء ويضرب وينثر الفرسان عن ظهور الخيل فتنقلب وقد انتعشت ارواح بنى عبس بعد امات ونادى الملك زهير يابنى عمى فى مثل هذه الاوقات يكون الصبر والثبات فدونكم الخيل والرجال ولا ترهبكم كثرة الابطال وابشروا بالنصر بعد الانخذال هذا حاميتكم عنتر ابو الشدائد والاهوال الذى يقد بعزمه الجبال ، قال الاصمعى راما خبر قتل خالد بن محارب فان عنترا لما تولى حرس المعسكر كما ذكرنا وجرى بينه وبين اخيه شيبوب ما جرى من العتاب كما اخبرنا وما كان من حديث عبلة وما يتعلق به حسبما قررنا وسمع عنتر ان عبلة تنادى باسمه ليلها ونهارها ولا تزال تذكره فى اشعارها حتى غاب رشده وقال له ويلك اوسع فى البر الافقر وقصد مكان السبايا لعلنا نقدر على خلاصهم قبل السحر واعلم انه حينما وقع بصرى على عبلة او سمعت لها خبرا فى مكان فلابد لى ان اخلصها ولو كان حولها عشائر الانس وطوائف الجان فقال شيبوب سمعا وطاعة ثم سار بين يدى اخيه عنتر واوغلا فى ذلك البر الأقفر حتى

انقطع عنهما الصوت فى تلك البيد وطلب شيبوب مكان بنى زبيد قال قال الراوى وقد ذكرنا ما جرى على قلب خالد بن محارب لما سمع بحديث الجيداء ابنة زاهر وما كان من الاحوال وكنا اخبرنا انه عند اقبال الليل تولى حرس بنى زبيد ولم يأخذ معه غير دامس السلال وكان دامس هذا من اعز الناس عليه واحبهم اليه لانه كان منفردا فى الدهاء والمكر واساليب الحيل والغدر اذا استعمل الخيانة والغدر اخذ الفارس البطل واذا عمد الى الكحل استله من بين اهداب المقل وكان يومئذ قد غير زيه وسار الى احياء عبس فلختلط برجالها وتحدث مع الجيداء فشكت اليه ما تجده من العذاب واخبرته عن حقيقة حالها وارته جراحها وهى تنزف الدماء فشق عليه ذلك واراد ان يدبر حيلة فى خلاصها بما عنده من الاحيال والدهاء فلم يمكنه ذلك نهارا ولا استطاع فى الليل استتارا فعادو فى قلبه التهاب واشتعال وصبر حتى انفصل القتال وعاد خالد من المجال فأخبره دامس بما كان وقال يامولاى انا اقدر اخلصها فى هذه الليلة اذا كنت انت معى ترعانى وترد عنى شر من يغشانى فخرج معه خالد وقد سر بذلك لما يعلم من جرأة دامس وجسارته ولما بعتد بما فى نفسه من قوته وشجاعته وقد وثق بقضاء حاجته وكان حديث الجيداء قد قطع قلبه وسلب لبه فلما وصلا البر واوغلا فى المسير تحت ذيل الليل العاقد وجد فى قطع تلك السباسب والفدافد وخالد يقول لعبده ويلك يادامس ما كنت احب الا ان اظفر هذه الليلة بعنترة ابن شداد وأريه طرق الحرب والجلاد واشرب دمه مثلما اشرب الماء لأجل ما فعل ببنت عمى الجيداء قال وما اتم خالد هذا المقال الا وشبح قد ظهر عليه كأنه بعض الجبال فمال اليه وقال له من أنت من انذال العرب والى أين أنت سائر تحت هذا الغيب فلما سمع دامس السلال هذا الكلام هرول الى خالد وقال له يامولاى ها قد قضى الله مأربك وساق اليك عن كثب مطلبك فهو ذا عنتر فدونك اياه فى الحال وبادره بحد الفيصل الفيصال فعند ذلك صاح خالد بعنترة اليك يا ولد الزنا ونتيجة الخنا قد كنت سائرا لأقطع رأسك وأخمد أنفاسك فأوقعك الله فى يدى وهذا غاية قصدى ثم أنه انحط انحطاط الليالى والأيام فتلقاه

عنترة يضرب كأنه رسل الحمام فترك شيبوب اخاه عنترة وخالد يتجاربان ومال على دامس السلال واشتغل كل واحد بصاحبه واقبل يخادعه ويحاربه وقد انبهر خالد من عنتر كما انبهر دامس من شيبوب وكان شيبوب مع دامس اذا تقاربا بالخناجر واذا تباعدا تراشقا السهام على الحس والكلام هذا وعنتر مع خالد فى عراك وصدام وطعن يسبق رسل الحمام وقتال تتعوذ منه الجن فى براريها وتبهت له الكواكب فى مساريها وقد صار بينهما كر وفر وملال وصبر وهمهمة كهمهمة الاسد ودمدمة كدمدمة الرعد وكانت ليلة سوداء مظلمة مدلهمة مقتمة ولم يزال بين قتال وكفاح حتى انبجس نور الصباح وقد تقصفت فى ايديهما قطع الرماح فعمدا الى البيض الصفاح وابصر خالد من عنترة ما أذهله من شدة البأس وقوة العزيمة فى القتال وشهد انه أبو الفوارس وسيد الأبطال وكذلك دامس وشيبوب أصبحا وقد ملا من المصادمة وكلا من المقاتلة والمهاجمة وتعبا من الجرى فى تلك الفلوات وعطبت ارجلهما من الوثبات وتقرحت أقدامهما من صدم الحجارة عند العثرات وفرغت كنانتاهما من النبال فعمدا الى الخناجر فى القتال وأستمر بين انفصال والتحام واشتباك واصطدام وبينما هم على ذلك واذا بصيحة من نحو عنترة وخالد ضجت لها تلك الفدافد وقائل يقول يالعبس لاشقيت انا حبيب عبلة مابقيت وكان الصايح الاسد القسور لانه رأى من خصمه التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فعند ذلك هجم عليه هجمة الاسد اذا نزع وضربه ضربة لا تبقى ولا تذر أطار رأسه مع ذرد المغفر ونظر دامس الى ذلك فارتعد وعدل على الهزيمة فأدركه شيبوب بأشد عزيمة وضربه بالخنجر بين ثدييه أطلعه بين كتفيه وعاد الى أخيه وهناه بالسلامة وبشره بنيل الكرامة وسأله عن حاله فقال له شيبوب يا ابا الفوارس مالك على فضل هذه النوبة فى قتلك خالدا فان كل واحد منا قد قتل واحدا قال عنترة وحياة عبلة ما لقيت عمرى من الفرسان أفرس من خالد ولا أصبر منه على الشدائد ثم ان عنترا ركب جواد خالد لأن جواده كان قد أعيى فى الكافحة والجريان . واما شيبوب فانه قطع رأس خالد بن محارب وعلقه بالسنان وحمله وعاد يطلب مكان القتال فرأى بنى عبس وقد انكسروا وأذاقهم بنو زبيد الوبال وأعملوا فيهم السيف الفصال وأسارى عبس

ليس عندهم اكثر من مائة فارس من خفير وحارس فلما نظر عنتر الى ذلك اشتعلت النار فى فؤاده وخاف على الملك زهير واولاده فصاح فى الاماء والعبيد العبسية ويلكم يابنى الزوانى وانتم كلكم وقوف تحفظون الأموال خوفا من مائة فارس وتخلون أموالكم مع هؤلاء الشياطين الأبالس ياويلكم حلوا مواليكم من الوثاق والاعتقال حتى نلحق اصحابنا قبل الهلاك والوبال ثم ان عنترا حمل على المائة الفارس الذين كانوا يحفظون الأسارى والسبايا ففرقها يمينا وشمالا واذاقها أشد البلايا وحلت العبيد مواليها من الاعتقال وانطلقت النساء والرجال وركب الجميع الخيل والجمال وصاحوا صيحة واحدة وطلبوا المعمعة والقتال وفى أيديهم اعمدة البيوت الطوال والعصى الثقال وكان بعضهم يرمى بالحجارة والنبال ويقول دونكم وهؤلاء الأنذال وشردت النوق والجمال وأسودت النواحى من اليمين والشمال وطعن عنتر فى بنى زبيد طعنا يسابق الآجال وفتك الفرسان الابطال ورفع شيبوب رأس الرمح وعليه رأس خالد ابن محارب وقال ذلك المقال وفرح الملك زهير وبنو عبس غاية الفرح ببلوغ الآمال وقد جدوا عند ذلك فى الكفاح والنضال وضربوا بالسيوف الصقال وحل باعدائهم الوبال وولوا يطلبون الديار والاطلال وتفرقوا فى الشعاب والتلال ونهبت ارواحهم الرماح الطوال وما زالوا على تلك الحال حتى ذهب النهار واستحال وعادت طائفة بنى عبس عن القتال وقد بلغت المراد والامال وتفرقت فرسانهم فى البر لجمع الاسلاب والاموال وعاد عنترة ليهنىء الملك زهير بذلك النصر بعد الانخذال فجاش الشعر فى خاطره فانشد وقال صلوا على رسول الهدية والكمال :

لقد وجدنا زبيدا غير صابرة ... يوم التقينا وخيل الموت تستبق

اذا أدبروا فعلمانا فى ظهورهم ... ما تعمل النار فى الحلفى فتحترق

وخالد قد تركت الطير عاكفة ... على دماء وما فى جسمه رمق

خلقت للحرب أحميها اذا بردت ... واصطلى بلظاها حيث احترق

والتقى الطعن تحت النقع مبتسما والخيل عابسة قد بلها العرق
لو سابقتنى المنايا وهى طالبة قبض النفوس أتانى قبلها السبق
ولى جواد لدى الهيجاء ذى شغب يريك سيل الغوادى حين ينطلق
ولى حسام اذا ما سل فى رهج يشق هام الأعادى حين يمتشق
أنا الهزبر اذا خيل العدا طلعت يوم الوغى ودم الابطال يندفق
ماعبست حومة الهيجاء وجهفتى الا ووجهى اليها باسم طلق
ماسابق الناس يوم الفضل مكرمة الا بدوت أليها حيث تستبق

قال الراوى ولما أنتهى عنتر من هذه الأبيات طلب الملك زهيرا وهو مثل شقيقه الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فقبل ركاب الملك زهير وشكره على فعاله وهناه بالسلامة وسأله عن حاله فحدثه بما جرى له مع خالد بن محارب من القتال وكيف أورده كأس الوبال وما جرى لشيبوب مع دامس تحت ذلك الظلام الدامس فتعجب الملك زهير وقال له لله درك يا أبا الفوارس والله اننا كنا قد اشرفنا على الهلاك ووقعنا فى أشراك الارتباك وهذا كله حتى يرضى عمك القرنان لا عمرت به الأوطان فدعا له عنترة بطول البقاء والنصر والدوام فى حال المجد والفخر وقال له يامولاى بحلمك واحسانك تصفح عن عشيرتك وغلمانك فمثلك من صفح وغفر وأسبل ذيل العفو وستر ، قال وكان شداد ابو عنترة قد ركب جواده الأبجر ولما نزلوا للراحة وقد أقبل الليل طلب عنترة عبلة فلم يقف لها على خبر وطلب عمه مالكا وولده عمرا فما وقف للجميع على اثر فقلق لفقد عبلة وتحير وشعر أن ظهره قد أنكسر وأخبر الملك زهيرا بذلك فجرى على قلبه مالم يجر على قلب بشر وقال الملك زهير والله ان هذا الرجل قد خلع عنه ثياب الانسانية وتردى بثياب البغى وأستتر وما أرى الا ان نقتله ونمحو منه الأثر ثم ان الملك زهيرا سأل عمن كان تخلف فى المنزلة وقت الحملة الكبرى فقيل له لم يتخلف فى المنزلة الا الربيع بن زياد ومعه أخوه عمارة وعروة بن الورد لأن الربيع كان مثخنا بالجراح لشدة :ما قاسى من الكفاح لا يقدر على غدو ولا رواح قال فلما وصل الربيع وصار قدام الملك زهير وقال له

الملك زهير والله يا ربيع ما قصرت فيما أوصيناك به من حفظ المنازل والأبيات ولاشك ان رب السماء قد عاقبك من أقرب الطرقات لأنك تركت المنازل نهبا للعدى وتبعت اخاك عمارة حتى وقعت بنا هذه الخسارة قال الربيع والله يامولاى ان لمتنى فما تكون انصفتنى وان عتبت على تكون ظلمتنى لأنك عند رحيلك طردتنى وخفضت قدرى وأهنتنى وفى قضية عنترة وعمه مالك اشركتنى ومنعتنى من المسير معك وابعدتنى والحال ان ابا عبلة عند رحيلك عدل على الرحيل من دون الناس لاجل ما أهانه ولدك شاس وقال له لابد لى من المسير الى بلاد الشام واقيم هناك الى ان يدركنى الحمام فخفت ان يتوجه فى مسيره فيبقى على الملام وقد اضطررت فرحلت معه لما سمعت منه تلك الاقسام وردته واترلته معى فى أرض ذات الخرجين وطيبت قلبه وقلت له يا ابن العم لا ترحل الى اى مكان قال الملك زهير لا يعقل عنا مقدارا طويلا من الزمان فاقم بنا ههنا حتى يعود الملك من سفرته ويكون ابن اخيك عنترة فى صحبته وانا اقدد الى أولاد الملك زهير وادعهم كلهم يسيرون اليك ويقبلو ما بين عينيك ويعيدونك الى ارضك فى العز والاكرام ويغمرونك بالاحسان والانعام ثم اننا بعد هذا الكلام ما اقمنا غير ثلاثة ايام حتى جرت علينا هذه المصائب العظام التى ما جرى مثلها على احد من الأنام فقد فتك فينا الرمح والحسام ودارت علينا كؤوس الحمام قال له الملك زهير وقد علم ان كلامه زور ومحال دعنا يا ربيع سر هذا المقال وحدثنا بما جرى من مالك ابى عبلة وولده عمر من الفعال فعند ذلك حلف الربيع ان ما عنده من أمرهما خبر ولا وقف لهما على اثر وقال الربيع ايها الملك لما حلتنى العبيد من الوثاق كانت روحى قد بلغت التراق وانا مطروح فى الصحراء وجراحى تنزف بالدماء فلما سمع الملك زهير ذلك قال وحق الذى تحت حكمه جميع المماليك ان مماتك من العشيرة خير لها فما جرى عليها ما جرى الا من دواهيك وفعالك واما ابو عبلة فلابد لى ان اقابله على ما فعل وأريه اننا اقدر على المكر والحيل فقال عروة بن الورد ياقوم ماقى العرب من له بنت ولم يرد ان يزوجها الا مالك فقال شاس بلى يا عروة كثير من العرب من فعل ذلك لكن هذا القران كل يوم يزوج بنته بشيطان ويسوق الينا البلايا والمهالك وانت تعلم

انه زوج عبلة بعنترة مرارا عديدة ورماه فى كل داهية شديدة واشهدنا عليه بقبض المال ثم نكث فى المقال ثم ان القوم اقاموا فى ذلك المكان ثلاثة ايام وارتاح الجميع من جهد التعب الا عنترا فانه ما ذاق المنام والهم فجعل مالك يسليه ويقول له يا ابا الفوارس لا تشمت بنا الاعداء من بنى زبيد واصبر صبر الرجال الاماجيد حتى نسمع بخبر عمك وعلى ولا التذ بطعام بل انه بات عند مالك بن زهير بين الغبن والغم والاسف ما نزل من العرب وتتوسل اليه فبلغ منه اقصى الأرب ومازال مالك بن زهير يسليه حتى مضى الظلام وقام أولاد الملك زهير الى المنام وخلا عنترة بنفسه فبكى وانتحب وفاض دمعه وانسكب واشتعل قلبه والتهب فعند ذلك نطق لسانه بالأدب كما جرت عادة العرب فانشد يقول:صلوا على الهادى البشير طه الرسول

اذا كان دمعى شاهدى كيف اجحد ... ونار اشتياقى فى الحشى تتوقد
وهيهات يخفى ما اكن من الهوى ... وثوب سقامى كل يوم يجدد
اقاتل اشواقى بصبرى تجلدا ... وقلبى باغلال الغرام مقيد
الى الله اشكو ظلم عمى وجوره ... اذا لم اجد حلا على الظلم يسعد
خليلى امسى حب عبلة قاتلى ... وباسى شديد والحسام مهند
حرام على النوم يا ابنة مالك ... ومن فرشه نار الغضى كيف يرقد
والثم ارضا انت فيها مقيمة ... لعل لهيبا حل فى القلب يبرد
رحلت وقلبى يا ابنة العم تائه ... على أثر الاظعان اركب ينشد
وانى على ما تعهدين من الولا ... فهل لم تزالى مثلما كنت اعهد

قال الراوى ولما أصبح الصباح رحل الملك زهير يطلب ارض الشربة والعلم السعدى وقلبه على من بقى من الحريم والعيال والانعام والأموال وانفذ عنترة اخاه شيبوبا يكشف له أخبار عبلة ويبصر عنه وينظر ماذا فعل وعلى أية القبائل قد نزل ومن قد أجاره من أهل الحال ثم ركب عنترة الى جانب أبيه شداد فى موكب بنى قراد وسار اولاد الملك زهير حواليه يحادثونه ويطايبونه وعن ذكر عبلة يشاغلونه . واما بنو زياد فان ذلك

اليوم كان عندهم من افضل ايام الاعياد لأجل بغضهم لعنترة بن شداد ولما كان وقت المساء نزل بهم الملك زهير على بعض الغدران ليستريح الرجال والاطفال والنسوان قال وكانت بنو زياد تنزل عن يمين الملك زهير وبنو قراد عن شماله فعارض عمارة عنترة عند النزول وعنترة فى حالة العدم وجيش الغم قد نزل به وخيم وقال له وقد أظهر الشماتة والحسد ما حالك يا أسود الجلد لقد ظهرت عليك علائم الغرام وتبعك الوجد والهيام ومازلت على لجاجتك حتى احرمتنى واحرمت نفسك حاجتك فلما سمع عنترة من عمارة هذا الكلام زاد به الالتهاب واضطرار غير انه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقال له ويلك يا ابن زياد أتعيرنى بسواد لونى الذى ستره بياض فعلى حتى تود كل انثى فى ابياتكم ان تكون حاملة مثلى او ما تعلم ان جميع القبائل تشهد اننى رب السيف ومقصد الضيف وجالى الغياهب وكاشف النوائب ومزيل الضر وجالب النفع ومثير النقع وذو اليد البيضاء والعجاجة السوداء فى الهيجاء وسل من شئت عن عنترة فارس الابجر يخبرك اننى الأسد القسور والسبع الغضنفر فقال عمارة كذبت فى المقال يا ابن الأنذال وسوف ترى صدق هذا الكلام ولتقعن منى بليث ضرغام وبطل همام فلما سمع عنترة كلام عمارة قال له والله يا عمارة انك أذل واحقر من ان تضرب كلبا على باب عنترة او تنظر اليه يلمح البصر وانشد يقول :صلوا على المكمل طه الرسول

أخولى تنفض أستك مذرويها ... لتقتلنى فها أنا ذا عمارا
متى ما تلقنى فردين ترجف ... روانف اليتيك وتستطارا
وسيفى صارم قبضت عليه ... أشاجع لا ترى فيها انتشارا
حسام كالعقيقة فهو أمضى ... سلاحى لا أنل ولا قطارا
وأسمر من رماح الخط لدن ... تخال سنانه فى الليل نارا
وخيل قد زلفت لها بخيل ... عليها الاسد تهتصر اهتصارا
ستعلم أينا للموت أدنى ... اذا دنيت لى الاسل الحرارا

قال ثم ان عنترة قال لعمارة واما قولك انى حرمت الاجتماع بابنة عمى وتعيرنى بحزنى وهمى فوحق من رفع السماء وعلم آمد الأسماء

لآخذتها على رغم آنف الجميع من الأعداء من بين الحرائر والنساء والأماء ولو كان دونها من الفرسان ما تضيق عنه البيداء قال وعاد شاس ايضا وقال لعمارة ويلك الا تشفق على نفسك من حلول رمسك وكم تقبح على من لا تقدر عليه بمضرة وقد خلصك من الهلاك الف مرة على انك والله ما آنت من آقرانه ولا تستطيع الثبات على ضربه وطعانه قال فعند ذلك عاد عمارة بصفقة الخاسر وقلب الحاسر وسمع اخوه الربيع بما جرى فقال له ويحك يا عمارة دعه ولا تعارضه فى الكلام وخله يموت بالوجد والغرام فان نفسه عنده قد هانت وما يعارضه الا من تكون منيته قد حانت . قال وباتوا تلك الليلة ولما آصبح الصباح اشرفوا على الأحياء فلاقتهم الغلمان والنساء ووقعت الأفراح وعلا الصياح وتباشرت الأحباب بالأحباب وسر المقيمون بقدوم الغياب وزادت نار عنتر استعارا لما رآى دار عبلة ومنازلها قفارا فعند ذلك اتكأ على رمحه وبهت الى الديار وصار ينظر الى الرسوم والاثار ودموعه على خديه مثل وابل الأمطار فآنشد يقول صلوا على الممجد احمد الرسول :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

أعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى يكلمك الاصم الاعجم

يا دار عبلة بالجواء تكلمى ... وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

دار لآنسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة التبسم

أوقفت فيها ناقتى وكانها ... فدن لأقضى حاجة المتلوم

وتحل عبلة بالجواء وأهلها ... بالحزن فالصمان فالمتثلم

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

وتحل عبلة فى الخدور تجرها ... وأظل فى حلق الحديد المبهم

حلت بأرض الزائرين فأصبحت ... عسرا على طلابك ابنة محرم

علقتها عرضا وأقتل قومها ... زعما لعمر أبيك ليس بمزعم

ولقد نزلت فلا تظنى غيره ... منى بمنزلة المحب المكرم

انى عدانى أن أزورك فاعلمى ... ما قد علمت وبعض ما لم تعلم

حلت رماح بنى بغيض دونكم ... وزرت خوافى الحرب كل ملمام
يا عبل لو أبصرتنى لرأيتنى ... فى الحرب أقدم كالهزبر الضيغم
كيف المزار وقد تربع أهلها ... بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
ان كنت أزمعت الفراق فانما ... زمت ركابكم بليل مظلم
ما راعنى الا حمولة أهلها ... وسط الديار تسف حب الخمخم
فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الاسحم
اذ تستبيك بذى غروب واضح ... عذب مقبلة لذيذ المطعم
وكأن فأرة تاجر بقسيمة ... سبقت عوارضها اليك من الفم
أو روضة أنفا تضمن نبتها ... غيث قليل الدمن ليس بمعلم
نظرت اليك بمقلة مكحولة ... نظر الملوك بطرفة يتقسم
وبحاجب كالنون زين وجهها ... وبناهد حسن وكشح أهضم
ولقد أمر بدار عبلة بعد ما ... لعب الربيع بربعها المتوسم
جادت عليها كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

قال الراوى وهذه القصيدة هى التى علقها عنترة فى البيت الحرام ولما فرغ عنترة من انشادها برد ما عنده من الضرام واقبل عليه اولاد الملك زهير وقد تعجبوا من مقالته وطربوا من فصاحته وقالوا والله يا أبا الفوارس ما سبقك الى هذه المعانى احد فى هذا الزمان وانت ورب الكعبة فصيح بنى عبس وعدنان ومن يكون هذا المقال مقاله وتلك الفعال فعاله كيف يذل لسلطان الهوى ويخضع لما يجد من الصبابة والجوى فأبعد هذا عن قلبك وأشرح صدرك فان عمك هو الخاسر فى تدبيره وحيثما مضى فالى هذا المكان آخر مسيرة قال عنترة يامولاى ما دخل الهوى بقلبى باختيارى وبغيتى ولاتمكن منى بارادتى حتى أزيله من فكرتى ثم ان عنتر نزل فى أبيات أبيه شداد وعاد اولاد الملك زهير الى ابيهم واخبروه بما ابدى عنترة من البراعة فى الانشاد فطرب الملك زهير وامر أخاه اسيد ان يكتبها ليفاخر بها أهل الفصاحة والادب ويتباهى على جميع شعراء العرب . قال الراوى ومن الغد أتى الشيخ بدر بن عمر سيد بنى فزارة ومعه أولاده حذيفة وحمد ووجوه قبيلته وهنأوا الملك زهيرا بسلامته وقال له الشيخ بدر لا تظن ايها السيد اننا

توانينا على معدى كرب لما ساق اموالكم واسر ولدك ورقاء بل لما وصل الينا الخبر ركبنا على الاثر وسقنا يومين وليلة فما حظينا بظفر قال الملك زهير يا ابن العم ما كان الا الخير ثم حدثه بماجرى واعاد عليه ما تم وطرآ وامر العبيد بذبح النوق والاغنام وعمل لهم وليمة مدة ثلاثة ايام وكان عنتر اذا حضر يرفع الملك زهير مكانه ويعظم قدره وشأنه ويجلسه عن يمينه مع الشيخ بدر واولاده فيستحى منهم عنتر ويظهر الجلد ويخفى الكمد ويأكل ويشرب ونار الشوق فى احشائه تتلهب فلما فرغت الوليمة عاد الشيخ بدر الى دياره ودعا ابنه حذيفة اولاد الملك زهير واخذهم معه ودعا شاس عنترة معه فأجاب دعوته وطاوعه فصاروا كلهم حتى وصلوا الى ارض بنى فزارة فنزلوا على مرج افيح وكان ذلك الوقت زمان الربيع والارض تنقشت بالوان زهرها البديع ونشرت حللها الملونات على الصحارى والربوات وفاح بها الزهر من سائر الجهات ونظر حذيفة تقصير عنترة فى آكله وشربه وقوة نشاطه عند لهوه ولعبه فقال له يا ابا الفوارس الى متى يكون هذا الغم والكمد اما تعلم ان هذا يهدم مجدك الذى بنيته وعلاك الذى علته والله ان عمك هو الخاسر فى هذه الفعال وسوف يرجع اليك بالخضوع والاذلال فقال عنترة والله يا امير ما آنا متأسف الا على الجميل الضائع والمخاطر فى ركوب الأخطار وخوض المعامع واخيرا تشمت بى الحساد وتتكلم فى عرضى اللئام الاوغاد قال وعند ذلك جالت الدموع فى اجفان عنتر وتحسر من عظم ما جرى عليه وتفكر ومنعه الحياء من البكاء فقام واوسع فى الفلا ليسلى نفسه من ذلك البلا واذا بسرب حمام قد تساقطن على اغصان الشجر وتجاوبن بالنوح كما تجاوب النساء الثاكلات فاجرين من اجفان عنترة العبرات وتصاعدت من انفاسه الزفرات فجاش الشعر فى خاطره وباح بما انطوت عليه خفايا ضمائره فانشد يقول : صلوا على احمد الرسول

يا طائر البان قد هيجت أشجانى ... وزدتنى طربا يا طائر البان

ان كنت تندب ألما قد فجعت به ... فقد شجاك الذى بالبين أشجانى

زدنى من النوح واسعدنى على حزنى ... حتى ترى عجبا من فيض أجفانى

وانظر الى نار وجدى لاتكن جفلا ... واحذر على الروح من أنفاس نيرانى

وطر لعلك فى أرض الحجاز ركبا على عالج أو دون نعمان
يسرى بجارية تنهل أدمعها شوقا الى وطن وجيران
ناشدتك الله يا سرب الحمام اذا رأيت يوما حمول القوم فانعانى
وقل طريح تركناه وقد فنيت دموعه وهو يبكى بالدم القانى
ويسأل الريح من أى الجهات أتت عنكم سؤال سليب العقل حيران
أقسمت لوكان فوق الشمس منزلها أوفوق أعلى السهى أو ظهر كيوان
لابد أشفى غليل القلب من رجل بغدره عن بلوغ القصد أقصانى

قال وكان عنتر لما قام من المجلس تبعه مالك بن زهير وتمشى وراه وهو لا يدرى حتى باح بسر هواه وسمع شعره وشكواه فجرح قلبه وبكى لبكاه ثم أن عنترة بعد هذه الأبيات كن دموعه السجيمة وعاد الى الوليمة وأما مالك ابن زهير فانه حدث أولاد بدر بما سمعه من عنتر فرثى لبلواه كل من حضر وقال حذيفة قاتل الله العشق كما أقتله للعشاق وما أذله للاعناق ثم أن القوم عادوا الى ما كانوا عليه وحذيفة يوسع لهم فى الشراب والطعام ويزيد لهم فى الاكرام تمام سبعة أيام ولا يمضى يوم الا ويسمعون من عنتر ما يطربون به من النثر والنظام وفى اليوم الثامن عاد اولاد الملك زهير وعنتر الى حى بنى عبس وقد زاد به الوجد والغرام وبانت عليه علامات الضر والسقام وما كان يفرج عنه الهموم والكروب الا قدوم أخيه شيبوب . فان قلبه كان معلقا بقدومه اليه لكى يقص ما عنده من الخبر عليه قال وما زال عنتر ينتظره تمام الأربعين يوما وقد زاد به القلق واشتعلت فى قلبه نيران الحرق وأراد أن يسير فى طلبه ليكشف حقيقة خبره ويعلم ما تم عليه فى سفره قال فبينما يحدث نفسه بالمسير فى أثر أخيه شيبوب واذا به قد أقبل ودخل عليه على عجل فنظر اليه عنتر فلم يعرفه لأن قدومه عليه كان فى الليل وكان قد أصابه الذهول والحيرة حتى صار فى حال الذل والويل فقال له شيبوب ويلك يا عنتر ماذا جرى عليك حتى صرت مثل الولهان وأنت لا تعى على انسان قال فلما عرفه عنتر كاد قلبه ينفطر واذا به شيبوب فقال له يا أخى أخاف أن تكون بعد هذه المدة عدت بلا فائدة وما وقعت لعمى على خبر ولا طلعت

لعبلة على جلية أثر قال شيبوب حقا يا أخى ما جئتك الا بالخبر اليقين الذى عاينته والصواب المبين وها أنا أعرفك ان عمك نزل على بنى شيبان عند قيس بن مسعود صاحب العساكر والجنـود واستجار به فأجاره وأعطاه الزمام وزوج عبلة بولده بسطام واختار هناك المقام فلما سمع عنتر ذلك قلق وهام ولم يترك أن يتم أخوه الكلام وأحس أن روحه انسلتت من جسده من شدة الغرام وقال ويلك أدخل عليها ذلك الشيطان ابن الألف القرنان قال شيبوب لا يا أخى اسمع هذه القصة واترك عنك هذه الغصة انى لما فارقتك سرت الى ديار بنى قحطان وزرت حللا كثيرة من حلل العربان حتى سمعت أن عمك نازل فى ديار بنى شيبان فسرت الى القوم وقد ضيقت لثامى وغيرت كلامى ودخلت فى الليل الى الحلة والقوم عنى فى غفلة فرأيت قيس بن مسعود قد ركب عند الصباح فى موكبه وعمك وولده الى جانبه ثم انى رصدت مضرب عبلة حتى خلا ودخلت عليها فرأيتها تبكى من شدة الشوق الى الديار والاطلال وقد تغير منها ذلك الحسن والجمال فلما رأتنى وثبت الى ودموعها تنحدر وقالت لى ويلك يا شيبوب أين أخوك عنتر . فقلت لها هو مقيم فى بنى عبس يقاسى التعس والنكس وأنا درت عليك جميع الحلل وعملت جميع الحيل فما وقفت لك على أثر ولا اطلعت على خبر فقالت حقا انى كنت خائفة عليه وليس عندى أحد يوصل خبرى اليه وأنا قد غرقت فى بحر الهموم والفكر لأن أبى قد زوجنى ببسطام بن قيس وطلب منه مهرى رأس ابن عمى عنتر وقد اتفقوا جميعهم على ذلك وما بقى الا ان ينصبوا لاخيك اشراك المهالك فارجع اليه واعلمه بالخبر وقل له أن يكون من أمره على حذر ثم بعد ذلك ودعتنى وقد زاد بكاها وعظمت شكواها وتلهبت بنار جواها وقد .

انتهى الجزء الثامن من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء التاسع

الجزء التاسع

من سيرة

عنتر بن شداد

ارسلت لك معى ابياتا حلفتنى ان انشدها عليك وهى :

أيا ابن العم قد طال انتزاحى ... وذبت لفرط وجدى والتياحى
واو أنى قدرت لطرت شوقا ... الى تلك الديار مع الرياح
ولكن حول أبياتى رجال ... تهز أكفها سمر الرماح
وقد أصبحت مثل الطير لكن ... يد الايام قد قصت جناحى
فيا لله كيف يباع مثلى ... رخيصا العدى ببيع السماح
ويرغب فى غريب أجنبى ... ويزهد فيك يا ليث الكفاح
وحقك لا نقضت العهد يوما ... واو قطعت بالبيض الصفاح
فدبر ما ترى فيه صلاحا ... فانك أنت أخير بالصلاح

قال ولما فرغ شيبوب من أداء الرسالة التى من عبلة الى اخيه عنتر توقدت عيناه حتى كاد يطير منهما الشرر وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لأجعلن بسطاما وبنى شيبان أحدوثة فى هذا الزمان تتحدث بها جميع العربان وأجازى عمى على هذا الغدر حتى يرى كيف عاقبة المكر .

ثم قال عنتر وأين هم نازلون فقال شيبوب بأرض العربنين والدهناء وهم فى أقل من ألف فارس من بنى شيبان لأن أكثرهم فى هذه الأيام على المروج والغدران ولكن هيبة قيس وبسطام تحرسهم من طوارق الحدثان . قال وكان السبب فى فقد مالك أبى عبلة ونزوله على بنى شيبان وهو انه لما فرغ عنتر من نوبة خالد بن محارب وحمل طالبا معونة الملك زهير وأولاده على قتال بنى زبيد وحملت خلفه من بنى عبس الفرسان الصناديد وخلا المكان من الأحرار والعبيد قال مالك للربيع اما ترى ما أعظم سعادة هذا العبد الأسود الذى قد طغى وتمرد

وكلما رميناه فى تهلكة يسلم منها ونقع نحن فيها فيحوجنا الدهر اليه ويكون خلاصنا على يديه والله ان شرب كأس المنية أهون علينا من هذه الليلة والآن ما بقى لى من يده خلاص ولابد أن يأخذ ابنتى بالعنف ولا أعلم كيف يكون التدبير فى أمر هذا العبد الطنجير فقال له الربيع أعلم يا ابن العم أن الناس الآن مشغولون بالحرب فاركب أنت بجميع أهلك على هذه الحناثب والمهارى وأقطع بهم القفر والبرارى وأطلب أرض بنى شيبان فما ينفصل الحرب الا وانت فى أبعد مكان وإذا نزلت على قيس بن مسعود وشكوت اليه حالك فلابد ان يبلغك آمالك لأنه ملك مطاع وله ولد اسمه بسطام تخاف منه السباع فأقم تحت ظله وهو يقتل لك عنترا ويخلصك من هذا العار الأكبر فلما سمع مالك كلامه رآه غاية الصواب وركب من المهارى والنجب التى اتى بها معدى كرب وأخذ جميع أهل بيته ومن يتعلق به من الأصحاب حتى وصل الى الملك قيس ابن مسعود واستجار به فأجاره وأعطاه الزمام وطلب له هناك المقام .

قال الراوى وكان هذا الملك قيس ملك بنى شيبان والحاكم على تلك العربان وكان يقال له قيس ذو الجدين لأنه أصيلى فى النسب ورفيع المجد والحسب وكان له ولد اسمه بسطام ترتاع من هوله أسود الآجام وكان قد سمع الملك النعمان به فأرسل يخلعه اليه وطلبه لمبارز الفرسان بين يديه فحضر عند النعمان وبارز الفرسان وقارع الشجعان وبطح الأفران فى حومة الميدان وأقام عنده مدة أيام وعاد طالبا ديار بنى شيبان وقبل وصوله أرسل عبده وأخبره أباه وأهل الحلة فخرجوا الى لقائه وكان فى جملة من خرج مالك أبو عبلة فسلم عليه وقبل يديه وبعد وصوله الى الحى سأل عن مالك وعشيرته فقالوا يا أمير هؤلاء القوم من بنى عبس وقد نزلوا على ابيك مستجيرين به من عبد نشأ عندهم وقهرهم بشجاعته واحتاج ملكهم الى سيفه وحمايته ولو أن يغضب هذا الشيخ على ابنته فأنف الرجل من ذلك والتجأ الى أبيك واستجار به فأجاره وأعطاه الزمام والآن له عندنا جملة أيام وفى غضون ذلك وصفوا له حسن عبلة وملاحتها وأدبها وفصاحتها فاشتغل قلبه وخلا بأمه وقال لها يا أماه هل رأيت هذه الجارية العبسية التى أتت مع هذا الشيخ قالت نعم وما رأيت أحسن منها فما الذى تريده بسؤالك عنها قال وهل

هى من الحسن كما قيل لى عنها قالت نعم يا ولدى وأكثر لأنها فتنة لمن يراها ومنية لمن تمناها قال فلما سمع الأمير بسطام هذا الكلام اشتد به الغرام وقال لأمه يا أماه لقد كان من نيتى أنى لا أذكر النساء وأما الآن فقد وقع فى قلبى من هذه الجارية نار لا تخمد ولوعة لا تهمد ولقد اشتهيت أن أراها قبل أن أخطبها لأن كل عين لها نظر قالت وكيف تقدر على هذا وهى مخدرة لا تراها شمس ولا قمر قال بسطام يا أماه متى حشر أبوها وأخوها الى مجلس أبى فادعى أنت أمها وأكرميها وطاوليها فى الحديث حتى التف بكساء واذهب — الى بيتها بزى سائلة لعلى أراها اذ لا عيب على الانسان اذا سعى فى حاجة نفسه وقضاها فأجابته أمه الى ذلك حتى كان الغد وحضر أبوها وأخوها الى مجلس أبيه وأنفذت أم بسطام الى أم عبلة فحضرت وأكرمتها ولاطفتها فى الحديث وشاغلتها فلبس بسطام ثياب امرأة فقيرة وخرج يطوف فى الحلة حتى وصل الى بيت مالك ابى عبلة وكانت عبلة فى ذلك الوقت سافرة رافعة النقاب وقد لاح وجهها كالقمر اذا أنكشف عنه السحاب فبينما هى كذلك اذا ببسطام قد وقف على باب الخبا وقال لها ياحرة العرب الله يبلغك مراد قلبك سدى جوعى وكفى دموعى فانى امرأة فقيرة الحال كثيرة العيال قليلة الرجال فدخلت عبلة الى الخبا ثم خرجت ومعها رغيف وشىء من التمر وقالت خذى يا خاله واعذرينا فى هذا المقدار لأننا غرباء فى الديار هذا وبسطام قد غاب عن الوجود من عذوبة كلامها وحسن منظرها واعتدال قوامها ثم عاد الى أمه وهو غائب من الصواب وخلع عنه تلك الثياب وقال لها يا أماه لا تسألى عن حالى فما بقى لى سمع ولا بصر بعد هذه النظرة التى تدهش النظر فقالت له طب نفسا وقر عينا لانك اليوم سلطان بنى شيبان وأنا أخاطب أباك فى هذا الشأن ثم حدثت أباه بالقصة وأعلمته بما وقع فى قلب بسطام من الغصة فقال لها يا ابنة العم اننى سادعو اباها وابذل له ما يريد من المال والنوق والجمال واجمع بهذه الجارية شمل بسطام ولا أدعه يكابد لواعج الغرام ثم دعا ولده بسطام وطيب قلبه بنوال المرام ودعا بمالك ابى عبلة وقال له اعلم يا وجه العرب اننى أقول لك قولا لك فيه الصلاح وان كنت توافقنى فتحت لك أبواب النجاح

قال قل أيها الملك ما بدا لك فانني لا أخالف مقالك قال أريد أن تزوج ابنتك بولدى بسطام الذى هو سيد بنى شيبان وحامى بلاد النعمان واطلب ما تريد من المال والنوق والجمال حتى أسوقه اليك فى الحال . فلما سمع مالك هذا الكلام ورآه طبق المرام فكاد قلبه يطير من السرور وقال يامولاى ما أنا لديك إلا عبد مأمور ولكن يا سيد العرب انت تعلم ما تم من السبب وانى ما اتيت اليك إلا لكى استجير من ذلك العبد الطنجير وقد حلفت بالبيت الحرام وما فيه من الآلهة والأصنام اننى ما أزوج ابنتى لا لمن يأتينى برأسه لأنه مادام فى قيد الحياة لا استأمن على نفسى من بلاه وعند ذلك أزوجه ابنتى من غير مهر ولا صداق فلما سمع بسطام ذلك الكلام طاب قلبه وانفرج كربه وقال له يا شيخ ان هذا الأمر عندى من أهون الأمور فلابد أن أحضر برأسه اليك حتى تدوسه برجليك وأنفى عنك الهم والغم والعار وأطفى ما بقلبك من النار وبعد ذلك أعطيك ما تريد من المال والجمال والعبيد فتصير أنت وابنتك من أرباب النعم وأصحاب المماليك والخدم وعند ذلك أعطى مالك يده لبسطام وانفصل الأمر على هذا المرام ونهض بسطام والدنيا لا تسعه من شدة الأفراح وأيقن بالتوفيق والنجاح .

قال الراوى وبعد ذلك خلا بسطام بأبيه فقال قيس والله يا ولدى ان هذا الذى ضمنته أمر عظيم وخطر جسيم لأننا ان جمعنا حلل بنى شيبان ومضينا الى بنى عبس وعدنان ثارت بيننا الحروب ونصير بين غالب ومغلوب وتقول عنا العربان اننا ما قدرنا على قتل عبد بنى عبس حتى جمعنا عليه بنى شيبان وما ثارت بيننا هذه الفتن الا من أجل جارية غريبة مشردة عن الوطن وان سرت وحدك وبذلت المجهود ما أظنك تنال المقصود وربما تلقى نفسك فى الخطر ويحكم القضاء والقدر فقال بسطام يا أبتاه ما هذا الكلام ومن هم بنو عبس الأنذال حتى أسير اليهم بالخيل والرجال وأنا أقسم بالركن والحجر والهبل الأكبر اننى لا أسير اليهم الا وحدى ولأفعلن بهم فعالا تتحدث بها الناس من بعدى وأعود ورأس عبدهم معى ويرتفع قدرى وموضعى ولكن أريد أن تكتم عنى هذا الحال ولا تطلع عليه أحدا من النساء والرجال ومن سأل

عنى من العربان فقل له مضى الى بلاد النعمان وان أطلعت على أمرى احدا قتلت نفسى ولا ترابى أبدا فانى أخبر الناس بعواقب الدهور وأعرفهم بحوادث الأمور واننى أخبرك بما أريد من العمل وما عزمت عليه من الحيل فانى اذا وصلت الى أرض بنى عبس وعدنان اختفى بين الرمال والكثبان فلابد لعنترة ن يخرج يتصيد فى ذلك المكان فأقطع رأسه وأعود به الأوطان قال الراوى فلما رأى ابوه منه ذلك العزم الشديد أطاعه على ما يريد وقال اذهب بحفظ الالهة العظام وعسى تحظى بنيل المرام ثم ان بسطاما صبر حتى ولى النهار وانصرم وأقبل بجيوش الظلم فتأهب وخرج من الخيم يطلب الذى عليه قد عزم . قال الراوى وجعل بسطام يضرب فى البرارى والقفار وقد لعبت به لواعج الغرام وصار يلتفت الى المضارب والخيام وأنشد يقول . صلوا على الحبيب المحبوب طه الرسول :

زودينى يا عبل منك السلاما ... واحفظى حرمتى وارعى الذماما
قد تملكت سيدا وهماما ... كان لا يعرف الهوى والغراما
فارس تسجد الفوارس فى الحر ... ب له قبل أن يسل الحساما
ان قلبى فى دار عبلة من بعـ ... ـد رحيلى عن الديار أقاما
يا لقومى قتلت بأعين النجـ ... ـل وأمسيت مغرما مستهاما
وجفونى قد حللت سهر الليـ ... ـل وباتت ترى المنام حراما
قد رمت مهجتى فتاة لعبس ... بلحاظ قد ذقت منها الحماما
عجبى من لواحظ باترات ... كيف ترمى الى القلوب سهاما
خطرت فاستعار منها قضيب الـ ... ـبان لينا والخيزران قواما
ورآها الهلال فاقتبس الأنـ ... ـوار من وجهها فعاد تماما
وظلام الدجا تحير لما ... أسلبت شعرها فزاد ظلاما
صورة او بدت لنا كل يوم ... ما عبدنا من بعدها أصناما
فدع العشق يا ابن شداد واسل ... عن هوى عبل والتقى بسطاما

قال الأصمعى وجعل بسطام يجد السير فى السهول والآكام وهو

سكران من خمرة الغرام كما يسكر شارب المدام فما افاق على نفسه الا وقائد الهوى قد أعدمه التوفيق وسائق العشق قد ضل به عن الطريق لأنه أراد أن يطلب وادى ذى قار فبات فى أرض الدمايث وتلك الأقطار وهى أرض واسعة الجنبات دراسة الطرقات كثيرة الآفات موحشة الفلوات فوقف ينظر ذات اليمين وذات الشمال ويتأمل فى تلك الروابى والتلال واذا بغبار من بين يديه قد ثار وأظلم منه ضوء النهار ثم انكشف عن سبعين فارسا مسربلين بالحديد وبين أيديهم فارس كأنه الحصن المشيد ولما رآهم بسطام حرك نحوهم الجواد وأراد أن يستخبرهم من أى العرب هم ومن أى البلاد وكانت أيضا الفرسان لما نظرته حركت نحوه الخيل وطلبته مثل اندفاق السيل وقفز مقدمها اليه وقال له يا فتى من تكون من فرسان العرب أتنسب عسى ينجيك النسب فلما سمع بسطام ذلك الكلام زاد به الغضب واشتد به السخط والنهب وقال له ويلك أنا بسطام ابن الملك قيس بن مسعود الكريم الاباء والجدود وان كان لا ينجينى النسب نجانى هذا الحسام المشطب وهذا الرمح المكعب وأنت من تكون من أوباش العرب قال فما اتم بسطام هذا الكلام حتى أبدى ذلك الفارس الابتسام وهز فى كفه ذلك الرمح المعتدل القوام وقال أهلا وسهلا بك يا أبا اليقظان فان لى بانتظارك مدة من الزمان فما احسن هذا الاتفاق والحلو المذاق الذى يستحق ان يسطر فى الاوراق والحمد لله الذى قرب على الطريق وخلصنى من المهلة والتعويق فقال له بسطام وكيف هذا الكلام هل لك عندى دين تستوفيه أم ثار تقتضيه قال له ذلك الفارس والله يا بسطام لا أقدر أن أعود الى أهلى الا أن أقطع رأسك بهذا الحسام حتى لا يبقى على عتب ولا ملام فقال له بسطام وكيف هذا الكلام يا رجل اطلعنى على معناه حتى أعرف ما رواه قال اعلم أنى خطبت سعدى بنت شهاب اليربوعى سيد بنى يربوع الذى جرحته أنت وكسرت منه الضلوع فقالت لى أمها انها حلفت ان لا تزوج بنتها الا لمن يأتيها برأس الذى جرح أباها والحق به العار فى سائر الأقطار وتركه لا ينتفع بنفسه فى الليل ولا فى النهار فقلت لها ومن يكون هذا الرجل من العربان قالت هو بسطام بن قيس سيد بنى شيبان فدخلت أنا تحت هذا الشرط وأخذت يدها عليه وخرجت فى هذا الطلب الذى

يسر الله لى قرب الوصول اليه وأما سؤالك عن نسبى فأنا طرفة بن رافع صاحب الغارات والوقائع واذا قطعت رأسك أعود وآخذ زوجتى بلا صداق معدود ولا مال منقود على أنى ما أبغى عليك ولا أخلى أحدا من قومى يدنو اليك فخذ الآن حذرك ودبر أمرك . ثم أشار اليه وأنشد يقول صلوا على النبى الكامل محمد :

دونك ليثا بطلا فضاحا بسيفه يختلس الأرواحا
فحل كمى يحمل السلاحا ولا يمل الحرب والكفاحا
ويكسر الأسياف والرماح

قال الراوى فلما سمع بسطام هذا الكلام قال والله يا طرفة لقد ساقك الموت برجليك الى سوء المصرع واليوم ترى أسدا لا يلتقى ولا يدفع وأنا ما أريد منك غير الانصاف وان لم تنصف فاحمل على أنت وقومك أجمع فانكم عندى مثل الغنم الرتع اذا وقع فيها الأسد الأردع وما الذى تريده من الانصاف أعلمنى به حتى اطيعك من غير خلاف قال بسطام تمهلنى حتى أنزل عن جوادى وأريحه قليلا فى هذا المكان وبعد ذلك أعود الى ظهره ودونك القتال فى الميدان فقال له طرفة أفعل ما بدا لك فانى لا أخيب سؤالك ثم ان طرفة عاد الى رفقته واعلمهم بما اتفق له مع بسطام ففرحوا بقضاء حاجته وبعد ذلك نزل بسطام عن جواده وحل عنه الحزام وأخرج من فيه اللجام وصبر حتى أخذ الراحة للمجال لأنه كان قد سار من أول الليل الى وقت السحر وهو على ذلك الحال فلما أخذ الراحة عاد الى ظهره وجال وصال فى الميدان وتفكر فى حوادث الزمان فأنشد يقول صلوا على المكمل أحمد الرسول :

أنصف الدهر وبالحق حكم ولعمرى يا لقومى ما ظلم
سرت أبغى دم من لا أهانن فأتانى من يطالبنى بدم
عاشق يشكو صبابات الهوى وبه مثال الذى بى من سقم
قصة يعجب من يسمعها ثم تبقى مثلا بين الأمم
يا ابنى شيبان قلبى ضائع فانشدوه بين أطناب الخيم
خدعته ظبية فى طرقها صائد يصطاد اساد الاجم

من بنـــات العرب حازت بهجة فضحت بالحسن أبكار العجم
قســـما لو برزت من خدرها ما عبدنا بعد رؤياها صـــنم
هى شـمس طلعت وقت الضحى أو مـلال ســـار فى جنح الظلم
يا ابنـــة العبسى انى ضـــيفم أترك الشـــجعان رزقا للرخم
لو نظرت اليوم طعنى بالقنـــا يا منى قلبى وضربى للقمم
ما تأســـفت عـــلى عنترة لا ولا قست الموالى بالخـــدم

قال الراوى : ولما فرغ بسطام من شعره حمل على تلك الخيل ونزل عليها نزول السيل فى هدوء الليل والتقى الرجال بضرب يقرب الآجال ويقصر الأعمار الطوال .

قال فلما نظر طرفة الى بسطام وهو قد حمل على القوم كأنه الأسد الهجام وقتل منهم جماعة بضرب الحسام زعق عند ذلك فى بسطام وحمل عليه وتقرب منه حتى وصل اليه ورد قومه عن قتاله خوفا منه على رجاله فالتقاه بسطام بضرب يقرب الحمام وطعن لا تدركه الأوهام وتحاربا ساعة من النهار حتى انعقد عليهم الغبار وعميت منهما الأبصار وتحيرت منهما الأفكار ونظر بسطام من طرفة عين التقصير ونظر طرفة من بسطام ما هاله فندم على ما فعل من سوء التدبير ولكنه أظهر الجلد وأخفى الكمد ولم يزالا فى قتال ونزال وطعن بالسمر الطوال وضرب بالسيوف الصقال حتى أخذت الأرض من تحتهما الزلزال ولاح لبسطام فرصة من خصمه فضايقه ولاحقه ولاصقه وسد عليه طرقه رطرايقه وضربه بالسيف على عاتقه فاطلعه يلمع من علايقه ، فلما رآت أصحابه ما حل به من البوار وعلموا أن ليس لهم على حرب بسطام اقتدار ولوا الأدبار وركنوا الى الهرب والفرار . هذا وبسطام لما فعل ما فعل رأى لنفسه علو المقدار وزاد به الفرح والاستبشار وايقن بالغلبة على عنترة والانتصار . فلم يتبع أحدا من المنهزمين فى البر والقفار ونزل فى ذلك المكان وقر به القرار وبعد ذلك ركب جواده وسار طالبا ديار بنى عبس وتلك الآثار حتى وصل الى أرض الصريمة ومنازلها القديمة وسقط على ديار بنى مرة وغشم بن مالك فبينما هو على ذلك اذ طلع عليه فارس وبين يديه راجل يسعى ويقطع الأرض قطعا . قال الراوى وكان هذا الفارس

عنترة بن شداد والراجل شيبوب وهو يهمز فى البر أقدام ذلك الجواد وكان سبب قدومه الى تلك الأرض أن شيبوبا لما أعلمه بقصة بسطام صار الضياء فى عينيه ظلام وسار خفية من الحى فى ظلام الليل وشيبوب يتدفق قدامه بالدقاق السيل حتى التقى ببسطام وقد عرف كل منهم صاحبه بالصفة من دون تحقيق ولا معرفة ، فصاح عنترة الى اين يا أبا اليقظان وماذا أتى بك الى هذا المكان قال بسطام اليك يا ابن شداد حتى أقطع رأسك وأغتنم ظبية الصياد قال له عنترة وقد زاد قلقه وانحدر على جبهته عرقه وهل نظرتها ياابا اليقظان قال نعم قد نظرتها فوجدتها تصلح لمثلى لا للعبيد السودان وأخذت يدأبيها وأشهدت عليه أنى أحضر برأسك اليه فقال مرحبا بك ياابا اليقظان لقد طلبت أمرا أسهل من جرعة الماء عند العطشان وقد كان ينبغى أن ترسل الى بعض عبيدك ولا تعتنى أنت يا سيد بنى شيبان وهذا رأسى أمامك لا يحتاج أكثر من ضربة واحدة وتعود الى اهلك بالغنيمة الباردة . فلعب الطمع برأس بسطام ودمدم كأسد الاجام وتقدم وهو يقول والله يا عبد السوء ما القتال معك الا عار لأن العبيد لا تقابل بالأحرار ثم انه صال وجال على فرسه ذات النسور وأنشد يقول صلوا على النبى أحمد الرسول :

حادثات الدهر تأتى بالبدع ... ترفع العبد والحر تضع
خل عنك الحرب يا لون الدجى ... واتبع الحق ودع عنك الطمع
ما ركوب الخيل نوق فى الفلا ... كنت ترعاها اذا الصبح طلع
لا ولا عبلة مع بعض الا ما ... مثلها مع مثلك الدهر جمع
فاسأل عنها قد حواها سيد ... سيفه او ضرب الصخر انقطع
يلتقى الأبطال فى يوم الوغى ... بحنان لا يدانيه زع
يا بنى شيبان قد نالت المنى ... وانجلى هم فؤادى واندفع
وغدا أخبركم عن عنتر ... انه قد شرب الموت جرع

قال الراوى فلما سمع عنترة من بسطام كلامه وما أبداه من نظامه عرف أنه معجب بنفسه وصباه وان العشق قد أغراه فجال عنترة عليه وآمال واجابه على شعره وقال صلوا على المبعوث بالكمال

يا أبا اليقظان آغـــراك الطمع سوف تلقى فارســا لا يندفع
رمتنى تطلب منى غفـــلة مثل ذئب فى الموانى قد رتع
يا أبا اليقظان كم صـــيد نجـا خالى البال وصـــياد وقع
ان تكن تشكو لاوجاع الهـوى فانا أشـــفيك من هـذا الوجع
بحســام كلمـا جردته كبر المـــوت له ثم ركع
ويك انى عنتر الليث الذى يصدم الخيـــل اذا النقع ارتفع
نسبتى من ســـيف رمحى وهما يؤنسانى حين يشـتد الفزع
يا بنى شـــيبان عمى ظـــالم وعليكم ظلمه اليـــوم رجع
ســـاق بسطاما الى مصرعه عالقـــا منه باذيال الطمع
وأنا أقصـــده فى حيـــكم وأجازيه على ما قد صـنع

قال الراوى ولما فرغ عنترة من شعره أخذ مع بسطام فى معانات الحرب والصدام ثم انهما لعبا بالرماح وطلبا الجد وتركا المزاح وقصدا بالاسنة مقاتل الأرواح وكان فارسين كأسدين زايرين أو بحرين زاخرين ومازال كذلك حتى أقبل عليهما المساء وهما بين لعل وعسى الا ان بسطاما كل ومل وضعف عزمه وأنحل وندم على ما فعـل وعلم ان الفرسـان تتفاضل وأن عنتر بطل لا يقاتل فعند ذلك طلب بسطام الاقالة لكى يرتاح الى وقت الصباح فاجابه عنتر الى ذلك وعلم ان بسطاما ما بقى له من يديه براح فطلب بسطام بعض الروابى ليبيت هناك وقد أشرف من التعب على الهلاك وأما عنترة فانه نزل عن الجواد وأتاه شيبوب بشىء من الزاد وقال يا أخى كيف رأيت خصمك فى هذا النهار فقال شيبوب انه فارس مغوار وبطل كرار وقال له شيبوب انى وحق البيت الحرام عزمت على قتله مرارا بالسهام ولكن خفت من الملام قال ياشيبوب دعه يعض أنامله بأنياب الندامة وأنا قد تبين لى منه عند المساء ان فيه رجا السلامة غير انى أريد أن آخذه معى أسير الى بنى شيبان ليكون قد حضر ومعه رأسى الذى قد عقد عليه العهود والايمان ثم امر شيبوبا ان يتولى حفظه للصباح ويضيق عليه فى تلك البطاح فطلع شيبوب الى اعلى الجبـل وصار يتردد امام بسطام فكلما رآى بسطام خياله ارتاع منه وقال له من تكون فى هذا الظلام فقال له شيبوب أنا من ملوك الجان قد استوطنت

فى هذا المكان وقد آتيت هذه الليلة اليك حتى آجعلها شر الليالى عليك فارتاع بسطام وقال له اتركنى أيها الجبار فقد كفانى الشيطان الذى وقعت فى حربه هذا النهار فقال والله لا أرجع عنك حتى آشفى فؤادى منك قال الراوى ومازال شيبوب معه فى اقبال وادبار ورجم بالحصى والحجارة حتى طلع الصباح فانحدر من على الرابية الأمير بسطام وقد سل فى يده الحسام وكان فى تلك الليلة ما نام وهو يفتكر فى تقلبات الايام ويتعجب كيف قاده الغرام الى هذه المهالك العظام فندم على مخالفة أبيه التى أوقعته فى مالا يعنيه . قال الأصمعى وبعد ذلك انطبق الفارسان على بعضهما وآخذا فى الحرب والجلاد والكر والفر والطراد بعضهما على البعض وجالا فى الطول والعرض حتى ارتجت منهما تلك الأرض واستطال عنترة على بسطام حتى كل ومل وضعف عزمه وانحل فبينما هما على ذلك اذا بغبار قد ثار من ناحية بنى عبس وتلك الديار ثم آنكشف عن مائة فارس كرار على خيول تسير كأنها الاطيار ولما قربوا من مكان الحرب وحققوا النظر الى بسطام وعنترة نادوا كلهم يا لعبس يا لزياد وهموا ان يطلقوا الاعنة للحرب والجلاد فارتعد بسطام وأراد ان يفلت من يد عنتر بن شداد ويفر امامه فى تلك الهواد واذا بغبار آخر من ناحية بنى شيبان قد احتبك مثل قطع الدخان وامتد فى تلك الأقطار وبان لأعين النظار عن ثلثمائة فارس كرار مثل شعل النار . قال الراوى وكان كل فريق من القادمين طالبا قتل عنتر وليس عندهم علم من بعضهم ولا خبر وكان السبب فى قدوم العبسيين ان مالك بن قراد آرسل خبرا بقصة بسطام الى الربيع بن زياد ويقول له يابن العم انه قد حصل لى من القوم آكرام عظيم ولكن قلبى يحن الى وطنى القديم وانا خايف ان يختلط نسبى ببنى شيبان وتحرم من عودتنا الى الأوطان والآن فقد سار بسطام ليقتل عنترا فى جوار الحلة ويرجع فيآخذ عبلة وآنا التمس من نخوتكم ان تعينوه على ذلك لعله يسقيه شراب المهالك ويعود الشمل الى الاجتماع ويتصل الحبل بعد الانقطاع ففرح الربيع بهذه البشارة وأعلم بذلك آخاه عمارة فزاد مطمع عمارة فى عبلة فقال لأخيه كيف يكون التدبير قال الربيع من الرأى ان نترك على هذا العبد العيون والأرصاد حتى يغيب الى غير هذه البلاد ونتبعه بمائة فارس ونقتفى

أثره ونأخذ من الحلل خبره فان أدركناه فى الحرب مع بسطام ساعدناه الى ان يقتله ويسقيه كأس الحمام والا كمنا له على طريق بنى شيبان واذا عبر علينا خرجنا عليه بالرجال والفرسان ولا ندعه يخرج من ذلك المكان قال عمارة والله لا سار اليه الا انا ولابد لى ان انهب جسده بالصوارم والقناثم دعوا عروة بن الورد فى عاجل الحال واتفقوا معه على هذا المنوال وبقوا يرصدون عنترة فى الليل والنهار الى ان غاب عن الحلة وعلموا أنه سار الى خلاص بنت عمه عبلة فعندما ركب عمارة وعروة بن الورد ورجاله وتتابعت خلفهما الفرسان وطلبوا ديار بنى شيبان وعمارة يقول وحق ذمة العرب ان قلبى يحدثنى بنوال المرام واننى عولت أن أقتل عنترة مع بسطام أسقى الاثنين كأس الحمام حتى لايبقى من يعاندنى فى عبلة حبيبة فؤادى الذى منعت من عينى لذيذ رقادى فقال له عروة والله يا عمارة خطبة عبلة مشئومة على بسطام وسيجعله عنترة موعظة للعربان لأنى اعرف قتال عنترة ومنزلته بين الفرسان وانى والله ما سرت معك الا موافقة لك لكيلا تقول عروة صديقى فى السراء لا فى الضراء فقال عمارة على كل حال نكون نحن رابحين وما نكون معنا مثل هؤلاء الفرسان ونكون خاسرين لأن خيلنا جياد ورماحنا مداد وسيوفنا حداد وسواعدنا شداد ونحن سادات بنى زياد فان رأينا عليه فرصة بادرنا اليه وقتلناه واذا رايناه وقع فى داهية عدنا عنه وخليناه ولم يزالوا سائرين خلف عنترة حتى أدركوه عند الصباح وهو مع بسطام فى الحرب والكفاح ، وأما الغبار الثانى الذى ظهر من ناحية بنى شيبان فكان السبب فى قدومهم الى ذلك المكان هو ان الملك قيسا افتكر فى أمر ولده بسطام ومسيره وحده خلف عنترة ورأى أمه قد التهب قلبها عليه وهى لاتزال تبكى وتتحسر فأرسل هؤلاء الفرسان وقدم عليهم ابن عم له يقال له نجاه وكان مذكورا بالشجاعة يوم الحرب والجلاد وأمره أن يتبع أثر ولده بسطام ويكون معاضدا له ويخبره عما تم له من الأحكام فسار الى ان أشرف على عنترة وبسطام وهما فى الصدام وحينئذ عرف عنترة أن الجميع أخصام له وان كلهم يريدون قتله فهجم على بسطام وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه وطعنه بعقب الرمح

فى صدره فألقاه على ظهره وأمر شيبوبا ان يشده بالحبال ويحتفظ عليه حتى يرى كيف يكون نهاية الحال فلما رأى ذلك نجاه مقدم بنى شيبان قال لمن معه يا ويلكم شيلوا هذه الاسود على أسنة الرماح ودونكم هؤلاء العبسيين الذين أتوا ليعينوه وانهبوا منهم الأجساد والأرواح وانا أقول ان بسطاما ما ضعف قدام هذا الاسود لا خوفا من هؤلاء الفرسان وأظن أن هذا العبد هو عنتر الذى سار بسطام اليه فالتقى به فى هذا المكان وبعد ذلك حمل يطلب عنترة فى خمسين فارس من فرسانه وحمل الباقى منهم على عمارة واصحابه مثل السلاهب وداروا بهم من كل جانب وتفرقوا عليهم كراديس وكتايب فعند ذلك لزم بنى عبس القتال والمدافعة عن انفسهم خوفا من الوبال .

قال الراوى وندم عمارة على سوء رأيه الوخيم وانقلاب مرامه الذميم لأنه أتى ليفتك بعنترة فصار من أعوانه وأنصاره واحتاج ان يقاتل معه بغير اختياره وأراد ان يهرب ولكن ما قدر على ذلك لأن بنى شيبان سدت عليهم جميع المسالك فاحتاج ان يقاتل ويبذل المجهود وقد زعقت عليهم الفرسان والجنود وهم مثل الأسود وتواثبت الرجال مثل الفهود وقدحت حوافر الخيل النار من الجلمود وخيم الغبار على رءوسهم حتى كان مثل الروق الممدود وتقطعت مما جرى فى ذلك اليوم القلوب والكبود وأيقن عمارة انه هالك ومفقود ونوى فى نفسه ان سلم من هذه الواقعة لا يرجع الى معاداة عنترة ولا يعود فالتفت ذلك الوقت الى عروة وقال له أطلب النجاة قبل أن نفقد الحياة ثم ان عمارة لوى عنان جواده وطلب الهرب وهو لا يصدق بالنجاة من العطب فتبعه عروة وبقية الفرسان فتبعهم بنو شيبان وقد ضجت بصياحهم الوديان حتى صاروا فى أبعد مكان وأفتقدوا أصحابهم فوجدوا أنه قتل منهم خمسون فارسا وساروا وعروة يقول لعمارة بارك الله لك فى هذه العروس التى هى أبرك العرايس وعسى ان يهلك لأجلها جميع بنى زياد ولا يبقى احد من بنى قراد . قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عنترة بن شداد فانه التقى بنجاه ومن معه من أولئك الفرسان الشداد فابتدرهم بطعن يسبق لمح البصر واندفق عليهم كهاطل المطر اذا زخر وما انكسرت

بنو شيبان حتى قتل من خيار فرسانهم ثلاثون وانكسر الباقون منهزمين وهم يقولون والله ان هذا الأسود من الجن أو الشياطين والتقى بنجاد مقدم بنى شيبان وهو يجول فى حومة الميدان يحض الأبطال والشجعان فقدم اليه وضيق المجال عليه حتى ما بقى يعرف يديه من رجليه وطعنه بالرمح فى جانبه الايسر اطلع السنان من الجانب الاخر فوقع قتيلا على الارض يختبط بعضه فى البعض فعند ذلك حملت على عنترة بقية الفرسان من بنى شيبان وهم يقولون شل الله آنامك وقطع الله مفاصلك وداروا به من اليمين والشمال فرأوا منه طعنا يشيب رءوس الاطفال فعند ذلك ولو الأدبار وطلبوا الفرار هذا وبسطام قد حار وانبهر من قتال أبى الفوارس عنتر وكان شيبوب قد توكل ببسطام حتى عاد اليه عنترة وهو مخضب بالدماء مثل الشقيق الأحمر وقال له شد بسطاما على ظهر جواده ولا تبرح من هذا المكان حتى اشفى فؤادى من الذين يرجعون على بنى زياد من بنى شيبان ولولا ما بينى وبينهم من العداوة والخذلان ما تخليت عنهم ولكن من بغيهم علينا سلط الله عليهم هذا الانتقام ، ثم أنه نزل عن الابجر فى تلك الساحة وصبر عليه حتى اخذ الراحة فهم ان يركب ويطلب الثأر من بنى شيبان واذا بهم قد عادما مثل العقبان ومعهم أسلاب بنى زياد وهم طالبون مقدمهم نجادا لأنهم كانوا يظنون انه قتل عنترة وخلص بسطاما ولم يعلموا ان عنترة وقد سقاه كأس الحمام وكان قتل من بنى زياد نحو سبعين وأكثر وان السالمين منهم كانوا مجرحين الا أنهم قتلوا أكثر من ماية فارس من بنى شيبان وجرحوا منهم جماعة من الشجعان وعند عودتهم تلقاهم عنترة بطعن يقرب الآجال وضرب يقصر الأعمار الطوال فتقاتلوا ساعة من النهار الى أن علموا ان مقدمهم قتل وأبصروا الرجال الذين كانوا معه ممدين فى تلك القفار فقال بعضهم لبعض ياويلكم دونكم الفرار والا ما بقى منكم ديار ولا من ينفخ النار ثم أنهم عطفوا رءوس خيلهم وطلبوا الديار وعنترة فى أثرهم ينهب الأرواح والأعمار وما عاد عنترة من ورائهم حتى ملأ الأرض من قتلاهم ورجع يركض بجواده الابجر وبسنانه يقطر من الدم الاحمر حتى وصل الى أخيه شيبوب وهو مثل الاسد الغضوب فقال له شيبوب على ماذا عولت يا أخى ان تصنع فقال له تسير الى أرض بنى شيبان ونجعلها خرابا لا يأوى فيها الا البوم والغربان وأعرفهم شؤم طلعة عمى مالك

وأنزل بهم الذل والمهالك وآخذ عبلة فى أهون سبيل لأنى أعلم أن فرسان بنى شيبان المنهزمين يخبرون الملك أن ولده معى اسير يقاسى العذاب المهين فيجمع العساكر ويسير الى ارضنا حتى يخلص ولده وتبقى حلته خالية من الرجال فأدهمهم أنا على غفلة واقتل من يثبت امامى وأنهب الاموال وآخذ عبلة وارجع بها الى الديار والاطلال فلما سمع بسطام هذا الكلام قال ما تحتاج يا ابا الفوارس ان تكلف نفسك مالا تطيق فاصطنعنى واتركنى لك طول الدهر بمنزلة عبد رقيق حتى انى وحق ذمة العرب أسير معك الى الديار وابلغك ما تريد وتختار وما أدع عمك يسير من ديارنا حتى يزف ابنته عليك وانا أحمل اليه الخيل والأموال والاماء والعبيد وأعطيه من عندى جميع ما يشتهى ويريد وأقر عند جميع الناس أنى عتيق سيفك وآمين خوفك فقال عنترة يا ابا اليقظان لعلى عاجز عن قضاء حاجتى حتى استعين بها على غيرى من الفرسان فوحق الملك الجبار لأتركن أرضكم كالقفار واعلق راسك فى رقبة عمى الغدار حتى يتوب عن أطواره ولا يتغرب عن دياره ثم قال لشيبوب سر بنا فى عرض البر على غير طريق حتى لا يرانا عدو ولا صديق ففعل شيبوب ما امره عنترة وصار يقطع البر الاقفر حتى قربوا من ديار بنى شيبان فقال لشيبوب ويلك يا ابن الام ابصر لنا مكانا نختفى فيه الى حين تنقضى حاجتنا ونعود ويظهر لنا ما فعل الملك قيس بن مسعود وما دبر بعد سماعه من المنهزمين الخبر فعدل عن الطريق مسافة ميل ودخل بهم الى واد يقال له وادى الفيل فقال عنترة لشيبوب يا ابن الام اتركنى فى هذا المكان واطلب أنت أبيات بنى شيبان واكشف لى اخبارهم وأرجع بالخبر اليقين لعلك تجد لى فرصة اشفى بها دائى الدفين فتركهم شيبوب ومضى وغاب عنهم ساعة وعاد وهو منزعج القلب والفؤاد فقال له أخوه مالك يا شيبوب أراك قد عدت على عجل وأنت مرعوب فقال لما سرت من هذا المكان غدوت حتى اشرفت على منازل بنى شيبان فرأيت الدنيا منقلبة لفقد بسطام لأن المنهزمين أتوا الى أبيه واخبروه بما جرى عليه من الاحكام وسمعت يا أخى أصوات النساء قد ضجت بالبكاء والأعوال وهن يندبن من قتل لهن من الرجال ورأيت الخيل تركض حول الحلة من كل جانب والناس يدخلون ويخرجون من الخيام والمضارب فخفت على نفسى من نوائب الأيام ووقفت على بعد من

الخيام وخفت ان يعلم بى عمك مالك فيسلمنى الى الملك قيس فيسقينى لشراب المهالك وانى عند عودتى اليك سمعت راعيا يقول لراع آخر روح غنمك الليلة لان اهلنا غدا يرحلون ويتركون الحى ويخرجون وفى اى أرض ندخل فقال فى أرض ذارة جلجل وهذا المنزل من جملة منازل العرب الشهيرة وفيها مراع ومياه غزيرة وقد ذكرها امرء القيس فى معلقته حيث يقول صلوا على المختار احمد الرسول

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل

قال الاصمعى ثم قال شيبوب لاخيه ففرحت آنا يا آخى بهذا الرحيل لاننا نصل الى عبلة من آهون سبيل فقال عنترة وكيف ذلك قال اذا كان القوم محملين وراحلين تكون عبلة على ظهر البعير فآخذ بزمام ناقتها وآسير واطرد آنت الخيل عنى ولا تدع آحد يصل الى منهم لا قليل ولا كثير فقال عنترة آى وابيك يا ابن السوداء آنا آرد عنك الخيل ولو انها مثل عارض السيل فلما سمع بسطام من عنتر هذا الكلام تحير فى آمره وانزعجت جميع حواسه ونسى الفروسية وطار العجب من راسه وآيقن ان الزمان يآتى بكل عجب وينقلب بآهله الى آى منقلب وزاغ عقله من فارس وراجل يتحدثان بآن يآخذا عبلة من وسط قبيلة بنى شيبان ثم قام عنتر وشيبوب وانطلقا حتى اقتربا من تلك الديار آخر النهار ويطلبان منه الأخبار فبينما هما على تلك الحال اذا بآغنام سائرة فى تلك الآكام ومن خلفها راع على كتفه عصاه وهو يسير فى تلك الفلاة ويبكى ويقول واآسفاه عليك يابسطام كيف غدرت بك الايام وسلمتك الى عبد لا رتبة له ولا مقام فلا بارك الله فى عبلة ولا فى ابيها ولعن آياما رآيناهما فيها ثم ان الراعى تنهد وكفكف دموعه وانشد يقول صلوا على النبى محمد :

فجعنا فيك يا بدر الكمال ويالليث الوغى عند النزال

وياحامى الحريم بكل أرض اذا ذلت صناديد الرجال

لقد عدمت بنو شيبان سيفا ... يقد بحده صم الجبال
وذلت بعد ما كانت بعز ... تذل لسيفها أسد الدحال

رماه زمانه فى أسر عبد ... قريب العهد من رعى الجمال
ولولا الغدر فى الايام طبعا ... لما انتصر العبيد على الموالى
ألا يا عبل لا لاعيت خيرا ... ولا وقيت حادثة الليالى
ولا زالت ديار أبيك قفرا ... خرابا من أحبتها خولى

قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الكلام من العبد سائق الأغنام زاد غضبا على غضبه وأرسل شيبوب فى طلبه فانقض شيبوب على ذلك العبد الراعى كأنه الباسق الجسور اذا نزل على أضعف العصفور وجذب أطواقه فكاد يطير احداقه ولما أوقفه قدام عنتر اخذته الرعدة وأستولت عليه الخمده فطيب عنتر قلبه وسكن رعبه وقال له من تكون من عبيد بنى شيبان فقال يامولاى أنا من عبيد بسطام بن قيس عامل الملك النعمان ونحن غدا راحلون لأننا خائفون من بنى تميم ان يسطو على الأموال والحريم لأنه بلغنا انهم استضعفوا حالنا من أجل فقد حاميتنا بسطام ونريد ان نجمع حلفاءنا ونأتى بهم الى هذا المقام ونجد فى خلاص سيدى من أسره ونجازى الذى اسره بقتله واقتفاء اثره فقال له عنتر ومن الذى أسر سيدكم الذين تزعمون انه فارس الفرسان وأشدهم فى الضرب والطعان وانه حامية بلاد النعمان وسيد بنى شيبان فقال العبد والله يامولاى ما أسره من له قدر ولا شأن بل عبد من عبيد بنى عبس وعدنان فقال له وما الذى أوصله الى عبد بنى عبس وعدنان حتى وقع فى الأسر والهوان فعندها حدثه العبد بحديث مالك ابى عبلة وما جرى له مع سيده بسطام وقص عليه قصته على التمام ثم قال لعنترة يا ابن الخالة من اين انتم ومن أى العرب تكونون فقال نحن من بلاد السكاسك والسكون وقد غضب علينا ملكنا ذو الاذعار فخفنا منه وهربنا واتينا الى هذه الديار قاصدين حماية سيدك ان يطلبنا ملكنا فلا يحمينا احد الى هذه الديار قاصدين حماية سيدك الملك الجبار وبت الان من هذا الخبر قد اوقعتنا فى الاياس ونخاف ان يطلبنا ملكنا فلا يحمينا احد

من الناس فقال العبد يا ابن الخالة لو كنت أتيت اليه قبل هذه الأيام لكان يعطيك الحماية والذمام وكان يشتريك من سيدك ولو طلب فى ثمنك سبعة جمال وتكون عنده من أعز الرعيان والخدم فتبسم عنترة لما سمع من العبد هذا الكلام ثم ذهب به الى باب المغار الذى فيه بسطام وقال له أنظر هذا الاسير ان كان يشبه مولاك حتى نطلقه لأجلك وتعود به الى أهلك فلما نظر اليه خرس لسانه عن الكلام وعجزت رجلاه عن القيام وخفق فؤاده وشعر بان الذى يكلمه هو عنتر فعند ذلك قال : يامالك لا قرب الله دارك ولا أدنى مزارك ما كان انحس بوما راياك فيه فأنه أشر ايام الدهر ولياليه ثم ان العبد بكى من فؤاد قريح وصار يقبل أقدام مولاه بسطام ويصيح فبادر اليه شيبوب وسدفاه وشده كتافا ورماه عند مولاه ثم خرج وقصد ديار بنى شيبان لينظ متى يكون رحيلهم من ذلك المكان واقام عنتر فى انتظاره الى آخر النهار فما حضر ولا بان منه علم ولا خبر فخاف عليه من هذه الغيبة ان يكون قد وقع فى ريبة وبينما هو على ذلك الحال واذا به قد طلع من تلك الرمال وهو يهمز همزات الغزال حتى وصل والدمع يجرى من عينيه ولونه قدتغير مما جرى عليه فقال له عنترة ماذا جرى لك وما الذى غير حالك قال ان القوم قد أتاهم يد غالية لا تدفع ولا تصد ولا تمنع فانهم كانوا قد عزموا على المسير وشدوا على كل ناقة وبعير وأنا عزمت ان أعود اليك واعلمك بالخبر وقد بشرت نفسى بالفوز والظفر واذا بالبر قد امتلأ مواكب وكتائب وسد الغبار المشارق والمغارب ودارت الخيل بالحلة من كل جانب والفرسان تنادى بالتميم وقدامهم فارس كأنه نار الجحيم وقد مال على بنى شيبان فقتل الفرسان وقلع البيوت بما فيها من الاولاد والنسوان ونظرت الى عبلة بين النساء المسبيات وهى تساق فى جملة البنات وسمعتها تنادى يا لعبس يا لعدنان اين الفارس الغيور على الحريم أين من يفعل فعل الرجل الكريم واغربتاه واقلة ناصراه واشواقى اليك يا ابا الفوارس أين عينك تنظر ماذا لقيت بعدك فلا أذاقنى الله فقدك فلما سمع أبوها نداها جعل يطلب خلاصها فانقض عليه ذلك الفارس وخطفه من سرجه وحذفه الى وراء ظهره فتلقفته منه العبيد وكتفوه وشدوا أطرافه حتى كادوا ان يتلفوه وأراد ولده عمر ان يحامى

عنه فانقض عليه وطعنه بعقب الرمح فى صدره القاه على ظهره فانقض عليه بعض العبيد فشد كتافه واوثق سواعده وأطرافه وانى يا ابن الام سمعت ذلك الفارس ينادى انى قد بلغت مرادى وحويت بدور منية فؤادى فما عرفت حقيقة مرامه ولا من هى التى يعنيها بكلامه . قال الراوى فلما أعاد شيبوب على عنترة هذا الخبر فاض دمعه وانحدر وقال يا مالك لا نجاك الله من المهالك وهم ان يخرج من الوادى ويتعلق باذيال المطامع فى أثر الاعادى واذا ببسطام يبكى وينادى واذلاه وغبنية الانسان من شماتة عداه والله ان ضربات سيوف الحداد أهون من شماتة اعادى والاضداد فلما سمع عنتر منه ذلك ظن أنه يتأسف على عبلة بنت مالك فدخل عليه وقال له ما بالك يابسطام اراك تنحسر من شدة الهوى والغرام وتتأسف على سبى هؤلاء القوم اللئام فقال له بسطام لا والله لم يبق فى قلبى من بنت عمك أثر ولا لى فيها أرب ولا وطر وما اسفى الا على هتك حريمى واعاقتى عن دفع غريمى وان لى اختا اسمها بدور قد خطبها سادة بنى قحطان وخطبها ايضا جماعة من بنى نبهان ولا أسمع بها لأخذ من العربان وكان من جملة من خطبها قنعث بن غياث الذى أغار علينا فرددته خائبا وكرهت ان يكون لها بعلا وصاحبا اذ بلغنى انه بخيل يأكل وحده ويحرم عبده فمضى وهو غضبان وبلغنى انه صار يتوعد بنى شيبان ويقول لابد لى ان اجمع عليهم العربان ولاشك ان هيبتى كانت تحمى منه هذا المكان وتحترمنى العرب لأجل منزلتى عند الملك النعمان الى ان جرى معك ما جرى فاظنه قد سمع بقصتى فاغتنم الفرصة فى غيبتى فأغاروا هتك حرمتى وتحكم فى اختى وشقيقتى التى كنت اغار عليها من نظر مقلتى ثم ان بسطاما زاد فى بكاه وتحسره وشكواه وقال يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب مكن منى حسامك واعطنى ذمامك واعلم انى قبل اليوم كنت من أهل السطو والان قد اعترفت بالظلم والخطأ ولو قتلتنى لما لامك أحد لأنى أنا الباغى الظالم فردنى الله وانا خاسر نادم وان المرء لا يحمد ويثنى عليه الا اذا احسن لمن أحساء اليه وأنت تعلم ان لك فى هذه القضية أعظم سبب لأن بنت عمك عبلة قد وقعت بين أنزال العرب والقوم الذى تريد ان تخلصها

منهم خلق كثير وجمع غفير وأنت فريد وحيد وليس لك معين ولا ناصر ولا تقدر وحدك على مقاومة هذه العشائر فاجعلنى لك مساعدا واتخذنى معينا وعاضدا فسر بنا من هنا حتى نجتمع بمن نصادفه من قومنا ونبذل نفوسنا لاطراف القنا لعل الله يبلغنا المنى . قال الراوى فلما سمع عنتر من بسطام هذا الكلام رق قلبه وتقدم اليه وقبله بين عينيه وسلمه ما كان له من السلاح وعاد الأمر بينهما الى الصلح والصلاح فقال شيبوب لعنتر وهذا العبد السوء الا نقتله ونحل به الوبال لأجل ما سمعناه من غليظ المقال قال عنترة ويلك يا ابن السوداء انطلق السادات الأماجيد ونقتل العبيد ولا سيما ان بيننا وبينه نسبا فى السواد فينبغى ان نحفظ معه المروءة والوداد فتبسم بسطام لما سمع من عنترة هذا الكلام وقال له درك يا أبا الفوارس فقد كملت فى كل الخصائل وجمعت كل المحامد والفضائل فأطلق شيبوب العبد وركب عنترة وبسطام الى جانبه كأنه من أهله وأقاربه وجعلا يتحدثان بعضهما مع البعض وشيبوب يجرى قدامهما فى فسيح تلك الارض وهما قاصدان الديار وقلوبهما مفتعلة بما كان من الاخبار .

قال الأصمعى ولم يزالا سائرين وهما يركضان حتى اشرفا على ديار بنى شيبان فأبصرا الديار خالية الابيات والقتلى مطروحة فى سائر الجنبات فلما رأى بسطام ذلك انهملت من جفونه العبرات وندم غاية الندم على ما فات ثم أمر عبده أن يذهب ويجمع له السالمين من فرسانه المنهزمين ويعلمهم بما جرى بينه وبين عنتر ويعرفهم انه عاد سالما الى الديار وجاء يطلب الثأر ويكشف عنهم العار قال وكان الذى جرى على القوم هو من قنعب بن غياث فانه كبس الحى فى ثلاثة آلاف فارس من بنى تميم ورياح وفعل بهم هذه الفعال وأسر الملك قيسا بعد ان أثخنه بالجراح ووضعت رجاله فى بنى شيبان عوامل الرماح وتركوهم أشباحا بلا أرواح لأن بنى شيبان كانوا الف فارس فقتلوا منهم ثلثمائة وأسروا مائتين ، وانهزم من سلم منهم الى الجبال والوديان وتشتتوا فى كل جانب ومكان ولما علموا بقدوم بسطام قدموا عليه من جميع الاقطار وفرحوا بسلامته من الأسر والأخطار وقالوا يا أمير ما نال منا العدو ما تمنى الا لغيبتك

عنا . فقال يابنى الاعمام ان تدبيرى غير محمود وعاقبة البغى على أهلها ثم اخبرهم بما جرى له مع عنترة من الاتفاق وكيف اسره ومن عليه بالاطلاق فلما سمعوا ذلك الكلام طابت انفسهم بمصادقة عنتر وأملوا بالنصر والظفر وساروا على أثر الاعداء حتى ادركوهم عند اقبال الظلام وكان قنعب قد نزل الى الراحة والمنام وامر بضرب الخيام وكانت السبايا الى ذلك الوقت على ظهور الجمال وصراخهن قد زلزل الجبال فقال بسطام الرأى يا أبا الفوارس ان تبيت الغدو وتصبحهم بالحرب غدا . فقال لا وذمة العرب مانزلت عن ظهر جوادى حتى اخلص الحريم واكشفف هذا العار العظيم وأروى هذه الأرض من دماء بنى تميم وكان عنتر قد سمع صوت عبلة فعرفه فاشتعلت فى فؤاده النار ولم يعد له جلد ولا اصطبار بل صاح وحمل وانصب على القوم انصباب القضاء المنزل وشيبوب يهمز فى عراضه مثل البرق اذا خطف أو الريح اذا عصف وحمل بسطام من الجانب الآخر وقداشتد فؤاده وحملت خلفه فرسانه واجناده وكان بنو تميم قد هزأوا بهم عند اقبالهم ولم يعبأوا بهم ولا خطروا على بالهم ولما رآوهم قد حملوا وضربوا فى جوانبهم تصلبوا للقتال واخذوا معهم فى الحرب ولنزال وصار يطعن فيهم طعنا يخرق الجبال ويضرب ضربا يطير الجماجم الى ثلثة اميال واخوه شيبوب يحامى عنه وعن جواده بالنبال ويفرق ما بين اليمين والشمال وبسطام ينادى ابشروا يابنى تميم بشرب كأس الحمام فقد اتاكم عنتر وبسطام ودام الأمر على هذا منسق حتى أرخى الليل سدول الغسق ورأى قنعب جيشه قد تفرق وعدد رجاله قد تمزق فاخذه الوسواس والقلق وصاح فى من معه وامره بتقديم جواده حتى يركب وقد زاد به الحنق والغضب واذا بخاله الأخضر بن جدعان قد أقبل وقال له ياولدى أصبر وتمهل فهذا بسطام ابن قيس ومعه رجال يقاتلون خلاف القتال الأول وقد قتلوا منا الى هذه الساعة اكثر من ثلثمائة فارس فاصبر حتى يصبح الصباح وننظر بما تتدبر ولا تخالط القوم فى هذا الظلام فتخسر فقال قنب ياخالى انت تعرفنى اخاف من بسطام أو من خوض الظلام حتى تفيدنى بهذا الكلام اما رأيت فعلى قبل هذه الايام وهجومى على الأسادى فى الاجام فقال بلى يا ولدى وانا لا اخاف عليك من بسطام

ولكن من فارس رأيته بين يدى بسطام وهو يحمل على الفرسان حملات الأسد وينثر الجماجم نثر البرد فظننته من مردة الجان أو من عفاريت سيدنا سليمان وانا يا ولدى قبل خروجى معك فى هذه السرية اوصتنى عليك امك وصية وقالت لى يا اخى لا تفرط فى هذا الولد ولا تدعه يقاتل عدا أسود فقد رأيت له حلما وأنا خائفة منه عليك وأخشى ان تصل عاقبته اليه فقلت وما الذى رأيت يا اختى لولدك وهو فارس قحطان وما سار قط الى مكان ورجع خسران قالت رأيته وقد اصطاد صيدة واذا عقاب اسود قد انقض عليه واخذ صيدته من يده فأراد ان يستخلصها منه فانقض عليه وخطف رأسه من بين كتفيه وصار مثل الكرة فى مخلبيه ورأيته طائرا به الى مكان بعيد وانا من ورائه اصبح وصياحى لا يفيد والآن يا ولدى بعض المنام قد تصور عندى فان هؤلاء القوم قد هجموا الى ناحية السبايا والأموال ومعهم الذى يصطاد الرجال كما يصطاد الباشق افراخ الحجال وانا خائف عليك من هذا الحال

قال الراوى فلما سمع قنعب كلام خاله تبسم من مقاله وقال له ياخالاه وانا اصبر الى غد كما تريد وأوريك ما أفعل ببسطام وبهذا العبد الذى هو أخس العبيد حتى تعلم ان فروسيتى ما عليها من مزيد وبعد ذلك امر الفرسان ان تدور بالسبى من كل جانب ويمسكوا عليهم الطرقات والمذاهب

قال الراوى واما ما كان من عنتر فانه مازال فى حملته وهو يجندل الأبطال حتى وصل الحريم والعيال وفعل بسطام فعال الشجعان هو ومن معه من الفرسان وقد استولوا على اموالهم واجتمعوا بأولادهم وعيالهم وقال عنتر لبسطام ادخل انت وحل اباك وقومك واقرباك واترك عمى مالكا وولده فى الاعتقال لأن عمى خبيث الطبع ردىء الفعال وان أطلقته أخذ عياله وهرب ونرجع معه الى التعب وانفذ شيبوب الى عبلة يطيب قلبها ويخفف رعبها واقام عنتر يحفظ المضايق من سارق او طارق قال وكان مالك قد سمع صوت عنتر فقال لولده هذا صوت العبد الزنيم والليلة يفنى بنى رباح وبنى تميم ونرجع الى الهوان والعذاب الأليم وما

أدرى كيف يقطع الفلا ويأتينا بالبلا فياليت الاعداء كانت سقتنى شراب المنية ولا رأيت تلك الصورة الشيطانية فقال له ولده لعل النوائب تلقيه بين هذه المواكب وتصرم لنا عمره وتكفينا شره قال وبعد ذلك وصل بسطام الى ابيه وعشيرته وحلهم من الكتاف بعد ما كانوا اشرفوا على الانخساف وحدث اباه بما جرى له مع عنتر واطلعه على جلية الخبر ففرح ابوه واستبشر وقال يا ولدى ان هذا الانسان لا يوجد مثله فى هذا الزمان ولا نقدر ان نكافئه على ما صنع معنا من الجميل والاحسان والصواب اننا نعينه على ما هو فيه من ملاقاة الاعداء ونجعل ارواحنا لروحه الفداء ونبذل جميع اموالنا بين يديه ولا نمن بها عليه ونكلف عمه ان يزف ابنته عليه ويعتذر من فعاله اليه وانا أقسم يا ولدى يحق البيت الحرام وزمزم والمقام انه لو كان يطيعنى ويسلو بنت عمه عبلة لكنت زوجته اختك بدور التى هى احسن من البدور ولا آخذ منه مالا ولا نوقا ولا جمالا ثم أمر بحل بنى عمه من الاعتقال وتركوا مالكا وولده مربوطين بالحبال وعاد بسطام الى عنتر فى الحال ليعينه على سهر الليالى وحفظ العيال وكان شيبوب وصل الى عبلة وطيب قلبها وحدثها بما فعل عنترة وسكن رعبها وانزلها فى أبيات الملك قيس عند ام بسطام ففرحت بها وأكرمتها غاية الاكرام وقالت لها يا عبلة يكون لك مثل هذا الأسد وتهربين منه من بلد الى بلد فقالت يا حراير العرب انى وحق من فى غيبه احتجب ما أهرب منه ولا أريد أن أفارقه وانما أبى واخى قد بغضاه ونحن لم نزل فى الذل الى آن نراه

قال الراوى ولم يزالوا على ذلك حتى أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فعندها ثارت بنو تميم وبنو رياح تطلب الحرب والكفاح وظهر الملك قيس فى رجاله الذين كانوا مأسورين فى القيود وهم يزمجرون كالأسود ولما رآهم عنتر قادمين ترجل وخدم الملك قيس بلطف وادب وقال يا مولاى ما كان يحتاج الأمر الى هذا التعب وانا عبدك كنت ابلغك الأرب فقال الملك قيس يا ابا الفوارس وحق ذمة العرب وشهر رجب ما فى بنى شيبان اليوم الا من هو امين خوفك وعتبق سيفك فقبل

عنترة يديه وشكره وأثنى عليه ثم عاد بعد ذلك الى جواده ورأى بنى تميم تريد الحملة فبادر اليها وسبقهم عليها وحمل على ميمنتهم وطعن فيهم طعنا يخطف البصر وضرب ضربا لا يبقى ولا يذر وقال الملك قيس لولده بسطام يا ولدى ينبغى ان نبتدىء بالاعداء قبل ان يبتدئوا بنا فاحمل وساعد الأمير عنترا ولا تدعوا منهم من يخبر خبرا فاطاعه وحمل فى الحال على الاثر قال الراوى وكان قنعب بن غياث فى ذلك الوقت يلبس درعه وسلاحه وهو متوكل على نفسه وقد عول ان يبارز بسطاما وعنترة فى مرة واحدة لكى يظهر لخاله شدة بأسه وبعد ذلك استوى على ظهر جواده وحركة الى مقدمة العسكر حتى يكفى فرسانه شر بسطام وعنتر واذا بعنترة قد حمل على يمينه وهو يدمدم كالاسد الزائر ويهدر كالجمل الفاطر وكان قد قتل الى حين التقى بقنعب خمسة وعشرين فارسا من بنى تميم ورجع الى بنى شيبان من خوفه على الحريم فصدمه فى تلك العودة قنعب وقد لعب به الحنق والغضب وقال له ويلك يا عبد السوء أما سمعت بفعالى أما بلغك صفة قتالى حتى اتيت الى حتى تخلص بزعمك غنيمتى من يدى فوالله لاجعلن لحمك طعاما للذئاب ودمك شرابا للكلاب فقال له عنتر اما الغنيمة فمن اول الليل خلصتها وباتت البارحة فى ذمامى وتحت ظل حسامى فخذها انت اليوم يا سيدى بنى تميم من يد هذا العبد الذميم . قال الراوى وبعد ذلك اطبق كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه واصطدما والتحما وهمهما ودمدما وانعقد عليهما الغبار حتى اظلم ضوء النهار وتقدم خال قنعب فى جماعته من بنى تميم وقال لهم خذوا اهبة الحرب فى هذا اليوم العظيم ففعلوا كما قال وتأهبوا للحرب والقتال هذا وقد اشتدت الأهوال وتزلزلت الأودية والجبال وتصايحت نساء بنى شيبان خوفا من رجوعهن الى السبى والهوان وجرت دموع عبلة من الاجفان وصارت تنادى بالويل والاحزان خوفا على ابن عمها عنترة من الهلاك وعلى نفسها من السبى والانتهاك وهى تنادى واغربتاه واقلة ناصراه واذلاه ان اصابتك نوائب الزمان يا فارس عدنان وسمع ابوها واخوها نداها وهما فى الاعتقال فقال والله لا جمعنا بينكما مادامت الايام والليالى هذا وقد دام بين عنتر وقنعب القتال وابصرت الفرسان منهما الاهوال وكان بسطام

قد حمل على الميسرة كما حمل عنتر على الميمنة وطلب الكفاح وقتل فى حملته تسعة فوارس من بنى رياح والتقى بمقدمتهم عاصم بن شياح واخذ معه فى القتال ولكن ما طال بينهما المطال حتى طعنه بسطام فالقاه ممددا على الرمال وعاد الى ناحية عنترة يخب بجواده الى ان وصل اليه وقد خيم الغبار عليه فوقف ينظروا واذا بصيحة زلزلت الاقطار وامتدت اليها الاعناق وشخصت نحوهما الابصار وقائل يقول يالعبس انا عنترة الجبار فنظروا واذا أبو الفوارس عنترة قد اقبل وفى يده رأس قنعب كأنه رأس عفريت من عفاريت منفر وهو ينشد ويقول صلوا على سيد ولد عدنان طه الرسول

اذا لم أرو صارمى من دم العدى ... ويصبح من أفرنده الدم يقطر
فلا كحلت أجفان عينى فى الكرى ... ولا جاءنى من نحو عبلة مخبر
أنا الموت الا أننى غير صابر ... على أنفس الابطال والموت يصبر
اذا الحرب نادانى المنادى أحببته ... وخيل المنايا بالجماجم تعثر
سل مشرفى الهندا وانى فى يدى ... يخبرك عنى اننى أنا عنتر
أنا قابض الارواح بالقضب والقنا ... أنا البطل الندب الهمام الغضنفرى
اذا ما لقيت الليث عممت رأسه ... بسيف على شرب الدما يتجوهر
الا فليعش جارى عزيزا وينثنى ... عدوى ذليلا يختشينى ويحذر
قهرت تميما ثم جندلت ليثهم ... وعدت وسيفى من دم القوم احمر

قال الراوى ونظر خال قنعب مصرعه ومصابه فقال وحق ذمة العرب هذا المنام الذى رأته امه وحسبت حسابه وفى عاجل الحال مزق ثيابه وصاح وحمل فى من بقى من بنى تميم على بنى شيبان وحملت بنو شيبان وفى اوائلهما بسطام وقد اطلق العنان وقوم السنان وطلع على رأس الطائفتين الغبار والقتام وتنكست الرايات والاعلام وصبرت الكرام وفرت اللئام هذا وعنتر قد حمى الطعن والعيال كما تحمى الأسود الاشبال وفعل افعال تشيب الأطفال حتى كلت منه المناكب والأوصال وكان بسطام قد ركب جوادا غير ذات النسور فقتل ذلك الجواد فصار يقاتل وهو راجل حتى كانت منه السواعد والمقاصل

وتطابقت على عنترة الفرسان وصاح فيهم الأخطل بن جدعان وجعل ينادى ياويلكم يابنى تميم اشفو فؤادى من هذا الأبيض الزنيم وفوزوا بالمال والحريم هذا وعنتر صابر لوقع المضارب وشيبوب يدور حول جواده من كل جانب ويرمى بالنبال فى الصدور والترايب قال الراوى فبينما القوم على ذلك الحال واذا بأربعين فارسا ظهروا من تلك الرمال متقلدين بالصفاح معتقلين بالرماح فداروا بعنترة وهم يقولون اتاك والله الفرج يا ابا الفوارس فابشر بالنصر على العدى وكن من اسباب الردى فنحن من بنى عمك ومن لحمك ودمك قال الراوى وكان وهؤلاء الفرسان من بنى عبس الاطايب والمقدم عليهم غياض بن ناشب وكان السبب فى قدومهم ان عمارة بن زياد لما عاد منهزما من قدام بنى شيبان وعاد الى بنى عبس بالذل والهوان دخل على اخيه الربيع واخبره بما تم عليه من ذلك الامر الفظيع فقال الربيع هذا الامر ما كان لى فى حساب وانى ما دبرت التدبير الصواب ولكن لا اقدر ان اعلم ما يحدث فى الغيب من عروض الاسباب فدعه الآن ياعمارة وانتظر له حوادث الأيام لعلك تبلغ المرام فلما سمع عمارة هذا الكلام زاد قلبه الاضطرام وفى عاجل الحال استدعى بغياض بن ناشب وكان يعد من الشجعان وكان بينه وبين عنترة حقد واضغان من حينما اخذ منه الغنيمة واشترى بها الجواد الابجر وحدثه عمارة بما جرى له فى بنى شيبان وما تم عليه من اجل عنترة وطلب من غياض المعونة عليه وان يقتفى منه الاثر وقال له يا ابن العم عسى ان يكون اجله اقترب على يديك واعطيك ما يسر خاطرك ويقر عينيك فاجاب غياض هذا السؤال طمعا منه فى المال وسار بالاربعين فارسا حتى وصل الى بنى شيبان ومن هناك اخذ اخبار بنى تميم حتى اشرف فى ذلك الوقت الذى ذكرناه على عنتر وابصره وهو يقاتل فى بنى تميم ففرح وقال عسى ان يكون قد ساعدنا الزمان ثم اجهد نفسه فى المسير على الأثر ويحامى عن العيال والحريم وقد دار به ذلك الموكب العظيم وهو ينادى باسم بنى عبس وعدنان ويفتخر بهم على العربان فانقلبت نية غياض فى ذلك الوقت والبغضة والعناد الى المحبة والوداد وقال لأصحابه يا بنى عمى ان النصرة لهذا الفارس الذى انشأ لنا فخرا بين العرب افضل مما يعطينا عمارة والربيع من الفضة والذهب فوالله لأعيننن هذا الرجل المظلوم ولا ارتكب هذا الأمر المذموم ثم

حمل وتبعته رجاله وكشفوا عن عنترة فاتسع عليه مجاله ولم يزل يطعن فى الصدور ويقطع الجماجم والنحور حتى ولت بنو تميم الادبار واركنوا الى الهرب والفرار وتبعتها بنو رياح وهى لا تصدق بنجاة الارواح وعاد عنترة وبسطام وغياض بن ناشب يخبره بما فعل له عمارة من الاكرام وكيف وعده بالمال والنوق والجمال وقال له فى آخر كلامه والله يا ابا الفوارس لا سرت فى هذا اليوم الا فى صحبتك واكون انا ورجالى فى خدمتك فشكره على ذلك عنتر ووعده بالحظ الأوفر وساروا حتى وصلوا الى الطعن فتلقتهم الاكابر والسادات والنساء والبنات وجعلوا يشكرون عنترة ويثنون عليه بكل شفة ولسان ثم نهضوا طالبين ارض بنى شيبان الى آن وصلوا الى ارضهم وضربت لهم المضارب والخيام وشرحت الخيل والجمال والاغنام وضرب الملك قيس لعنترة بيتا بجانب ابياته وانزل فيه عبلة وامر امرأته ان تجعلها كاحدى بناته ثم اخذ فى اصطناع الطعام وتصفيف المدام وعمل لعنترة وغياض مائدة عظيمة لها قدر وقيمة وكان مالك قد تقدم الى عنترة وبكى بين يديه واستعبر وطلب الصفح واعتذر فقال له ياعماه ان الصفح من الكرام كما ان الغدر من شيم اللئام والآن قد مضى ما مضى فلترجع الى حال السلامة والوفاء وبعد ثلاثة ايام قال له يا عم ان الضيافة فرغت وانقضى الزمان وقد ثقلنا على القوم فاعتزم بنا على الرحيل الى الأوطان فقال له اعلم يا ابن اخى ان ما بقى لى وجه ان ارجع الى بنى عبس ولابد ان ينحط شأنى اذ لم يحضر احد من اولاد الملك زهير يترضانى والرأى عندى ياولدى انك تمضى الى الديار وتخبر الملك زهير بما صار وتطلب منه ان يرسل بعض اولاده الى الملك قيس ابن مسعود لكى يترضانى ويطلب عودتى الى الديار فارتضى واعود وان كنت لا تثق بقولى فخذ بنتى عبلة معك ودعنى انا واخاها هنا حتى يتم الامر فتتبعك واشهدوا على ياسادات بنى شيبان اننى زوجته بنتى عن يقين وهذه يدى لك قدام الحاضرين فاجابه الى ذلك المرام واشهد عليه الملك قيس وولده بسطام ودعهما وسار يقطع الجبال والوديان طالبا ديار بنى عبس وعدنان ودام على ذلك السير ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع ظهر عن يمينه غبار كأنه قطع الغمام ثم انكشف عن فرسان ينادون يالضباب والمقدم عليهم عمرو

ابن شهاب وهو قد سار فى الف فارس من ارض بنى قحطان طالبا ارض بنى عدنان ليغير على بنى عامر ابن غطفان فاتفق انه التقى بعنترة فى ذلك المكان فنادى على قومه بالله عليكم ايها الفرسان اشفوا قلبى من هذه الشرذمة فانها من بنى عدنان لاننى اذ قد وصلت الى هذا المكان لا بد الى ان اقلع آثر من فيه من العربان فعند ذلك انفرد منهم مائة فارس وطلبوا بحملتهم ابا الفوارس فلما رآى قصدهم اليه وانصبابهم عليه قال لغياض بالله عليكم لا تقاتلوا معى فى هذه النوبة بل احموا ظهرى حتى اريكم كرى وفرى ثم استقبل اولئك الفوارس بوجه مثل وجه الاسد العابس وقوم اليه سنان رمحه الخطار كأنه شعلة نار . قال وكان احد الفرسان قد سبق اصحابه وقوم سنانه وارخى عنانه فما خلاه عنترة يصل اليه حتى طعنه بين ثديه فاخرج السنان من بين كتفيه وادرك الثانى بطعنة فى صدره فانفذها من ظهره وصرخ فى اصحابه وتلقاهم بطعن يذهل الام عن اطفالها والليوة عن اشبالها فلم تكن الا ساعة حتى انكشف الغبار عن ثلاثين فارسا مقتولين وسبعين منهزمين ولما رآى الملك عمر ما جرى اردفهم بمائة اخرى فحملت المائة الثانية على عنترة وطلع عليهم الغبار الأكدر فاستقبلهم وحمل عليهم بقلب اقوى من الحجر وهاج عليهم كما يهيج البحر اذا زخر فانطبقوا عليه وداروا حوله كالسلاهب وحاطوا به من كل جانب وهو يطعن فيهم ذات اليمين وذات الشمال ويزعق عليهم زعقات تزعزع الجبال ولم يزالوا على ذلك الى نصف النهار حتى انكشف عن رءوسهم واذا بعنترة يصول عليهم وقد قتل منهم تمام السبعين وجعل الباقى منهزمين فعند ذلك اشتعلت النار فى قلب الملك عمر وخرج من تحت الأعلام واشار الى قومه بالحملة على عنترة فحملوا جميعا الى حرمة الميدان وداروا بعنترة من كل مكان فاستقبلهم بقلب اقوى من الصوان وحمل معه غياض ومن معه من بنى عبس وعدنان وانطبقوا على بعضهم انطباق الغمام واخذوا فى الكفاح والصدام حتى خيم عليهم الغبار وحجبهم عن الابصار فما كنت ترى الى رأسا طائرا ودماء فائرا وجوادا غائرا ونصالا تلمع تحت ظل الضباب مثل زرق النجم تحب السحاب هذا وشيبوب قد دار حولهم كاللولب وهو يرميهم بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال فبينما هم على ذلك الحال اذ التقى الملك بعنترة فأخذ معه فى القتال وجرى بينهما حرب تشيب

الاطفال ومازال عنترة معه فى الكفاح ساعة من النهار حتى لاحت له فرصة فابتدره بضربة من سيفه البتار واذا برأسه قد طار فوقع الى الارض يختبط بعضه فى البعض ومن بعده وقعت الخمدة على بنى الضباب وطلبوا رؤوس الروابى والهضاب وهم يبكون على ملكهم عمر بن شهاب ونزل عنترة واصحابه فى ذلك المقام لاجل الراحة واكل الطعام الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فأمر عنتر اخاه ان يجمع الخيل المتروكة والسلاح وقال لغياض هذه الغنيمة لكم وهى اكثر مما اوعدكم به عمارة بن زياد وازددتم عليها الصلح والوداد مع عنترة بن شداد فضحك غياض لما سمع ذلك الكلام من عنترة وقد فرح واسبشر وقال له واؤ يا ابا الفوارس لاعدت فارقتك فى سفر ولا فى حضر وبعد ذلك ركبوا وساروا يطلبون الديار وعنترة قدامهم كالأسد الهدار الى ان قاربوا الحى فانفذ عنترة اخاه يخبر بقدومه اباه شداد وعمه زخمة الجواد وشاع فى الحلة الخبر بقدوم عنترة ففرحت اصحابه واصدقاؤه وانخذلت حساده واعداءه وكان ذلك اليوم عند الملك زهير واولاده اعظم الايام لانهم كانوا قد خافوا عليه واذا انقطعت عنه الاخبار والاعلام ولما علموا بقدومه وركبت الخيل الى ملتقاه وركب الملك زهير وخرج وهو لا يصدق ان يراه وكان خروج الملك ذلك الى عنترة فى موكب عظيم وخلق جسيم فالتقاه على بعد من الديار وهو فى غاية الفرح والاستبشار ولما تقارب بعضهم الى بعض ترجل عنترة الى وجه الارض ومشى الى يدى الملك زهير وخدم ودعا له بدوام العز والنعم قال الراوى فتلقاه الملك زهير بالبشاشة والاكرام وسلم عليه احسن السلام ثم امره ان يركب جواده واخذه الى جانبه واخذ يسأله عن سفرته ويهنيه بالعودة الى اهله وعشيرته فحدثه بجميع ما تم له فى بنى شيبان وماجرى بينه وبين عمه مالك من العهود والايمان حتى وصل الى حديث عمه وقوله انى لا اعود مالم يحضر احد ويترضابى ليرتفع قدرى وشأنى فقال الملك زهير اعلموا يابنى عمى ان الرجل قد ندم على افعاله وذاق طعم الغربة لانها معادلة للاسر واثقاله ولو امكنه كان عاد لكن خاف من شماتة الاعادى والحساد وانه والله قد افتقد موضع الافتقاد والرأى عندى اننا نبلغه المراد حتى تقضى مع ابن عمنا عنتر برهة من الزمان

ونرى اشواقنا معه بعد هذه الغيبة من الاوطان ثم ساروا حتى نزلوا فى الأبيات وعملوا الولائم والدعوات وضج الحى بالأفراح من سائر الجهات وكان معهم فى هذه الوليمة كل من فى الحلة الا بنى زياد ومن يوافقهم من الاعادى والحساد فان قلوبهم كادت تنفطر من رجوع عنترة وعاتب عمارة غياض بن ناشب وقال له ويلك يا غياض ارسلتك الى عدوى لتآخذ منه ثآرى وتطفى لهيب نارى ولما وصلت اليه انقلبت نيتك وصرت من حزبه انت ورفقتك فقال غياض اى والله يا عمارة ان عنتر يستاهل الفدى بالاموال والارواح لاجل ما فيه من المروءة والسماح ثم لوى وجهه عن مخاطبته وتركه يتوهج بحسرته قال الراوى وبعد ذلك ثم رآى اولاد الملك زهير ان يسيروا مع عنترة بن شداد لكى يتراضوا عمه مالك بن قراد واخذوا فى الاهتمام والاستعداد فبينما هم على ذلك الحال وقد عزموا على الترحال اذا بعبد آسود قد قبل بين الروابى والكثبان من ناحية ديار بنى شيبان فلما وصل سآل عن عنترة فهدوه اليه حتى اوقفوه بين يديه فقال يامولاى سبدى بسطام يسلم عليك ويقبل يديك ويقول ان عمك قد فعل اللئام وما اقام بعد رجوعك من عندنا الا ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع طلبناه فما وجدناه وسآلنا عنه فما وقعنا له على خبر ولا وقفنا له على اثر وهو الان قد ارسل الرسل يكشفون خبره ليعلم اين هو نازل من احياء العربان ويعلمك بالخبر اليقين ويكون فى خدمتك هو وجميع بنى شيبان فلما سمع عنترة من العبد هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ومضى الى الملك زهير واعلمه بالخبر فاغتم لذلك وتكدر وقال لا بأس يا ابا الفوارس كن طيب القلب والنفس فاننا لابد ان ندركه ولو وصل الى مغرب الشمس فقال عروة بن الورد وقد اظهر النصيحة لعنترة ويلك يا عنترة كم تطلب من لا يطلبك وترغب من لا يرغبك فاسمع منى وازهد فى من هو فيك زاهد وارح نفسك من هذه الشدائد ولا تقبح على مواليك الذين تربيت بين حريمهم واولادهم فما يكون جزاءهم منك الا التشتيت على اوطانهم وبلادهم فقال عنترة والله يا عروة انك تتكلم بلسان ناصح من قلب شامت كاشح فسوف ترى كيف تدور الدوائر على اهل الغدر والعناد وما يصيب الاعادى والحساد فقال الملك يا ابا الفوارس طب نفسا وقر عينا فما بقى لعمك خصم الا

انا وسوف ترى ما افعل به من الانتقام حتى تبلغ المنى . قال الراوى وفى ذلك الوقت انقلبت الافراح الى ابيات بنى زياد وانقلب الحزن الى أبيات بنى قراد وكان كلام عروة على عنترة امر من ضرب الحسام واشد من وقع السهام فقال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الام اما سمعت كلمات عروة ورأيت افعاله معى المرة بعد المرة فاجعل عينك عليه اذا طلع من الحلة حتى اطلع خلفه واشفى فؤادى منه قبل ان اسعى فى طلب عبلة فقال شيبوب السمع والطاعة أنا أرصده من هذه الساعة

قال الراوى ومن عجب الاتفاق ان عروة له أخت تسمى سلمى أم احسان وكانت متزوجة فى بنى غطفان وكان عروة يحبها ويزورها فى أكثر الاوقات واتفق ان عروة خرج يزور اخته فى تلك الايام فعلم به واعلم اخاه عنترة فطلع خلفه يريد له الهلاك واكمن له خلف جبل هناك وكان عنترة قد سبق فانتظره حتى يعود لما فى قلبه عليه من الضغاين والحقود واما عروة فلما وصل الى بنى غطفان وجد اخته متغاضبة مع زوجها وقد اوقع بها الذل والهوان ولما رآت اخاها بكت فى وجهه وشكت حالها اليه واعادت قصتها عليه وقالت له يا اخى بحرمة الاحشاء التى تربينا فيها . قد دنى الى ديار قومى واجعلنى من بعض عيالك او من جملة الصعاليك الذين تنفق عليهم اموالك ودعنى اعيش عندك عزيزة جليلة ولا اعيش فى غير وطنى مقهورة ذليلة وزادت فى وجهه النحيب والبكاء حتى حركته النخوة العربية والحمية الجاهلية فعند ذلك ركب جواده واجلسها فى هودجها واخذ بزمام ناقتها وسار وهى لا تصدق ان تصل الى الديار ومازال سائرا حتى وصل الى الجبل الذى عنترة مكمن فيه وقد أتاه الأمر كما يشتهيه واذا بعشرة فرسان وقدامهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل وجواده قد اقلب البر بالصهيل ولما رأى الناقة والهودج صاح الا ما ابركه صباح وعدل الى عروة وقال له ويلك من تكون من الفرسان والى من تنسب من العربان فقال ياويلكم انا عروة بن الورد العبسى الذى افرى الصعاليك بمالى وأبذل دونهم نفسى فاغدو فى طريقكم والا تحرموا توفيقكم فلما سمع الفارس ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال مرحبا بك يا ابا الابيض هل

تعرفنى وانا لى عندك غرض فقال عروة ليس لى بك معرفة يا اخا العرب ولا اعرف ان لك على طلبا فقال له انا قيس بن جذعان وانت عروة قتلت لى اخا من افرس الفرسان وكنت انا غائباً فى بعض غزوات العربان والآن قد التقيت بك فى هذا المكان فلابد لى من طلب الثـأر لكى اكشف العار واخمد ما بقلبى من النار ثم بعد ذلك صال وجال وطلب القتال وهو يهدر كفهر الجمال فتأهب عروة لقتاله واخذ معه فى الضرب والطعان والكر والجولان حتى انعقد عليهما الغبار واحتجبا تحته عن الابصار وكان عنترة ينظر اليهما من الجبال وينتظر ان يرى كيف ينتهى بينهما الحال فما كانت الا ساعة من الزمان حتى سطا قيس على عروة وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وطعنه بعقب الرمح فى صدره فاقلبه على ظهره وتقدم اليه بعض الفرسان فشدوه كتاف واوثق منه السواعد والاطراف وتقدم قيس واخذ بزمام الناقه وابركها وكشف الهودج فرأى سلمى فقال يالها من طريق ما ابركها والتفت الى اصحابه وقال لهم اضربوا لى خيمة فى هذا المكان حتى انزل فيها واتمتع بجمال أم أحسان وبعد ذلك اقتله وآخذ بثارى واكشف عنى عارى فعندها صاحت اخت عروة وافضيحتاه واقلة رجال يالعبس يالعـدنان اين انتم عن جاريتكم التى وقعت مع هـذا الكشحان

قال الراوى فلما سمع عنترة هذا النداء وقد كان نها ولأخيها من جملة الأعداء فحركته الهمة العربية والنخوة الجاهلية فهبط من الرابية وتقدم الى الخيل ونزل عليها نزول السيل ونادى بأعلى صوت لبيك يا ابنة العم ابشرى بزوال الهم فقد استجاب الله نداك وبعشنى الى حماك قال الراوى فلما سمع قيس من عنترة هذا الكلام صرخ فى وجهه صرخة الاسد الهجام وحمل عليه وهو يصول فلم يتركه عنترة حتى ضربه بالضامى فاطار رأسه كحجر المنجنيق واطبق على الخيل التى معه وهـو يهدر كالفنيق فقتل ستة فرسان وهرب الاربعة وهم يقولون نعوذ بالله من شر هذا الشيطان وبعد ذلك عاد عنترة الى عروة فسلم عليه وحل وثاق يديه وترك عقال رجليه فعند ذلك انزلت سلمى من هودجها وتقدمت اليه والقت نفسها على قدميه وصاحت لله درك من فارس ناصر فلا خلى الله منك العشاير . قال الراوى وعاد عنترة بعد ذلك الى عروة

وقال له يا عروة يرى قلبى من كلامك ولا خرجت من الحى الا لاسقيك كاس حمامك وانما الزمان اتى بشىء ما كان فى الحساب ولما رأيتك فى هذه الحالة نسيت ما اضمرت لك من العذاب ولما رأيت حالة اختك سلمى صعب على هتك سترها بعد الحجاب فبكى عروة بين يديه وانتحب وقال العفو منك يا فارس العرب واريد ان تقبل منى التوبه وتتخذنى صديقا بعد هذه النوبة وان رأيت منى مالا يسرك من القول والفعال فدمى لك حلال وكذلك اخته سلمى تقدمت اليه وقبلت يديه ورجليه ولم تزل تسأله فيه وتذلل يديه حتى حل قيده من رجليه فقال له عروة والله ان مثلك لا يوجد فى الانام ولا تسمح بمثلك الايام والله لاسرت الا بين يديك ولا تروح روحى الا بين قدميك . قال الراوى فشكره عنتر على ما ابداه من الكلام وعاد معه الى القبول والاكرام وبعد ذلك جمعوا اسلاب القتلى وخيلهم التى كانت مبددة فى الفلا وعادوا راجعين الى الديار واذا هم باعرابى يهيم ويخب فى ذلك البر كأنه ظليم فلما رآه عنترة قال وحق ذمة العرب لابد لهذا الاعرابى من سبب واقول انه من شيبان اتى يعلمنا بما جد لعمى من الشأن فاسرع يا شيبوب اليه واتبع أثره واحضره حتى نعلم خبره فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب حتى ذلك الاعرابى وصرخ عليه وتقدم حتى صار بين يديه فتعجب الاعرابى من سرعة عدوه فى ذلك البر الاقفر وهو كأنه ذكر النعام اذا انفرد فقال له شيبوب يا ابن الخالة اراك حائدا عن الطريق فلمن انت قاصد ومن أين أنت وارد فقال اعلم ياوجه العربان أنى من بنى شيبان وقاصد عنترة فى بنى عبس وعدنان أعلمه أن خبر عمه قد ظهر لأن العبيد الذين أرحلهم سيدى بسطام يقتفون من مالك الأثر عادوا الى مولاى وأعلموه أنه فى بنى كندة وقد أرسلنى بهذه البشارة الى عنترة وبينما هما فى الكلام اذا عنترة قد وصل وسأل الاعرابى عن قصته فقصها عليه من أولها الى آخرها وأطلعه على باطنها وظاهرها وقال له فى آخر الكلام سيدى يسلم عليك ويقول لك أن أردت يحضر اليك بطائفة من بنى شيبان ويكونان لك من جملة الأنصار والأعوان . قال الراوى هذا وشيبوب قد انطلق طالبا أرض بنى كندة وأخوه عنتر على أثره وقد اراد الانفراد والوحدة فسار وقد هاجت الى عبلة أشواقه وسالت بالدموع

امامه ثم جاش الشعر فى خاطره فباح بما انطوى عليه مكنون ضمائره وانشد يقول :

لمن طال بالرقمتين شجانى ... وعاثت به أيدى البلى فحكانى
وقفت به والشوق يكتب أسطرا ... باقلام دمعى فى رسوم جنانى
اسائله عن عبلة فاجابنى ... غراب به ما بى من الهيمان
ينوح على الف له واذا شكا ... شكا بنحيب لا بنطق لسان
ويندب من فرط الجوى فاجبته ... بحسرة قلب دائم الخفقان
الا ياغراب البين لو كنت صاحبى ... قطعنا بلاد الله بالدوران
عسى أن نرى من نحو عبلة مخبرا ... بايه أرض أو بأى مكان
وقد هتفت فى جنح ليل حمامة ... مفردة تشكو صروف زمان
فقلت لها وكنت مثلى حزينة ... بكيت بدمع وايد الهملان
وماكنت فى دوح تميس غصونه ... ولا خضبت رجلاك أخمر قانى
أيا عبل لو أن الخيال يزرونى ... على كل شهر مرة لكفانى
فان غبت عن عينى يا ابنة مالك ... فشخصك عندى ظاهر لعيان
غدا تصبح الاعداء بين بيوتكم ... تعض من الاحزان كل بنانى
فلا تحسبوا ان الجيوش تردنى ... اذا جلت فى أعناقكم يحصنانى
دعو الموت يأتينى على أى صورة ... فانى أريه موقفى وطعانى

قال الراوى ولما فرغ عنترة من هذه الأبيات سار هو وشيبوب يقطعان البر والفلوات الى أن وصلا امياه عطبول وعولا هناك على النزول واذا بغبرة من خلفهم قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت بان من تحتها فرسان سائرة على عجل والغبار على رؤسهم قد انعقد وتقسطل فوقف عنترة واخوه ينظرون اليها وقد تأهبوا للحملة عليها واذا بها انكشفت عن مائة فارس بالحديد غواطس وبين أيديهم فارس شديد كأنه البرج المشيد فحقق النظر اليهم عنترة واذا هم من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم عروة بن الورد وقد أتى خلف عنترة مكافأة لما فعل معه من الجميل والاحسان لانه لما فارقه ما زال سائرا الى أن وصل أخته الى الديار

وجمع من له الرجال والأنصار وقال لهم اعلموا يابنى عمى انه ما كان أحد أبغض الى من عنترة والآن هو عندى أعز من السمع والبصر لانه خلص أختى من السبى والانتهاك وخلصنى من الهلاك بعد ما قبحت عليه الف مرة وطلبت له الهلاك وأريد أن أكون أنا وانتم من اصحابه واين ما سار سرنا فى ركابه لأنه رجل بالسعد مسعود وعدوه مقهور مكمود وانا علم اننا اذا سرنا معه وصاحبناه صرنا تحت كنفه وحماه وان هذه القبيلة لولاه ما ارتفع لها رأس ولا ابتنى لها من المجد أساس وقد فارقته وهو سائر وحده الى بنى كندة لكى يخلص ابنة عمه وينزل عليهم البلا والشدة وقد حدثته نفسه أن يخرب ديارهم ويقلع آثارهم لاجل أنهم جاروا عمه مالك ومن كان فى مثل هذه الشجاعة والقوة لا يجوز أن تتخلى عنه بنو عمه حتى يقع فى الممالك لأنه يصطلى نار الحرب لنفسه ولا يتخلى عن ابناء جنسه فأطاعوه جميعا على ما يريد وتحالفوا أنهم يكونون لعنترة مثل العبيد ومن يومهم تأهبوا للمسير وخرجوا الى ظاهر الحى على ذلك التدبير واتفق أن عمارة بن زياد علم بالحال وان عروة بن الورد سائر من الحى فى من له من الرجال فخرج عمارة اليه وتذلل بين يديه وقال له الى أين تذهب يا أبا الابيض وأنا لك فى الانتظار حتى نقلع من ذلك العبد الاثار ونخلى الديار لانه قد فقد من الحى من ثلاثة أيام وأنا أقسم بأعظم الاقسام أن عاونتنى أنت ورجالك عليه اعطيك ما تريد من المال والأنعام فقال عروة والله يا ابن العم ليس عندى منه خبر وأنا سائر الى اليمن فان لقيته بذلت فى هلاكه المجهود وفعلت منه الأثر قال عمارة واحسرتاه على صحة هذا المقال فوحق ذمة العرب أن بشرتنى بهلاكه اعطيتك كل ما أملك من المال وافضلك على جميع من لى من الرجال فقال له عروة أبشر فلا يكون الا ما تريد وأكون أنا لك فى هذا الامر أطوع من العبيد .

قال الراوى وبعد ذلك سار عروة فى أثر عنترة ولم يزل هو ورجاله سائرين فى ذلك البر الاقفر حتى لحقوا عنترة وقدامه شيبوب وهو يجرى مثل ريح الجنوب فلما وقعت العين على العين فى تلك الارض دنا بعضهم من البعض فقال عنترة يا أبا الابيض نحن ما علمنا شيئا يوازى أعمالك حتى اتبعت نفسك أنت وجار لك فقال عروة يا أبا الفوارس

ما بقينا نفارقك ولا نعتمد الا عليك ولا نتوجه الى مكان الا ونحن بين يديك فتقدم عنترة اليه واعتنقه وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وفعل ذلك مع بقية الرجال ووعدهم بالغنايم والأموال ثم ساروا وقد تمادت عليهم الطرق واشتعلت الشعاب من وهج الحريق فقال عنترة لأخيه ويلك يا شيبوب اذهب قدامنا واكشف لنا هذا البر الأقفر وانظر هذه الأرض الى أين تسلك وأرجع الينا بجلية الخبر فقال شيبوب السمع والطاعة وانطلق فى الحال والساعة فما غاب الا شيئا يسير وعاد اليهم مثل الطير الذى يطير فقال عنترة ما الذى رأيت ونحن فى أى مكان قال له نحن فى أرض بنى غيلان وهى شديدة الحر كالنيران والماء عنا من الجانبين بعيد والوصول اليه صعب شديد .

فلما سمع عنترة من أخيه ذلك الكلام والتفت الى عروة وقال له انزل أنت ورجالك حتى أمشى أنا وأخى شيبوب ونكشف هذه البرارى والقيعان فقال عروة نحن أحق بهذه الخدمة انا ومن معى من الفرسان قال عنترة والله يا أبا الأبيض أنا اولى بمثل هذه المهمات فاننى عبد وأنتم السادات قال له لا والله يا أبا الفوارس انما أنا عبدك وعتيق سيفك ولذلك أخجل من هذا الكلام وطاعة لأمرك أقيم فى هذا المقام فأخذ عنترة شيبوب بين يديه وتبطن تلك القفار ولم يزالا يجدان المسير الى نصف النهار فما وقعوا بأحد فى تلك الديار فقال عنترة ويلك ياشيبوب أنا كنت أعهد هنا غديرا فتقدم بنا اليه لعلنا نعثر عليه فما سار الا قليلا حتى اشرفا على ذلك المكان واذ هو واد أخضر فيه اشجار باسقة وغدران دافقة واطيار ناطقة . قال الأصمعى فلما دنا عنترة من ذلك الماء الخرار واراد ان يستظل بظل تلك الأشجار سمع رجلا خفى الأنين يتأوه من قلب حزين وقائلا يقول قاتلك الله يا مالك ولا نجاك من المهالك فلما سمع عنتر ذلك الكلام سكر من غير مدام وبقى كأنه فى منام ووقف يسمع وقلبه يتقطع واذا هو بصوت أقوى من الصوت الاول ورفع وصاحبه يتأوه ويتوجع وينشد ويقول :

يا أم داوى كبدى بالماء من حر الظما
وأبكى على اننى قد مل جسمى السقما
قد كان دمعى منجدى واليوم قد صار دما

وزاد جسمى سقما وذاب قلبى الما
حمامة الواد اهتفى وساعدى المتيما
نوحى على واصنعى على بلاءى مأتما
بحرمة العهد الذى حفظت فيه الذمما
ان سألتك عبلة قولى لها عدما
واليوم يقضى نحبه شوقى الى ذاك الحمى
ياعبل ما خلى الهوى من رسم جسمى علما
والجسم منى قد وهى والصبر منى انصرما
لما رأيت عبلة مسيبة سبى الإما
لكن بهذا قد قضى فى حكمه رب السما

قال الراوى فلما سمع عنترة ذلك الكلام غرق فى بحار الأوهام والتفت الى آخيه وقال له ويلك ياشيبوب هل نحن فى منام أم اضغاث احلام والله لقد احرق فؤادى سماع هذا المنادى ولا بد ما اكشف خبر هذا الوادى ثم حرك جواده وطلب ذلك النهر فرآى على جانبه امة سوداء كآنها الليل اذا اعتكر وبين يديها غلام يشابهها فى الزى والمنظر وهو تارة يغمض بعينيه وتارة يشير بيديه والأمة قاعدة الى جانبه تبكى عليه وهى تقبل عارضيه وبين عينيه فتقدم اليه عنترة وقال يا امة الله انتم آى الناس وما بال هذا الفتى خامد الأنفاس ولا يسمع مقالا ولا يلتفت يمينا ولا شمالا فقالت له الأمة والله ياوجه العرب ما كانت هذه الصفة صفته ولا الحالة حالته وما كان الا فارسا من الفرسان المذكورة وبطلا من الابطال المشهورة وانما غدرت به الأيام وتواترت عليه الاسقام حتى وصل الى هذا المقام فقال ومن يكون هذا الغلام وما جرى عليه من الاحكام فقالت هذا يقال له عنترة بن شداد وانا امه واسمى زبيبة وامورنا عجيبة غريبة وانا اشرح لك بعضها وابين ابرامها .

انتهى الجزء التاسع من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء العاشر .

الجزء العاشر

من سيرة

عنترة بن شداد

من نقضها وذلك أن آباه سبانى من بعض الاحياء وأوقعنى فى الصحراء فعلقت منه بهذا الولد ووضعته فى أبياته مابين أهله وأمواته وربيته حتى كبر وصار يقدر أن يسعى فاخرجته معى الى المرعى فصار يركب الخيل ويخوض بها فى النهار والليل حتى أعطاه الله القوة والحيل ورزق التوفيق والسعادة باذن صاحب المشيئة والارادة فكبرت نفسه على رعى الجمال وصار يغزو أحياء العرب وينهب الاموال ويزعزع العرب من أماكنها ويشتتها عن مواطنها وما زال على هذا الحال حتى نزل عليه القضاء وعشق بنت عم له يقال لها عبلة وهى التى نزل على قلبه من أجلها هذه الدبلة وكان يخدمها كما يخدم العبيد بنات سادات العرب فلما ظهرت نجابته الحق نفسه بالنسب وطمع أن ينال من زواجها الأرب فصار يتقرب الى قلب أبيها بكل ما يقدر عليه من الهدايا والاموال ويخلصه من كل ما يقع فيه من الأهوال حتى زوجه بها ولكن على سبيل المكر والمحال وصار ولدى يغير على أحياء العرب ويبذل له ما يقع فى يده من الفضة وعمه يهرب بابنته من مكان الى مكان حتى وقع به فارس العرب المذكور وبطلها المشهور يقظان بن جياش بن مزاحم صاحب الوقائع والملاحم فقتله وأخذ عبلة منه وهو مقيم فى هذا الوادى الذى اختاره موطنا واتخذه لنفسه سكنا فبقى ولدى يهيم فى القفار ويقتفى منه الآثار حتى انحله هواها وهو يطلب ان يملك نفسه مناها وقد عرف ان عمه قتل وان هذا الجبار أخذ بنت عمه وسباها فبقى عندى وهو مطروح يبكى عليها وينوح ثم حمله الهوى والهيمان حتى طلبها وسعى خلفها الى هذا المكان وقد وصلنا الى هنا وآنا آنهاه وهو لا يسمع وارده فلم يرجع وما زال حتى رمى نفسه على هذا الغدير وهذا هلك نفسه من كثرة الحزن وقلة الأكل والمنام ولنا ثلاث ليال فى هذا المقام لم

يذق الطعام وهو لا يقدر على الدخول الى هذا الجبار ولا أنا أقدر أن أرده الى الديار وبقى طريحا كما تراه وقد أشرف على الهلاك من مكر عمه ودهاه .

قال الراوى فتعجب عنتر من هذه القصة والمشابهة الغريبة وقال ويلك يا شيبوب أنظر هذه الأمة كانها الا أمنا زبيبة ولكن اسألها هل لها ولد اسمه شيبوب قالت ليس لى الا هذا الحزين المكروب . قال وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنتر ولكن عنتر كان أقوى منه وأقدر وأحمل للبلايا وأصبر وكان له سعد وتوفيق بامر القضاء والقدر هذا وان عنترة لما سمع هذا الكلام رق قلبه لشكواها وعزم على كشف بلواها فقال لها يامولدة العرب والآن أين الذى سبى عبلة بنت عم هذا الغلام وفعل معكم فعل الأوباش اللئام قالت له ياولدى أنه فى هذا الوادى مقيم ونحن على غاية الخوف العظيم لأنه لو كان يظهر من ويرانا لكان قتلنا وشرب دماءنا فعندها ألوى عنان جواده الابجر وهو على ملاقاة هذا الفارس يتحسر وشيبوب بين يديه كانه الذئب الاغبر وكان هذا الفارس جبارا من جبابرة العرب وفتاكا من الذين لا يسترون حرمة ولا يرعون ذمة لا يعرف الا سفك الدماء وهتك المخدرات وارتكاب الفجور وخطف البنات من الخدور وما له هم الا مال ينهبه أو فسق يرتكبه أو زق خمر يشربه أو فارس يعجل عطبه ويأخذ سلبه وهو لا يصغى الى مقال ولا يسمع ملامة العذال ولا يرجع عن هذه الفعال وهو الذى كان السبب فى خراب تلك الأرض وفرار أهلها الى رؤوس الجبال خوفا على الحريم والعيال لأنه كان يرسل العجائز الى الحلل القريبة منه لتعطيه صفة البنات الموصوفات بالجمال واذا سمع بامرأة مليحة أو بنت صبيحة يشن على أهلها الغارات حتى ياخذها مسبية من وسط البيوت ويأتى بها الى هذا الوادى يتمتع بها الى أن يسمع بغيرها فيذبحها ذبح الأغنام ويشرب من دمها ما يتحصل ثم يشوى لحمها على الجمر فيأكله ويشرب عليه ذقا من الخمر وكان الذى أضراه على أكل لحوم الناس أكل لحوم السباع لأنه يهجم عليها ويصطادها من كل غابة وقاع ولما علم أن العرب كلها تطلبه اتخذ هذا المكان سكنا وجعله له وطنا وكان ذلك الوادى كثير الغابات وفيه كثير من السباع واللبوات

والأفاعى والحيات فداوم السباع بالأكل حتى كاد يفنيها لأنه قتل أكثرها وهرب باقيها وكان قد اختار له عشرة من الأشبال ورباهم كما يربى الراعى البغال وصار يطعمها من يده ويربيهم حتى صار الواحد منهم كالبعير مثل الثور الكبير لأنهم تربوا على لحوم الضأن والفصلان وكان يطعمها من لحم البنات والنسوان وكان الواحد منهم اذا لطم البعير قتله وان ربض عليه أكله وكان ذلك الجبار اذا قعد دارت به السباع من كل جانب واذا نام حرمته من كل طارق وطالب واذا غاب تحرس الوادى حتى لا يطمع به احد من الأعادى فسمته العرب أبا الاشبال وخافت منه جميع الأبطال فلا يقرب هذا الوادى الا من قربت منه الآجال ولما وقعت عبلة فى يده ودخل بها الى هذا الوادى ولم تسلم نفسها اليه وصارت تتمنع وتشمخ عليه وكانت تجاوبه باغلظ الجواب وهو يبتسم من كلامها ويتخذه من كلام الأحباب ويطول روحه عليها مثل ما تفعل الأصحاب بالأصحاب ولما دخل عنترة الى ذلك الوادى وقف الأبجر وشخر ونخر وتأخر لانه شم رائحة السباع فارتعدت فرائصه وارتاع فترجل عنتر وقال لشيبوب خذ أنت الابجر وأخرج به الى خارج الغاب لانظر ماذا يجرى بينى وبين هذه الكلاب فقال شيبوب والله يا أخى لا أفارقك لانى ما أدرى ما يجرى عليك وها أنا من خلفك وبين يديك ثم أن شيبوب ربط الابجر فى بعض الاشجار وتقدم امام أخيه فى تلك الادغال وهو قد هيأ القوس والنبال وأخوه أخذ سيفه باليمين ودرقته بالشمال وما زالا يشقان ذلك الغاب حتى وصلا الى مكان خال من الاشجار فنظر عنتر واذا هو مكان واسع فيه عيون ومنابع وخيم مضروبة ونار مشبوبة وفرس ملجم ورمح مقوم وسيف معلق وابو الاشبال جالس وله هيئة اذا نظر الى الحجر انفلق وبين يديه حمار وحش وهو يقطع منه ويلقى على النار وزق خمر كأنه الناقة العشار والجارية قدامه وهى تبكى بدموع غزار وكلما لح عليها فى الطلب تهم ان تلقى نفسها فى النار وتقول له الى كم هذا الجور يا ابن الانذال هل تقدر على شىء اكثر من أن تقتلنى وتأكل لحمى أنت وهؤلاء الاشبال فوالله لأخنت ابن عمى عنتر ولو تقطعت على عدد أوراق الشجر . فلما سمع

منها هذا الكلام امتلأ غيظا وغضبا وعزم على افتراسها مغتصبا . قال الراوى فلما علمت ذلك صاحت وامصيبتاه واقلة ناصراه أين عيناك ياعنتر . وما زالت على ذلك الصياح وهى تزيد فى البكاء والنواح حتى خيل لعنترة أنها بنت عمه عبلة فغاب عن صوابه ومآ بقى يعرف اعداءه من أصحابه فصرخ صرخة دوت لها الجبال ونظرت اليه الأشبال فصارت تهدر كالجمال فقال لها اخرسى ياكلاب البر فان السباع كالأرانب والجبابرة كالثعالب ثم استقبلها بسيفه الضامى المصقول ومال فيها فى عرض وطول وتبعه شيبوب برمى النبال وصار يقصد بها الأشبال عن اليمين والشمال . قال الراوى فلما سمع الضجة أبو الأشبال اشتغل عن الجارية واحتسب من وقوع الداهية مما كان فيه من ذلك الحال فصاحت به الجارية قد انتقم الله منك ياكشحان وأرسل لك من يردك عن الفساد والطغيان فقال يا لخنا من يقدر ان يأتى الى هذا القاع ففى هذه الساعة ترينه نهبا لأنياب السباع . ولما علت الضجة طلع يكشف الخبر فى الحال فرأى قد قتل سبعة وبقى ثلاثة من الأشبال وكان من جملتها سبع أحمر أفطس المنخر فلما نظر الى صاحبه كشر عن ناب كانه خنجر ووثب فى عاجل الحال الى عنتر فاستقبله بالضامى الأبتر الدى ضربته تفلق الحجر فجاءت الضربة بين عينيه واذا بالسيف قد طلع يلمع من بين فخذيه فلما رأى أبو الاشبال تلك الضربة ارتاع ووقعت فى قلبه الرعبة وزعق على على الأسدين الباقيين وردهم الى الغاب خوفا عليهما ان يلحقا باصحابهما ثم تقدم الى عنتر وقال له ويلك ياعبد السوء أظنك جاهلا بخبرى حتى تماديت هذا التمادى ودخلت هذا الوادى فاين بقى لك من يدى فرار ولا بد أن يكون آخر ايامك هذا النهار ثم اشار الى عنتر يقول صلوا على طه الرسول :

أنا أبو الاشبال ليث الوادى والبطل المعروف بالفسادى
لحم السباع مأكلى وزادى والدم يروى بعده فؤادى
كم قد تركت حرمة تنادى وما ترى من العذاب فادى
وقد فتكت اليوم فى أولادى وساقك الموت بغير حادى
ان كنت طبع الشر والفساد فالخير طبعى والصلاح زادى

قال الراوى فلما سمع عنتر منه هذا الكلام المرذول أجابه على شعره يقول :

ان كنت طبع الشر والفساد فالخير طبعى والصلاح زادى
والحفظ للحريم والأولاد وقتل أهل البغى والعناد
وصارمى نار بلا زناد يقدح فى الأرواح والأجساد
وقد فتكت فى سباع الوادى وأنت قد وقعت فى أصفاد
وسوف تبقى عادم الرشاد وليس تلقى من يدى فاد

قال الراوى ثم انطبق بعضهما على البعض حتى رجفت من تحت أقدامهما تلك الأرض وزاد بينهم الصياح والزعاق حتى طبق الآفاق وكان متساويان فى ذلك الجولان كأنهما أفرس الفرسان فافترقا ساعة فى تلك الساحة ليأخذ لنفسهما راحة ثم رجعا الى الكفاح فاعترك وتصادما وتقابضا وتهاجما فما طال بهما المطال حتى لحق أبا الأشبال الضجر والملال فقال لعنتر ويلك يا ابن السوداء انى لاقيت الابطال وماوست الحرب والقتال فما رأيت أعظم من صبرك على الأهوال فهل لك فى الصراع على هذه البقاع قال أى وأبيك لم أكن فى الحرب الا منصفا وفى العطاء والبدل الا مسعفا ومحلفا ثم طرحا السيوف وخلعا الدروع وأخذا فى الصراع بقوة المتن والذراع وصاح كل واحد منهما فى وجه صاحبه وزعق وتهافت عليه وانطبق فاغتاظ عنتر من طول مقامه فى الصراع وتمكن منه بالباع والذراع ورفعه على ساعديه حتى بان سواد ابطيه وضرب به الأرض فأدخل طوله فى العرض وعاد الى سيفه وضربه على رأسه فشقه الى حد اضراسه فنادت الجارية لا شلت يداك يا فارس العرب وفارج الكرب وكان شيبوب قد رمى بالنبال الاثنين الباقين من الاشبال وطرحهما على الأرض فى عاجل الحال ودخل على الجارية فحلها من الوثاق وبشرها بابن عمها عنتر أنه فى جانب ذلك الوادى يتقلب على نيران الأشواق فشكرته وأثنت عليه وقامت الى عنتر وقبلت يديه وانطرحت على قدميه وقالت له والله درك يا فارس الفرسان وقاهر جبابرة الزمان فوالله لقد فعلت ما لا تقدر عليه مردة الجان ولاعفاريت سيدنا سليمان وقد ارحت الناس من شر هذا الشيطان جزاك الله بالمنة والاحسان . فقال لها ياحرة العرب ان شيمتى صنع المعروف واغاثة الملهوف ولذلك يسهل الله لى الطريق ويعطينى السعادة والتوفيق وبعد ذلك أمر أخاه شيبوب ان يجمع ما فى ذلك الوادى من

الحطام وأخرجه الى حيث كانت الأمة والغلام فوجدها تعلله وتخبره بما جرى وهو كأنه غارق فى المنام ولما رأت عبلة قد ظهرت وظهر من خلفها عنتر وهو راكب صهوة جواده الابجر فكاد قلبها من شدة الفرح يتفطر ثم قامت اليه واستقبلته وقبلت يديه فترجل وقعد عند رأس الغلام وقال لبنت عمه كلميه فيذهب عنه اللهيب الذى هو فيه فانى اعرف ان مرض العشاق لا يبرأ الا بنظر الحبيب فانه للمحب ترياق فدنت الجارية من ابن عمها وأقامته وضمته الى صدرها وكلمته فعند ذلك استفاق الغلام وقعد وردت روحه الى الجسد فأمر عنتر أن يأتوه بشىء من الطعام وصار يأكل ويطعمه وبنت عمه تلقمه ففى الحال اشتد عزمه وزال عنه وجده وسقمه وساريقبل يد عنتر وقدميه ويشكره ويثنى عليه وقال له يامولاى أريد أن تتخذنى لك من بعض الغلمان لأخدمك على طول الزمان لأننى لا أقدر على فراقك أبدا بعد أن حييتنى وخلصت لى بنت عمى من أسر ذلك الشيطان فقال له عنترة يا أخى اذهب الى حلتك وادخل على بنت عمك بين أهلك وعشيرتك ولك ما حييت منى العهد والذمام على مدى الليالى والأيام ولكن يا أخى بالله عليك أن لا تسمى نفسك بهذا الاسم بين قبائل العرب فانى أخاف عليك من العطب لأن هذا اسمى ولى أعداء كثيرة من العربان فيغلطون عليك وانت لا تقدر مثلى على مقاومة الفرسان . فقال يا مولاى انظر لى اسما استأمن به ولا أخاف قال اسميك عطافا فقال سمعا وطاعة وليكن هذا اسمى من هذه الساعة . ثم أمر عنتر أخاه أن يعطيه قطعة من النوق والجمال الذى كانت فى ذلك الوادى لأبى الأشبال وودعه عنتر وسار وهو كثير الافتكار فى ما يأتى عليه من تصاريف الأقدار وجد فى المسير هو وأخوه شيبوب فى ذلك البر الأقفر واذا بغبار ثار من بين يديه حتى قرب وظهر فبان من تحته ثلاثون فارس معهم غنيمة كسبوها من تلك البلاد فقال شيبوب لأخيه عنتر هذه غنيمة ساقها الينا رب العباد قال عنتر ياشيبوب لا تتعرض لها فربما يكونون من فقراء العرب وقد نالوا هذه الغنيمة بعد المخاطرة والتعب وربما يكون قتل بعضهم حتى ملكوها وان احذناها منهم لا يصادفون لهم غنيمة مثلها ليدركوها . ثم عدل عن الطريق وتنحى عنهم فلما رأوا ذلك ظنوا أنه خاف منهم فتقدم فارس منهم اليه وقال له انزل

عن جوادك وسلم لنا نفسك قبل أن تسكن رمسك فقال له عنتر أخس يا كلب العرب فانى ما تركت لكم هذه الغنيمة الا شفقة عليكم فتكون قد صارت احسانا منى اليكم فامضوا فى طريقكم بالسلامة قبل أن تحل بكم الندامة فلما سمعوا كلامه تبادروا اليه وهم يضحكون عليه فلما رأى عنتر ذلك قال وذمة العرب الكرام لا بد ما أبدل ضحككم بالبكاء يا أولاد اللئام ثم حمل عليهم وطعن الأول الذى كان يكلمه فقتله والثانى الحقه به وما أمهله والثالث جندله فعند ذلك تصايحوا عليه وتبادروا كلهم اليه وهم ينادون البدار البدار الى هذا العبد الجبار هذا وعنتر يجول من قدامهم وخلفهم ويطرح واحدا بعد واحد حتى أهلك أكثر من نصفهم فلما رأوا منه ذلك الهول العظيم قالوا له شل الله أناملك أيها العبد الزنيم فلا شك أنك مارد من الجان فى صورة انسان فضحك عنترة من كلامهم وصاح فيهم ويلكم يا اوغاد أما تعلمون أنى عنتر بن شداد فلما عرفوا أن الذى يقاتلونه هو عنتر تطايروا فى ذلك البر الأقفر خوفا من مضارب سيفه الأبتر وقالوا لبعضهم ان وقفنا قدامه فما يصل منا من يخبر بخير فعند ذلك أمر شيبوب أخاه ان يجمع النواق والجمال التى كانوا سائرين بها أولئك الرجال وأضافها الى الغنيمة التى أغتنمها من ابى الاشبال قال الراوى وبعد ذلك سار حتى وصل الى عروة بن الورد ورجاله فتواثبت اليه الفرسان والتقوه من كل جانب ومكان والتقى عروة بن الورد بعنتر بن شداد وهنأه بالسلامة وأثنى عليه بحسن الوداد وسأله عما جرى له من الأحوال فحدثه بما جرى له فى الوادى مع أبى الاشبال والاتفاق العجيب الذى وقع له مع ذلك الغلام وقص عليه جميع ذلك بالتمام فتعجب عروة من ذلك الاتفاق وقال يا أبا الفوارس ان هذا الحديث مما يجب ان يسطر فى الأوراق فلا زال ركابك مقرونا بالسعادة وسعدك فى النمو والزيادة فشكره على ذلك المقال وأعطاه هو ورجاله أوفر نصيب من تلك الجمال ونزل هو وأخوه فى تلك الساحة يأخذان لهما راحة ومن الغد ساروا يطلبون حى بنى كندة وعنترة بين أيديهم راكب على جواده الأبجر وعروة بجانبه مثل الأسد القسور قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من مالك ابن

قراد فانه لما هرب من ديار بنى شيبان سار يطلب من يجيره من قبائل العربان فصار يطوف فى البلاد وأى قبيلة نزل عليها يطردونه خوفا من عنتر بن شداد لأن خبره شاع فى جميع بلاد العرب وعرفوا أموره فلم يقبل أحد منهم أن يجيره ولم يزل سائرا حتى نزل على بنى كندة وكانوا من أصحاب القوة والنجدة فقصد أبيات الملك عمرو المقصود وأناخ على بوابها وشد ذيله باطنابها وكان الملك حينئذ غائبا فى الصيد فتلقته رجال العشيرة فطلب منهم الذمام والجيرة وأقام ينتظر قدوم الملك حتى يحضر فسلم عليه وقبل الأرض بين يديه وشكا حاله اليه فرحب به وأعطاه الذمام وأقامه فى ضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمر باحضاره الى بين يديه وسأله عن نسبه وعما جرى عليه فقال له أيها الملك اننا من بنى عبس الكرام الذين يقال لهم فرسان المنايا والموت الزؤام ولكن نشأ فيهم عبد يسمى عنترة بن شداد وهو ابن أخى من أمة سباها فى بعض غزواته من تلك البلاد ولما انتشا تعرض لابنتى يريد أن يأخذها زوجة له وأنا استنكفت أن أصاهر عبدا مثله فصرت أهرب بها من مكان الى آخر والتجىء الى قبائل العربان فقال له الملك ولماذا ما استجرت بنى عمك وهم أمنع العرب جارا وأشدهم سطوة واقتدارا فقال مالك انه فارس جبار لا يصطلى له بنار ولا لاحد عليه قدرة ولا انتصار فما وسعنى الا أننى أخذت ابنتى واتيت بها الى هذه الديار واستجرت بكم فانكم نعم الجوار . قال فلما سمع الملك عمرو المقصود منه ذلك الكلام علم انه من أهل النخوة وارباب المقام فامر أن يضرب له بيت بجانب ابياته وحكمه فى امواله وعبيده واقام مالك عنده وقد آمن على نفسه من سطوة عنترة وظن ان نزوله على هؤلاء القوم يبلغه الوطر ولا عاد ياكل ويشرب الا معهم وبعد ذلك بايام خرج مالك من ابياته فرأى الحى يموج بسكانه وقد ركبت فرسانه وتراكضت نسوانه فسأل عن ذلك فقيل له قد اتى زيارة الملك ابن اخته الأمير مسحل بن طراق الملقب بالعقاب لأنه لا يوجد مثله فى جميع الأفاق والناس قد خرجوا الى ملتقاه وتباشروا برؤياه فعند ذلك ركب مالك ولده عمر مع الفرسان الى ملتقى هذا الانسان وما زالا يركضان حتى لحقا الملك واذا بالأمير

مسحل قد أقبل وبين يديه سبعمائة فارس كانهم ثنية جبل والعبيدقدامه بالقسى العربية والسيوف الهندية والحربات الحبشية وله هيبة تذهل البصر وهو يظن بنفسه أنه أعظم من كسرى وقيصر ، فتقرب مالك من ذلك الفارس وحققه بالنظر فرآه غلاما له وجه كالقمر وهو كأنه الرمح الطويل وله أعضاء كأنها تقاطيع الفيل وعليه حلة من الديباج مرصعة بالذهب الوهاج وهو قادم بتلك الزينة والملبوس يتجلى كانه العروس الى أن دنا من القوم فازدحموا عليه وصارت أكابرهم تقبل يديه هذا ومسحل قد عظم قدر مالك وأخذه الى جانبه وصار يتحدث معه دون أهله وأقاربه وقال له ياشيخ تشرفت بك الديار وطاب لك المزار . فقال له مالك حقاً يامولاى ماعرف لى قدر ولا قيمة الا فى دياركم ولا أمنت على نفسى الا فى جواركم ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى الخيام ونزلوا واستقر بهم المقام فعملوا الولائم فرحا بقدوم الأمير مسحل وصفت بين أيديهم جفان الطعام ودارت عليهم كؤوس المدام ولما دار بينهم الكلام قال الملك عمر لمسحل يا ابنى كيف قدومك علينا فى مثل هذه الايام فما هى زيارتك فى سائر الاعوام قال الراوى وكانت عادة مسحل ان لا يأتى الا من العام وقدومه هذه المرة كان له أربعة أشهر تمام فقال له مسحل يا خلاه ان سبب قدومى الذى اتعبت به نفسى أريد خطبة بنت هذا الشيخ العبسى وأنا أعطى أباها ما يريد من المال والنوق والجمال لأنها وصفت بين يدى وأخبرونى بما هى عليه من الحسن والجمال وقد التهب بوصفها فؤادى وطار من أجلها رقادى وما كان قدومى فى هذه النوبة الا لأجلها وأريد منك المعاونة والتحدث مع أهلها. قال الراوى فقال له حقا ياولدى لقد وفقت بخطبتها غاية التوفيق وما أشار عليك بزواجها الا كل صديق لأنه قبل قدومك كنت أنا وزوجتى بجمالها وظرفها فقال مسحل يا خالاه اننى قد اشتهيت أن ابصرها قبل خطبتها حتى لا يلحقنى الندم بعد اتمام نوبتها فقال له ياولدى وكانك تقدر ان تنظرها وهى فى خدرها بين أهلها ولا يراها غير امرأة مثلها فقال مسحل أنا أدبر ذلك أن ساعدتنى المقادير وأعانتنى زوجتكم على حسن التدبير : قال أخبرنى ياولدى كيف تريد ان تفعل انى اخاف ان يكون قد زين لك الهوى وجه الطمع فتقع فى سوء العمل قال يا خال

انا ما آفعل شيئا يكون على فيه ملام ولكن آنا اعلم ان النسا والبنات غدا تحضر الى زوجتك تهنيها بقدومى فى هذه الأيام وانا البس ثياب امرآة واضع البرقع على وجهى واجلس الى جانبها فى جانب المكان فلابد ان تآتى عبلة وامها من جملة النسوان فقال له خاله واين لنا امرآة فى طولك وعظم جثتك حتى تخفى حالك وتسلك صناعة حيلتك قال اعلم ياخال ان ابنتك ناجية تقاربنى فى كبر الجثة وعظمها فالبس ثيابها وآجلس الى جانب امها قال افعل ما بدا لك فما هنا احد يخالف مقالك فعندها قام مسحل ودخل على امرآة خآله وعاد عليها ما دبره من احتياله فاجابته الى سؤاله ثم انها آلبسته ثياب ابنتها ناجية واجلسته بجانبها الى جهة الزاوية وبعد ذلك وفدت عليها البنات والنسوان من كل جانب ودخلن المضرب عليها وتصففن من حواليها واتت عبلة مع امها من جملة البنات فصاحت بها امرآة الملك واجلستها الى جانبها وضحكت فى وجهها وترحبت بها وكشفت لها البرقع عن وجهها وقبلتها بين عينيها واجلستها بين يديها واما مسحل بن طراق فانه قد انبهرت منه الاحداق وقد اشتغل خاطره وتبلبلت ضمائره وهم ان يصيح مما لحقه من شدة الغرام وانعجم لسانه عن الكلام وهانت نفسه عنده بعد العز والوقار ونسى ما هو فيه من الهيبة والافتخار وما صدق ان تنصرف النسوان حتى نهض من ذلك المكان وخلع عنه ثياب الاحتيال وخرج الى خاله فى عاجل الحال وقد اشتعلت به لواعج البلبال وكان عنده جماعة من سادات العشيرة ومن جملتهم مالك ابو عبلة وولده عمر وهما قد بلغهما ماقصده الامير مسحل من ذلك الامر فلما اقبل عليهما مسحل قام كل من كان فى المجلس ووقفوا بين يديه وهم ابو عبلة ان يقوم فمنعه الملك عن القيام وحلف عليه وقال له وحق ذمة العرب انت يا آمير مالك احق ان تخدم واحق ان تحترم وتكرم فعظمت عند مالك نفسه لما سمع من الملك ذلك الكلام وارتفع شآنه عند الجلوس والقيام ثم اقبل عليه مسحل وقال له مرحبا بك ياوجه العرب فقد شرفت الديار وطاب لك المزار وانك تستحق الاجلال والاكرام ورفع المنزلة والمقام فعند ذلك التفت الى ولده عمر

وقال له سرا انظر يا ولدى تودد هذا الغلام ولتبجيله لنا من غير معرفة فى هذا المقام وأنا أشتهى ان يخطب أختك فانه يصلح لها بخلاف ذلك العبد الزنيم الذى كأنه الشيطان الرجيم وهو يحمينا منه لأنه فارس صنديد وعنترة عنده من أقل العبيد . قال الراوى : ثم اختلى مسحل بخاله وقال له ياخلاه اخطب لى بنت هذا الأمير واضمن له عنى كل ما يريد من الأموال والخيل والنوق والجمال فعند ذلك التفت الملك الى مالك وقال له ياوجه العرب اعلم ان ابن أختى قد وقع لك فى قلبه محبة ووداد من حينما أتى وابصرك عندنا فى هذه البلاد وعرف انك من بنى عبس الكرام فصار لك عنده منزلة ومقام والبارحة كان عندى فى هذا الحديث وقال لى ياخالاه اشتهيت ان هذا الشيخ وولده يذهبان معى الى بلادى حتى أحكمهما فى جميع أموالى وأجنادى وأجعلهما يدبران مملكتى وأشركهما فى نعمتى وهواليوم فارس الآفاق واليه تحمل الغفارة من أرض اليمن الى العراق لأنه بطل لايقاس بالأبطال واذا التقى بعنترة كان عنتر قدامه كالأرنب قدام الأسد الريبال ومن جمله أفعاله وقوة سواعده وأوصاله أنه اذا لكم بكفه بعيرا شاردا واذا ضم فخذه على أجناب الجواد الشديد قطعه وقد حدثته بحديثك وقصتك وما تم لك مع عبدك وخطبته لابنتك وانكبرت نفسك عن احتمال العار فاخترت الغربة والرحيل عن الديار فقل لى يا خالاه لولا زيادة نخوته ومروءته ما كان تغرب عن وطنه لأجل حفظ حرمته وانى أريد منك يا خالاه تخطب لى ابنته حتى يصير بينى وبينه علقة ونسب وأحميه من هذا العبد وكل من تعصب له من العرب وأنا أسلم كل ما تحتوى يدى ولا آمن بذلك عليه وأنا أريد منك يا وجه العرب أن تجيبه الى ما طلب حتى ترى ما يفعل معك من الجميل والاحسان وما تصير اليه من علو المنزلة وارتفاع الشأن فعندها قال جميع من حضر فى ذلك المحضر والله يا ملك قد نظرت موضع النظر لأن ما يصلح لتلك الشمس الا هذا القمر فلما سمع مالك ذلك الكلام أيقن ببلوغ المرام ومن شدة الفرح الذى استولى عليه انهملت الدموع من عينيه وقال حبا وكرامة فليفعل الأمير ما يريد وابنتى له امة وانا من جملة العبيد وهذه يدى

لك يا ملك بالوفاء وخلوص النية والصفاء فأخذ يده مسحل بن طراق ووقع بينهما الاتفاق وفرحت بذلك العشائر ووقعت فى بنى كندة البشائر وجددوا الولائم والدعوات واغتنموا اللهو واللذات ولما كان المساء امتد سماط الطعام واصطفت بواطى المدام ودارت على القوم الكاسات ولعبت بعقولهم الطاسات ولما أراد مالك وولده الانصراف خلع عليهما الامير مسحل الخلع المذهبة وقاد قدامهم الخيول المجنبة ومشت بين أيديهما الجنود والاعوان فكانا كأنهما من ملوك الزمان وكانت عبلة قد سمعت الأخبار ففاضت دموعها كالأمطار وامتنعت عن الطعام والشراب ولازمت البكاء والانتحاب . قال الراوى وبعد أن انصرفت الناس خلا مسحل بخاله واستشاره فيما يقدم لعبلة من المهر فتم بينهما الاصطلاح أنه يرحل الى أرضه عند الصباح وينفذ مهر عبلة ألف ناقة محملة من طرائف اليمن وأربعة الاف رأس غنم وخمسين فرسا من الخيل الغالية الثمن وألف ثوب من الديباج وثلاثة الاف دينار من الذهب الوهاج وأربعة عقود من الجواهر وخمسين نافجة من المسك الازفر ومائة طبلة من العنبر وعند الصباح رحل بمن معه من العساكر الى بلاده وعند وصوله أرسل المهر مع خمسين فارسا من أجناده فساروا طالبين بنى كندة وقد قاسوا فى طريقهم من سوء الامال أعظم شدة ولما وصلوا الى أبيات الملك عمر المقصود دارت بشائر الفرح والسرور وأبصرت بنو كندة ما معهم من الأموال فانبهرت منهم الاحداق وقالوا طول عمرنا ما رأينا أحدا حمل مثل هذا الصداق وقالت النساء وحق ذمة العرب والبيت الحرام ما رأت قط جارية من بنات الملوك العظام مثل هذه العبسية من الاكرام ولكنها تستاهل اكثر من ذلك لأنها فريدة لا يوجد مثلها فى جميع الممالك . قال ولما استولى أبوها على مهرها أخذ فى تجهيزها وأنجاز امرها حتى بقى ثلاثة أيام من الأجل الذى اجله لهم مسحل وفى تلك الايام وصل عنترة بن شداد واشرف على أرض بنى كندة وتلك البلاد فقال لعروة بن الورد اننا قد وصلنا الى هذه الديار واشتهيت أن أعلم ما جرى لعبلة من الاخبار وأظن انها ما تخلو من زواج جديد لان اباها يزوجها كيدا لى ولو طلبها اقل

العبيد قال شيبوب انا اريد ان ادخل هذه لديار وآتاليك بجلية الاخبار قال عنترة آخاف عليك من عمى آن يعرفك فيعجل تلفك قال شيبوب انا ما ادعه يعرفنى ولو وقفت شهرا بين يديه فانى اتزيا بزى لايهتدى آحد اليه . وكان شيبوب يهوى جارية اسمها بانة ويآخذ ثيابها معه فى السفر لكى يشتم رائحتها ويلتذ منها بالنظر فوثب الى رحله وآخرج منه تلك الثياب وآرسل على وجهه النقاب وكانت تلك الجاريةلشداد آبى عنتر فلما رآه قال له ويلك ماهذا والله ما كآنك الابانة آمة آبى شداد قال نعم انها محبوبتى وانا اصحب ثيابها معى آينما سافرت من البلاد لكى آشم رائحتها وآشفى منها غليل الفؤاد . قال عنترة وآنت تعشق يا ابن السوداء قال آتظن ما آحد غيرك يعشق النساء ولكن الفرق بين حبيبتى كما بينى وبينك فى قتال الاعداء قال عنتر لا والله يا ابن الام فانك ساعدى وزندى وعلى يديك يكون لى التوفيق والنجاح ولولاك كنت كالكف بلا ساعد وكالطير بلا جناح وبعد ذلك خرج شيبوب من عنتر وانطلق فى تلك البطاح حتى وصل الى الحى عند الصباح وكان الملك عمر قد ركب فى ذلك السحر وركبت معه الفرسان للصيد فى ذاك البر الأقفر فقصد شيبوب ابيات الملك عمر وصار يهز عطفه ويثنى رادفه ويغمز من يراه ويلوح على صدره بكفه ولم يزل على هذا الحال حتى دخل بين الأبيات ورآى القوم فى انتهاز فرصة المسرات وقد تزينت البنات ورقصت المولدات وهن يضربن بالدفوف والمزاهر والرقص داير من سائر الجهات وقد سكر الجميع من شرب المدام وليس فيهم من يعقل على كلام وكان لما دخل الحى تحدث مع بعض المولدات وسآلها عن تلك المهمه لمن تكون من السادات فآصدقته المقال وآخبرته بجلية الحال فتقدم وهو حائر لا يدرى الى آين يقصد من الجواب حتى يعرف عبلة فى آى المضارب وبينما هو كذلك لاحت منه التفاتة فرآى البنات داخلات الى مضرب جميل المنظر وعليه سجف من الذهب الأحمر فعلم شيبوب آنه مضرب العروس لما عليه من الهيبة والناموس ولكن بقى حائرا كيف يكون العمل لكى ينال الأمل وبعد ذلك صاح وآظهر الطرب ودار بين النساء والجوارى دوران اللولب ورقص حتى آذهل النساء من حسن انعطافه ولين آعطافه فتعجبن من صناعته وعياقته وآقبلن من كل جانب يتفرجن على خفته ورشاقته فبينما هو فى ذلك الرقص والطرب اذا ببعض المولدات قعدت تطلب الراحة من التعب وكان معها مزهر كبير فبادر اليها

شيبوب وصاح فيها كأنه القضاء المصبوب وقال لها وحياة مولاى مسحل قد قطعت حظنا عند ما طاب لنا العمل وتقدم اليها فى الحال وخطف المزهر منها أخف من ريح الشمال وضرب به حتى أدهش الحاضرين وحير الناظرين وما زال شيبوب فى رقص وغناء وميل أعطاف وهز أكتاف وتذبيل عيون وتنويع فنون حتى ادهش النساء والبنات وابطل حركات المغنيات والراقصات فعندما استقبل المضرب الذى علم أن عبلة فيه فلعلع بصوته وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

ظبية القناص راعيك أتى فابشرى بالنصر من سيف الفتى
افرحى بالقرب يا كل المنى لا تقولى ما أتى ها قد أتى
وافهمى ما قلته من قصتى لمتى هذا التوانى لمتى
حلت الأفراح فى أرضكم دائم الأوقات صيفا وشتا

وكانت عبلة تسمع الغناء من داخل المضرب فعرفت الطلب وأنشدت تقول :

أيها الصائح ما بين الخيم دائرا يرقص ما بين الخدم
بشر القناص وللسبع الذى رابض مابين كثبان الاجم
ذا غزال الحى مابين الظبى يترجى البرء من فرط الالم
ان هذا وقت أفراحى بكم فازيلوا ما بجسمى من سقم
هد حيلى بعدكم يا سادتى فامتنوا بالقرب انى فى عدم

قال الأصمعى فلما سمع شيبوب من عبلة هذه الأبيات عرفها حق المعرفة فأظهر التعب.وجلس يأخذ له راحة بجانب المضرب وتفرقت من حواليه البنات والنساء والمولدات واذا بعبلة قد طلعت من باب الخباء فنظرت الى شيبوب وهو جالس فى زى الأماء فعرفته وقالت حقا ما هذه الأمة كندية وما هى الا عبسية شدادية فلما رآها أقبل عليها وهنأها بالزواج حرصا على نفسه بهذا الاحتجاج وكان المكان قد خلا من النساء والأولاد فقال لها بمن تشبهينى يا عبلة فقالت ببابة مولدة عمى

شداد فقال اى والله اذ لم آكن بانة مولدة شداد فآنا شيبوب آخو عنتر فارس بنى قراد ثم انه بعد هذا الكلام كشف عن وجهه اللثام فكادت عبلة تطير من الفرح لما حققت ذلك الخبر وقالت ويلك يا شيبوب وأين اخرك عنترة فقال لها هو بالقرب منك مكمن فى البر الاقفر ومعه عروة ابن الورد ورجاله وهم مائة فارس تلقى الجن والابالس فعند ذلك اخبرته بأن آباها زوجها بمسحل بن طراق وآنه ذهب الى بلاده وآرسل المهر والصداق وقد بقى من الأجل ثلثة آيام حتى تساق اليه وتزف عليه ثم حلفت له بأعظم الأقسام آنه لو لم يحضر اليها قبل انقضاء المدة لكانت تقتل نفسها وتدفن فى آرض بنى كندة وقالت له ارجع الآن الى آخيك عنترة وآخبره بجليه الخبر ولا تمكنه من الهجوم على الحى لأن فيه عساكر لا تعرف آول من آخر ولكن يترقبنى يوم الزفاف حتى يرانى فى الهودج فيخرج الى ويقتل من يكون حوالى وتقود آنت بزمام ناقتى وتعرج بى عن الطريق ومن تبعنى فهو يلقاه بسيفه ويعدمه التوفيق وقل له ان وقع آبى فى يده يقتله ولا يبقى عليه لأنى قد كرهته واشتهيت الخلاص من يديه .

قال الراوى فلما سمع منها هذا الكلام عاد طالبا آخاه وهو لا يصدق بالنجاة وكان قلب عنتر على مقالى النار وما زال يرتقبه حتى تنصف النهار واذا به قد طلع وهو يهز عطفه وآوصاله ويكاد يسبق خياله فلما قدم عليه تلقاه وفرح برؤياه وسآله عن جلية الأمر وما تم له فى ذلك السفر فقص عليه القصة بتمامها وما سمع من حديث عبلة وكلامها وكان عنتر يسمع وفؤاده ينقطع وآجفانه تدمع وندم على ما كان يصنع عمه فى حق حق عمه الخوان من الجميل والاحسان والى وذلك آشار فى معلقته حيث يقول صلوا على محمد المحبوب :

بعثت جاريتى وقلت لها اذهبى ... وتجسى أخبارها لى واعملى
قالت رأيت من الاعادى غرة ... والشاة ممكنة لمن هو مرتمى
يا شاة ما قنص بمن حلت به ... حرمت على وليتها لم تحرم
ويبيت عمى غير شاكر نعمتى ... والكفر يخبثه لنفس المنعم

ثم قال شيبوب ماذا ترى هل نهجم على الحلة ام تنتظر حتى تمر عبلة فقال شيبوب يا آخي الانتظار هنا أوفق لأن القوم فى جمع غفير وجيش كثير ونحن فى مائة فارس لا غير فان هجمنا عليهم يهلكونا وتأكل لحومنا الطير ولا سيما ان ادركنا مسحل بن طراق عقاب الحرب الذى لا يطاق فقال عروة لقد صدق شيبوب فى ما قال لأننى سمعت عن هذا مسحل كثيرا من الوقائع والأهوال وهو الذى أغار على بنى عامر وجرح ملاعب الأسنة وقتل أبطالهم . وساق أموالهم والرأى عندى اننا نقيم هنا حتى تخرج عبلة فنأخذها من الطريق وهذا أقرب الى النجاح والتوفيق . قال فعند ذلك أقام عنتر حتى انقضت ثلاثة أيام الميعاد وما رأوا أحدا ظهر من تلك البلاد فقال عنتر لأخيه ويلك أخاف ان يكونوا قد ساروا بها من غير طريق ونحن ننتظر هنا فى المضيق فقال له شيبوب يا أخى ما لهم طريق الا من هنا ولكن ربما يكون حدث لهم سبب يعيق .

قال الأصمعى وكان السبب فى تلك العاقة أن عبلة كانت قبل ذلك قد هجرت الطعام والشراب ولازمت البكاء والانتحاب وما زالت كذلك حتى نجز أمرها وحان وقت الزفاف فصار الأمر معها بالخلاف لأنها صارت تأكل وتشرب وتلبس الحلى والحلل التى أرسلها لها بعلها مسحل فكان أبوها يرى ذلك فينكر عليها سرعة الانقلاب وحسب فى قلبه ألف حساب فلما أشكل عليه الحال قال لأخيها اننى أنكرت حال أختك لما رأيت من ضحكها ولعبها فان هذا يدل على طيب قلبها وأنا أقول قد أتاها خبر من ابن عمها عنترة وأنا خائف أن يقف لها فى الطريق ويعدمنا السعادة والتوفيق وان رآنى لابد أن يقتلنى على المكان لأنى هدرت له دمى وأشهدت على بنى شيبان فقال عمر كيف يقدر أن يأتى الى هذه الديار وكيف يمكن أن يستخلصها من بين هذا العسكر الجرار وان كنت خائفا من هذا الحساب فارسل الى بعلها حتى يأتى ويستلمها ويسير بها الى دياره ويحميها بسطوته واقتداره فلما سمع مالك كلام ولده رآه عين الصواب وأنفذ الى مسحل يعلمه بهذا الحساب ويقول له أيها السيد اعلم أنى قد دهيت من ابن أخى جملة مرات قبل هذه الأوقات وأنا الى الآن خائف من هجومه على وقدومه الى هذا الحى فاحضر أنت وتسلم زوجتك وخذها بالأمان ولا تحضر الا ومعك جماعة من الفرسان

فلما وصل الكتاب الى مسحل تبسم عجبا رمال طربا وقال هذا العبسى مجنون وهذا العبد من يكون ولكن أنا أسير اليه وأتبع كلامه ولا أخالف مرامه وعسى الله يسوق هذا العبد الى هذه الديار حتى يرى ما يسره ويأمن مما يضره ثم انه ركب فى خمسمائة فارس كالأسود العوابس حتى قدم على خاله وأعلمه بالخبر وأراه الكتاب الذى بعثه له مالك فضحك متعجبا من ذلك وقال الملك يا وجه العرب كيف أنفذت الى ابن أختى هذه الرسالة وقابلته بهذه المقالة قال نعم لأنى أعرف أن عنتر لا يعيقه أحد من البشر وقد جرى على أموره ما يشيب رأس الطفل فى سريره فقال له والله ان ابنتك فى هذا الوقت لا يقدر عليها كسرى ولا قيصر ولا ملوك بنى الأصفر وأنت تخاف وهذا الفارس صهرك الذى أذل رقاب الفرسان وارعب قلوب الانس والجان قال الراوى وبعد ذلك عاد مالك الى أبياته وأمر عبيده وأعوانه فقربوا النواق والجمال وشدوا الهوادج الأحمال وشد لعبلة هودجا مصرعا بالجوهر وعليه هلال من الذهب الأحمر ودارت حولها العبيد والأموات وحاطت بها الفرسان والسادات وجلست عبلة فى هودجها وخرجوا من الحلة وتبعتهم جماعة من نساء بنى كندة وحريم الملك فى الجملة ومشى العبيد أمامهم بالحرب والسيوف والجوارى تضرب بالمزاهر والدفوف والرجال من حولهم كتائب وصفوف وتقدم مسحل فى أوائلهم ومن حوله الفرسان والعبيد والغلمان كأنه اسكندر أو سليمان وكسرى صاحب التاج والايوان فكان ذلك اليوم لا يقاس بالأيام ولم يكن مثله فى السنين والأعوام وكان ابو عبلة واخوها افرح الناس بهذه الامور قد ظهر عليهم الفرح والسرور وسارت عبلة ترفع سجف الهودج وتنظر الى البر وتتفرج وكان هودجا قريبا من هودج أمها فقالت لها يا عبلة من كانت قبل الآن تنشف لك دمعة وأراك فرحانة بخلاف العادة فكيف انقلب هذا الحال بالسرعة فقالت لها يا أماه انى قد قطعت الرجا من ابن عمى ومن الرجوع الى الأوطان وأنا متوجهة الى أحسن مكان وصار زوجى ملكا من ملوك الزمان وقد سلب عقلى بحسنه وجماله وأعجبتنى عظمة جاهه وماله وتسليت به عن عنتر لأن نظرة منه بالف عبد واكثر لا سيما اننى ضجرت مما أقاسى من أجله وأغضب أبى وأخى لأجل عبد مثله وهذا يعلى اليوم احب الى من كل احد لاننى صحوت من سكرى وعرفت

أفرق الملك المتوج عن العبد الأسود . قال ففرحت أمها بمقالها وأعلمت بذلك أباها فناله من السرور ما نالها وقال من مثلك يا عبلة وقد صرت صاحبة هذه الأرض فى الطول والعرض وحق ذمة العرب أنك قد صرت عديلة تماضر زوجة الملك زهير وأعظم منها فى عظمة الشرف وكثرة الخير ثم ساروا الى ان قربوا من الشعاب وعبلة تلتفت الى اليمين والى الشمال حتى بدن لأمها المحال فقالت يا عبلة بحق اللات والعزى أليس عندك خبر من ابن عمك عنتر فقالت لها يا أماه من أين تأتينى الأخبار وأنا غريبة وحيدة فى هذه الديار وما تلفتى هذا الا لطلب الفرجة على هذه الأرض لأنها كثيرة الرياض والأزهار والنبات والأشجار فسبحان خالقها الواحد القهار فقالت لها امها تكذبين يا ملعونة والله ما هذا الفرح العظيم الا لانك سمعت يخبر من ذلك العبد الزنيم قال الراوى وما زالت عبلة على مثل ذلك الحال وهى وأمها فى قيل وقال حتى وصلوا الى الشعب الذى فيه عنتر والرجال فأبصرهم شيبوب وكان رقيبا لهم فى رءوس الجبال فصاح بأخيه يا أخى قد أتاك الأمر كما تريد فلا تعفو عن أحرار ولا عبيد فشمر ستأعدك الشديد وكان شيبوب قد رأى مسحل بن طراق عند قدومه الى تلك الافاق فاعلم اخاه به وعرف الغاية التى لأجلها الزفاف نعاق ولما أخبره شيبوب بقدوم القوم فرح واستبشر وركب على جواده الابجر واراد ان يخبر عروة فناداه يا ابا الابيض هذه عبلة قد اقبلت والى نحرها قد وصلت فهل تريد ان تأخذ بزمام ناقتها وأنا أرد عنك الرجال أم أخذها أنا واعود الى القتال فقال عروة لا والله بل دعنى لحفظ عبلة وانت رد عنا الحملة . فقال عنترا ى والله يا عروة أنا لكاسها شأرب ولهولها راكب ثم قال له تسلم أنت ناقة عبلة وسر بها الى الوادى ودعنى أنا ألقى الأعادى ولا يتبعنى أحد منكم حتى تروا الفرسان قد أطبقوا على واجتمعوا بموالبهم حوالى ثم انه خرج من فم الوادى كهبوب الرياح وطلب هودج عبلة حتى قرب منها وصاح الا ما ابركه من صياح ياويلكم خلوا عن هودج عبلة والا قتلتكم جملة ثم ضرب العبد الذى كان ماسك الزمام فأطاح رأسه وأجرى دمه على الأقدام ولما أبصره عمه مالك انقطعت سلاسل ظهره وحار فى أمره فعند ذلك تسلم زمام ناقة عبلة ورجع الى عروة فسلمه اياه ثم استقبل عمه

فكاد يسقط ميتا لما رآه فقال له عنتر ويلك أين تنجو يا شيخ العار ومعدن الخيانة والله لأجازيك على فعلك المنكر وأجعلك عبرة لمن اعتبر فعاد مالك طالبا مسحل بن طراق يعلمه بهذا الاتفاق وكان العبيد من حينما رآوا ضربات عنتر التى لا تبقى ولا تذر تجاروا الى مسحل وأكثروا بين يديه الصياح والزعاق وأخبروه بهذا الأمر المر المذاق فازورت منه الأحداق وآجرت منه الأماق وازبدت منه الأشداق وحرك هو وفرسانه على الخيول العتاق وهم ينادون أسرع يا فارس الآفاق فان عبلة قد خلصها عبدها عنترة بن شداد وها هو يقاتل الفرسان والأجناد فلما سمع مسحل هذا الكلام غاب عن رشده وركض طالبا عنترة فأدركه على باب المضيق وقد اشتغلت فى قلبه نيران الحريق وكان عنتر قد سلم عبلة الى عروة وقال له انزل بها فى هذا الوادى حتى أعود أنا الى الأعادى وأشفى منهم غليل فؤادى ثم عاد الى مسحل وتلقاه مثل الجبل بقلب لا يعرف الخوف والوجل وكان مسحل قد خانه جلده وصبره لما سمع ان عنتر سبا زوجته فاستقبل عنترة بقلب أقوى من الحجر وهو ينشد ويقول : صلوا على طه الرسول :

أيسبى زوجتى راعى النياق ويرشقنى بسهم من فراق
ويملك ظبية أسرت فؤادى بسحر فى الجفون وفى الاماق
حرمت وصالها ان لم أزرها على خيل مضمرة عتاق
وأسقى عبدها كأس المنايا بعسال من السمر الدقاق
وأفنى بعدها سادات عبس بأسياف من البيض الرقاق
أنا البطل الذى قد شاع ذكرى بأرض الشام مع أرض العراق

قال الاسمعى فلما فرغ مسحل بن طراق من كلامه أجابه عنتر يقول :

أمسحل دون ضمنك والعناق طعان بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من كف ليث شديد البأس ممدود الرواق
أنا البطل الذى يلقى المنايا اذا قامت على قدم وساق
اذا طعن الفوارس صدر خصم فطعنى فى النحور وفى التراقى

وان فخر الجبان بذخر مال ففخرى بالمضمرة العتاق
ألا ان المنية رأس رمحى وقائم صارمى للموت ساقى
ألا ان الفخار على وقف وما من مرتق بعدى لراقى
واخبر آل كندة ما تراه قريبا من يدى وما تلاقى
وأوصهم بما تختار منهم فما لك رجعة بعد التلاقى

قال الراوى فلما فرغ عنترة من شعره صاح مسحل ويلك يا ابن اللئام لمثلى يقال هذا الكلام وأنا والله أستحى أن أبارزك واجعلك لى من الأقران فتنحط منزلتى بين الفرسان ولكن أريد ان اجعلك خضيب أدب تتأدب به جميع العرب حتى لا تعود العبيد والرعيان تتعرض لملوك الزمان قال الراوى فما أتم مسحل كلامه حتى قفز عنترة اليه وألقى نفسه عليه فالتقاه مسحل وتطاعنا بأطراف الأسل وتضاربا بالسيوف على القلل الى أن حامت عليهما غربان الأجل وحمى الحر واشتد الوجل فأبصر مسحل من عنترة ما أدهش منه النظر وحير الفكر وأخذه الملل والضجر غير أنه أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ونظر عنترة الى الخيل وقد أدركته من جانب البر فهاجم خصمه مهاجمة الأسد وطعنه طعنة الحنق والحرد فأخرق صدره مع الزرد فوقع يختبط بدمه ويبحث الأرض بيديه وقدميه وبعد ذلك انطبق على الخيل فأنزل بركابها الذل والويل وكان قد وقع فى قلوبهم الرعب والوجل ولما نظروا ما فعل فهابوا أن يتقدموا اليه ورأوا المنايا دائرة من حواليه فأوسعوا فى ذلك البر بين يديه حتى أشرفوا على بنى كندة وهم فى شدة اى شدة فالتقتهم العشائر والزمر وأتى الملك وسألهم عن الخبر فأخبروه بما فعل عنترة وقالوا له دونك وابن أختك المسكين فقد أهلكه هذا العبد اللعين فقال الملك لا تقولوا هذا المقال فإن ابن أختى جبل من الجبال لا تهزه الخيل والرجال وأنا أعلم ان هذا الأسود اذا وقع بين يديه يرجع وانما أنتم تقولون هذا من شدة الفزع ثم انه سار حتى يكشف الخبر وقد تدفقت وراه المواكب مثل البحر اذا زخر واذا هو بأوائل الخيل التى كانت مع مسحل متفرقة فى الآفاق وهى تنادى واأسفاه عليك يا مسحل بن

طراق فسأل الملك عن ذلك فتقدم اليه فارس وأعلمه بالخبر وقال ان ابن أختك قد قتله عنترة فلما سمع الملك ذلك طار الشرار من عينيه وكاد أن يغشى عليه وتقدم وهو يقول ما أنحس وجه هذا العبسى علينا وما هذه البلية التى ساقها الينا ثم انه صاح فى تلك الفرسان وحمل بمن معه من الشجعان وأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وطلبوا تلك الروابى وهم ينهبون لطريق حتى لحقوا عنترة فى ذلك المضيق . قال الراوى وكان عنتر بعد قتل مسحل قال لأخيه شيبوب اجمع هذه الخيول والأسلاب وسر بها قدامى الى عروة ومن معه من الأصحاب ثم انه نظر الى مسحل فرأى الروح تتردد فيه وهو ملقى مثل ثنية الجبل فافتكر فى زواجه بعبلة فالتهب قلبه واشتعل فسل سيفه من غمده وضربه به على وسطه فجعله دلوين وتركه قطعتين والى ذلك يشير فى معلقته حيث يقول : صلوا على طه الرسول :

وقتيل غانية تركت مجندلا تمكوا فرائصه كشدق الاعلم
سبقت يداى له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم
وتركته جزر السباع تنوشه يقضمن حسن بناته والمعصم
لما رآنى قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافى الحديد مخدم

قال الراوى فلما رأى عنترة ذلك الغبار ركب جواده وسار فرأى الجيوش تلاحقت والأبطال تسابقت والفرسان من أربع جهات الأرض تزاعقت وهم يقولون قتلك الله أيها العبد اللعين لأنك قتلت لنا ملكا يسوى بنى عبس أجمعين فلما نظر عنترة لمعان الصفاح وبريق أسنة الرماح وهم ينادون كلهم باسمه ويتسابقون الى نهب روحه وجسمه دخل عليه الغيظ والحرد حتى كاد أن ينشق ما عليه من الزرد فوطن نفسه على الموت من ذلك اليوم المهول والى ذلك يشير فى معلقته حيث يقول :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بير فى لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها لمع البوارق فى سحاب مظلم

يدعون عنتر والنبال كأنها طش الجراد مشارع على حمو
يدعون عنتر والدروع كأنها حدق الضفادع فى غدير ديجم
والخيل عابسة الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع العلقم
ما زلت أرميهم بغرة أبجر ولبانه حتى تسربل بالدم
وأزور من وقع القنا فزجرته فشكا الى بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ماالمحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى

قال ثم انه حمل على الجيش بقلب أقوى من الحجر وانصب عليهم انصباب المطر وصار يبرى بسيفه الرماح الردينيات ويتلقى ضربات السيوف المشرفيات وكلما تطابقت عليه الأبطال وضاق عليه المجال يزعق فى وجوهها فيردها الى وراءها بأصحابها ويطعن فى صدور الخيل فتنقلب بركابها والم يزل على ذلك حتى قل من سواعده الخيل وصار النهار فى عينيه مثل الليل وبعد ذلك تكاثرت عليه الرجال والخيل وزعق الملك عمرو فى رجاله فأرمت نفسها عليه وصوبت اسنتها اليه وعنترة صابر صبر جبابرة العرب وقد استد فى وجهه كل مذهب واختار الهلاك والعطب ولا يكون عليه اسم الهزيمة والهرب قال فبينما هو كذلك واذا بعروة قد طلع كالعقاب من تلك الشعاب ورجاله بين يديه وهم قد خففوا الملبوس وكشفوا الرءوس ووطنوا على الموت النفوس وصاحوا بأصواتهم يا لعبس يا لعدنان وحملوا مثل كواسر العقبان وأخذوا يطعنون فى صدور الفرسان وكان عروة قد وكل بعبلة عشرة من رجاله وأمرهم بالمحافظة عليها والقيام بين يديها ولما خاض بين القوم قال لرجاله يا بنى عمى الآن احملوا حملة صادقة بنيات موافقة ولا أحد منكم يحدث نفسه بالهرب ولا يطلب النجاة وهذه أول نوبة قاتلنا فيها عنترة وأعناه على أعداه فاذا أكشفنا عنه هذه النوبة يعرفها لنا ما دام فى قيد الحياة وكان قصد عروة أن يريهم وقعات عنترة ويعلمهم الثبات لوقت آخر فعندنا داروا بتلك الأبطال وأجادوا الطعن فى صدور الرجال وصبروا على الأهوال وصارت قلوبهم مثل الجبال وظن كل واحد منهم انه يلقى ألفا من الابطال وكان لحملتهم هيبة عظيمة فأظهروا القوة والعزيمة وكان بنو كندة قد ظنوهم جمعا كثيرا فتأخروا عنهم فرسخا كبيرا هان عليهم القتال واتسع عليهم المجال وصار الواحد منهم

أن ضرب قطع وأن طفن صرع . قال الراوى وسمع عنترة صياح عمه مالك وهو ينادى بنى كندة يا ويلكم اقصدوا هذا الأسود الذى قتل مسحل ولا تهابوا الذين معه فليسوا أكثر من مائة بطل فلما سمع عنتر كلام عمه مالك جعل قصده اليه فلم تكن الا ساعة حتى قتل كل من حواليه وأدركه قبل أن يهرب فمسكه ورماه الىَ الأرض واذا بشيبوب عليه قد انقض فشده كتافا وأى كتاف وأوثق منه السواعد والأطراف فحمل عليه ولده ليسعى فى خلاصه من يد قناصة حتى اقترب منه وأراد أن يقاتل عنه واذا بشيبوب ضرب جواده بنبله فقتله وأدركه قبل أن يهرب فمسكه واعتقله ومضى بهما حتى أوصلهما الى بطن الوادى ورجع فنظر أخاه يقاتل الأعادى وامتد النفير فى بنى كندة فسارعت فرسانها ونفرت شجعانها وزاد على بنى عبس العدد وكثر المدد وأظهرت رجال عروة فحماها عنتر كما تحمى الوالدة الولد وما أمسى المساء حتى أهلكوا أكثر الأبطال وأثخنوهم بالجراح فتشتتوا فى تلك البطاح فلما دخل الليل أداروا حول بنى عبس المواكب ومسكوا عليهم الطرقات والمذاهب لأنهم كانوا مغرورين بقلة بنى عبس وكثرة ما عندهم من الكتائب وبات الملك على رأس المضيق وفى قلبه على عنترة نيران الحريق وقال وحق ذمة العرب ان ما فعله هذا العبد تعجز الجن عنه ونحن كنا نلوم عمه ونستهزىء به اذا خاف منه وان خرج من أرضنا وهو سالم عيرتنا الناس ماقعدقاعد وقام قائم فقالت سادات بنى كندة يطيب قلبك أيها الملك فوحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام لابد فى غداة غد أن ننهب جسده على أسنة الرماح ونقطعه شفار الصفاح ثم أنهم باتوا وقلوبهم تغلى كالمرجل من شدة حزنهم على مسحل وأما رجال عروة فانهم أخذوا يلوموا بعضهم بعضا ويقولون والله قد ركبنا الجهالة وسلكنا طريق الضلالة لأننا أتينا بمائة فارس ونريد أن نلقى أهل اليمن وأهل صنعاء وعدن ولكن ما حسبنا حساب تصاريف الزمن حتى وقعنا فى هذه المحن وعنترة رجل عاشق وغارق فى بحر هواه وقد هانت نفسه عنده لأجل بلوغ مناه ونحن لو كنا لنا عقل ما تبعناه ولكن عروة غرنا بالمحال وأطمعنا فى نهب الأموال حتى ألقانا الى الهلاك والوبال . قال وكان عنترة قد لحظ على حالهم وعلم أنهم ندموا على مجيئهم ومساعدتهم له

بقتالهم فأقبل على عروة وقال له يا أبا الأبيض أنا أعلم ان رجالك قد ندموا وأيسوا من السلامة وعادوا على أنفسهم بالملامة والرأى عندى أنك تأخذهم وتنجو بهم فى هذا الليل وأنا أرد عنكم من يتبعكم من الخيل ولا أزال أقاتلهم حتى أعدم السمع والبصر أو أسلم واعود بعدكم على الأثر لأنى اعلم ان الأجل اذا حضر لا يتقدم ولا يتأخر فقال عروة ما هذا الكلام يا أبا الفوارس فوحق الملك العلام وخالق الضياء والظلام ما بقينا نفارقك حتى تدوس الخيل رءوسنا وتفارق أجسادنا نفوسنا وان كان من أصحابى أحد واقعه الندم فهو بشأنه أعلم . قال الراوى ثم انهم بعد هذا الكلام قدموا شيئا من الطعام وأمر عنترة عروة أن يفتقد عمه وولده ويطعمهما شيئا من الزاد ويطيب قلوبهما بالكلام وحفظ الوداد ثم قام عنترة الى نحو عبلة وبل شوقه منها بالنظر وصار يسألها عما لاقت فى تلك الغربة والسفر فقالت له يا ابن العم أظن ما لاقت جويرية مثل مالا قيت ولا قاست مثل ما قاسيت ثم انها حدثته بما كانت تلاقيه من الشوق الى الأوطان وما جرى له على قلبها من الهموم والأحزان فقال لها والله يا ابنة العم لو علمت ان قلبك يصبر على البين والنوى ما كنت تركت أباك يستنشق الهوى ولكنى أعلم اننى اذا فعلت ذلك تحتاجين الى لبس السواد وتواظبين على النوح والتعداد وتشتفى بك أهل لبغى والحساد وأقل ما يقولون عنك ان عبلة قد اختارت قتل أبيها لأجل هذا العبد الأسود فتبسمت ضاحكة من كلامه وقالت يا ابن العم قد بلغت هذه المنزلة العلية ورغمت أنوف سادات الجاهلية ولا تمحو عنك اسم العبودية فقال عنترة لا والله يا قرة العين والروح التى بين الجنبين ما أنكرانى عبد جمالك وأسير دلالك قال فضحكت عبلة وقبلت يديه وشكرته وأثنت عليه . قال الراوى وبعد ذلك قام من عندها وزال عنه العنا والتعب وحدثته نفسه أنه يلقى جميع العرب وركب جواده وخرج يحفظ رأس المضيق وشيبوب فى ركابه وعروة وجميع أصحابه ولما أشرفوا على بنى كندة وجدوا نيرانهم زائدة الايقاد والأوهاج وهم يموجون كالبحر العجاج اذا تلاطم بالأمواج فقال عنترة والله ان قلبى يحدثنى بالكبسة لهؤلاء الأندال فى هذا الليل فنبليهم بالذل والويل ونبادرهم بضرب الصفاح وانجاز الأمر قبل

الصباح لأنهم اذا سمعوا الصياح ضرب بعضهم البعض وتشتتوا فى أقطار الأرض فقال عروة لا يا أبا الفوارس ما هذا صواب لأنهم يعرفون قلة عددنا واذا حملنا عليهم يحسبون هذا الحساب وربما مالت طائفة منهم الى ورانا ويعودون يسبون عبلة ولا نعلم من سباها من الفرسان فيعود ربحنا الى الخسران .

فقال صدقت يا أبا الأبيض ومكثوا حتى مضى أكثر الليل واذا ببنى كندة قد انطفت نارهم وركبت فرسانهم وعادوا يطلبون أوطانهم وهم لا يلتفت بعضهم الى بعض وقد أقلبوا بصياحهم وركض خيلهم جنبات تلك الأرض وكان عنترة لما ركبوا ظن أنهم ركبوا للقتال فلما رآهم راجلين تعجب من ذلك الحال وقال لشيبوب ياترى ما بال بنى كندة وقد عادوا راجعين وما هذا الا لأنه قد أتاهم خبر يشغل البال وأنا لابد لى أن أتبع آثارهم فقم وثبه على الرجال فقال شيبوب لا يتبعهم الا أنا لأنى أخاف أن تكون حيلة منهم فتقع فى العذاب والعنا وعندها سار شيبوب وراهم حتى يكشف أخبارهم الى أن لحق بهم وهم قد قاربوا ديارهم فرأى الصياح فى بيوتهم من كل جانب ومكان ومناديا ينادى فى أواسطهم بالشيبان أنا بسطام بن قيس فارس الفرسان .

فلما سمع شيبوب هذا الكلام أطلق ساقبه للريح فى ذلك البر الفسيح فلما وصل الى أخيه أطلعه على الخبر وقص عليه جلية الأثر فلما سمع عنتر هذا الكلام قال والله ما أخلى أحدا يتمكن من الأمير بسطام وبنى شيبان ولابد لى أن أسير على آثار بنى كندة وأعين أبا اليقظان والا لحقوهم بهذا الجمع الكثير وأفنوا الكبير والصغير فقال عروة هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم ان عنتر أمر عروة أن ينادى فى رجاله ويسرع فى ارتحاله واذا بغبار قد علا وارتفع وضربته الرياح الأربع فمهر من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول تسبق الغزلان فحرك عنتر بالجواد نحوهم وساق فى تلك البيداء وقد ظن أنهم كمين من الأعداء وقال فى نفسه لا شك أن القوم رحلوا من غير قتال لأنهم تركوا خلفنا من يدهمنا اذا تبعناهم ويسقينا كأس المنايا مثل ما سقيناهم فقال شيبوب ياأخى أثبت مكانك حتى آتيك بخبر هذا الغبار وانطلق كالنعامة فى تلك القفار وما غاب الا قليلا حتى أقبل وهو يقول أبشر يا ابن الأم

بالخير وتقدم وسلم على اولاد الملك زهير فقد جاءوا الى نصرتك بعسكر جرار مثل الجراد الطيار . قال الراوى فبينما شيبوب وعنترة فى الكلام اذا بالغبار قد انكشف وبان عن آنف فارس ينادون يا لعبس يا لعدنان والمقدم عليهم أولاد الملك زهير الشجعان وهم شماس ومالك ونوفل والحارس ومعهم شداد وآخوه زخمة الجواد ومن وراهم آلف فارس من الأبطال العوابس وكل فارس يقول انه يلقى وحده آلف فارس منهم قرواش بن غالب وغياض بن ناشب وعامر بن الجلاح وغيرهم من الأبطال المعودين على الحرب والكفاح .

قال الراوى وكان السبب فى حضورهم على هذا القصد سلمى آخت عروة بن الورد لأن آخاها لما رحل برجاله من ديار بنى عبس وتبع آثر عنترة بن شداد خلاها فى آبيات بنى قراد وأوصاها آن لا تعلم بمسيره آحدا من العباد ففعلت ما آمرها وبقيت كاتمة ذلك آلحال الى آن رآت لهفة النساء والرجال من آجل فقد عنترة واخيها ومن معه من الأبطال وخافت على آخيها من الخطر فى مرافقته لعنترة ومن شدة ما جرى على قلبها آعلمت شداد بآن ولده سار الى ديار بنى كندة فى طلب خلاص عبلة من تلك البلاد فلما سمع شداد هذ الكلام مضى الى أولاد الملك زهير وبكى بين آيديهم وتحسر وآخبرهم بمصير صديقهم عنترة وقال لهم اعلموا يا موالى ان عبدكم الذى عليتم ذكره ورفعتم قدره قد سار الى بنى كندة وحده وقد رمى الى الهلاك نفسه التى هانت من شدة الغرام عنده وأنا خائف عليه من الملك عمر المقصود لأنه ملك عظيم الشآن كثير الجنود والفرسان وله ابن آخت يقال له مسحل ابن طراق لا يوجد مثله فى جميع الآفاق وهو فارس شرس الأخلاق مر المذاق آطعن آهل زمانه بالرماح الدقاق وآضربهم بالسيوف الرقاق . قال الراوى فلما سمعوا هذا الحديث لعبت فى جمعهم الحرق وزاد فيهم القلق فدخلوا على آبيهم فآخبروه بما سمعوا من عنترة واستآذنوا فى المسير الى بنى كندة ليكونوا له نجدة فقال لهم خذوا معكم من بنى عبس آلف فارس وسيروا اليه واذا وقعتم به فسلموا عليه واعلموا انى مريض ولولا ذلك سرت معكم بنفسى الى نصرته وما توانيت عن نجدته فعند ذلك خرجوا من عند آبيهم واختاروا من بنى عبس آلف فارس

كالأسود العوابس وفى الحال ركبوا وسار معهم شداد وأخوه زخمة الجواد وجماعة من بنى قراد وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى أشرفوا على ديار بنى كندة فالتقاهم عنترة وعروة وأصحابه فترجلوا وسعوا الى خدمة أولاد الملك زهير ودعوا لهم بالسعادة والخير وقال له شاس يا أبا الفوارس قد عتبنا عليك لأنك تسير وحدك فى أشغالك ولا تطلعنا على أحوالك فقال عنترة والله يا مولاى أنا ما افعل هذا الا احتراما لكم لأنى لا أستحق مثلكم من ذوى الأقدار ولا أريد أن تقول العرب ان سادات بنى عبس وعدنان سارت مع عبدها حتى صارت له كالأنصار فقال له أبوه شداد وأنت يا ولدى لأجل هواك ترمى نفسك كل يوم فى الهلاك وتترك العرب كلهم أعداك فقال نعم يا مولاى ان الانسان اذا بلى بظالم يحتاج أن يبذل فى مكافأته المجهود ولا يرضى أن يشمت فيه العدو والحسود وبعد ذلك حدثهم بما جرى له فى بنى كندة وكيف زوج عمه عبلة بمسحل بن طراق وكيف قبض المهر والصداق وكيف قتل مسحل وشتت قومه فى الآفاق فتعجب من ذلك البأس والشدة وسألوه عن مالك وعبلة وبنى كندة فقال لهم أما مالك وابنته وأخوها وزوجته فانهم تحت قبضتى فى الاعتقال وأما بنو كندة فانهم عادوا الى أرضهم والأطلال يطلبون خلاص الأهل والعيال من يد بسطام سيد بنى شيبان الذى أنا سائر الى معونته لولا قدومكم الآن فساروا معه الى مكان المعمعة واذا مالك وزوجته وولده قد أشرفوا على التلاف من شدة الوثاق والكتاف فقال شاس لمالك ويلك يا مالك ما كان أنحس ساعة نزلت فيها الدنيا أما كفاك صرت مثلا بين الورى وأحدوثة لكل من يسمع ويرى ولكن هذا الهوان بك أولى لأن الجاهل لا يفرق بين النعيم والعذاب ولا يعرف الخطأ من الصواب فقال والله ياسادات بنى عبس اننى رجل عزيز النفس وانا لا أسلم ابنتى اليه وفى جارحة تخفق ولا لسان ينطق الا ان كنتم تقتلونى وتأخذوها سبية حتى يكون عذرى واضحا فى البلاد العربية قال شداد يا مالك وأنا أخليك أن تأخذ أموال ولدى وتأكل خيره وتزوج بابنتك غيره فقال عنترة يا قوم اشهدوا على ان هذا عمى ان ستر بنته من الفضائح واستقر فى دياره ولم يعرضها لزواج غاد ورائح لا أطلبها أبدا ولا أقيم فى الأوطان واجعل مقامى فى

بنى غطفان ولكن ان زوجها لغيرى وأنا فى الدنيا فلا أتركه يعيش ساعة ولا يحيى فقال شاس لما سمع هذا الكلام والله يا أبا الفوارس ما بقى عليك ملام ولا يقدر احد أن يدخل تحت هذا الشرط من الأنام وفى قلبه بعض ما فى قلبك من الغرام فقال مالك بن زهير يا مالك أتريد أن أكثر من هذا الذل بين يديك وقد أجابك الى ما تريد بعد القدرة عليك فقال يا مولاى أنا ما أريد هذا الشرط يكون الا بين يدى أبيك حتى يقابل الذى يرجع عن هذا الكلام ويجرد عليه سيف الانتقام وأما أنت فأريد منك هذه الشهادة والاقرار متى عدنا الى الديار حتى يوفى بما اشترط على نفسه وقر عليه القرار فقال عنترة وأنا أرضى بهذا الحكم ولو حملت نفسى الشماتة والعار ثم انه تقدم اليه وحل من الرباط يديه وقبله بين عينيه .

قال الراوى هذا وأولاد الملك زهير يتعجبون من عظيم مروءته وشدة احتماله ونخوته ثم انه عول على المسير الى مساعدة الأمير بسطام وقال لأولاد الملك زهير وأنتم يا موالى أريحو أنفسكم فى هذا المقام ولا تباشروا الحرب فى هذه الأيام فقال شاس لا والله لا نكون الا فى أول الرجال ونقاتل بين يديك الأبطال والا فعليك منا السلام ونحن نعود الى الديار والأطلال فعند ذلك قال عنتر لأخيه شيبوب أقصد لنا آثار خيل بنى كندة حتى ننظر ما جرى الى الأمير بسطام من الشدة فسار بهم شيبوب يقطع الربى والأكام وعنترة الى جانب شاس ينادمه بالكلام هذا ما كان من هؤلاء وأما ماكان من الامير بسطام وسبب قدومه الى هناك فى تلك الأيام هو انه لما عاد رسوله اليه وأخبره بأن عنتر عزم على كشف أخبار عبلة وعلم أن أباها قد نزل بها فى تلك الحلة قال والله لأقعدت عن هذه الخدمة لأن أبا عبلة أخذها من عندى وهرب وصار يجب على الطلب ثم انه انتخب ألف فارس من بنى شيبان واستأذن أباه فى ذلك الشأن فأذن له وقال له اذهب بحفظ الآلهة والأصنام واذا وصلت اليه فاقرئه منى السلام وسار بسطام طالب ارض بنى كندة وكان وصوله اليها بالاتفاق حينما قارب زفاف عبلة على مسحل بن طراق وكان قد بقى لها من الأجل يوم واحد فأكمن فى تلك البرارى والفدافد

وأنفذ بعض عبيده ينظر ما يتجدد بالأخبار ويفحص ان كان عنترة طرق تلك الديار فسار العبد حتى وصل الى تلك الاطراف وعاد الى بسطام وقال له يا مولاى ان بنى كندة مشغولون بمهمة الزفاف وهم عازمون عند الصباح على انجاز شغلها وانفاذها الى بعلها فقال بسطام وقد تأسف وتحسر خرجت والله عبلة من يد عنتر ولكن وحق ذمة العرب لأخليت بنى كندة تتهنا بها ولابد ما أسعى فى خلاصها وأبذل المجهود حتى أكون وفيت بالعهود فياليت شعرى ما الذى عاق عنترة عن الحضور فى طلبها وهو هالك بسببها ثم التفت الى عبده الذى أتاه بالخبر وقال له ارجع الى بنى كندة ولا تبرح من الحى حتى تنظر عبلة قد خرجت من الحلة وارجع الى بالعجل حتى أريك ما أفعل فعاد العبد الى بنى كندة وبات عند الرعاة فى تلك الفلاة ومكث هناك حتى أصبح الصباح فانقلب الحى بالسرور والأفراح وركبت الفرسان على متون الخيل العوال ورفعوا الهوادج على ظهور الجمال وسارت النساء مع عبلة تودعها وخرجت البنات تشيعها فعاد العبد الى بسطام وأخبروه فكاد قلبه أن ينفطر لأجل انقطاع الخبر من نحو عنتر وقال لرجاله تأهبوا أنتم للقتال حتى أريكم ما أفعل بهؤلاء الأندال ثم سار برجاله حتى أشرفوا على المضارب واذا هم يسمعون أصوات النوادب والعويل من كل جانب فلما سمع ذلك بسطام قال ان صدقنى حدرى فان عنترة أخذ العروس وصبح القوم صباح منحوس وبنو كندة ساروا خلفه وتركوا الأموال والعيال ونحن ما أخطرنا لهم على بال فدونكم الآن ونهب الأموال ثم أنه كبس القوم بأصحابه كما ذكرنا ونزل عليهم نزول القضاء والقدر فقتل من قتل وأسر من أسر وعاد وهو يقول أنا أعلم أن بنى كندة لابد ان يتفرقوا عن عنترة اذا سمعوا بهذا الخبر . قال الراوى وكان الحساب الذى حسبه بسطام صحيحا لأن الخبر كان وصل الى بنى كندة وقت السحر فرحلوا وقد تفرقوا عن عنتر وطلبوا بسطام وبنى شيبان فلحقوهم فى أرض يقال لها ذات الجلاجل وهم قد اقلبوا تلك الأرض بالعساكر والجحافل وكان الملك عمر والمقصود سيد بنى كندة قد تبعهم فى أربعة آلاف فارس جحجاح كأنهم عوامل الرماح يهشون للقراع هشاشة الأطفال للرضاع فلما أشرف على بسطام أمر العساكر بالحملة والصدام فالتقتهم فرسان بنو شيبان واصطدم الجيشان واتصل الضراب والطعان

وفارقت الأرواح الأبدان وتمددت القتلى فى ساحة الميدان وفعل بسطام فعل أولاد الحلال ورد عن قومه المواكب والاقيال وجال على فرسه ذات النسور وهتك بسنان رمحه الصدور وقاتل قتال الخائف المذعور وكانت فرسان بنى كندة قد ترفقت فى القيعان فعادت على بنى شيبان وخلصت منهم الأموال والنسوان وعاد ربح القوم الى خسران وما أشرف عليهم عنترة الا وهم فى غاية الخذلان وكان بسطام قد أيقن بالهلاك والقلعان من ازدحام المواكب وكثرة الفرسان وهو يتلقى بصدره عوامل الأشطان ويكثر من ذكر صديقه عنتر والقتلى من حوله مثل البدر أو كالجراد اذا طار وانتشر وهو يبكى ويتحسر ويترنم بهذه الأبيات :

فى الحرب يفتخر الشجاع الضيغم ... أو ما ترانى فى الوغى أتقدم
بالله يا ريح الشمال فخبرى ... لأبى الفوارس كندة تهزم
نادى منادى الموت فيهم معلما ... فغدا وجود القوم فيهم يعدم
لولاى لم يكن الحسام بقاطع ... دوما وكندة كالدوافق تسجم
والخيل تعلم والفوارس اننى ... فى ساحة الحرب العوان معظم
صبرا على الأموال لا أبغى بها ... فالصابرون على الوقائع تغنم

قال الراوى فقال عنترة من هذا كنت خائف على ابى اليقظان ثم أنه حمل بفرسان عبس الشجعان الذين ما فيهم مقصر ولا جبان بل لهم الوقائع المذكورة فى كل مكان وكان قد وقع لعنترة فى قلوب بنى كندة هيبة عظيمة وشأن ثم تقدم عنترة الى ناحية بسطام وحياه بالسلام وأنشد وقال :

لله درك يا أبا اليقظان ... من ضيغم صعب على الحدثان
صبرا أتاك أبو الحروب وليثها ... ومثيرها بمثقف الاشطان
صبرا أتاك مقلل الاسياف فى ... قمم الملوك وقاتل الشجعان
يا آل كندة أتاكم فارس ... قهر السراة الشم من قحطان
ما سل سبغا مرهفا فى معرك ... الا وقال الدهر منه كفانى

كم جهد أصبر والزمان يكيدنى ويزيد عمى ذلة بهوان
أو ما ترى أن الاسود تذل لى أو ما ترى كل الورى تخشانى
فاليوم يومى والزمان يودنى والوقت وقتى والعلاء مكانى

قال الاصمعى فعند ذلك اجتمعت اكابر آل كندة وأتوا الى الملك عمرو وقالوا له نحن فى شدة وأى شدة لان هذا الشيطان ما قصد هذا المكان الا وفى نفسه ما يبقى منا انسان ونخاف ان يكون بعضهم قد مال على أطلالنا وسبى حريمنا وعيالنا وان كان هذا الحساب صحيح فهو الهلاك والقلعان الى آخر الزمان فقال لهم عمرو والله ما نظرتم الى موضع النظر والرأى عندى ان نعالج من دائنا المرض الاخدر وتميز بحسن التدبير الاقل من الاكثر قالوا وما هو قال اسير انا الى الاطلال واجمع ما بقى هناك من الفرسان والابطال وأنتم تقاتلوا ثم تتأخرون وإياكم ان تنهزموا فعند ذلك يطمع فيكم عنترة واكون قد ادركتم بباقى العسكر فنحيط به من كل ناحية ونقلع منه الاثر فاستصوبوا رأيه واستحسنوا وظنوا انهم بواسطة ذلك ينالون ما يؤملون وفى دون ساعة شاع فى بنى كندة هذا الخبر فصارت تقاتل وتتأخر وقد اشتغلت قلوبهما على الحريم والاولاد فقصرت عن الحرب والجلاد وعلم بذلك الحال فجود الطعن فى صدور الرجال وفعل بسطام ورجاله مثل تلك الفعال فصارت الهزيمة حقا وتبددت جموع كندة غربا وشرقا وما وصل منهم الى البيوت الا كل ضامن مهزول على جياد الخيول وكان الملك عمرو قد سبقهم الى الخيام والمضارب فوجد بيته سالما من النوائب فصاح على الرجال وامرهم بأخذ أهبة القتال بعدما أخبرهم بحقيقة الأحوال فكرت الى معونة اصحابها واجادت فى طعانها وضرابها ومازالوا يقتتلون بطعن الرمح وضرب الحسام حتى اظلم الظلام وخفيت مواقع الاقدام فعند ذلك تأخرت جموع كندة واضطرت الى الانهزام وتقهقرت الى الخيام وتحكمت فيها سيوف الانتقام فامر عنترة قومه بنهب الاموال وسوق النوق والجمال واطلاق الحريم المخدرات والبنات العربيات ثم أنه التقى بالامير بسطام فاعتنقه وشكره على فعاله وأثنى عليه وعلى رجاله وقال له لقد تفضلت علينا يا أبا القيظان وأوليتنا الجميل

والاحسان ومابقينا نقدر على مكافأتك أبدا لأنك تكرمت علينا بروحك وجعلتها لنا فدا فلما سمع بسطام من عنترة ذلك الكلام قال وحق الملك العلام ياحامية آل عبس الكرام ان خدمتك واجبة على مدى الدوام لانك لما ملكت عتقت وبقيد الاحسان أوثقت ثم انه أشار يمدح عنترة بهذه الأبيات صلوا على طه النبى العدنان :

هناء لا يزال على هناء ... يخصك فى الصباح وفى المساء
فأنت أجل فرسان البرايا ... وأولى بالمديح والثناء
فان الله لم يخلقك الا ... لباس فى الكريهة والعناء
فما حاداك ليث فى قتال ... ولا سواك غيث فى سخاء
حواط من الحميا علما وفهما ... وصبرا فى الشدائد والعطاء
أضفت الى السخاء جميل فعل ... وكملت الفضائل بالنداء
فيعجب من يراك لما يراه ... عليك من الجلالة والبهاء
أبا الفرسان أنت لنا مجير ... تكاد تجير من صرف القضاء
فأمرك مثل عزمك فى نفاذ ... وعزمك مثل سيفك فى مضاء
فعش فى نعمة ودوام عز ... بغير تغير وبلا فناء

قال الراوى ثم ان عنترة شكر الأمير بسطام على شعره والنظام وحدثه بما كان فى قلبه من نار الاحتراق لأجل زواج عبلة بمسحل بن طراق واعلمه بأن عمه عليه غضبان وحلف أنه لم يسكن فى بنى عبس وعدنان فقال بسطام وحق مكون الأكوان ومدبر الوقت والزمان اننى ما أدعك تسكن عند أحد من الخلان ولا تجعل مقامك الا عندى فى بنى شيبان لأنى اولى بك من كل انسان لأجل ما لك على من الجميل والاحسان والفضل الذى يستوفى وصفه اللسان فلعن الله عمك الخائن القرنان فما اشد بغضته وأعمى بصيرته فقال مالك بن زهير والله يابسطام نحن نمكن ابن عمنا من الرحيل عنا الى ارضنا فلا تحلف عليه حتى نتلافى قصته ونجد نوبته ونرد قلب عمه بعد هذا الحقد اليه ونبذل نفوسنا بين يديه وان كان قد أقسم بأن لا يجاوره حتى يرضى عليه فنحن نتركه فى بعض أوديتنا ونقيم كلنا عنه حتى تنحل عقدته ويبلغ مراده وقصده لان أرضنا واسعة

ومياهنا نابعة فقال شداد والله يا ملك ان مقام ولدى عند الامير بسطام هو غاية القصد والمرام حتى لا تتفرق العشيرة وتنقسم الى شطرين فيتعب قلب ابيك لما يرانا حزبين ونبقى كل يوم فى مقال وعتاب فتشمت بنا الأعداء وتحمل همنا الاصحاب واذا وصلنا الى الديار أخذت عبلة عندى واترك اباها يقطع منها الاياس والا جعلته أحدوثة بين الناس الا آن صالح ولدى وترضاه وبلغه قصده ومناه . قال الراوى ثم انفصل الامر بينهم على الحال وباتوا فى تلك الاطلال فلما أصبح النهار وطلعت الشمس عول بسطام ان يقسم الأموال والغنائم على بنى عبس وحلف انه لا ياخذ منها ما يساوى قيمة فلس فأبوا وقالوا هذه تكون لابن عمنا عنترة الذى هو صديقك وجارك يستعين بها مدة اقامته فى ديارك فتعجب بسطام من فرط مروءتهم وحسن أخلاقهم الكريمة واستحى من أولاد الملك زهير بن جذيمة فأمر رجاله بسوق الاموال وافترقوا على أحسن حال فعند ذلك بكى شداد على فراق ولده عنترة وتأوه من قلب حزين وتحسر وهطلت دموعه على خديه كأنها غزير المطر وعبلة تنادى وتقول الشمل متى تفرق وقلبى قد التهب واحترق فلما سمع شداد كلامها أنشد يقول :

أحسنت ظنك بالأيام اذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال الراوى وسار القوم فى تلك الارض وهم يتحدثون مع بعضهم البعض وعاد عنترة مع بسطام وهو يشاغله بغير ذلك الكلام وعنترة يظهر ويخفى الكمد ويرفع رأسه وينتهد لأنه كان محروق الفؤاد وولهان وهو خائف على قومه أن يقعوا بنكبة قبل وصولهم الى الأوطان فصار يلتذ باستنشاق النسيم الذى يهب من ناحية عبلة فينتعش به جسده ويزيل عن قلبه الغم والدبلة لان عشاق العرب والمتيمين كانوا ينشقون الريح التى تهب من أرض الحبيب فتداوى أمراض قلوبهم من العشق وتطيب ثم غلبت عليهم كثرة الأشواق والأحزان وتذكر ما قاسى من حر الفراق والأشجان عند مفارقة الأحباب والخلان فصار بسطام يحادثه بأخبار المتيمين والعشاق وما لاقوا من الهجر والفراق فقال عنترة يابسطام

ما أظن أحد مثل ما لاقيت ولا قاسى مثل ماقاسيت ثم جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وافتكر بابنة عمه عبلة وما قاسى لأجلها من الغم والدبلة وكيف أن قومه تركوه فى ذلك المكان وأبعدوه عن الأهل والخلان فأنشد وقال صلوا على طه الرسول :

اذا ريح الصبا هبت أصيلا شفت بهبوبها قلبا عليلا
وجاءتنى تخبر أن قومى بمن أهواه قد جدوا الرحيلا
وما عنوا على من خلفوه بوادى الرمل منطرحا جديلا
يحن صبابة ويهيم شوقا اليهم كلما ساقوا الحمولا
ينادونى بعنتر يوم حرب ويوم السلم عبدهم الذليلا
ألا ياعبل ان خانوا عهودى وكان أبوك لا يرعى الجميلا
حملت الضيم والهجران جهدى على رغمى وخالفت العذولا
ألفت السقم حتى صار جسمى اذا فقد الضنا أمسى عليلا
وعادانى غراب البين حتى كأنى قد قتلت له قتيلا
وقد غنى على الاغصان طير بصوت حنينه يشفى العليلا
بكى فاعترته أجفان عينى وناح فزاد أعوالى عويلا
وبات مقلقلا لفراق الف بأن الفقده الليل الطويلا
فقلت له جرحت صميم قلبى وأبدى نوحك الداء الدخيلا
وما أبقيت فى جفنى دموعا ولا جسما أعيش به نحيلا
ومابقى لى الهجران صبرا لكى ألقى المنازل والطلولا
ولو أنى كشفت الدرع عنى رأيت وراءه رسما محيلا
وفى الرسم المحين حسام نفس يقلل خده السيف الصقيلا
ألفت نوائب الايام حتى رأيت كثيرها عندى قليلا

قال الاصمعى ولم يزالوا سائرين يتناشدون الاشعار حتى تنصف النهار واذا بعنترة وقف فى تلك القفار ونكس رأسه الى الأرض وزاد به الافتكار فقال له بسطام ما حالك وما الذى جرى لك ونالك وأنت تنشدت شعرا جاءت عبلة فى بالك فقال عنترة والله يا أخى ان ذكر عبلة

هو فى جلدى لا يغيره الزمان ولولا الشعر الذى انطبق به لهاجت فى فؤادى النيران وهو أحسن العلاج والدواء وبه أسلو نوعا عن مرارة الوجد والهوى ولكن يا أمير بسطام قد حسبت حسابا وأنا خائف أن يتسبب منه أسباب فقال بسطام وها هو الحساب قال قلبى خائف من بنى كندة ان يعلموا بأحوالنا وانقطاعنا عن بنى عمنا واملنا فيطمعوا فيهم ويسير الملك عمرو خلفهم فى جموعه وجنوده ويلحقهم بفرسانه وفهوده وان كل فريق قد سار منا فى طريق وربما يهلك من أولاد الملك زهير أحد فيلحقنا من أجله المضرة والنكد وبؤول أمرنا بعد الربح الى الخسارة ويشمت بنا الربيع وأخوه عمارة فقال بسطام وكيف يكون الحال فقال عنترة الصواب انك تأمر هذه الفرسان أن تسبقنا الى المنازل والاطلال ونحن نسير فى عشرة من الأبطال ونقتفى من بنى عمنا الآثار ونرعاهم من بعيد حتى يبعدوا عن هذه الديار ونأمن عليهم من نوائب الأخطار وبعد ذلك نعود الى ارضكم كما تحب وتختار فقال بسطام افعل ما بدالك فأنا تابع مقالك ثم ان بسطاما أمر قومه بالمسير الى الاطلال وأن يسوقوا قدامهم الغنيمة والأموال وانتخب من قومه عشرة من الابطال ممن يعرفهم بالشجاعة والاقبال وعادوا مع عنترة وشيبوب قدامهم يدلهم على الطرقات حتى فات بهم حلل بنى كندة وابعد بهم فى الفلوات وما اصبح الصباح الا وقد قطعوا أرض بعيدة فى تلك البطاح فتأملوا فى تلك الأرض وكان ذلك الوقت عند طلوع الشمس فلم يروا غير أثر حوافر خيل اصحابهم وهى راجعة الى أرض بنى عبس فقال بسطام والله يا أبا الفوارس ان بنى كندة عندهم شغل شاغلهم عن اتباع سواهم وقد القيت فى قلوبهم خوفا ما ينسوه فى دنياهم فقال صدقت ولكن ما تكلمت الا بكلام عقلاء الناس وما فى الاحتراز من بأس ونحن نستريح اليوم ههنا ونرحل وقت السحر حتى لا يفوتنا من بنى كندة خبر . هذا ما جرى لبنى شيبان وعنترة واما ما كان من بنى عبس فانهم لما أبعدوا فى البر الأقفر حتى ضاقت صدورهم لفراق عنترة وما فيهم الا من تأسف وتحسر وقال شاس لمالك أبى عبلة وكان قد اجتمع به فى خلوة يا مالك ها قد أتاك الأمر كما تريد وأصبح عنتر من أجلك وحيدا وفريدا وسار مع بسطام الى دياره والأوطان وهجر الأهل والخلان ولكن وحق الدائم بلا زوال لا بد ما تندم على

هذه الفعال وتتحسر من هذه الأعمال ثم أنشد وقال صلوا على رسول الله باهى الجمال :

اعلم وحد عن موضع الاخطار ... تلق النكال به عظيم النار
ان الخطوب اذا تعظم قدرها ... حكمت على الاسماع والابصار
يا قاطعا سبل الرشاد وقاسما ... قرب القرابة عشت ثناء الدار
انى أخاف عليك مشتجر القنا ... يوم الهياج وصولة الكرار
او ما رأت عيناك موقف كندة ... والموت فى كفيه والاخطار
لما غدوا صرعى تنوش لحومهم ... وحش الفلا ومخالب الاطيار
فاتئد من يا ملك ولتعلمن ... سلم اللئيم سلالة الاشرار

قال الاصمعى فلما سمع أبو عبلة ذلك المقال قال له أيها السيد المفضال أأندم على صيانة الحرم من العبيد والخدم فوالله لو أن لعنتر نسبا يرجع اليه لما بخلت بابنتى عليه ولكن حمل العار ثقيل وكلام الناس أشد من ضرب السيف الصقيل قال فلما سمع شداد ذلك المقال قال له ويلك يامالك كم تطعن فى نسب ولدى وتعيبه فى سائر المواضع ونسبه اليك راجع . ويلك أما أنت أخى وأنا أخوك وامى امك وابى ابوك فقال مالك نعم ياشداد انت تسبى امة تأتى منها بولد سفاح وتطلب منى ان أزوجه بعبلة سيدة الملاح التى تلفت فى محبتها المهج والأرواح ويلك ياشداد أتجعل شريحة بنت الوضاح معادلة زبيبة بنت السفاح ثم ازداد بينها الكلام حتى آل الأمر بينهما الى ضرب الحسام . قال الراوى فعند ذلك أتاهما مالك ابن زهير وفرق بينهما وقال يابنى الأعمام لا تختصما فى هذا المكان فليس هذا موضع خصام وانتما فى بلاد الاعداء اللئام والذى لا تختصما لاجله قد رحل وطلب الانفراد واختار على قربكم البعاد حتى لا يتفرق شملكما ولا تبعدا عن أهلكما وقد قال سر يا أمير مالك وان أراد عمى أن يزوج ابنته الى أحد فلا تمنعوه من ذلك لأنى ما بقيت ارجع الى هذه البلاد حتى أسمع أن صار لعبلة أولاد فان روحى قد ملت من ركوب الاخطار وأنا أخدم اناسا فى الليل والنهار وهم لا يعرفون لى قيمة ولا مقدار وانا اريد ان اجعل مقامى فى بنى شيبان ولا ارى بعينى الذل والهوان وما زال مالك على مثل هذا المقال حتى طاب قلب مالك بهذا الحال وسار القوم

بعد ذلك طالبين الديار وفى قلوبهم لهيب النار وكان شاس فى هذه النوبة نوى على قتل ابى عبلة من ما جرى عليه من الدبلة ومازالوا كذلك حتى خرجوا من أرض بنى كندة وتلك الدكادك ووقعوا فى البر الأقفر فزاد بشاس الهم والفكر ثم سار فى أول العسكر ورافقه شداد أبو عنتر ومافيهم أحد يشتهى أن ينظر أبا عبلة من سوء أفعاله وغلاظة مقاله وتبقى مالك ابن زهير فى بقية الفرسان وجعل يسير بعبلة سير الأمان ويترفق بها وبأخيها وبأمها وأبيها دون كل انسان لأنه أطول بالا من أخيه شاس وأكثر منه مداراة للناس فسار على اثر اخيه يوما كاملا فى تلك الهضاب حتى اشرف على ارض يقال لها الرباب وكانت مليحة الجنبات طيبة النبات غدرانها دافقة وروائحها بالزهور عابقة ووحوشها رائعة وعيونها نابعة. قال الراوى وكان قد قل على القوم الزاد لبعد المسالك فشكا أكثرهم الجوع للامير مالك لأنهم لما فارقوا .

انتهى الجزء العاشر من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الحادى عشر.

الجزء الحادى عشر

من سيرة

عنتر بن شداد

عنترة وأعطوا الى بسطام النوق والجمال وما زالوا سائرين لتقريب الآجال وكانوا يقتاتون من صيد البرية الى ان اشرفوا على تلك الارض البهية ونظروا الى كثرة وحشها لسارح وزهرها الفائح فنزلوا هناك وقال مالك لاصحاب الخيول السابقة والجنائب غير المتلاحقة دونكم يابنى الأعمام هذا الصيد الوافر والخير الغامر فلا يعود أحد منكم الا بما يكفيه ويكفى رفيقه ويعينه على قطع طريقه .

ثم آن مالك ركب حجرة من جنائبه السبق التى تسبق بمسيرها لمعان البرق اذا برق وطلب بها عرض البر وصار يطعن الوحوش ويمددها على الرمال وجعل يجتهد فى صيد الغزلان حتى ابتعد عن أهله والفرسان وقد أعجبه الصيد والقنص فاوسع فى البر لانتهاز الفرص واذا به قد ثار من بين يديه ظليم وعدا من فزعه يطلب الروابى ويهيم فحد مالك فى أثره وصاح فيه فاذعره فقصد الظليم البر الفسيح وطلبه مالك مثل هبوب الريح حتى غاب عن عينيه كذكر النعام واختفى بين الروابى والأكام فعندها وقف الأمير مالك واخذ يلتفت ويتأمل فى تلك البرارى والدكادك فلم يجد له أثر فحار وانبهر وأخذه القلق والضجر وقد طاب له الهلاك ولا يفوته من فريسته خبر فبينما هو على تلك الحال اذ ظهر عليه بدوى من بين أحاقيف الرمال وقدامه ناقة عالية السنام وقد أزعجت بصياحها البر والاكام ومن خلفه جارية كأنها البدر التمام فلما رأت مالك اومأت اليه بيدها كالمستجيرة طالبة منه النصرة والمعونة فعلم مالك مطلوبها ولكن لم يجبها لقلة معرفته بها وقال فى نفسه هذه زوجة البدوى وأخته وقد ضربها لسبب ورواحك اليه ما هو صواب ثم انه هم ان يرجع الى قومه خوفا من فوات يومه فالقت الجارية من يدها المقود ولوحت فى وجهه

فشرد وهاج فى البر والقفار وصاحت على البدوى ياوجه العرب الحق الجواد فقد هرب فعندها ترك البدوى الناقة وطلب الفرس بعد ما لطم الجارية على صدرها كاد أن يعدمها النفس فلما أبعد اتت الى مالك واستجارت به وطلبت منه النصرة والمعاضدة فقال لها من أنت ومن يكون هذا الرجل حتى تطلبين عليه المعونة والمساعدة فهل هو بعلك او احد من أهلك فقالت حقا يامولاى ما هو لى بنسب ولا قريب بل هو أجنبى وغريب وقد قتل ابن عمى الذى هو من لحمى ودمى وكنا راجعين من وليمة كانت فى نيهان طالبين الاهل والاوطان فالتقانا هذا الشيطان فقتل زوجى وسبانى وسار بى كما ترانى وأنا مستجيرة بك يا أيها السيد الكريم وليس لى أحد سواك ان يخلصنى من هذا البلاء العظيم ثم انها تأوهت وبكت وانت واشتكت وانشدت تقول صلوا على طه الرسول

كم حرة عبثت بها الايام ... يا فارسا خضعت له الاقوام
ياذا المكارم والايادى والعلى ... فعليك من دون الانام سلام
يامن يرى سبى الحريم مهانة ... يا من له بحر يفيض غمام
انى رجوت الخير منك فراسة ... ان الجميل له لديك مقام

قال الراوى فلما سمع مالك كلامها وما ابدته من شعرها ونظامها ورأى كثرة بكاها واذلالها شفق عليها وانتخى لها لأنه كان من أهل الفتوة ومشهور بالنخوة والمروءة ومتصفا بالصفات الحميدة وكرم الأخلاق مكتنفا بالشمائل السعيدة التى تعطرت بها الآفاق لا سيما انه من بنى عبس الكرام الذين تدعوهم العرب فرسان المنايا والموت والزؤام فقال لها ياحرة العرب أبشرى بالسلامة وزوال العطب فسوف اخلصك من يد هذا الاعرابى وادعه ملقى بين هده التلال والروابى . قال فبينما هو مع الجارية فى مثل هذا الحديث والايراد واذا بالبدوى قد عاد وهو على ظهر الجواد فنظر الى مالك والجارية بين يديه تشكو ما حل بها اليه فغضب وقامت فى أم رأسه مقل عينيه ثم انه قوم سنان رمحه وحمل عليه وهو يقول له ويلك يا أندل العربان من أنت حتى تخاطب جوار الفرسان ومن هو الذى أتى بك الى هذا المكان والقاك فى هذه البرارى والقيعان أخلع

ياويلك ما عليك من الثياب والسلب وسلم نفسك قبل رقوع العطب فان كنت جاهلا بى فانا أعرفك بنسبى ولقبى أنا المعروف بالرعد القاصف والسحاب الواكف المسمى بغياض الخاطف وانشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا جاهلا بمكانة الشجعان مهلا ستبقى ماكل العقبان
يابن اللئام أما سمعت بهمتى وبصولتى وبحملتى ومكانى
لو ماعلمت بأننى أسد الوغى لما غدت كل الورى تخشانى
أو ماعلمت بأن مجدى قد سما حتى علا شرفا على كيوان
والدهر يرهبنى ويعرف سطو تى أنا الصبور اذا الزمان غشانى

قال الراوى فاستقبله مالك بقلب قوى وجنان جرى وأجابه على شعره يقول :

ثكلتك أمك كيف تأتى ضيغما متعودا صبرا على الفرسان
كم من قتيل قد تركت مجندلا قد كان مثلك رأيد الهذيان
يابن اللئام أما خشيت عقوبة ؟! أصنام أو غضبا من الديان
حتى غدوت معاوضا لحرائر أهل المكارم من نسا قحطان
من ذا الذى ينجيك منى فى الوغى وأنا الكريم الاصل من عدنان

قال الاصمعى ثم أن مالكا حمل على ذلك الفارس وهو يقول يابن الانف قرنان ولقد حدثتك نفسك بالزور والبهتان وساقك القضاء الى هذا المكان حتى تبقى رزقا للوحوش وكواسر العقبان لأنك استننت فى العرب سنة غير محمودة بسبيك الحرائر واليوم تصير مثلا لكل مقيم ومسافر ثم انه هجم عليه وطعنه بالرمح طعنة قاتلة فانعزل عنها ذلك البدوى فراحت باطلة وقد اشتد عليه الغيظ والغضب وعاد الى ظهر جواده مثل السهلب وقاتله حتى اتبعه ثم طعنه بعقب الرمح اقلبه ونزل اليه فأخذه اسيروقاده قود الذليل الحقير وقد نظر الى جمال صورته وحسن لباسه وعدته فعرف انه جليل القدر عالى الذكر فقال له ياغلام من أنت ومن تكون

أصدقنى قبل أن أسقيك كأس المنون فان الصدق أليق باصحاب المراتب والكذب يشين بالرجال الأطايب ثم انه سل حسامه بعد ما انتهى من كلامه فقال له مالك لا تفعل ياسيد الرجال فما أنا زرى الحال ولا قليل المال والرجال أنا مالك بن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان ومرة وغطفان فلما سمع البدوى كلامه احمرت عيناه وانفتحت شفتاه وقال أنت والله غاية مطلبى ومنك أبلغ قصدى وأشفى لهبى ثم أنه شد كتافه وقوى سواعده وأطرافه وعارضه على ظهر الجواد وقال حقا مابقيت تخلص من يدى الا ان كان والدك يسلمنى أسودكم عنتر بن شداد حتى أذبحه ذبح البقر والجمال والا فعلت بك اشأم فعال وبلغت بقتلك غاية الآمال فقال له مالك وما السبب فى ذلك قال اعلم ياوجه العرب والأبطال انى كنت هويت جويرية من ديارنا والاطلال وبذلت لأبيها ما املك من المال والنوق والجمال فقال انى ما أزوج ابنتى الا لمن يأخذ بثارى ويكشف عنى عارى ويطفى عنى لهيب نارى ويأتينى برأس الذى قتل ولدى ظلما وعدوانا وأورثنى سقما وأحزانا فقلت له يا عماه ومن هو غريمك حتى آخذ بثارك وأكشف عنك عارك فقال لى هو عنتر بن شداد أسود بنى عبس وحاميها وقت الجلاد لأنه فيما سبق قد أغار على ديارنا والاطلال وقتل ولدى وهو يرعى النوق والجمال وسار من عندنا بعد ما فتك بالابطال وقد حلفت بأن لا أزوج ابنتى لأحد من البشر الا لمن يأتينى برأس عنتر فلما سمعت منه هذا المقال ضمنت قتل أسودكم ابن الأنذال وأعود اليه برأسه وأبلغ الآمال وما خرجت من منازل قومى والاطلال حتى عاهدته على ذلك واعطانى يده على هذا الحال وصرت طالبا دياركم حتى أطفى ما بقلبى من لهيب الاشتعال فوقعت بهذه الجارية التى أبصرتها وكانت سائرة مع ابن عمها فقتلته وأسرتها وبعد هذا وقعت أنت فى يدى وسوف أبلغ بك غاية قصدى وأبرد حرارة كبدى . قال الاصمعى فلما سمع مالك من الاعرابى هذا المقال أطمع نفسه فى المحال وطلب الخلاص بالمكر والاحتيال وقال له ياوجه العرب أشكر الميل الذى هون عليك الطلب وقرب عليك الطريق والسفر وأراحك من تعب هذا البر الاقفر فان الذى تطلبه هو ههنا فى أرض الرباب وما معه أكثر من عشرة رجال من الاصحاب وأنا قد فارقته فى هذا الصباح وهو يطلب صيد الغزلان فلاح لى ظليم من النعام فتبعته الى هذا المكان وقد وقعت

بى وأنا تعبان وجوادى قصر من الجولان ونصرت على وبلغت مرادك منى فاشفى فؤادك بقتلى أو اصفح عنى لانه لم يبق للاعذار مجال ولا للاستقامة مقال وماثم طريق الا معاملتك لى بالاحسان والافضال واذا كنت كما ذكرت انك فارس نجيب فسر الى غريمك فانك منه قريب عسى تنال منه حاجتك وتبلغ مأمولك ويمسى عنتر أسيرك ومقتولك فلما سمع كلامه صاح باللعرب وقد أخذه الفرح والطرب وقال وحق الملك العلام ان كنت صادقا فيما قلته من الكلام فلك من يدى الاكرام والانعام فاذا وقعت عينى عليه أخذته أسير ولو كان معه الف فارس بحرير والصواب أن آخذ لنفسى الراحة الى وقت السحر ثم اركب الى لقاء عنتر لانه مادام قد فقدك فى هذا النهار فما يرجع من هذه الديار ولا يقدر على الرواح الا بك ولربما سار فى طلبك ولابد ن ايعبر الى الطريق وتسوقه الى اعلام السعادة والتوفيق ثم أنه نزل عن ظهر الجواد وقدم على ما تيسر عنده من الزاد وسار يأكل ويطعم مالك ابن الملك زهير ويسأله عن سبب مجيئهم الى هذه الديار ووعده بالسلامة والخلاص من الضير ومالك يحدثه بالزور والمحال ويخدعه بالكذب والضلال وجعل يخبر بخبر مالك أبو عبلة وكيف هرب بابنته الى بنى كندة وأقام عندهم مدة ثم قال له فى آخر كلامه ان عنتر اتى فى خمسين من أبطال بنى قراد وسرق عبلة من بنى كندة وعاد وأنا كنت معه على سبيل المعاونة فقل علينا الزاد فنزلنا فى هذه الارض والمهادوصرنا نطلب الصيد لنقتات به على قطع هذا البر الاقفر وما زال مالك يحدثه ببعض الخبر ويخفى عنه الأكثر حتى جن الليل واعتكر فاضطجع الأعرابى ونام وبقيت الجارية واقفة على الأقدام وكانت قد تعبت من المسير وقلة الطعام ولما رأت مالك على تلك الحال زاد همها وكثر حزنها وغمها فصبرت على البدوى حتى غلب عليه الرقاد وغرق فى بحر السهاد فأتت الى مالك وحلت كتافه وقالت يافتى اطلب لنفسك النجاة فى هذه الفلاة ودعنى وهذا الشيطان المريد يفعل بى ما يزيد فقال لها مالك لا وذمة العرب لا فعلت ذلك ولا تركت هذا الجبار يتحكم بجمالك لأنه اذا فقدنى يعلم انه من فعالك وقد كرهت نفسى الحياة واشتاقت الى الوفاة ثم أنه وثب ليأخذ سيفه ويبادر الى خصمه ليقتله ويسقيه كأس حتفه فانتبه البدوى من المنام وسل سيفه وهجم عليه ليسقيه كأس الحمام وكان

مالكا قد ملك الحسام فتدانيا من بعضهما تحت غسق الظلام واخذا فى الضراب بالسيوف والطعن بالرماح الى ان طلعت غرة الصباح فتعجب مالك بعد ان اثخن بالجراح ورأى نفسه انه هالك لا محال فسلم نفسه اليه خوفا من شرب كاس الوبال فاعاده الى الشد والكتاف وقوى منه السواعد والاطراف وصار يقول له يا ابن الانذال كل ما حدثتنى هو زور ومحال ولابد ما اعدمك مهجتك لانك محتال ثم انه عاد الى الجارية وقد علم انها خامرت عليه فجلدها بالسوط وسدها على الناقة وساقها بين يديه وفعل بمالك مثل ذلك ثم ركب جواده وسار وقد ظن انه نال الفخار وانشد وقال: صلوا على المبعوث بالكمال

سلوا عن فعالى والدماء تسيلى بأعلى القنا والصافنات تجول
وتشهد لى بيض الرقاق وفى يدى نصول على الهامات وهو نصول
اذا قيل هذا اليوم لا يوم غيره أخوض نظى نيرانه فتزول
ويركض مهرى فوق أجساد فتية له من دماهم غرة وحجول
فلا تطالبوا مثلى اذا الخيل أسعرت فمثلى اذا اشتد الهياج قليل

قال الاصمعى ولما فرغ من كلامه طلع الى الاسواء من الوطى والشمس قد أشرفت على التلال والربى وتعالى نورها واضاء فرأى رجل يسعى فى جنبات تلك الفلا وقد اطلق قدميه وراء غزالة يريد ان يصيدها وهى سائرة بين يديه فى تلك السباسب تطلب الاتساع وهو وراها مثل الشهاب الثاقب حتى مسكها من قرنيها والبدوى ناظر اليها واذا قد طلع من وراءه عشرة فوارس متسربلين بالزرد النضيد على خيول تقطع مفاوز البيد وقدامهم فارس كأنه اللاميد والى جانبه فارس آخر يقاربه فى الهيبة والمنظر وكلهم الى الرجل سالبين وهم متبعين فلما نظر الاعرابى الى حسن لباسهم وجودة افراسهم وقلة عددهم مال البهم طمعا فى اخذ ما عليهم واما الفرسان القادمين فكانوا قد نظروا الى الناقة والهودج فى تلك الارض واسير مشدود بالعرض فوقفوا فى جوانب ذلك البر الاقفر وتقدم فارس منهم ليعرف حقيقة الخبر وأراد ان يسأل البدوى عن حاله فصاح فيه صيحة منكرة وقال له يا ويلك من تكون من فرسان

العرب انتسب ان كان لك نسب قبل ان يحصل بك العطب فعند ذلك زاد بالفارس الغضب وصرخ صرخة كاد عقله يستلب ويلك ما اعمى قلبك عن معرفة فرسان العرب وما اقل خبرتك بكل فارس منتخب ان كنت ماتعرفنى انا أعرفك باسمى أنا فارس الجلاد والصابر لوقع السيوف الحداد أنا مفرج الكروب الشداد حية بطن الواد والفادح النار من غير ذلك زناد ابن البيت الرفيع العماد والكريم الاباء والأجداد واشجع من ركب الجواد الامير عنتر ابن الامير شداد فمن أنت يا أحقر العباد ونسل الاوغاد ومن هو هذا الاسير الذى ظهر الجواد ومن هذه الحرة التى تصيح وتكثر التعداد وتطلب لها نصيرا من قيدها والانقاذ فعند ذلك قال له البدوى وقد اهتز على جواده طربا ومال عجبا اهلا وسهلا بحامية عبس ومرحبا بمن هو اسود الشمايل وأبيض الخصائل انى قد أتيت اليك قاصدا والى نحوك واردا فقد قرب الله خطاك وأنا الآن متمناك ثم انه أخبره بما جرى من امر خطبته واعاد عليه شرح قصته فقال له عنتر ومن هو هذا الاسير الذى معك مشدودا وعلى جواده مجهودا فقال له هذا مولاك الذى الحقك بالنسب وادخلك فى الحسب وتركك تذكر بين سادات العرب مالك ابن الملك زهير بن جذيمة صاحب الأخلاق الكريمة والهمة العظيمة ، قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الكلام صارت عيناه مثل الجمر فى الظلام فحار وانبهر وأخذته الفكر واذا ببسطام قد اقبل عليه وصار بين يديه وسأله عن الحال فأخبره عنتر بما سمع منه من المقال فقال له بسطام لله درك من فارس يا ابا الفوارس ما اخبرك بالأمور وعواقب الأيام والدهور لأنك حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان الكتاب . قال الأصمعى وان السبب فى ذلك لما رجع عنتر وبسطام والعشرة الفوارس من بنى شيبان الى ديار بنى كندة من خوفهم على بنى عبس ان يلحقهم لا حق أو يحصل لهم عايق من بعض العربان اقاموا باقى يومهم وليلتهم كامنين فى ذلك المكان الى ان أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ، فالتفت عنتر الى اخيه شيبوب وقال له جد بنا فى قطع هذه الهضاب لتقتفى أخبار قومنا حتى يكونوا خرجوا من أرض الرباب لاننى خائف عليهم من صروف الزمان وطوارق

الحدثان وبعد ذلك ترجع بأمان وتعود الى ديار بنى شيبان ففعل شيبوب ما أمره به عنتر وتبعه بسطام بمن معه من العسكر وعلم ان غاية عنتر بذلك هى شدة وجده الى عبلة ابنة مالك حتى انه لا يزال قريبا من ديارها يقتفى أخبارها ويتنشق من روائح آثارها اذا هبت الارياح بتذكارها لأن عشاق العرب والمتيمين قد جرت لهم فى ذلك عوائد ذكروها فى الاشعار والقصائد وكانوا يقنعون بالنسيم اذا هب من أرض الحبيب انه لا يداوى مرض قلوبهم بمنزلة الطبيب واذا رأوا نار المحبوب فى دجى الليل الداجى ارتجوه مثل الراجى كما قال الشاعر المفتون قيس بن الملوح الملقب بالمجنون :

اذا أضرمت ليلى على البعد نارها ... أشير اليها بالبنان مسلما
وان أخمدت عند الصباح أعدتها ... بزفرة نيرانى لهيبا تضرما
وتبرد أنفاسى اذا ما تنفست ... نسيم الصبا فى الليل من جانب الحما

قال الراوى ومازالوا سائرين والى اخبار قومهم طالبين الى ان قطعوا أرض الرباب وتلك الأرض والهضاب وقد ذهب ما كان فى قلوبهم من الغم والانقباض والتقوا بالفارس المذكور المسمى فياض وجرى لعنتر معه ما جرى لما سمع حديثه وقصته وعلم انه قد جاء ليطلب معرفته ورأى مالكا ابن الملك زهير مشدودا على ظهر فرسه وهو غاية فى الضرر والضير فلما رآه على تلك الحالة عظم عليه الأمر وصارت عيناه فى الم رأسه من الغيظ مثل الجمر فقال له بسطام دعنى وهذا الألف قرنان قال عنترة لا يا ابا اليقظان ما يشفى غليلى غير هذا الصارم اليمان فما فيكم من يتقدم اليه حتى لا يقال عنا لولا المكاثرة ما قدرناه عليه ثم أنه عاد الى قتال فياض بقلب أجرى من تيار نهر اذا فاض وأخذا فى المصادمة والاعتراض وطلع عليهما القتام حتى اسود ضوء النهار فى اعينهما بعد البياض ولمعت السيوف فى الغبار مثل البرق عند الايماض وكان لوقع المضارب هوى واستيقاض ولما رأى شيبوب الى ذلك الحال وقد اشتغلا فى الحرب والقتال اطلق رجليه نحو الناقة والهودج وصار أسرع من الطير وتأمل فى المشدود لينظر من هو من الناس واذا بمالك

ابن الملك زهير وهو يئن من شدة الجراح ويتحسر وينادى اين عينيك ترانى يا عنتر ويذم الزمان الذى ارفعه بيد ذلك الصعلوك وهو ملك من أبناء الملوك فدنا منه وحل شداده وأعاده الى ظهر جواده وجعل يقبل يديه ويسأله عما جرى عليه فحدثه بالقصة من اولهما الى آخرها وأطلعه على باطنها وظاهرها ثم قال له اطلب بنا مكان القتال حتى اشفى فؤادى بمصرع هذا اللئيم ابن الانذال وما زالا حتى اشرفا على معمعة الميدان وابصر عنتر وفياض مع بعضهما فى أشد ضرب وطعان وقد جرى بينهما من الحرب ما حير الفرسان واعجز عن وصفه اللسان الا عنتر كان قد اتعب خصمه وضربه بسيفه البتار واذا برأسه عن جسده قد طار وانطرح كأنه الجذع الممدود فى تلك القفار وخرج عنترة من تحت الغبار وهو يهمهم مثل الأسد الأكول وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

أقول لخصمى وهو يبحث فى اليد ... وقد مال كالبرج الرفيع المشيد
هنيئا لك الكأس التى قد شربتها ... فمات غفير الخد غير موسد
أنا عنتر الكشاف كل كريهة ... مبيد الاعادى بالحسام المهند
بى تفخر الفرسان فى كل معرك ... وتخضع لى الشجعان فى كل مشهد
سموت على كل الأنام بصارمى ... ورمحى وصبرى فى الوغى وتجلدى

قال الراوى فلما فرغ عنترة من شعره دنا من مالك وضمه الى صدره وعانقه عناق الحبيب المشتاق وترامى لدى ترامى العشاق وهناه بالسلامة من الاسر والوثاق وظهر له ما بقلبه من الاشواق وقال له يامولاى يعز على ما قد جرى عليك وما وصل من الشر اليك فلا كان يوما تصل اليك فيه يد الزمان وعبدك عنتر راكب على ظهر الحصان فشكره مالك وقال يا ابن العم انك لنعم الرفيق وخير شفيق وصديق فخيب الله من يبعدنا عن طلعتك ويحرمنا أنسك ورؤيتك ثم انه حدثه بما جرى بينه وبين أخيه شاس من اجله على التمام وكيف غضب شاس على مالك ابو عبلة وما جرى بينهما من الحديث والكلام ومسير الامير شاس فى أكثر الابطال طالب الاهل والاطلال وفى صحبته الامير شداد مع عروة بن الورد وزخمة الجواد وكيف قل عليهم الزاد وخروجه للصيد فى ارض

الرباب وما جرى بينه وبين فياض الجار من الاسباب الى ان التقاه وخلصه مما كان اعتراه هذا وبسطام قد تقدم الى مالك وكذلك شيبوب مع كل من كان هنالك وهنأه بالسلامة من المهالك وقال له عنترة الرأى عندى يامولاى أن تعود من وقتك الى بنى عبس وتلحق بهم قبل غروب الشمس ولا تذكر لهم انى أبصرتك ولا انك اسرت وخلصتك بل تقول لهم انى كنت فى الصيد والقنص وانتهاز الفرص فامسى عليك المسا وأنت فى غاية التعب فوقعت فى حى من احياء العرب فحلفوا عليك وانزلوك وأضافوك وأكرموك حتى لا تنحط منزلتك فى الحلة ولا يلومك احد بالجملة ولا يقول عمى مالك انى ما قدرت أصبر على عبلة وانى تبعت آثارهم فى الطريق من شدة الاشتياق ونيران الحريق وانا وحق زمزم والمقام والمشاعر العظام ما فعلت هذه الفعال الا خوفا عليك من بنى كندة الانذال ثم انه بعد ذلك اطلق الجارية التى استجارت بمالك واعطاها الناقة والسلب وهناها بالسلامة من العطب وقال لها سيرى فى زمامى وأمانى ولا تخافى من كل قاص ودان فلو تعرض لك كسرى هدمت ايوانه وهلكت جنوده وفرسانه فعند ذلك قبلت رجله فى الركاب وأثنت عليه وعلى من معه من الاصحاب وأشارت تمدحه بهذه الأبيات صلوا على طه الرسول

وقيت كل فجائع الايام ... وبقيت محروسا مدى الاعوام
وغدوت ذا رأى مضى تزدهى ... أنوار بهجته بكل ظلام
يا عصمة من كل خطب فادح ... أصبحت عن كل الانام تخامى
مازلت فى درج المعالى راقيا ... ومسلما من صرف كاس الحمام
وتبيت فردا لايرى لك ثانيا ... بين الانام وجد سعدك سام

قال الراوى هذا وبسطام قد تعجب من قول عنترة وعلم انه يفعل جميع ما يقول وأكثر ثم ان مالكا عاد طالبا ارض الرباب وعنترة وبسطام من وراه خوفا عليه ان يصاب الى ان وصلوا الى تلك الهضاب وهم عنترة ان يعود واذا بالطير يحوم على تلك المنازل والرسوم والوحوش تعوى فى اقطار الفلا وتجول فى طلب اجساد القتلى فقال عنترة لمالك والله يامولاى ان هذا بئس الفال وامر يدل على اهلاك والوبال وما خوفى

الا على بنى عبس ان يكونوا قد اصيبوا بعدك باعظم مصاب واتفق لهم امر لم يكن فى حساب فقال مالك ابن زهير صدقت والله يا ابا الفوارس انى اعلم ان لجاج عمك لا يودى الى خير ولابد ان يحل به البلا والضير ولولا ذلك ما كان ترك اهله والتجأ للغير وانى اشتهى من اله السماء وخالق النور والظلماء ان يكون عمك من جملة القتلى فى هذه البيداء ثم انهم تقدموا قليلا فوجدوا القتلى منطرحين فى سائر الجنبات والدم قد غير الوان النبات والرماح محطمة والسيوف مثلمة والاجساد على بعضها مكومة فعندها صاح عنترة واحرباه قد صح هذا الخبر والله ما بقيت من هنا حتى اعرف لعبلة اثر ثم انهم نزلوا جميعا وساروا يقلبون القتلى ويقولون هذا فلان وهذا فلان الى ان سمعوا صوت نزاع وانين يدل على ان صاحبه قد أشرف على الهلاك المبين فتبينوه واذا به مالك ابو عبلة وهو مجروح وعلى وجه الأرض مطروح وقد صار جسده بلا روح ودمه قد اختلط بالتراب والطير يتهافت عليه كتهافت الذباب على الشراب فنادى شيبوب الى اين تمضى ياخى فى هذه الفلاة وعمك هذا المقال تقدم اليه بمن معه من الرجال فرأوه فى اسوأ حال فشدا جرحه ورشوا على وجهه الماء ففتح عينيه فأبصر مالك بن زهير وعنترة مالك ملطخ فى دماءه وقد لافاه الله بغية وجازاه فلما سمع عنترة من اخيه ابن اخيه من حواليه وقد دبت الروح فى جسده وعاد اليه عقله ورشده فقال له عنترة والله ياعماه من هذا الأمر آنا خايف عليك وكنت أقترب بكل ما أقدر به الخير اليك وان تركب معى طرق اللجاى حتى أوقعك الله فى هذا العذاب والهياج فرد عليه بصوت خفيف من قلب ضعيف يا ابن اخى قد مضى مامضى وانتهى الماضى وانقضى وما عدت من الآن وصاعدا أفارقك ابدا ومن هذا اليوم قد صفا لك قلبى وكبدى وعرفت أنى كنت ظالم ومعتدى واين ما ذهبت القى الذل والهوان فارحمنى واحملنى الى بنى عبس وعدنان حتى آكون لك من جملة العبيد والاعوان ولا بقيت أسمع فيك كلام انسان فقال له عنترة حبا وكرامة ابشر يا عم بالخير والسلامة ولكن مرادى آن تخبرنى من الذى فعل بكم هذه الفعال واين ابنك عمرو وابنتك عبلة وباقى الرجال فقال يا ابن اخى الكل فى قبضة أنس بن مدركة الخثعمى الفارس الصنديد وقد التقينا به نهار امس فى هذا البيد ومعه الف فارس من بنى خثعم ونحن فى اشد

مايكون من التعب الشديد وكان الأمير مالك وأكثر الفرسان أصحاب الخيل الجياد قد أنفردوا فى طلب الصيد والقنص بين التلال والوهاد فدار من حولنا بالمواكب وفرق علينا الخيل من كل جانب وترك رجالنا كما ترى مبددين فى جنبات الصحراء وساق معه اسرى ومازلت اقاتل عن زوجتى وابنتى وولدى حتى عملت الرماح فى جسدى فوقعت على وجه الارض وليس لى مسعف ولا معين ولولا قدومكم على كنت من الهالكين قال الراوى وكان الذى فعل بالقوم تلك الافعال وفتك فى الرجال والابطال فارس لا يقاس بالفرسان وبطل تبطل عند قتاله حيل الشجعان وكان يقال له أنس بن مدركة وهو من بنى خثعم وكان موصوفا بالفروسية والكرم والفصاحة وعلو الهمم فاتفق أنه خرج ذات يوم مع قومه للغزو والمكسب كما جرت فى مثل ذلك عوائد العرب فقطعوا القفار وسلكوا المفارز والاوهاد فالتقوا ببنى عبس وهم راجعون من بنى كندة وتلك الديار فعند ذلك صاح أنس فى بنى عمه وقال لهم قد أتانا التوفيق وبلغنا المآرب وتيسرت علينا المطالب ثم أنه استقبل القوم بطعن خارق وضرب أشد من نزول الصواعق وصار ينثر الفرسان ويجندل الاقران فى ساحة الميدان وفى دون ساعة فتك وظفر فقتل من قتل واسر من أسر وكان قد حصل لعبلة من الغم والكدر مالم يحصل لقلب بشر فامتنعت عن أكل الطعام واحترمت لذلك المنام وصارت الدنيا فى عينيها مثل الظلام نظرا لفقد أبيها ومن يلوذ بها وكان أنس لا يفارق شراب المدام فأقام فى ذلك المكان الى ثانى الأيام فأكل وشرب الخمر مع الأبطال وهو فرحان بما قد حاز من الأموال ومازال كذلك حتى مضى من النهار الأكثر وكان بنو عمه قد وصفوا له فصاحة عنتر وما قاله فى حق عبلة من الشعر المفتخر وذكروا له قدها واعتدالها وظرفها ودلالها فقال لهم اما قلت لكم ألف مرة لا تصفوا لى واحدة من النساء لا أمة ولا حرة ولا تذكروا لى سوى احاديث الحرب ومواقع الضرب وما جرى بين الشجعان والأبطال فى معامع القتال ومواقف الاهوال وما هو الغرام عند الحرب الصدام وكيف يجوز للرجل أن يسلم قياده ويملك الى النساء زمام فؤاده وحق ذمة العرب وشهر رجب ان ألم الجراح وطعن الرماح ومعامع الكفاح أحب الى من ذكر النساء الملاح ثم انه صبر الى أن

انصرف بالنهار فهجع ساعة من الليل ثم سار بقومه يطلب الديار وزالوا مجدين السير وهم يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار والعبيد تسوق الخيل والجمال والغنائم والاموال حتى طلعت الغزالة على الروابى والتلال فآمر فى النزول على مياه بنى هلال وكانت عبلة لم يغمض لها جفن فى ذلك الليل الطويل وهى مواظبة على البكاء والعويل والندب بالويل والتنكيل لأنها قد آيست من أبيها وابن عمها واخيها وكان آنس ابن مدركة قد سمع بكاها وصيحها وعويلها ونواحها فآلتفت الى بنى عمه وقال لهم من تكون هذه الجارية التى كانت تبكى فى جنح الظلام الهادب وتندب كأنها حمامة الوادى . فقالوا ايها السيد العظيم والبطل الكريم هذه الجارية هى التى فى مجلسك قد ذكرناها وشرحنا لك أمرها ووصفناها فما رأينا قط أفرح من قلبها ولا أكثر من حزنها وكربها ولها الآن نحو يومين ماذاقت من الزاد ولا هدأت من النوح والتعداد ولاشك ان يكون قد قتل لها من يعز عليها اما اخوها أو احد ولديها فقال لهم بالله عليكم يا بنى عمى أحضروها امامى حتى أنظرها واكشف عن حقيقة خبرها وأطيب قلبها حتى يسكن وعيها فعند ذلك احضروها اليه بين يديه وكشفوا البرقع عن وجهها فنظر الى طلعتها وحسن صورتها ورأى دموعها تسيل من طرف كحيل ذات حسن وجمال وقد واعتدال تسبى عقول الرجال فلما رآها خفق فؤاده من شدة البلبال وخيل له أنها رشقت فؤاده فى نبال وكان آنس متكأ من تعب السفر فجلس وقد تغيرت أحواله وزاد عشقه وبلباله وقال لها ويلك أما تقلى من هذا البكاء والانتحاب أخبرينى هل قتل لك أحد من الأهل والأصحاب فقالت له وقد زاد حزنها وهمها وسترت وجهها بفاضل كمها قد قتل أبى فى هذه الواقعة وكانت بسببه هذه الفجعة وقد تجرعت من الغصص ألف جرعة ثم انها ألقت نفسها الى الأرض وقد هلا نداها وزاد زفيرها وبلاها وكثر عويلها وبكاها فقلق آنس لأجل شكواها وقد تمكن قلبه فى حبها وهواها فالتفت الى من حوله وقال لهم اعلموا أن هذه الجارية قد قتلتنى بلحظها المكسور فامسى قلبى وهو فى يدها مأسور وكان لا يعبأ بهذه الأمور ولا يعرف حاسيات الغرام فانقاد الآن الى سلطان الهوى حتى صار له

من جملة الخدام والآن مرادى ان تحضروا لى آهلها حتى آطلبها لنفسى وآخطبها ولا هلكت روحى بسببها وان آمتنعوا فليس لهم خلاص الا التهديد والقصاص وبعد ذلك افعل بهم ما اريد ولا آخاف من كل جبار عنيد .

ولما آنتهى من كلامه آحضروهم بين يديه فوقفوا آمامه وسلموا عليه فآعاد عليهم الحديث والايراد وخطب منهم عبلة بنت مالك بن قراد فقالوا له انه يكون لنا فى ذلك الشرف الأكبر والحظ الاوفر لأنك صاحب الفضل والاحسان والذكر العالى الذى شاع بين العربان غير انه لا يخفاك آن هذه الجارية آمرها بيد آخيها عمرو بن مالك ونحن لا نخالفه بذلك وكان عروة بن الورد واقفا بجانب عمرو آخى عبلة فقال له عمرو آشير عليك برآى يكون لنا فيه الخير والصلاح وبلوغ الأرب والنجاح ان آردت ضرب رقبته وسلب نعمته وهلاك آهله مع عشيرته زوجة باختك ودعه يتسمى عليها من ساعته فلعل الله يرسل اليه عنتر فيصرم عمره ويخلصنا من شره ويكفينا آمره قال عمر ماهو بايا اباالابيض آشر به على لعله يآتى فى الغرضيات غرض قال له لأنك قد جربت آحزانها وآتراحها وعرفت آعراسها وآفراحها قال عمر يا عروة انى وذمة العرب من هذا الأمر حيران لأنى انا ان انعمت بزواجها الى هذا القرنان آخاف آن يآتى عنترة اليها فى المكان فيقتلنى ولو كنت فى حجر الملك النعمان أو كسرى انوشروان وان لم آنعم بذلك اخاف ان يسقينى كآس المهالك قال له عروة زوجه بها واترك الهذيان بشرط ان لا يدخل عليها فى هذا المكان الا عند وصوله الى الأوطان واعلمه انها متزوجة بابن عمها عنتر فارس البدو والحضر واطلعه على هذه الأمور والاسباب لعل يآتى لنا فى العرضيات مالم يكن فى حساب وانا الضامن لك ان يكون عليه يوم بؤس وتكون عليه هى اشأم عروس فيهبط برج سعده ويكون طالعه منحوس . قال الراوى ولما آبطآ عمرو بالجواب زاد بآنس القلق والاضطراب هذا وجمع الحاضرين يشورون عليه بهذا الزواج وهو الست آنا كفؤ لهذلها من الغير وآولى واحق بها من كل امير ومولى الست آنا كفوءا لهذا من الغير وآولى واحق بها من كل امير ومولى اما سمعت باخبارى وعلو مكانى ورفيع قدرى وعظيم شآنى فقال عمرو

نعم انى قد سمعت وعرفت وأنت بالحقيقة فوق ما وصفت ولكن اعلم أيها الامير والسيد الخطير ان هذه الجارية كان ابوها قد زوجها بابن عم لها فيما مضى وقبض مهرها وانتهى الامر وانقضى . ثم ندم بعد ذلك وحسن له الشيطان جحود الجميل والاحسان ومازال يهرب بها من مكان الى مكان ان كان ماكان وانا يامولاى من عاقبة هذا الامر فزعان وأخاف ان زوجتك ورجعت الى الأوطان فيأتى ابن عمها ويقتلنى دون كل انسان ولو احتمى لى كل من فى بنى عبس وغطفان وفزارة وذبيان لانه آفة من آفات الزمان وطارقة من طوارق الحدثان لا يقاومه فارس فى الميدان ولا يلقاه احد من جبابرة العربان فقال له أنس وقد استشاط غضبا من كلامه ويلك ياخبيث وما يقال لهذا الفارس الذى وصفته بحضرتى وحدثت عنه بهذه الصفات والاحاديث فلاشك انك قليل الخبرة بفرسان العرب وابطالها وسادتها واقيالها . قال عمرو ايها الامير هو الاسد الواثب والليث الغالب فارس المشارق والمغارب الذى قتل خالد بن محارب وأنزل على قومه البلاء والنوائب وجللهم ثياب الحزن والمصائب وقد أفنى الابطال ومزق الكتائب وخضع لسيفه كل ماش وراكب صاحب المهر الادهم والرمح المقوم والسيف المخدم الذى فاق بشجاعته فرسان العرب والعجم فقال له أنس قد حيرتنى بوصف هذا الفارس والقوم المداعس ولكن مابينت لى اسمه ولاكشفت لى عن رسمه قال يامولاى هو البطل الجواد الذى قهر بسيفه الابطال والشداد وأذل برمحه جميع فرسان العباد حية بطن الوادى القادح النار من غير زناد حامى قبيلة عبس وآل قراد الامير عنترة ابن شداد وما حدثتك عنه الا واذا صادق فى المقال وليس فى وصفى هذا زور ولا محال . قال الراوى فعند ذلك التفت انس الى القوم الحضار وقال لهم هل فيكم أحد سمع باسم هذا الرجل الجبار الذى ازعجنى بذكره هذا الغلام وأوقد فى قلبى منه نارا شديدة الاضطرام فقال له شيخ من الحاضرين وكان قد اختبر الايام والسنين واعلم يا أنس أنى قد سمعت بحديثه من مدة اعوام حدثنى به رجل صاق فى الكلام وذكر لى عنه انه فارس اسمر شديد البأس لطيف المحضر ليس له شبيه فى فرسان العرب قد ذلت له رقاب الملوك واصحاب المناصب والرتب وما زوجه عمه بابنته الا فزعا منه خوفا من القتل

والعطب لأنه القاه فى مصيبة وعاد منها فى بلوغ الأمان والارب ولما لم يعد له على المحاولة امكان ما كان منه الا انه هرب بها من مكان الى مكان وقد زوجها ما ينوف عن عشرين مرة بفرسان العربان ولم ينتجز لها أمر ولا شأن وكان قد زوجها اخيرا بمستحل ابن طراق فارس بنى كندة وتلك الافاق فالتقاه فى الطريق فقتله واعدمه التوفيق وتركه ملقى على الارض كأنه الفنيق وقد تخلى عنه كل رفيق وصديق وخل وشفيق وأب وشقيق وكل من طلب ان يتزوج بها او يتعرض لها كانت سبب منيته بلا تعويق والرأى عندى ان لا تتعرض لهذه العروس لأننى تأملت فى كعب رجلها فعلمت ان طالعها منحوس على من ارادها له عروس .

قال الاصمعى فلما سمع أنس من الشيخ هذا الكلام زاد به الوجد والهيامم وأخذ قواده القلق وهام والتفت الى بنى عمه وقال وحق البيت الحرام والركن والمقام أننى من حين انتشيت ما ذقت طعم لهذا العشق والغرام وما دخل فى قلبى غير حبى لهذه الجارية التى ليس لها مثيل فى نساء عرب البادية الا ان هذا الشيخ قد انسانى حبها وهما لما ذكره لى من صفات ابن عمها لأنى كما تعلمون احب ملاقاة الفرسان ومبارزة الأقران والشجعان والرأى عندى ان تبقى هذه الاسرى فى الاعتقال والجارية بين الحريم والعيال الى ان يأتى ابن عمها بالرجال والابطال ليخلصها من الأسر والنكال فحينئذ تعلمون من الشجاع ومن الجبان اذا اختلفت بينا مواقع الضرب والطعان ثم امر باكرام عبلة وخدمتها تعظيما لمقامها وحرمتها وقال فى نفسه ان كانت هذه الجارية هذه حالتها وهى الشقاء والحزن قد البسها الله ثياب الحسن فكيف اذا طابت نفسها وشبعت من الزاد صباحا ومساء ولبست الثياب البهية وابصرت حكمها فى الرجال والنساء قال الناقل ثم انهم رحلوا من ذلك المكان وجدوا فى قطع البرارى والقيعان حتى مضى نصف النهار وكانوا قد قطعوا اكثر القفار واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الاقطار وبعد ذلك تقطع وانكشف عن فرسان مسرعة وغبارها كالضباب مرتفعة فقال انس الى ابنى عمه اكشفوا لنا خبر هذه العبرة الطالعة والفرسان الغايرة المتتابعة وهل تحتها مال ننهبه أو طعن نكسبه ونأخذ منه سلبه فعند ذلك

تسارعت مائة من الفرسان طالبة ذلك المكان . قال الراوى وكان تحت ذلك الغبار الذى ظهر فى ذلك البر الأقفر آبو الفوارس عنتر فارس البدو والحضر وبسطام سيد بنى شيبان الأسد الغضنفر وكان السبب فى ذلك آن عنتر لما سمع من مالك ابى عبلة ذلك المقال وابصره على تلك الحال واعلم آن آنس بن مدركة هو الذى فعل بهم هذه الفعال نهم كما ينهم الأسد الريبال وترك شيبوب عند عمه مالك مع فارسين من بنى شيبان وقال لمالك ابن زهير آقم يامولاى فى هذا المكان الى آن نذهب ونخلص اصحابنا ونعود اليكم ونطلب الاوطان لانك منزعج من آلم الجراح وانى آخاف عليك من غوائل الحرب والكفاح ثم قال الى بسطام اركب يا آخى آنت ورجالك من هذه الخيول الشاردة حتى ترتاح خيلنا فنركبها فى وقت الحرب والمجاهدة وان شئت آن ترجع من هنا الى آهلك وتعود فافعل وآنت على هذه الحالة مشكور محمود لأننا قد آتعبناك معنا وبذلت فى خدمتنا المجهود فقال بسطام وحق الاله الدائم الدوام الذى خلق الارواح والاجسام وآفرق ما بين الحلال والحرام آن خدمتك واجبة مدى الأيام وقد آوجبتها على نفسى مثل الحج الى بيت الله الحرام وزمزم والمقام فوالله آنى لا آفارقك ابدا ولو شربت كآس الردى حتى تنهى قصتك وتزول عنك غصتك وتدخل بزوجتك وبعد ذلك ارجع الى آهلى عن خدمتك فقال له عنتر لا عدمتك من حبيب وصديق وآخ ورفيق وآنا آقول ان قصتى قد هانت باذن الله السميع القدير وماتبقى منها الا الشىء اليسير وان شاء الله عند الصباح آدرك القوم وابذل السيوف فيهم وآخلص عبلة وقومها من بين آيديهم قال الراوى ثم آنهم ركبوا من الخيول الشاردة كما آمرهم عنتر وساروا من وقتهم خلف القوم يقتفون منهم الآثر حتى اشرفوا عليهم كما ذكرنا فى ذلك البر الاقفر فتآهبوا للحرب والجلاد وفى آوائلهم عنترة بن شداد وآبصر بسطام الخيل قد انتشرت لأجل كشف الاخبار فقال عنترة وحق ذمة العرب الأخيار دعنى الى لقاء هؤلاء الاعادى حتى آشفى منهم غليل فؤادى لأنهم ليسوا باكثر من مائة فارس فان كنت خلف ظهرى التقيتهم وآنزلت بهم الوساوس فتبسم عنترة من كلام بسطام وقال له افعل ما تريد آيها البطل الهمام والاسد الضرغام لانك قد اقسمت على بذمة العرب الكرام

وآنها والله عندى أعظم الاقسام فعند ذلك أطلق جواده ذات النسور واستقبل القوم وكانوا مقبلين نحوه مثل الصقور وكان فى أوائلهم فارس من فرسان بنى خثعم يقال له مبادر بن غشم وهو ابن عم أنس بن مدركة الذى على السرية مقدم فسمعه بسطام وهو يقول أخبرونى من أنتم من أوباش العربان ومن أين أقبلتم الى هذا المكان قبل أن اطير رؤوسكم عن الابدان ونضحى جثثكم للوحوش وكواسر العقبان فلما سمع بسطام منه ذلك الخطاب انقض عليه انقضاض العقاب وطعنه بسنان الرمح فى صدره خرج يلمع من قفار ظهره فرقع عن ظهر الحصان وانطرح قتيلا على بساط الصحصحان وأبصرت جماعته تلك الطعنة فبادروا اليه كأنهم الاسود الكواسر وهم ينادون واأسفاه يامبادر ثم أنهم انطبقوا على بسطام فى تلك البطاح وقد أكثروا من الصريخ والصياح وهم يقولون بعضهم لبعض دونكم وهذا الطنجير خذوه أسير وقودوه الى حضرة ابن عمكم قود البعير حتى أنه يقتله بثأر ابن عمه ويشفى ما بقلبه من همه وغمه فلما سمعوا هذا الخطاب تشددت عزايمهم للضرائب والطعان فانقسموا قسمتين وافترقوا فرقتين وطلب عنترة سبعين فارس وأحاط الباقى ببسطام مثل الابالس فالتقاهم عنترة بجواده الابجر كما تلتقى الارض العطشانة وابل المطر وصار ان ضرب شطر وان طعن دثر وما زال يطعن الخيل ويمزق بالطعن أجنابها واذا ازدحمت عليه طير جماجم اصحابها فولى من تبقى أمامه وهم يتعوذون من وقع طعانه وضرب حسامه وكان أنس بن مدركة قد تبعهم ببقية الفرسان والابطال حتى اقترب الى معركة القتال وكان عنترة فى ذلك الوقت قد قضى الاشغال وماسم من السبعين الفارس الذين كانوا يقاتلون غير خمسة من الرجال فولوا من بين يديه وهم يضربون أكفال الخيل ويلتفتون الى وراهم من شدة ما حل بهم من الويل فقال لهم أنس ما حالكم وما الذى أصابكم ونالكم قالوا والله ما أصاب احدا مثل ما اصابنا ولو اننا ثبتنا قليلا لكانت ضربت رقابنا وحل بنا ما حل بأصحابنا فقال وقد اندهش واعتراه الخبال ويلكم هذا كله جرى عليكم من عشرة رجال قالوا لا وابيك أيها الفارس الريال ان الذى دهانا هو رجل واحد من الابطال ترتج من صدماته الاودية والجبال وقد رأينا منه أعظم الفعال لأنه كان يلتقط

الفارس منا فى عرصات المجال ويضرب به الآخر فيموت الاثنان فى عاجل الحال وكان جواده يعينه على قتال الفرسان وهلاك الشجعان لأنه كان يفتح فاه مثل الغول فيراه الفارس فتنحل عزايمه ويحل به الخمول فبينما هم كذلك واذا بثلاثة فوارس قد أقبلوا من معركة الصدام وهم من جملة الثلاثة الذين كانوا فى قتال الامير بسطام فتلقاه أنس وقد انقطع قلبه وزاد بلاه وكربه وقال لهم ويلكم ما هذا المصاب فقالوا له لاتطل علينا فى الخطاب ولا تزد فى الملام والعتاب فقد رأينا فارسا كأنه العقاب ليس له مثيل فى قبائل الاعراب فعند ذلك أبدى أنس الضحك من قلب الغضب وانصدع فؤاده والتهب وقال هذا والله من أعجب العجب وهذا هو الرجل الذى وصفه لى الشيخ انه طرق ديار كندة فى مائة فارس من أهل النجدة وقتل مسحل بن مطرق الذى يضرب به المثل فى الافاق وقد آليت على نفسى ان لم أقتله لا أقرب زوجته ولا اتزوج بها وها هو قد أتى فى طلبها ولو عرفت من الأول أنه عنترة لما كنت سمحت لكم بالخروج اليه خوفا من هذا الامر المنكر والآن قد أقبل الليل واعتكر وما بقى فى الامر الا اننا ننتظر وحينئذ ترون ما أفعل به عند الصباح فى معركة الكفاح ثم انه عاد الى مكانه الاول وقلبه يغلو كالماء فى المرجل وعزم على قتل الاسرى ليشفى منهم غليل فؤاده نظير ما فعل عنترة فى عسكره واجناده فمنعه عقلاء قومه من هذا المرام وقالوا أيها البطل الهمام ليس هذا الامر بمشكور ولا يحدث الا من الغافلين عن تقلبات الدهور والرأى أن تصبر الى الصباح وتبارز هذا الاسود وتنظر مايتجدد فان انتصرت عليه بباعك الشديد فعلت به وبقومه ما تريد لأن المثل يقول من لم يتبصر بالعواقب ليس له الدهر بصاحب فلما سمع منهم هذا الخطاب رآه عين الصواب .

قال الراوى وكان قد بلغ الأسارى ما فعله عنتر فى ساحة الكفاح فوقعت بهم البشائر والأفراح وقد ظهر لهم وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والتفت عروة بن الورد على عمرو بن مالك ومن اجتمع من بنى عبس هنالك وقال له اما قلت لك ان كنت تروم النجاة من الاسر والتهلكة زوج اختك بأنس بن مدركة فهاقد تمزق شمله فى هذه البطاح

وكساه عنتر ثوب الذل والافتضاح ومع ذلك كله لم تعقد عليه عقد النكاح ولو كنت أنعمت بتسميتها عليه كما تسمى الرجال على النساء ما كان أمسى عليه هذا المساء قال الاصمعى هذا ما جرى لهؤلاء من الايراد وأما ما كان من عنترة بن شداد فانه لما عاد بسطام اليه أبصر الأرض مفروشة بالدماء والقتلى من حواليه فتعجب وضحك حتى كاد يغشى عليه وقال والله ياسيد الأبطال كلما أردنا ان نتحمل عنك بعض الأشغال ونخفف عنك الأحمال والأثقال نراك تسبقنا الى مواقف الاهوال فلا زالت أيامك فى هناء وسرور وغبطة وحبور مادامت الايام والدهور فشكره عنتر على مقاله واثنى عليه وعلى رجاله وما زالوا يتحدثون فى مثل هذا الى أن ذهب الليل الحالك وأقبل النهار الضاحك فنهض آنس فى بنى خثعم وغاص بالحديد وتسربل بالزرد النضيد وركب جواده واعتقل آلة حربه وجلاده وتقدم الى ساحة الميدان بمن معه من الابطال والفرسان وكان عنتر بن شداد قد ركب ظهر الجواد وطلب الحرب والجلاد وأراد بسطام أن يسبقه ويتقدم فمنعه عنتر وقال له لا تعز بنفسك فتعدم لأنى أخاف عليك من نوائب الزمان والآن ينهد ركن بنى شيبان لأن الشجاعة لائحة على أعطاف هذا القرنان والفروسية تشهد له بثبات الجنان والصواب أن ابرز اليه وانجز أمره واصرم لكم عمره فاذا أبصرتم قومه وأنا معه فى الصدام وحملوا على كافحوهم بحد الحسام ثم أنه حمل بعد ذلك على آنس وعيناه تتوقد من شدة الغيظ مثل القبس فرآه ينظر الى خلفه ويهز رمحه على كتفه وقد نبه للحرب جواده وهو ينشد وقد طفح فؤاده صلوا على النبى العدنان :

صبوحى ضرب جمجمة وصدر ... وكاسى صارمى لاكاس خمر
وشربى منى دم الفرسان صرفا ... على النغمات من بيض وسمر
وعاداتى اقتناص الاسد قهرا ... من الغابات فاعلم ثم أدرى
وقد أصبحتا نشوانا طربا ... وقد كسر الغرام لهام صبرى
لأجل غزالة صادت فؤادى ... بطرف لواحظ كحلت بسحر
عبيلة فى الفؤاد لها مكان ... أهاج تلقى واطال فكرى

وهـــذا اليوم اترك عبد عبس قتـــيلا فى الفلا ينهشه نسـرى
واتـــرك فى ديـــار بنى قـراد عويـــلا دائمـــا فى كل فجـر
واحظى بالفخـــار على البرايـا بقتلته ويعلـــوا فيه قـــدرى

قال الراوى فلما سمع عنترة شعره تعجب من عظم جهله وكثرة عجبه بنفسه وقلة عقله فصاح فيه ويلك ياقرنان اما سمعت بما جرى على غيرك من الفرسان عن ذكر عبلة بالشفة واللسان وحيث قد ذكرتها بشعرك فسوف تلقى كيدهم فى نحرك وتندم على عاقبة غدرك فقال بلى والله يا عبد اللئام قد سمعت بحديثك قبل هذه الايام وانك بعد رعى الجمال اعطيت سعادة واقبال فقتلت جماعة من صعاليك الرجال ثم خطبة ابنة عمك بالزور والمحال وساقك الاجل الى قرب فناك وبكون على يدى هلاكك ومنتهاك وقد آليت على نفسى آن لاأدخل على عبلة حتى أقطع رأسك وارغم انفك واخمد انفاسك والآن قد انتجز امرى وقبلت الايام نذرى وبلغت كل ما أؤمله من دهرى ثم انه حمل بعد كلامه هذا على عنترة وظن انه كمن لاقى من البشر ولم يعلم ان عنتر فارس البدو والحضر فتعجب عنتر من مقاله وآوسع معه فى محاله وعلم انه أصبر من غيره على النوائب واخبر بحوادث الامور والعواقب من كثرة ما لاقى من مكايد الدهر والتجارب فصال وآجابه على شعره وقال صلواعلى المبعوث بالكمال :

اذا لعب الغـــرام بكـل حـــر حمدت تجلدى وشكرت صبرى
وفضلت البعـــاد على التـدانى واخفيت الهـوى وكتمت سرى
ولا ابقىَ لعـذالى مجـالا ولا أشفى العـدو بهتك سترى
عـــركت نوائب الأيـــام حتى عرفت خيالهـــا من حيث يسرى
وذل الدهـــر لمـــا أن رآنى ألاقى كـل نائبـــة بصـــدرى
ومـــا عـــاب الزمـــان عنى لونى ولاحظ السواد رفيع قـــدرى
اذا ذكر الفخـار بأرض قـــوم فضرب السيف فى الهيجاء فخرى
سموت الى العلى وعـلوت حتى رأيت النجم تحتى وهـو يجرى
وقوم آخرون سمعـــوا وعادوا حيـــارى مـــا رأوا انرا لا ثرى

قال ثم انهما جالا فى عرض البر وأخذا فى الكر والفر واختلفت بينهما المضارب بالسيوف اليمان ووقفت الفرسان تنظر ما يجرى لهما من عجائب الطعان ساعة من الزمان حتى صار الغبار فوقهما شنة الدخان فغابا عن العيان وكانا تارة يفترقان وتارة يجتمعان ثم يوسعان فى مكان الصحصحان وقد خابت فيهما الآمال وامتدت اليهما أعناق الرجال وحامت على رؤوسهما طيور الآجال وافترق لسان الصدق عن لسان المحال لا يزالا فى أشد قتال حتى تثلمت فى أيديهما النصال وتقصفت الرماح الطوال وارتعدت خيلهما وقد اعتراها التعب والملال وتطايرت من أفواهها الزبد حتى صارت كاشداق الجمال وابصر أنس من عنترة ما لم يكن له على بال . قال الراوى ووصل الخبر الى عبلة فى الخيم ان عنترة فى قتال أنس بن مدركة سيد بنى خثعم فنادت من وسط السبى باعلى صوتها وقد عاشت روحها بعد موتها يا ابن العم لا أذاقنى الله فقدك فما نشفت لى دمعة من بعدك فجد الآن فى قتال خصمك واظهر قوتك وشد عزمك وخلص جاريتك وابنة عمك فقد ساءت أحوالها وقتلوا أهلها ورجالها وعاندها زمانها وتشتت عن أوطانها فلما سمع عنتر نداها تألم قلبه لشكواها وصاح على أنس صيحة عظيمة أرهبه وأوهنه واتبعه وكان قد اعتركا واندمجا حتى انقطع منهما الأمل والرجا وصار النهار عليهم دجى ثم لاصقة وضايقة وسد عليه طرقه ومد يده واقتلعه من ظهر الجواد ورفس حصانه برجله القاه على وجه المهاد فعندذلك ماجب فرسان خسعم وتجردت للمانعة واحتشدت للمقارعة والمدافعة وهجمت كالبرق الخاطف وزعقت كالرعد العاصف واندفعت على عنترة كالريح العاصف فالتقاهم بسطام بمن معه من الابطال وصاح فيهم صيحة الاسد الرئبال وطعن فى الصدور والرجال وجعل ينادى أحفظ أسيرك يا فارس عدنان وسيد أبطال هذا الزمان فانا اكفيك شر بنى خثعم واسقى أبطالها كؤوس النقم وكان عنتر لما تمكن من انس بن مدركة عول ان يكتفه ويلقيه على بساط المعركة فدافع عن نفسه وتمنع لانه كان فارس صميدع فضربه على كتفه بالسيف المنهد القاه جريحا على الارض كالجزع الممدد ثم حمل لمعاونة الامير بسطام وجد فى ضرب الحسام ونثر الجماجم تحت الاقدام وبدل فيهم سيوف الانتقام هذا

وقد ارتفع القتام وبطل العتب والملام وقل الخطاب والكلام وكان يوما عظيما على القوم ولم يروا مثله من عهد الاسكندر الى ذلك اليوم ورأت الاعداء الى ضرب أشد من تزول الصواعق وطعن يسابق مصائب الايام والطوارق فانحلت منهم العزائم وخيل لهم أن البر كله رماح وصوارم فهان عندهم ترك الاموال والغنائم وتفرقوا فى أقطار الفلا وطلبوا البر المتسع وأخذتهم نواقص الرعب والهلع وما زال عنترة وأصحابه لهم فى التبع حتى مزقوهم فى تلك القفار وقتلوا منهم ما ينوف عن ثلاثمائة فارس كرار وقتل من بنى شيبان ثلاثة فرسان ثم رجعوا جميعا واتوا الى قومهم سريعا فحلوهم من السلاسل والاغلال وهنأوهم بالسلامة من شرك العقال فانشرحت خواطرهم وآلت عنهم الاتراح وابتهجت سرائرهم من السرور والأفراح وأقبلوا على عنترة وشكروه وأثنوا عليه ومدحوه وتقدم عنتر الى عبلة وسلم عليها وأظهر لها ما عنده من كثرة الأشواق اليها وقال لها أتظنين انى انساك وأغفل عنك ولا ارعاك ولا اقتفى آثارك واحفظك من العدا ولو ان اباك من أهل الظلم والاعتداء فبكت وقالت ان أبى قد احاط به الويل فاضحى قتيلا تحت حوافر الخيل وتاح عليه النهار والليل فوالله لا خلعت عنى لبس السواد ولا سررت فى المواسم والأعياد وما زلت أواظب على النوح والتعداد حتى تأخذ لى ثارة وتكشف عنى عارة فلما رأى عنترة كثرة بكاها تألم قلبه وأوجعه شكواها وقال لها يا منية القلب والروح التى بين الجنب أقلى من بكاك فما أبوك الا سالم من كل ضير وقد تركته وعنده أخى شيبوب ومالك اين زهير ثم أن عنترة أرسل عروة بن الورد الى معركة القتال ليأتيه بأنس بن مدركة فى عاجل الحال فسار عروة فى جماعة من الفرسان وتطلبوه فى هذا المكان فلم يقفوا له على خبر فرجعوا وأخبروا الامير عنتر فقال انى قد تهاونت فى أمره وكان الواجب قتله وقطع خبره فقال عروة لا تندم على حياته وبقاه وهب انك أخذت هذه الاموال على خلاصه وفداه لأن هذه القبيلة من أفقر العرب وقد ساقها الله لك من دون مشقة ولا تعب قال الراوى وكان السبب فى خلاص أنس انه كان قد أفاق من غشوته فرأى السيف قد أهلك أبطاله وفرسان عشيرته فركب بعض الخيول الشاردة فى تلك الفلا وطلب لنفسه السلامة والنجاة ثم

ان عنترة بعد ذلك أمر بسوق تلك الغنائم والاسلاب وساروا طالبين أرض الرباب وعنترة أمام القوم كانه أسد الغاب والى جانبه بسطام على جواده ذات النسور وهو بغاية الفرح والسرور ولما تمادى بهم السير والترحال تذكر عنتر بما جرى عليه من الوقائع والأهوال فجاش الشعر فى خاطره فانشد وقال صلوا على محمد الرسول :

صحا من بعد سكرته فؤادى ... وعاد مقلتى طيب الرقاد
واصبح من يعاندنى ذليلا ... كثير الهم لا يفديه فاد
يرى فى نومه فتكات سيفى ... فيشكوا ما يراه الى الوساد
الا يا عبلة قد عاينت فعلى ... وبان لك الضلال من الرشاد
وان ابصرت مثلى فاهجرينى ... ولا يلحقك عار من سوادى
والا فاذكرى طعنى وضربى ... اذا ما لج قومك فى بعادى
طرقت ديار كندة وهى تدوى ... دوى الرعد من ركض الجياد
وبددت الفوارس فى رباها ... بطعن مثل افواه المزاد
وخثعم قد صبحناها صباحا ... بكورا قبل ما نادى المنادى
غدوا لما رأوا من حد سيفى ... تدير الموت فى الأمواج حادى
وعدنا بالنهاب وبالسرايا ... وبالاسرى تكبل بالاصفاد

قال الراوى فلما سمع بسطام شعره أثنى عليه وشكره وقال والله ياحامية عبس وعدنان ومن هو نادرة هذا الزمان لقد كملت فيك الشجاعة وفصاحة اللسان وحزت غاية المجد ورفعة الشأن فشجاعتك لا توصف ولا تحد ولفظك اعبق من الشهد وأعبق من فتاة المسك والند فلا زالت أيامك فى سعود ونجمك فوق هام المجد معقود ثم انهم جدوا فى قطع الهضاب حتى اشرفوا فى ثانى الايام على أرض الرباب وابصر شيبوب عبارهم فانحدر اليهم مثل العقاب والتقى باخيه عنترة الفارس المهاب ورأى تلك الغنم والاسلاب ففرح بسلامتهم واستكشف أحوالهم فاخبروه بقصتهم وما جرى لهم فسأله عنتر عن عمه مالك بن قراد قال قد بدا اصلاحه وصار يأكل ما يشتهيه من الزاد ويركب على ظهر الجواد

ثم صاروا حتى وصلوا الى تلك الارض وسلموا على بعضهم البعض ودارت فرسان عبس على مالك بن زهير وهنأوه بالسلامة من الألم والضير وبعد ذلك تقدموا الى نحو مالك أبو عبلة وسلموا عليه بالجملة فقال اشهدوا على ياسادة عبس وعدنان ومن حضر فى هذا المكان بأنى عتق سيف ابن أخى عنترة الفرسان لان له على حقا قديما وفضلا جسيما وقد أصفيت له الضمير من البغض والتكدير وبعد هذا اليوم لم يعد يقع منى فى حقه حقد ولا جفا الا المحبة وحفظ العهود والوفاء لأنه قد صار عندى بمنزلة العين والروح التى بين الجنبين وسيبلغ منى فى أمره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به خاطره ومناه ثم أخذ يستضعف بخاطره ويطلب منه الرضا والاغضاءعما مضى وأشار يمدحه بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

انظر الى قدمعى هاطل هـــام وطرد حلمك سامى المرتقى حـــام
وأنت فينـا همام سيـــد بطل يوم الحروب لقد أهلكت اخصامى
لله درك اذا اسودت سحاب وعى وأضحت البيض حمرا من دم الهمام
وجاءت الخيل مبتلا رجالها تحت القتام باســـاد واجـــام
احييتنى بعد موت كنت شاربه من الجـــراح ومـــن ضر وآلام
لأشـــكرنك فى ســـر وفى علن بين الأنام وفى اهـــلى وأقـــوامى

قال الراوى وكان قول مالك فى هذه المرة صحيح من غير كذب ولا تلويح فقال له بسطام وحق رب العباد كل من لا يعرف مقام هذا الفارس الجواد ليس له عقل ولا رشاد قال عنتر دعه يا أمير بسطام يفعل ما يريد من المرام وأنا أقسم بحق من خلق الظلام والنور العالم بما فى الضمائر والصدور لو ملكت جميع ما فى الدنيا من الاموال والدنانير ما كنت الا عبد لهذا الامير فلو شتمتنى أكرمته وان طردنى أتيه وخدمته وما زال عنتر يمدح عمه مالك بمثل هذا المقال حتى شكرته جميع الرجال وقد تعجبوا من حسن أدبه ومروءته وكرم اخلاقه ومودته وباتوا تلك الليلة فى تلك الارض وهم فرحون بجمع شملهم مع بعضهم البعض ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح اقتطع عنترة قطعة جيدة من تلك

النوق والفصلان والتفت على الأمير بسطام وقال له يا أبا اليقظان قد غمرتنا بالجميل والاحسان فخذ هذه الاموال قسمك واطلب ديار أهلك وقومك لأنها قد طالت غيبتك على أهلك وعشيرتك فقال بسطام أيها البطل الهمام والاسد الضرغام كيف يطيب فؤادى أن أسير الى اهلى وبلادى قبل انفصال نوبتك ودخولك بعبلة زوجتك قال يا أخى وذمة العربان لادخلت عليها حتى تحضر أنت وسائر بنى شيبان ان أمكننى الزمان واعلم ان عمى مازال يشكوا من ألم الجراح فليس لى سبيل أن أخاطبه بذكر عرس ولا أفراح حتى يعود الى حالة الصحة والنجاح فحينئذ أرسل خلفك ونصرف وقتنا بالحظ والانشراح ثم ودعوا بعضهم البعض وافترقوا من تلك الارض وسار كل منهم يطلب ديار أهله واصحابه وهو متأسف على فراق أحبابه وجد عنتر فى المسير حتى اقتربوا من الأوطان وهبت عليهم أرياح بنى عبس وعدنان فعند ذلك تذكر عنتر أهله وخلانه وما لاقى فى زمانه فانشد يقول صلوا على طه الرسول :

يا عبل أين من المنية مهربى ... ان كان ربى فى السماء قضاها
وكتيبة لبستها بكتيبة ... شهباء باسلة يخاف رداها
خرساء ظاهرة الاديم كأنها ... نار يشب وقودها بلظاها
فيها الكماة بنو الكماة كأنهم ... والخيل تعثر فى الوغى يقناها
شهب بايدى القابسين اذا بدت ... بأكفهم قلب الظلام سناها
صبرا عدوا كل اجرد سابح ... ذبلت مراكله وضم حشاها
يعدون بالمتدرعين عوابسا ... قودا تهتم أوبتها ورحلها
يحملن فتيانا مداعيس القنا ... وقرا اذا ماالحرب خف لواها
من كل أروع ما جد ذى صولة ... يسطو اذا لحقت حصى بكلاها
وصحابة شم الانوف بعشتهم ... ليلا وقد مال الكرى بطاها
وسريت فى غلس الظلام أقودهم ... حتى رأيت الشمس زال ضحاها
ورأيت فى كبد الهجير فوارسا ... فطعنت أول فارس أولاها
وضربت قرنى كبشها فتجندلا ... وجعلت مهرى وسطها فمضاها
حتى رأيت الخيل بعد سوادها ... حمر الجلود خصين من جرحاها

يعثرن فى نفع النجيع جوافلا ... وبطان من نار الوغى عظاها
وبذلت فيهم صارما فى حدة ... كأس المنية فاستهل دماها
ورجعت محمودا برأس عظيمها ... وتركتها جزرا لمن نالواها
ما سمت انثى نفسها فى موطن ... حتى وفى مهرها مولاها
ولما ردأت أخا حفاظ سلعه ... الا له عندى بها مثلاها
أغشى فتاة الحى عند حليلها ... واذا عز فى الجيش لا أغشاها
واغض طرفى ما بدت لى جارتى ... حتى توارى جارتى مأواها
انى امرء سهل الخليقة ما جد ... لا اتبع النفس اللجوج هواها
ولئن سألت بذلك عبلة أخبرت ... ان لا أريد من النساء سواها
وأجيبها أما دعت لعظيمة ... وأعينها وأكف عما سواها

قال الراوى فلما فرغ عنترة من هذه الأبيات اهتز مالك بن زهير طربا وتمايل على ظهر جواده عجبا وقال والله ياأبا الفوارس ما سبقك الى هذه المعانى أحد من البشر وانت ورب الكعبة شاعر البدو والحضر لانك قد وفقت بالفصاحة جزاءة الاقدام على كل بطل همام وسيد قمقام كل من يدعى النثر والنظام فما امرء القيس الا نقطة فى بحارك والمهلهل ابن ربيعة الا شرارة من نارك وجميع فرسان العرب تعترف ببأسك واقتدارك فاشعارك الحسان تعجز الشعراء على نظم أمثالها ووقائعك فى الحرب تكاد تمور الارض من عظم أهوالها فشكره عنترة وأطنب فى الثناء وأطال فى الدعاء وقال والله ما أنا الا عبد وأنت المولى وما قد ذكرته من جميل الصفات فانت احق به واولى لأن اخلاقك تعلم الناس كرم الأخلاق وحسن الشيم وذلك بسماع صفاتك الشائعة فى العرب والعجم ثم قال له مالك بعد ذلك من الصواب أن ترسل اخاك شيبوب الى اهلنا يعلمهم وصولنا حتى يخرج ابى فى سائر عبس الى ملتقاك فتغنم بذلك اعداك وتفرح بسلامتك أهلك واصدقاك لانى أعلم ان أخى شاس قد وصل الى الأوطان واعلم الناس بما جرى لنا وكان انك رحلت مع بسطام الى ديار بنى شيبان فى زى حردان ولا شك ان عمارة قد سمع بهذا الخبر ووعد نفسه بزواج عبلة عند قدوم عمك من السفر وانا اعلم متى وصل شيبوب الى حلتنا وأخبر أبى بقدومنا من سفرتنا

وان عمك أصلح شأنه معك وانك فى صحبتنا تبدلت افراح بنى زياد باحزان ويأخذهم القلق والهيمان ويطيب قلب ابى من اجلى بعد قطع الاياس لأن خبرى قد أبطأ عليهم بعد قدوم اخى شاس فلما سمع عنترة منه ذلك الخطاب رآه عين الصواب فانفذ من وقته أخاه شيبوب فطار كانه العقاب وفى دون ساعة انقطع غباره وخفيت آثاره . قال الراوى وكان الحساب الذى حسبه مالك وقصه على عنتر جاء كأنه نقش على حجر لأن شاسا كان قد فارقهم من أول النهار وسار أمامهم فى تلك القفار حتى وصل الى الديار فدخل على أبيه واعلمه بما فعل عنترة فى ديار بنى كندة وكيف قتل مسحل بن طراق ومزق شمل قومه فى الآفاق ثم أخبره بمسيره الى بنى شيبان وهو من أفعال عمه مالك حردان فلما سمع الملك زهير ذلك الايراد نما غيظه على أبى عبلة وزاد وقال وحق باسط المهاد لا يزال مالك بن قراد ملازم العناد حتى تشمت بنا الاعداء والحساد ولا بد من اتصال أذيته الى سائر عرب البلاد وذلك بعد ما يلحق شره الينا وبسببه يقتل لنا من يعز علينا لأن طبعه الخبث والغدر ودأبه الخداع والمكر فلا يميل من ذلك ولا يضجر وقلبه أقسى من الصوان وأصلب من الحجر ثم قام بانتظار ولده مالك ثلاثة أيام فلم يحضر فاخذه القلق وساء ظنه فيه وقال لشاس أخبرنى بخبر أخيك ولا تكتم عنى ولا تخفه فقال أبشر يا أبتاه بالخير والكرامة فانى قد فارقته وهو فى غاية الصحة والسلامة وما أقول الا أن مالكا بن قراد اخذ ابنته عبلة وهرب بها الى بعض البلاد فسار اخى خلفه ليقتفى منه الاثر لأنه أطول منى بالا واصبر واجلد على الاهوال واقدر فال وبينما هما فى مثل هذا الخطاب واذا بالمنهزمين الذين انهزموا من أرض الرباب قد وصلوا فى ذلك الوقت عند الغياب ودخلوا على الملك زهير وهم فى حالة الذل والاكتئاب وشكوا له ماأوقع بهم انس بن مدركة من المصلب فسألهم عن ولده مالك وقد زادت به الغصص فأخبروه أنه كان قد فارقهم فى طلب الصيد والقنص فأخذه العم والوسواس واستشاط غضبا على ولده شاس وقال له والله ياولدى لقد اسأت التدبير واخطأت فى أمر اخيك وعجلت فى المسير فقم الآن ونادى فى بنى عبس بأخذ أهبة القتال حتى نسير الى أرض الرباب ونكشف حقيقة الحال قال وكان

عمارة بن زياد قد سمع ما جرى لعنترة بن شداد من النفور والكياد فطاب منه وأيقن ببلوغ المراد واجتمع بأخيه الربيع وقال ياأخى قد تمكنت الآن من عبلة وزالت عن قلبى الدبلة لأنى أعلم ان ذلك الاسود الكشحان لم يخرج من أرض بنى شيبان لما عليه من الاحقاد وادمية الفرسان فقال الربيع والله ياعمارة لا تزال تتعلق بالكذب والأمل الخائب حتى تلقينا فى لهوات المنايا والمعاطب . قال وكان الامير شاس قد نادى على بنى عبس بالمسير وأن يتأهب الكبير منهم والصغير واستعدت الابطال الصناديد وتدرعت بالزرد النضيد واذا بشيبوب قد أقبل عند ذلك ليبشر بقدوم الامير مالك وعنترة فارس المعارك فرأى الحى يموج بلمعان الصفاح ونصال السيوف وقروم أبطال الكفاح فعلم بواقعة الحال وقصد نحو راية الملك زهير دون باقى الرجال فسلم عليه وقبل الارض بين يديه وقال لك البشارة أيها السيد الكريم والملك العظيم بقدوم ولدك مالك وهو فى أحسن حال وانعم بال وأتم اقبال ومعه الغنائم والاموال وفى صحبته أخى عنتر وقد أرسلنى لابشرك بهذا الخبر ففرح الملك واستبشر وركب من وقته بباقى العساكر وسار لاستقبالهم فى ذلك البر الاقفر وما زالوا سائرين وهم يقطعون الارض حتى التقوا ببعضهم البعض فعلا منهم الصياح وزادت المسرات والافراح واعتنق الملك زهير ولده وقد انطفت نار كبده لانه كان يحبه أكثر من اخوانه وعاد الى عنترة فوجده قد ترجل الى خدمته فشكره وسلم عليه وقبله بين عينيه وقال له يا أبا الفوارس هجرت الاوطان وصرفت زمانك بالشقا والقيت نفسك فى الامور والكبائر وما كنا نرى لقصتك من آخر فقال عنترة يامولاى قصتى هانت والامور بعون الله قد لانت ثم حدثه بتفصيل القصة وكيف خلص ابنة عمه وأهلها من تلك الغصة فاستحسن الملك كلامه وعظم عنده قدره ومقامه علم انه رجل مسعود وما عاداه أحد الا وعاد مقهورا مكمودا قال الراوى ثم انهم نزلوا للمبيت فى ذلك المكان وفرحت الاخوان بالاخوان والاصدقاء بالخلان ولما اقبل النهار رحلوا طالبين الديار ولما وصلوا وقع فى الحى الفرح

والاستبشار وما نزل عنتر عن ظهر جواده الابجر حتى فرق من الغنيمة القسم الاكثر فاغنى عروة بن الورد وأقوامه وقسم البافى على أبيه واعمامه وقد طابت أوقاته وايامه وعادت عبلة الى ابياتها وفرحت بها أهلها وجاراتها وكانت قد اتخذت جارية من سبى خثعم واصطفتها لنفسها وقدمتها على جميع الخدم وكانت بديعة فى الحسن والجمال وعليها آثار النعم والدلال كحلاء العيون كثيرة المزاح والمجون طويلة القوم عذبه الكلام حافظة زمام الاحتشام وكان اسمها رابعة وهى ابهى من الشمس الطالعة وكانت تسلى عبلة على همها وغمها وكانت عبلة تشكو اليها ما قاساه عنترة ابن عمها وتقضى معها اكثر الليل والنهار فى الحديث ومناشدة الاشعار فحبها عنترة لأجل محبة ابنه عمه عبلة وكان يكرمها فى الجملة واستمرت عبلة تنادم عنترة صباحا ومساء وتخفف عنه ما كان يجده من الهم والأسى وقد فرحت الأصدقاء والمحبون واغتنمت الاعداء والمبغضون. قال الراوى وكان عمارة بن زياد عند ما بلغه قدوم عنترة بن شداد وقع على فراش الضنا وهجر الطعام والرقاد وزاد به النوح والتعداد وهو يزداد الا حسرة وجوى من ألم العشق والهوى حتى ذابت مهجته وانشقت مرارته فلما رآته أمه على تلك الحالة قالت له ياولدى اخبرنى ما الذى اعتراك لأنى أرى جسمك فى كل يوم على ضعف وهزال فقال لها أن هذا كله من قدوم عنتر الى الاطلال ومعه هذه الغنائم والاموال وانى أرى عمه قد ذل له اذلال العبيد وأحبه بعد ذلك البغض الشديد وقد عول بعد ما يشفى من علته أن يزوجه بعبلة ابنته وأنا أقسم بحق اللات والعزى والهبل الأعلى متى بلغنى أنها زفت عليه وتحلت تخرج روحى من شدة الوجد والهوى واموت بعلة مالها دوا لأن فى هذا غبنا عظيم وأمرك يترك الجسم السليم سقيم فلما سمعت مقاله رثت له وبكت لحاله وقالت حقا ياولدى ومهجة كبدى ان حزنك هذا لايجلب لك خيرا ولا يكشف عنك غما ولا خرا فلما سمعت منى لخطبت لك بعض بنات عمك وارحتنى من حمل همك وغمك لأن عنترة بعد هذا اليوم لا يعادى ولا ينافس ولا يمثل بغيره ولا يقايس لأنه قد صار فى منزلة عظيمة واشتهر صيته فى بلاد العرب وهابته الملوك والسادات من ذوى الرتب فاعص نفسك هواها ولا تطعها مناها والا دعنا نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن فانه لم

يبق لنا طاقة على الصبر والجلد ولا قلب يحتمل هذا الهم والنكد . فقال لها يا اماه اذا كان الامر كذلك فانى لامحالة هالك ثم انه استدعى باخيه الربيع فحضر وقص عليه ذلك الخبر وقال له هذا وقت المروءة والقيام بحق الاخوة فما عندك من الرأى والتدابير فى هذا الامر العسير وماذا ترى فيه وتشير لانه قد زاد سقامى ودنا وقت جمامى فلعلك تنفع نفسى وتحييها وتدفع شر هذه البلية التى وقعت فيها فبكى الربيع وقال ان هذا أمر مشكل وداء معضل فانى لست بقادر أن اذيل عنك هذه الكربة ولا يمكننى ان أعاند رب السماء الذى أعطاه هذه الرتبة فانّ سعده عمال وطالعه فى اقبال وكلامه مسموع مطاع وكل العشيرة له اتباع لانه المشتهر بجميل الصفات وارتقى الى اعلى الدرجات واستمالت اليه خواطر السادات وفى قلبه منه اكثر مما فى قلبك من الحسد ولكننى أصبر منك وأجلد فكل تدبير صوبناه الى نحو هلاكه يعود علينا وكل مصيبة القيناه فيها يتخلص منها ويرجع وبالها علينا وما فى الامر الا أن ننتظر له الغرضيات وندبر على هلاكه فى الباطن ان ساعدتنا الامور والمقتضيات فقال عمارة وهذا أمل بعيد لا ننال منه أرب وقد صرت هدفا للبلاء والعطب لأنه فى كل يوم يشاهد عبلة ويتمتع بحسنها الباهر ويصرف أيامه مع الملك زهير بالعيش الرغيد والحظ الوافر ولو تكون عبلة قد قتلت فى بعض الكرات كان انقضى أمرها وفات وزالت عنى الهموم والحسرات قال الربيع ان كنت ترغب فى قتلها ابشر بالنجاح وبلوغ الارب والصلاح فانا أدبر لك على هلاكها واتلاف مهجتها وأحرم عنترة أن ينظر جمال طلعتها ثم انه رجع الى مضاربه وبات وهو يتفكر فى هذا الأمر وعواقبه ولما بدت غرة النهار استدعى عبيده ومن يلوذ به من الجوار وقال لهم هل فيكم أحد له اختلاط بعبيد بنى قراد فليعلمنى به حتى أبلغه المراد فقال له بعض العبيد يامولاى ان لى معرفة بخميسة أمة عبلة وهى تحبنى وأنا احبها بالجملة وكثيرا ما تعرض لى وانا لا التفت اليها ولا اعتنى بها لاجل ما بينك وبين آل قراد من الحقد والكيد . قال الربيع لا تخف ما دمت عبدى وأنا مولاك فانى أكافىء من يحسن اليك وأعادى من عاداك ومن اليوم وصاعد

اظهر لها المحبة والمودة ودع عنك الهجر والوحدة وأحضرها الى خيامنا وادخل بها فى بيوتنا حتى أقول لك ماذا تفعل وأشير عليك بما تعمل فقال السمع والطاعة وأنا احضرها الى بين يديك فى هذه الساعة وقد قالت لى الف مرة خذنى وسر بى الى بعض احياء العرب وأنا آتيك بما أقدر عليه من الفضة والذهب وبكل ما تملكه مولاتى عبلة من الثياب الفاخرة والعقود النفيسة النادرة .

فلما سمع الربيع هذا الخبر فرح واستبشر وعلم أن الأمر قد تيسر وأظهر للعبد الوداد وزاد فى اكرامه وملأ مزوده ماطاب من طعامه وقال اذا جئتنا بها وكنت تحبها وتهواها فأنا أشتريها لك من مولاها وأزوجك اياها فسار العبد حتى اجتمع بالجارية وأعلمها بمرامه فابتهج فؤادها وفرحت بكلامه وسارت معه الى خيامه فلما بلغ الربيع فدومها زال عنه الهم وعلم أن أمره قد تم فارسل لها الطعام وآنية المدام فأكلا وشربا ولذا وطربا وتم بينهما الأمر وانتصف زيد من عمرو وكان عندهما ذلك اليوم أعظم أيام الأفراح وما زالا فى حظ وانشراح الى أن لاح الصباح فعند ذلك عولت خميسة على الرواح خوفا من الهتيكة والافتضاح فدخل عليها الربيع وأظهر لها الفرح والسرور والابتهاج والحبور وقال لها قد عولت أشتريك من مولاك وأزوجك بعبدى هذا لأنه يحبك ويهواك وهو عندى بمنزلة الولد لما فيه من العقل والرأى المسدد فدعت له وقالت وقاك الله يامولاى من المهالك وانى والله أحبه ولو قال اقتلى نفسك لفعلت ذلك ففرح الربيع بكلامها وانسر وطرب فؤاده وانتعش واصرفها بعد ما أوصاها أن لا تنقطع عن المجىء والرواح فى المساء والصباح قال الراوى وكان للربيع صديق فى حلة بنى شيبان وهو من أكابر الزمان وأحد ندماء الملك النعمان ملك ملوك العربان وخليفة كسرى أنوشروان وكان من دهاة الرجال وقروم الأبطال يقال له مفرج ابن هلال وكان بينهما صحبة قديمة ومحبة عظيمة فأرسل اليه بعض عبيده يقول له أريد من فضلك واحسانك أن ترسل لى عشرة من ابطال فرسانك الذين يحفظون السر والكتمان ولهم قدر وشأن حتى أرسل لك شيئا يعز على اظهاره واريد ان أخفيه ولا أنسب الى عاره فسار العبد بالرسالة واجتمع بمفرج وبلغه تلك المقالة فاستدعى بابن عم له

يسمى سنان وضم اليه عشرة من الفرسان وقال لهم سيروا الى ديار بنى عبس وعدنان واقصدوا الربيع بن زياد وامتثلوا له فى كل ماأراد فساروا وقد جدوا فى الترحال حتى أشرفوا على ديار بنى عبس وقت الزوال فاخفاهم العبد بين أحاقيف الرمال ودخل على مولاه الربيع وأخبره بواقعة الحال ففرح بذلك وأبدى الابتسام وأمره أن يأتى بهم ليلا والناس نيام بحيث لا يعلم بهم أحد من الأنام .

فلما كان الليل جاء بهم العبد الى الخيام فالتقاهم الربيع بالترحيب والاكرام ونحر لهم النوق والغنم وقدم اليهم الطعام والمدام وأقاموا عنده مدة ثلاثة أيام فى عز واحترام فلما كان اليوم الرابع قال سنان ياربيع ما هى الحاجة التى دعوتنا اليها فان الوقت قد طال فاطلعنا عليها فعند ذلك أمر عبده باحضار خميسة الى ما بين يديه فسار وما غاب الا القليل حتى أحضرها اليه فاختلى بها وقال مرادى ان اكلفك فى قضية فاذا قضيتها ضمنت لك عتق نفسك من رق العبودية وقالت وما هى حاجتك حتى ابلغك اياها وان يكن فى ذلك هلاك نفسى وفناها فقال ان أخى عمارة قد أشرف على الهلاك وما بقى له من اشراك الموت فكاك وفى كل يوم ادخل عليه وأقول له ماذا تريد وما الذى يكشف عن قلبك الدبلة فيقول لى ما أريد الا نظرة اتمتع بها من وجه عبلة حتى اودع بها هذه الدنيا لانى قد صرت من الأموات لا من الاحياء وقد تألم قلبى لشكواه وعجزت عن بلوغ مناه وما وجدت لى من اسأله سواك فان قدرت على ذلك نلت منى مناك .

فلما سمعت هذا المقال غلب عليها الهوى والبلبال وقالت يامولاى ان حاجتك تفدى بالمهج والأرواح وخدمتك واجبة على فى المساء والصباح فقل لأخيك ان يخرج هذه الليلة الى غدير ذات الأصاد حتى ابذل المجهود فى تتميم المراد فقال على ماذا عولت من العمل وماذا دبرت من الحيل قالت هذا أمر هين وصعبه لين لأن عنترة من حين جاء من السفر وهو مقيم عند مالك بن زهير لا يفارقه الا فى وقت السحر وانا اقول لمولاتى عبلة اخرجى الى الغدير فى هذه الليلة لأن ابن عمك عنترة يكون لك هناك فى الانتظار وهكذا امرنى ان احدثك بهذا الخبر من

أول النهار ويكون عمارة ممكنا فى تلك الأرض وربا فتخرج عبلة فيراها وتبلغ نفسه مناها . قال الراوى فلما سمع الربيع كلامها تبسم وعلم ان الأمر قد تحكم فاظهر لها السرور والطرب وأخرج لها من جيبه دملجا من الذهب وقال لها خذيه الآن على سبيل الهدية حتى اذا انقضت الحاجة زوجتك بعبدى وعتقت نفسك من رق العبودية وأعطيكما ما تعيشان به من العيشة الرضية فامتنعت وقالت ان كان ولا بد من سوابغ انعامك فاودعه لى أمانة عنك حتى يتم مرامك به لأنه قد دخل فى حيز القبول وأخاف ان أخذته الآن وسئلت عنه فما أدرى ما أقول ثم انصرفت من عنده فى الحال واجتمع الربيع بفرسان بنى شيبان وقال ان الحاجة انقضت وهان منها العسير ثم التفت على عبده سالم وقال بهؤلاء الرجال الى جانب الغدير وأكمن بهم هناك وأخفى آثارهم واذا رأيت عبلة قد وصلت أريهم اياها حتى يأخذوها ويسيروا بها الى ديارهم فقال سنان وما ذنب هذه الجارية قال هى امرأة زانية وقد البستنا ثوب العار وانى أريد قتلها فى أرض بعيدة عن هذه الديار حتى ينكتم أمرها عن الكبار والصغار لأنها من بنات عمى ومن لحمى ودمى وما احتاج ان أصف لك ما عليها من المصاغ والجوهر واللؤلؤ الذى لا يوجد مثله عند كسرى وقيصر ومافيها من الحسن والجمال والقد والاعتدال ممايحير عقول الرجال وعند وصولكم الى مفرج ابن هلال سلموها وقولوا له ان يتركها عند بعض ثقاته حتى أقدم عليه . قال فعند ذلك خرج سنان بمن معه من الفرسان حتى أقبلوا على الغدير ومالبثوا الا القليل حتى أشرفت عبلة كأنها البدر المنير وصوت خلخالها قد أقلب البر الأقفر وكانت فى تلك المدة لا تزال مزينة بأنواع الحلى والجواهر وكان عنترة يزورها فى المساء والصباح ويصرف أكثر أوقاته معها بالحظ والانشراح لأن قلب أبيها كان قد ائتلفه ومال اليه ووعده أنه متى تعافى من جراحه يزفها اليه . قال وكان السبب فى خروج عبلة الى تلك الحال خميسة بنت الأجواد لأنها بعد مفارقتها لربيع خرجت الى الصحراء وما زالت هناك حتى انصرم النهار فرجعت عند المساء ودخلت على عبلة وقالت لها يامولاتى يقول لك ابن عمك عنترة انه ينتظرك على الغدير فى هذه الليلة المقمرة حتى يخبرك فى أمر قد بدا من أخيك عمرو وقد اعترضنى فى هذه الساعة فى أبيات الأمير مالك وقال اخبرى مولاتك عبلة ان

تنتظرنى على جانب الغدير فما أدرى ان كان كلامه صحيحا أم السكر قد حسن له ذلك قالت عبلة والله ما كلامه الا صحيح لأنى اعلم ان أخى يبغضه وكثيرا ما يفسد قلب أبى عليه حتى يرفضه وربما ان مراده يحدثنى بشىء قد بدا له انها صبرت حتى أظلم الليل وأرخى اذياله وكان اكثر أهل الحى نيام فاخذت رابعة نديمة المدام وقالت لخميسة سيرى أمامى حتى اسمع كلام ابن عمى واطيب قلبه بكلامى فسارت خميسة وقد سر فؤادها حتى كادت من شدة الفرح تطير ومشت عبلة ورابعة من ورائها حتى اقبلت على الغدير فابصرها سنان ومن معه من الانفار وكان لها فى الانتظار فتقدم اليها واردفها خلفه على ظهر الحصان ونزل بعض فرسانه وكتف رابعة وخميسة تركهما على بساط الصحصحان هذا وعبلة تصيح وتستغيث وتطلب الخلاص ولا مغيث ثم ساروا بها وتبطنوا القفار وكانوا يسيرون فى الليل ويكمنون فى النهار حتى وصلوا الى الديار .

قال الراوى هذا ما جرى لهؤلاء من الخبر وأما ما كان من أبى الفوارس عنتر فانه كان تلك الليله قد اطال السهر فى بيت مالك بن زهير الى وقت السحر ثم رجع الى خيامه ولم يعلم فى ذلك احد من البشر ولما كان الصباح شاع الحديث فى الحلة واشتهر واستيقظ عنترة مخمور وقد غاب عنه خيال السرور واسودت الدنيا فى عينيه ووقع على الأرض مغشيا من شدة ما جرى عليه هذا وقد ركب الأمير شداد واخوه زخمة الجواد وسائر فرسان آل قراد وتفرقوا فى كل جانب وتبطنوا البرارى والسباسب وما زالوا يقتفون الآثار حتى تضاحى النهار وقد خفيت عليهم الأخبار وفى رجوعهم عبروا على غدير ذات الاصات فرأوا رابعة وخميسة على وجه المهاد فنزلوا اليهما وحلوهما وسألوهما عن حالهما وما الذى جرى لعبلة وما دهاهما فقالا ان عبلة أخذتها الخيل وسارت بها من أول الليل فقال لهما شداد وأنتما من جاء بكما الى هنا حتى حل بكما هذا البلاء والعناء قالت رابعة يامولاى ان خميسة قالت لعبلة أن ابن عمك عنتر يقول لك اخرجى فى هذا الليل المنير وانتظريه على شاطىء الغدير حتى يحدثك بخبر قد طرق مسامعه ويستشيرك فيما هو صانعه فخرجنا على مثل هذا الكلام وما استقر بنا المقام حتى هجمت علينا

جماعة من الفرسان فتقدم أحدهم الى عبلة وأردفها خلفه على ظهر الحصان ثم كتفانا وتركانا على هذا الحال وساروا بعبلة بين الروابى والتلال قال فلما سمع شداد كلامها أخذه الحنق والتهب فؤاده من شدة الغيظ واحترق وقال لخميسة ويلك من أرسلك بهذه الرسالة وعلمك أن تقولى لعبلة تلك المقالة قالت يامولاى خذ لى من عنترة الأمان حتى أحدثكم بما جرى وكان فعند ذلك أخذها شداد فى ركابه وعاد الى الخيام واجتمع بعنترة وأخذ لها منه الأمان واعاد عليه ما قالت من الكلام ثم حدثته بجلية الخبر وما دار بينها وبين الربيع من الكلام الذى تحرر وكيف أنه اعطاها الدملج الذهب ووعدها بزواج عبده عند بلوغ الأرب فلما سمع عنترة ذلك المقال ووقف على صورة الحال غلب عليه الوجد والبلبال وخرج عن دائرة الاعتدال وقال ويلك يا أمة الخنا ونتيجة الزنا فلا حل هواك وازدياد عشقك وجواك سلمت مولاتك وعليها من الجوهر المنتخب ما لا يوجد عند أحد من ملوك العرب فوحق من رفع السماء وخلق الأرض من طين وماء لو لم يسبق لك منى الزمام لكنت مكنت منك هذا الحسام ولكن قتلك لايشفى قلب العليل ولا يبرد لى نارا ولا غليل وأنا اعلم ان هذا آخر العهد من عبلة وسوف تزداد هذه المصيبة والدبلة ولولا هيبة الملك زهير وأولاده الأجواد لجردت الآن سيفى فى بنى زياد وجعلتهم مثلا بين العباد لأنهم لم يتركوا من أنواع العداوة شيئا الا تعاطوه ولا من الافساد صنفا الا وهباوه فبينما هم مثل ذلك واذا برسول الملك زهير قد حضر وقال لهم قد بلغ الملك طرف من حديثكم فتكدر وتشوش خاطره وتعكر وهو يستدعيكم الى حضرته حتى يقف على حقيقة الخبر فساروا حتى دخلوا عليه وتمثلوا بين يديه وقصوا عليه حديث خميسة وأوقفوه على حقيقة تلك الدسيسة فقال يالها من قضية عظيمة وداهية جسيمة والله ان هذا من أعجب العجائب أن تسبى بناتنا بين المضارب وهيبتنا قد شاعت فى المشارق والمغارب ثم انه أرسل فى طلب الربيع فحضر مع أخوته ومن يلوذ به من أهله ورفقته فحيوا وسلموا وجلسوا ولم يتكلموا فالتفت الملك زهير الى الربيع وقال له هل سمعت بما جرى لهؤلاء القوم فى صباح هذا اليوم قال نعم وقد صعب على هذا الحال فركبت مع اخوتى وتفرقنا فى البرارى والتلال وكددنا غاية الكد وبذلنا الجهد والجد فما عرفنا لها خبرا ولا

رأينا لها أثرا وهذا الأمر ليس هو قليل ولا يرضى به الا كل جبان ذليل لأن عاره علينا عائد ولا يرضى به الا كل عدو وحاسد فقال مالك أبو عبلة ياربيع دع عنك زخاريف المحال ورد علينا ابننا بما عليه من المال والا خرجنا معك من المقال الى الفعال وأثرنا حربا شديدة القتال وتركنا العرب تضرب بنا الأمثال مابقيت الأيام والليال كما ضربت بحرب البسوس من قبلنا وتكون أنت السبب فى تفريق شملنا لأن خميسة حدثتنا بفعالك وما دبرت من مكرك واحتيالك فلما سمع الربيع مقاله اصفر لون وجهه وتغيرت أحواله وأخذته الدهشة واستولت على قلبه الرعشة وعلم أن لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا استعمال الخداع والحيلة فقال لمالك انا اعذرك فى ذلك لانك فقدت الدرة المصونة والجوهرة المكنونة ولكن اعلم أيها الامير والسيد الخطير ان رفيع قدرنا ما سقط بعد الى هذا الحد وكلامنا لم يزل مسموعا لا يرد حتى تسمع فينا كلام أمة ذميمة لا قدر لها ولا قيمة لأنها تعلم ما فى قلوبكم علينا من الاحقاد وعدم الألفة وأنواع العناد فالقت بيننا هذه الفتنة وها نحن صابرون الى أن ينكشف خبرها ويظهر أمرها ويبان أثرها فانها لم تصعد الى الجو الأعلى ولا هبطت تحت الأرض السفلى والآن فمالكم علينا الا اليمين واشهاد رب العالمين بأنا ما أطلعنا لها على خبر ولا وقفنا لها على أثر فلما رأى الملك زهير أن القصة مشكلة والأمور معضلة خاف من وقوع الفتن وأثارة الشر والمحن فقال يابنى عمى الصواب أن تأخروا هذا الامر حتى يبان الصدق ويظهر الحق وحينئذ نجازى المفترى على ما يستحق لأنى قد عزمت على أن أتولى على كشف أخبارها وأرسل عبيدى الى جهات الأرض واقطارها فقال شاس وقد اشتعلت فى قلبه نيران الغضب واضطرب جسده من الغيظ والتهب اعلم يا ابتاه أن القوم ماداموا فى أرض واحدة ولم تزل الشرور بينهم متزايدة والرأى عندى ان يرحل الربيع بأهله الى بنى فزارة حتى تسكن الفتنة وتخمد هذه الحرارة .

انتهى الجزء الحادى عشر من سيرة عنترة بن شداد العبسى ويليه الجزء الثانى عشر .